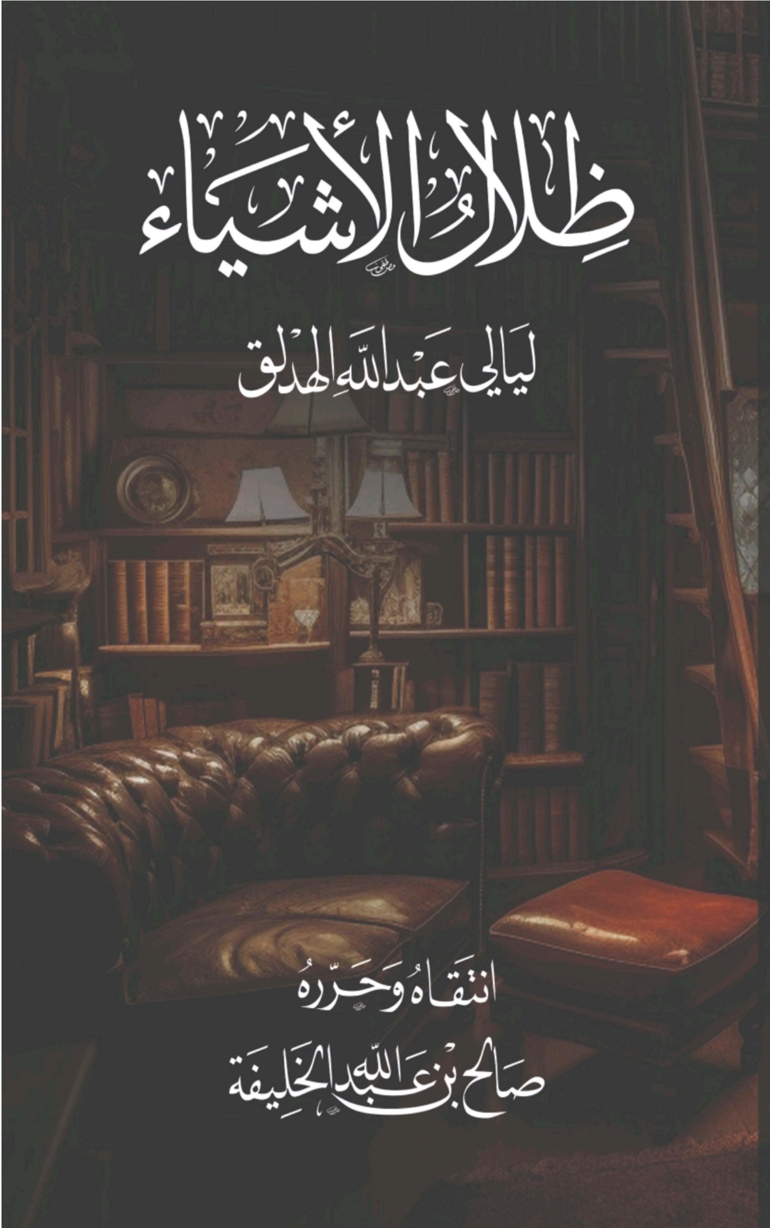
ظِلالُ الأشياء

ليالي عبدالله الهدلق



انتقاهُ وحرّره

صالح بن عبدالله الخليفة

ظِلالُ الأشْياء

ظِلالُ الأشْياء

ليالي عبدالله الهدلق

انتقاه وحرَّره

صالح بن عبد الله الخليفة

ح دار أدب للنشر والتوزيع، ١٤٤٥ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخليفة، صالح بن عبد الله.

ظلال الأشياء.. ليالي عبد الله الهدلق. / صالح بن عبد الله الخليفة. - ط١. - الرياض، ١٤٤٥هـ

٥٠٢ ص؛ المقاس ١٤ × ٢١ سم

ردمك: ٥ -٢٠ -٨٤٠٦ -٦٠٣ -٩٧٨

١- الثقافة العامة أ. العنوان

ديوي ٠٣١ ١٤٤٤/١١٧٤٤

رقم الإيداع: ١٤٤٤/١١٧٤٤
ردمك: ٥ -٢٠ -٨٤٠٦ -٦٠٣ -٩٧٨

الآراء الواردة في الكتاب
لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار

الطبعة الأولى
١٤٤٥هـ = ٢٠٢٣م

info@adab.com adab.com @adab

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ﴾ .

قال ابن زيد في قوله: «وظلالهم بالغدوّ والآصال»: ذُكر أن ظلال الأشياءِ كلِّها تسجد له.. (تفسير الطَّبَريّ).

الإهداء

إلى الشيخ الأديب عبدالله بن عبدالعزيز الهدلق، الذي قَرَّر الغياب بعد أن تعلَّقتْ به الأَنْفُس؛ راجين أن يعود إلينا..

مقدّمة

أستاذنا الهدلق؛ فكرةٌ قوامها الوَلع بالمعرفة وسعة الاطلاع، يقول: «لم أرَ أوسعَ للعقل من تنوّع الاطلاع والتفنّنِ في ضروب المعرفة، الاتجاه الحادّ في القراءة يورث القارئ نظرةً ضيّقةً لا ترى صورة المعنى كاملة»، هذا ملخَّص فلسفته وطريقته.

أكاد أجزم أنه ما من قارئ من جيل القراء اليوم إلا وللأستاذ عليه أثر قَلّ أم كثُر؛ شعر أم لم يشعر، وإذا ما ذُكرت أسماء المؤثِّرين -بهدوء وبلا جَلبة- في الشأن الثقافي السعودي والعربي فلا أظن إلا أن الأستاذ الهدلق من أحراهم بهذا الوصف..

لقد فتح أعينَ القراء على أسماءٍ لم يُعهد ذكرُها إلا في أوساط المخضرمين، من أمثال: علي أدهم، أمين نخلة، مارون عبُّود، وغيرهم...

كما كانت توصياته وإشاراته إلى الكتب محلَّ اهتمام القراء وترقُّبهم، فإذا أوصى بكتاب؛ ذاع خَبَرُه وتضاعف سعرُه، وتخطّفته الأيدي في معارض الكتب فنَفِد!

هذا وقد وجّه القراءَ إلى ضروب مختلفة من الكتب، كتلك المتعلّقة بأدب السُّجون، أو السِّيَر الذاتية، ولا أبالغ إن قلت: إن له أثرًا كبيرًا على استدعاء كتب السِّيَر الذاتية وتداولها في الساحة الثقافية.

ولأنه عرف مغزى المعرفة وجرّب التنوُّعَ فقد انعكس ذلك على حديثه ومُلتقطاته بين أشتاتٍ مُجتمعات: ابن تيمية فكولن ويلسون،

إلى حمد الجاسر وكانط، ومن السَّخاوي إلى تولستوي.. في تنويعٍ ماتع بديع، من حيث لا تتوقع مثل ذلك من رجل سلفيّ المظهر والمَشْرب، يقول: «أنا سلفيٌّ لا يقبل المساس بشعائر الدين، ومثقّفٌ قارئ لن يتخلى عن الحوار والوعي.. إن شقّ عليك الجمعُ بين هذين المعنيين فهذه مشكلتك لا مشكلتي»..

لم يستطع أستاذنا الهدلق التخلّصَ من عقدته مع النشر والناشرين الذين زهدوا فيه؛ فزهد فيهم بعد أن صار أمنيَّتهم ومبتغاهم! سيعيش وفي نفسه شيءٌ من النشر والتأليف..

أديبنا مُقِلٌّ في نِتاجه فليس له سوى كتابين اثنين ظلّا متوهِّجين مطلوبين حتى بعد نفادِهما من المكتبات: (الهادي والهاذي، وميراث الصَّمت والملكوت).

ذات ليلةٍ كنتُ أتصفّح دفترًا لي أسميته: «مَسْرَد الفوائد والعوائد» أجمع فيه ما يُطربني من الاقتباسات والعبارات والأفكار، فإذا مصدر أغلبها أستاذنا الهدلق، لقد كنتُ من المحظوظين الذين عاشوا كلَّ ليالي توهُّجه في «تويتر»، فقد دخله بقوة ثم غاب، وعاد متخفيًا باسم مستعار، ثم باسمه الصريح، إلى أن ودَّعنا وغاب..

لقد كان ما يورده من اقتباسات ولطائفَ وتوصيات؛ كنزًا معرفيًّا ومنهجيًّا لا يجب أن يطالَه النسيان.. فانبريتُ أُنَقِّب فيما احتفظت به من أرشيفه وما استدعيتُ من مظانَّ أخرى له؛ ثم فرزتُها وراجعتُها ودمجتُ ما يلزم دمجه من أحاديثَ مطوّلة متسلسلة، واستبعدتُ منه الرُّدودَ الشخصية والتغريداتِ ذات السياق الزمني العابر، في عملٍ دائبٍ استغرقت فيه قريبًا من عامٍ ونصف العام، والعجيب أن الدَّهشة والاستمتاع ظلّا يتجددان عند كلِّ مراجعة للكتاب، وأظنك ستعيش حالة الدَّهشة والمُتعة هذه حتى بعد القراءة الثالثة أو الرابعة.

ثم بدا لي أن أُثبت ما أشـار إليه بالثناء من مقال أو قصيدة فضممتُه «محاطًا بإطار»، مع زياداتٍ وهوامشَ يسيرة لما يلزم باقتضاب شديد.

ولأننـا في زمن المباهـج المتنوعة؛ فلم أبـوّب أو أفهرس الكتاب، لتكـون -عزيـزي القـارئ- كالجائـل المُسـتمتِع فـي مُتحـف المعرفة والأدب بـلا دليـل أو خريطة.. وبما أنّ غايـة هذا الجمع هي الفائدة لا التوثيق والتحقيق؛ فلم أورد تواريخَ التغريداتِ ولا أوقاتَها.

أنا ذو حظٍّ سعيدٍ أيها القارئ أن بلغتَ معي هذا السطر، وما أظن ذا عقل وروح يعرف أديبَنا إلا وهو يتعجّل قراءةَ هذه المقدمة..

وأوفـى الشُّـكْر لأسـتاذنا عبدالله الهدلق الذي سـمح بالنشـر؛ على مضض، وشـكرٌ جزيلٌ لدار أدب وللدكتور عبدالله السـفياني؛ الذي ما إن علـم بهذا الكتاب حتى أحاطه باهتمامـه ورعايته، وامتنانٌ للصديق عثمـان أبا الخيل فقد مـارس عليّ فنون الضغـط والمتابعة والمراجعة مُتَعَجِّـلًا صـدورَ هـذا الكتاب، والشـكرُ أوفـاه وأجزله لسـيِّدي الوالد الكريم حيث سَـدَّ عليَّ منافذَ اللهو صغيرًا، ففتح لي كُوى المعرفة من مكتبته فاتسعت شيئًا فشيئًا، حتى ارتقيتُ مُرغمًا في مدارجها، فصرت بها مُغرَمًا..

صالح بن عبدالله الخليفة
١٦/ ١٢/ ١٤٤٤هـ - ٤/ ٧/ ٢٠٢٣م
sa.ss.mt@gmail.com

احْمِلْ آلامَكَ واتبَعني !

كنتُ أُغالب أيامي حتى أكون أفضلَ ممَّا تسمح به؛ ولم أكن أملِك في ذلك إلا العُزلة والليل..

***

لا خيرَ في ثقافةٍ واسعةٍ واطلاعٍ عريضٍ؛ يقودان صاحبَهما إلى التمرُّد على أصول دينه ومشاغبة ثوابته، ليوصفَ بالألمعيّة والإبداع والتفرُّد.

***

أستميحُكم العذرَ في نشر شيءٍ من التجربة الذاتية؛ قبل خمسٍ وعشرين سنة أو أزيد أحسستُ من نفسي شيئًا من الموهبة الأدبية مع توافر على القراءة الجادّة، وطمحتْ نفسي إلى أن ترى ثمار هذا الجهد منشورًا في صحيفة أو مجلّة وهذه من أسمى غايات الناشئ، فأوصلت مقالة لي إلى مجلة أدبية مشهورة، ثم تواصلتُ مع رئيس

تحريرها -وهو كثير التبسّم- فرفض نشر مقالتي ونَهَرني! وذهبت مرة أخرى إلى شاعر مشهور يشرف في الرياض على فرع لمجلة كانت تصدر في الشرقية؛ ذهبت ومعي وريقات لأريه إنتاجي الأدبي فجاملني قليلًا ثم صرفني. وذهبت ثالثة إلى مؤسسة ثقافية عريقة ودخلت على رئيس تحرير مجلة فيها وجلست؛ فما وضع سماعة الهاتف من أذنه إلا بعد وقت طويل، ثم قال لي كلامًا أقبح من تجاعيد وجهه، وخرجت أجرّر خلفي هوانًا وخيبةً قلّ أن ذقت مثلهما، وهكذا في مواقف كثيرة، فأين استثمار الإنسان ورعاية الموهبة من هذه التصرّفات الغريبة؟ غفر الله لهم وسامحهم.

لكني لم يتطرّق إليّ اليأس وواصلت بحمد الله، واليوم لست أحصي -بفضل الله ثم بالدأب والصبر- عدد المرات التي طُلب إليّ فيها الكتابة في زوايا ثابتة في هذه المؤسسات الثقافية نفسها! ولكلّ مجتهد نصيب، هذا مع كثير من طلب المقابلات واللقاءات الإعلامية لكن هذا كلّه ما عاد يحرّك في نفسي شيئًا، فأنا ما عدت أجد نفسي فيه بعد أن يبست نفسي وتساوت عندي الأشياء، ولذلك أرفض مثل هذه العروض رفضًا قاطعًا، وكأني أثأر لنفسي من أيام الخيبة والهوان تلك، وأتساءل: أين كانت يوم أن كنت أتحرّق شوقًا إلى مثلها أنا وغيري من ناشئة الأدب؟ وأكرّر الاعتذار عما ورد في ثنايا هذه التغريدات من مدح ممقوت للنفس، لكنها نفثة مصدور وافقت قلمًا، وجماح القلم غالب.. والله المستعان.

يبدو أنني أثرتُ بتغريداتي آهاتٍ وشجونًا، ولامستُ مكامنَ الوجع في مساربِ أنفسٍ كثيرةٍ غيري، لا بأس أيها الموهوب.

***

صرفني عنكم هَمٌّ شاغل، ودنيا مقيمة مقعدة! وعجّل بعودتي قصة جرت لي مع بعض روّاد مواقع التواصل: كنتُ كتبتُ قبل زمن تغريدةً عن العلامة أحمد راتب النفاخ رحمه الله، ذكرتُ فيها خبرَ حبّه إحدى تلميذاته، وكانت التغريدة في جُملةٍ من الحديث عن بعض الأعلام وأنهم كسائرِ خلق الله؛ تأخذ بهم مطارحُ الجَمال، وتطرقهم صائدةُ القلوب، كان حديثًا أوحاه شجن الليل ودعت إليه لطائف المعرفة، في براءةٍ كطُهْر الجَمال، هذا مع ثناءٍ على العلامة النفاخ والترحّم عليه والاعتذار له، وهو خبرٌ محقَّق سمعته -كما سمعه غيري- من خاصّة تلامذة النفاخ وهو يعرفه كبار ذلك العصر ولا تثريب.

ثم إنّ «عبدالله» بن أحمد راتب النفاخ بلغته هذه التغريدة قبل يومٍ أو يومين لا أدري؛ فأبرق وأرعد و وأزبد وغضب غضبة مُضَريّة، ونشر التغريدة مع تعليقة له وصفني فيها «بالدّعيّ» ثم وصمني «بالقذارة» ودعا عليّ وعلى من كان علّق على التغريدة «بالقتل»! كان ذلك على صفحته في الفيسبوك.

وتتابع بعض قرّائه على التعليق على كلامه؛ فلا تَسَلْ عن غامزٍ لي في إثر لامز! حتى جاوز الكلام إلى نَبْز أهل هذا البلد بالوهابية رعاةِ الإبل -وقديمًا مّا قال الشاعر: «وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارها»- وهكذا في قُلٍّ من أدبٍ وكُثْرٍ من حَسَد، وقصْدٍ إلى هُجْرٍ من القول ورُذاله لا تخفى علينا عِلله من معاني هذه الأنفس وصورها، وهو «عبدالله» هذا في غضبته هذه؛ يريد له بعضُ كرام المعلّقين أن يتأدب أو أن يهدأ لكنه لا يفعل، ولو كان أرسل إليّ وطلب مني حذف التغريدة لفعلتُ وإذن لانتهى الأمر.

غَضِب لأني ذكرت والده في مجلى طُهْرٍ وعفافٍ في تغريدة قبل زمانٍ من الناس، فعاد ونشرها ليقرأها من لم يكن قرأها! ثم قذفني «بالدّعيّ» ورماني «بالقذارة»؛ فشتمني ووالديّ وولدي إلى يوم الدين! وكان أكثر ما أثاره أني لم أحذف التعليقات؛ وهو أمرٌ يعلم كُتّاب تويتر أني لا أملكه، وأبقى على عَوار أقلام بعض معلّقيه وفُحشهم فلم يحذفه وهو يستطيع! وبعد؛ فأنا إن أردتُ نفسي على أن تغضب فإنها تغضب، أو أن أتسافه لتسافهتُ، وأنا لو شئتُ أن أُديرَه وبعضَ معلّقيه على قلمي لأدرتُهم بِفَتيقٍ من الكلام يوجعهم وهم يتبسمون! ولو شئتُ لأريتُهم كيف يبلغ الوهّابي من سُخْر القلم إذا قصد إلى المعنى وشاءَ أن يقول.. لكنّ العلامة أحمد راتب النفاخ -رحمه الله- كان هو نفسه قد تمثّل في كلمته التي استقبل بها ترشّحه لمجمع دمشق؛ أقول: قد تمثّل قولَ العرب المشهور: «على أعراقها تجري الجياد»؛ لذا سأجري معه ومعهم على أعْراق صِدْق، نازعًا إلى كرمِ نَفْس، آخذًا بالذّروة القصوى من المِدْحَة على الحِلْم، والمرءُ أولى بما تقلّد من الخُلُق، والله حسبنا ونعم الوكيل.

***

كان الأديب الفرانكفوني المعمّر «ألبير قصيري» يسهر الليل وينام النهار أكثر من أربعين عامًا، وعاش في غرفة بباريس، لم يتزوج، ولم يُر يومًا مراجعًا لدائرة حكومية، فاز بجائزة فرنسية عن رواية له فرفض استلامها لأن الحفل كان في الصباح! توفي ألبير قصيري عن خمسة وتسعين عامًا.

***

بلغ من معرفة مصطفى جواد بالعصر العباسي أن قيل عنه: إن سألته عن مدير شرطة بغداد فلن يعرفه، لكنه يعرف مدير شرطتها في كل تاريخ العصر العباسي!

***

لظريف عصره كامل الشناوي كتيب طريف عنوانه «اعترافات أبو نواس»، وهو حوار متخيّل أجراه الشناوي مع أبي نواس بعد أن تقدم به العمر، وقد طلب كامل الشناوي من أبي نواس أن يبوح له بأسراره في صباه فرفض، لكنه عاد وسأل: وهل هذا مقبول عندكم؟ فأجابه الشناوي: بأنه ليس مقبولًا على كل حال لكن من الأعلام من تحدث عن هذا بصراحة كالقديس أوغسطين وجان جاك روسّو وأوسكار وايلد، فتعجب أبونواس من هذه الأسماء وسأله: لم تغيرت أسماؤكم؟ ... وهكذا في حوار فكِه طريف.

***

في الوقت الذي اهتزت فيه نابولي من الضحك لعروض الممثل الكوميدي كارلينيا، جاء رجل لطبيب مشهور في تلك المدينة للسؤال عن دواء للسوداوية المفرطة التي أساءت إلى صحته، فنصحه الطبيب بالبحث عن تسلية والذهاب إلى عروض كارلينيا، فأجابه المريض: أنا كارلينيا! (هروبي إلى الحرية، علي عزت بيجوفيتش).

***

محمود أبو الوفا شاعر رقيق مسكين، كان في غاية الفقر، مقطوع الرّجل، رثَّ الهيئة، طرده أحمد شوقي من حفل تتويجه أميرًا للشعراء حين رأى رثاثة حاله، ثم عاد واعتذر منه بقصيدته الجميلة: «سَبّاق غَايَات»:

البُلبُلُ الغَـرِدُ الَّـذي هَـزَّ الرُّبـى وَشَجى الغُصونَ وَحَرَّكَ الأَوراقا
خَلَفَ البَهاءَ عَلى القَريضِ وَكَأسِهِ فَسَـقى بِعَـذبِ نَسـيبِهِ العُشّـاقا
في القَيدِ مُمتَنِعُ الخُطـى وَخَيالُه يَطـوي البِـلادَ وَيَنشُـرُ الآفاقـا
سَبّاقُ غايـاتِ البَيـانِ جَـرى بِلا سـاقٍ فَكَيفَ إِذا اسـتَرَدَّ السـاقا
لَو يَطعـمُ الطِّـبُّ الصَناعُ بَيانَهُ أَو لَـو يُسـيغُ لِمـا يَقـولُ مَذاقـا
غالـى بِقيمَتِـهِ فَلَـم يَصنَـع لَـهُ إِلّا الجَنـاحَ مُحَلِّقًـا خَفّاقـا

***

بكّر طه حسين يومًا في القدوم على ندوة ميّ زيادة ولم يكن ثمة أحدٌ من الحضور، فأخذا في الحديث فأنشـدت ميّ زيادة:

أودُّ أضحـك للدنيـا فيمنعنـي أن عاقبتني على بعضِ ابتساماتي

فأعجب العميـد بالبيـت وطلب منهـا أن تعيده على مسـمعه، ثم سـألها لمن هـذا البيـت؟ فابتسـمت وقالت فـي دهاء: هـو لمحمود أبو الوفا الذي نقدتَ شِعره وقلت فيه ما قلت، فقال لها: اكتمي هذا عني ولا تخبري أحدًا!

***

عاب عليّ بعض محبي القراءة قولي: لا أحب النظام في القراءة؛ اقرأوا بطريقة الفوضـى الخلاقة! ثم رأيـت مانغويل يقول: «القراءة المنهجية قليلة النفع»، وقد ذكرت مرارًا أني لا أتحدث عن التخصص، ولا عن تأصيـل طالب العلم؛ حديثي إنما هـو عن القراءة الحرّة.

***

الترجمة المعروفة «للعَقد الاجتماعي» هي ترجمة: ذوقان قرقوط.

***

سمعت د. زكي نجيب محمود في مقابلة إذاعية يقول: «قضيت عمري أحاول الإجابة عن هذا السؤال: كيف جاز أن يلتئم تاريخنا المشرّف مع هذا الحاضر الذليل المخزي»؟

***

محمد علي باشا ألباني الأصل، هذا هو المعروف عنه في التواريخ والتراجم..

***

العقاد، وأحمد شوقي، وأحمد تيمور باشا.. من أصول كُرْديَّة، وهم مترجمون في «أعلام الأكراد».

***

الفوضى تصنع المبدعين؛ وأما المنهج فيصنع الأكاديميين.

***

لا تستهويني الشخصيات الجادة المنضبطة كثيرًا؛ أحب الفوضى والتسكع والملل وتأجيل الأعمال، أستعين بهذه الصفات الإنسانية على كسر رتابة الحياة.

***

المَلَل يجعلك تتقلَّب في أوجه كثيرة من أنحاء الحياة؛ لولا المَلَل لما كان السفر والاكتشاف؛ بل لولاه لما قامت بعض الحضارات!

***

الهيام على الوجه -كما قال فيكتور هيجو - ظاهرةٌ إنسانيَّة.

***

العلامة المدني أمين بن حسن حلواني رحمه الله؛ باع على مكتبة ليدن مجموعته النادرة من المخطوطات، وقد أصدرت ليدن كتابًا عنه على غلافه صورته، وهو نادر لم أطلع عليه. والعلامة أمين بن حسن حلواني له سيرة علمية حافلة وهو ممن لم يوفّ حقه، وسمعت من شيخنا العلامة حمد الجاسر في مجلس من مجالسه قولَه: كنت أعيب على أمين حلواني بيعه مجموعته على ليدن؛ لكن لما رأيت عناية الغرب بالمخطوطات وتيسيرها للباحثين، وتفريط كثير من مكتباتنا في هذا؛ حمدت له صنيعه.

***

كتابي الافتراضي القادم سيكون عنوانه «الكسل يليق بك»؛ لعلي أنشط لتأليفه.

***

بقي على افتتاح معرض الكتاب: اثنا عشر يومًا وأربع عشرة ساعة وتسع وأربعون دقيقة!

***

كان القدماء يعبرون عن «كروية» الأرض بقولهم «كُرَيّة»، ويقولون: هذا الجسم «كُرَيّ» أي «كروي»، وهذا ما تقرأه في نص شيخ الإسلام،

«الكُـرَيّ» في نصـوص القدماء هو مـا نعنيه اليـوم بقولنـا «كُرَويّ»، وأما «الكُـورَة وجمعها كُوَر» -تتكـرر كثيرًا في كتـب البلدان- فهي تشـبه ما نطلق عليه اليـوم «المنطقة» أو أصغر قليـلًا، وورد ذكر لعب «الكُرَة» في بعض النصوص القديمة -عند ابـن تيمية وعند غيره من المؤرخين- وكانت من ألعـاب علية القوم؛ وهي لا تعني كرة القدم هذه التي نعرفها اليوم، والذي فهمته من سـياق النصوص: أنها كرة من حديد أو خشـب تُلقى على الأرض وتُلعب على الخيول بحيث يحمل كل فارس عصـا لتحريكها.(١)

***

قالت العرب: لا يركب أحدٌ فرسًـا إلا وجد في نفسه نَخْوَة.

***

لديَّ صفة لعلها عند بعضكم: إذا أكثر الناس من مدح شـيءٍ فإنه لا يعجبني مع أني كثير الثناء على الأشـياء؛ ربما كان ذلك لأني لـم أكتشـفه بنفسي؛ لست أدري؟

وأمرٌ آخر: وهـو أني أتماسـك وقت الشِّـدَّة فتحسـبني من أقوى الخلق؛ ثم أنحَلّ وأضعف ضعفًا مُزريًا لا يليـق بحالي الأولى، فلله هـذه النفـس الغريبة الأطـوار، هذا نـوع من تأمـل هذه النفـس التي نحملها بين جنبينا ونحن أجهل ما نكون بها؛ قال أوغسطين: أصبحتُ أنا نفسي مشكلةً كبرى بالنسـبة إلى نفسي.

قال أديب النفس الإنسـانية ومن قد بلغ من مجاهلها ما لم يبلغه قلم كاتب؛ قال دوستويفسكي: ثمة أشياء يخشى المرء أن يكشفها حتى لنفسه!

***

---

(١) لعلها أقرب ما تكون بهذا الوصف إلى لعبة «البولو» المعاصرة.

لأحمد فارس الشدياق رحمه الله «ت ١٨٨٧»، فضلٌ كبيرٌ على الثقافة العربية المعاصرة، علامة لغوي قدير، أديب من أرباب البيان ومن أجمل الكتّاب الساخرين قلمًا في الأدب العربيّ، صحفي، رحّالة، من روّاد الطباعة والنشر والتعريب في النهضة المعاصرة، ومن أسفٍ أن يخفى اسمه إلا على خاصّة القرّاء. سيرته ثريّة، وعمره مديدٌ حافل، لبناني نصراني شارك في ترجمة الكتاب المقدّس «المحرّف» ثم أسلم! وله مؤلفات فريدة: «الساق على الساق فيما هو الفارياق»؛ فيه كثير من سيرته وهو من أعجب المؤلفات الأدبية على صعوبة فيه وله مختصر، وكان قد حذّر من اختصاره وصبّ الويل والثبور على من اختصره! وله «الجاسوس على القاموس» فيه مخبّآت ونوادر، و «الواسطة في معرفة أحوال مالطة» و «كشف المخبّا عن فنون أوروبا»؛ عندي من الكتابين الأخيرين طبعة الجوائب وهي من النوادر، طبعت قبل مئة وأربعين سنة تقريبًا كأنها خرجت من المطبعة حديثًا لجودتها، و «الجوائب» جريدة ومطبعة للشدياق إصداراتها من نفائس الطبعات، وله كتاب «كنز الرغائب في منتخبات الجوائب» في أجزاء، يعدّ من أندر المطبوعات العربية، ولا يكاد يوجد مجتمعًا في مكتبة خاصّة أو عامّة.

***

مما قرأت: ربّما كنتُ أفضلَ من يعلم لِمَ كان الإنسانُ وحده هو الذي يضحك من بين المخلوقات؛ إنّه يتألم بعمقٍ لدرجةٍ تُحتّم عليه أن يخترع الضحك.

***

نصف أمراض مجتمعنا النفسية من التخوف وشدّة التحفظ وترك العفوية، كنت قبل سنوات شديد التكتم «والله ما يطلّع مني أكبر

خبير تحقيق ولا معلومة»، كأن عندي أسرارًا نووية، فأرهقت نفسيًا بذلك، ثم رأيت أن العفوية والبساطة والمكاشفة -في غير إثم- هي الصفات المريحة للشخصية وأن الأمور أيسر مما نظن.

من شدة سيطرة ثقافة التكتم؛ ترى أن كل نساء العالم «يفرحون ويحتفلون إذا حملوا»، وبعض نسائنا تصل إلى الشهر السابع وإذا سألوها قالت: أبد والله أرياح!

***

من الكلمات الجميلة التي غيرت رؤيتي؛ قول صافيناز كاظم بعد أن قابلتْ ألبرتو مورافيا -كان من أكبر أدباء عصره- وقد تهيّبتْ لقاءه، قالت بعد المقابلة: المفاجأة أنه لم تكن هناك مفاجأة! كانت شخصيته عفوية بسيطة غير متكلفة.

***

للدكتور عبدالرحمن بدوي في مقدمة تحقيقه لكتاب «الإشارات الإلهية»؛ مقارنة رائعة بين التوحيديِّ وفرانز كافكا.

***

كلمة للتأمل.. قال الرَّبيع بن خُثَيم: ما أنا عن نفسي بِراضٍ فأتفرغَ من ذمها إلى ذم غيرها، إن الناس خافوا الله على ذنوب الناس وأمنوه على ذنوبهم.

***

يقول الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله: «يقولون: رضا الناس غاية لا تدرك، وأقول: بل رضا الناس غاية لا تطلب».

***

قال زكي مبارك: «ولدتني أُمِّي في الخامس من أغسطس سنة ١٨٩١؛ فأضيف إلى الوجود خيرٌ جديد وشرٌّ جديد»!

***

هذه الأيام أطالع كتاب «فن القراءة» لمانغويل، وكان نشر كتابًا عنوانه «في غابة المرآة»؛ أخذ منه بعض المقالات وزاد عليها ونشرها في هذا الكتاب «فن القراءة»، وألبرتو مانغويل قارئ رائع لكن أسلوبه دون ثقافته، ثم إن له إسقاطات كريهة لم أحبّ أن يقع فيها مثقف كبير مثله، والحق أنه ممن نشر ثقافة القراءة ومحبة الكتب في أيامنا هذه.

***

كان الشاعر البائس عبدالحميد الدِّيب في غاية الفقر، انتشرت شائعة بوفاته فكتبت مجلة ساخرة: تردَّد في الأوساط الأدبية أن الديب تُوُفِّيَ والحقيقة أنه حيٌّ لا يُرزَق!

***

حين حصل الشاعر البائس عبدالحميد الدِّيب على وظيفة لم يضعوا له مكتبًا فقال:

بالأمس كنت مشرّدًا أهليّا   واليوم صرت مشرّدًا رسميّا

***

أما زال هناك أناس يستفتحون صباحهم بقراءة الأبراج؟ برج الجَدْي: ستواجه مشاكل هذا اليوم حاول أن تتماسك لتجاوزها،

ربما تنتظرك مصادفة سعيدة تغير كثيرًا من حياتك، قد تكون متوترًا بعض الشيء لا تقلق... إلخ، لا بد أن يقع شيءٌ من هذه العموميات لبعض مواليد هـذا البرج! والله لا أعرف من أي بـرج أنا؛ على قول أحدهم: يمكـن من برج المياه!

***

هذه سـمعتُها من صديق: حين مـرض الطاغية الإسـباني فرانكو مَرضَ موته دخـل عليه أحد وزرائـه وقال له: إن الشـعب يودّعكم، فقال فرانكو: وأين سـيذهب الشعب!

***

بواكيـر القيـادة والزّعامة، يـروى: أن عبدالله بن الزبيـر حين كان في طفولته يقول للصبيان فـي بداية اللعب: مَن معي، ولا يقول: مع من أنا؟

***

قال المتنبي عن جَدّته:

ولو لـم تكونـي بنتَ أكـرمِ والدٍ لكان أباكِ الضّخم كونُك لي أُمّا

***

كتاب «التاج في أخلاق الملوك» جليل القدر حققه شيخ العروبة أحمد زكي باشا، وقد اختلف في نسـبته والظاهر أنه للجاحظ، وقد ذكر العلامة عبدالحـي الكتاني في مقدمـة كتابه «التراتيب الإدارية» أنه وقف على قطعة من كتاب «التاج» كُتبت على الرَّق بخط الجاحظ.

***

«البَرْدي»: نبات يكثر على ضفاف النيل، يقطّع ويصفّ بعضًا إلى بعض ثم يُكبس ويكون صالحًا للكتابة عليه، وأكثر من استخدمه الفراعنة وهو يبقى آلاف السنين، وجمعه «البَرْديّات»، وما زال يُصنع إلى اليوم بالطريقة نفسها التي كان يصنعها الفراعنة.

***

الفتاوى المصرية، الرسالة القبرصية، التحفة العراقية، الرسالة التدمرية، الرسالة البعلبكية، الرسالة المدنية، العقيدة الواسطية، الرسالة البغدادية، الفتوى الحموية، المسائل الماردينية، الرسالة الصفدية.. هذه العناوين من مؤلفات الإمام الرباني شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه وغفر له ورحمه، ولا أعرف في تاريخ الإسلام كله عالِمًا حملت عناوين مؤلَّفاته أسماء بلدان ما حملته تآليف هذا الإمام الكبير، فلله ما أعظم بَذْلَه للعلم، وما أشد أثره على أهل زمانه والخالفين بعده، جزى الله أبا العباس عنا وعن الإسلام وأهله خير الجزاء.

من نعمة الله على تراث شيخ الإسلام ابن تيمية أنه لم يكن اكتشافًا استشراقيًّا، فمن أعاد اكتشاف ابن تيمية وبعث اسمه وتراثه هو الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، وأئمة الدعوة النجدية رحمهم الله وغفر لهم.

شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- لم يتزوج ولم يتسَرّ فليس له ولد، وكنيته أبو العباس لأن القدماء كانوا يكنون من اسمه أحمد بأبي العباس.

منذ كنت في الخامسة عشرة من عمري وأنا أطالع تراث شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد أجهدت نفسي سنوات في تتبع ما كتبه وما ألف عنه في المكتبات العامة والخاصة والتجارية، وطالعت لتأليف كتابي «الهادي

والهاذي- ابن تيمية جلاد الحكمة المصلوبة» أزيد من مئة كتاب بعضها في أشد وأعقد أنواع المعارف؛ وما زلت -والله- كطفل صغير يلعب بمجرفته قبالة شاطئ هذا الإمام البحر، ثم يأتيك من لو قد كلفته بقراءة صفحة من «الدرء» لأغمي عليه ليقول لك: ومن ابن تيمية؟!

***

تفسير الحمزاوي بالحروف المهملة «در الأسرار» تفسير إشاري قليل الفائدة، طالعته في طبعته النادرة، وكنت كتبت مقالة عنه وعن هذا الضرب من التأليف؛ وهو أدخل في باب الترف العلمي منه في باب العلم.

***

أعجبتني تغريدة لأحد الإخوة يقول فيها: تويتر «صيد الخاطر» وليس «فتح الباري».

***

أنا في جهد جهيد من أمر الناس؛ إن أثنيت على شيخ الإسلام والإمام محمد بن عبدالوهاب قيل لي: كيف وأنت المثقف الواسع الاطلاع؟ وإن نقلت عن بعض الغربيين وتحدثت في ضروب من الأدب قيل لي: هذا ليس من شأن أهل العلم، وإن تبسَّطت قيل لي: انقبض يا هذا وأين السَّمْت؟ فإن انقبضت قيل لي: ما هذا التجهم وما أحببناك إلا متبسِّطًا! وإن غبت قيل: أين أنت؟ فإذا حضرت قيل: أكثرت! فلله الأمر من قبل ومن بعد.

***

كان شيخنا العلامة بكر أبو زيد -رحمه الله- سألني: أنْ هل مرّ بك أنّ أحدًا من العلماء المتقدمين أهدى كتابه إلى عالم أو صديق كحال إهداءات بعض المعاصرين في كتبهم هذه الأيام، وهذا خلاف إهدائها إلى الأمراء والسلاطين؟ فلم يحضرني شيءٌ لغرابته وندرته، ثم رأيت -بعد سنوات- من سؤاله؛ العلامةَ الزَّرْكَشِي قد أهدى كتابه «الإجابة على ما استدركته عائشة على الصحابة» إلى القاضي برهان الدين ابن جماعة، قال في خطبة كتابه: (وأهديته إلى بحر علم ثمين جوهره، وأفق فضل أضاء شمسه وقمره، وروض آداب يانعة ثماره، ساطعة أزهاره، سيدي قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة).

***

للعلامة الكبير البدر الزَّرْكَشي ٧٤٥-٧٩٤ كتاب مطبوع عنوانه «زهر العريش في تحريم الحشيش» فيه مع الجانب الفقهي حديث لذيذ عن الأحوال الاجتماعية في عصره، وهو من أوائل الكتب التي ألفها علماؤنا في مكافحة المخدرات، ألَّفه وقت قيام بعض أمراء عصره بحملات واسعة على تجار الحشيش ومتعاطيه!

***

ذكر الطبيب الكبير ابن الجزار في كتابه «زاد المسافر» وكان لهذا الكتاب الطبي شأن في أوروبا؛ أن أفضل جهة تكون عليها أبواب المنازل في المناطق الحارة هي الجهة الشمالية لطيب هوائها.. وتجار العقار يرون مناسبة الجهة الشرقية، لكني فرحت بهذه المعلومة لأن جهة بيتي شمالية! وذكر معلومة أخرى غاية في الطرافة، لكنها لا تليق بوجود المشايخ فتؤجل إلى حين هدأة من الليل.

***

يقـول كيركجارد: «لا قيمـة للعزلـة إلا بوجود البشـر».. فالعزلة -وهي تَحَقّق روحاني عالٍ- تستمد قيمتها من شـعور الرفض فهي تحتفي بتصور الآخرين.

***

أخطـر أنـواع العبودية هـي عبوديـة المجتمـع. المفكر الروسـي بردايف.

***

قد يستعبد الإنسان لأفكاره، فالتعلق العاطفي بفكرة من الأفكار والارتباط الشـديد بقضية من القضايا؛ يعرقل تقدم الإنسـان ويعوق نماء نفسه.. علي أدهم.

***

كان الرحالة الأندلسي الكبير ابن جبير ٥٤٠-٦١٤ يؤرخ أحداث رحلتـه بالتاريخيـن الهجري والإفرنجـي، وهذا نادر فـي المؤلفات العربيـة المتقدمة، يقـول مثلًا: وفـي ليلـة الثلاثاء الثامن عشـر لذي القعدة المذكور، والخامس عشـر من شـهر مارس المذكور أيضًا.. وهكذا فهو يؤرخ جميع أحداث رحلتـه بالتاريخين.

***

للعلامة اللغوي أحمـد رضا العاملـي «ت ١٩٥٣» معجم لغوي نفيس عنوانه «متن اللغة»، وله كذلك مؤلف نافع عنوانه «ردّ العامي إلى الفصيح»، وكان يسير في الشارع فأصابه حجر طائش من إحدى المظاهرات، فحُمل إلـى منزله فلم يكد يصـل حتى فارق الحياة.

***

ثمة أحاديث ضعيفة غير مشتهرة، وتحذير خطيب الجمعة منها ليس له معنى بل ربما أحياها بتحذيره، فليس يُحَذّر الناس إلا مما شاع وانتشر.

***

من أقلّ الموضوعات عناية بالتأليف على أهميتها؛ الكتب التي تجمع الحوارات التي تقع في مجالس العلماء والمفكرين.. ماذا لو ظفرنا بحوارات ندوة مي زيادة مثلًا، أو حوارات مجلس محمود شاكر.. وقد وقفت على بعض الكتب من هذا الضرب من التأليف الماتع اللذيذ منها: «الإمتاع والمؤانسة» للأديب الباذخ أبي حيان التوحيدي، وهي حواراته مع الوزير أبي عبدالله العارض في مجلسه، وهذا الكتاب من عيون كتب الأدب العربي، وهناك كتاب جميل للدسوقي «أيام مع طه حسين» سجّل فيه ما دار في مجلس العميد حين كان الدسوقي سكرتيرًا له وهو ماتع بحق، وأما كتاب أنيس منصور عن صالون العقاد ففيه بعض الفوائد لكنه حشاه بالكذب والتكثّر...

وفي التراث العالمي هناك «حوارات أفلاطون» لكنها حوارات صناعية ليس تجري هكذا عفوَ الخاطر.. ومن أجمل هذا الضرب من التأليف كتاب جان جاك بروسّون -ليس جان جاك روسّو- «أناتول فرانس في مباذله» وقد سجل ما سمعه من فرانس في أحاديثه الخاصة ونشره بعد موته فكان صدمة للفرنسيين لما فيه من آراء جريئة غريبة، وقد ترجمه أمير البيان شكيب أرسلان في طبعة متأنقة وحذف منه بعض ما لا يليق..

وهناك ترجمة بوزويل المشـهورة للدكتور جونسون فقد أورد فيها كثيـرًا ممـا دار مـن حـوارات فـي مجالـس جونسـون ولـم يترجم هذا الكتـاب إلـى العربيـة وهو يعد رائـدًا لكتـب الترجمة الغيريـة، وأخيرًا هنـاك «حـوارات ألفرد نـورث وايتهد» التي قيدهـا برايس من مجالس الفيلسوف وايتهد -يعد وايتهد من آخر الفلاسفة ذوي النسق الفلسفي الشامل كهيجل وكانط- وقد ترجم الكتاب إلى العربية محمود محمود وهو أخو الدكتور زكي نجيب محمود، وقد صدّر زكي نجيب محمود هذه الترجمة بمقدمة حافلة عن وايتهد وكتب الحوارات.

***

عبد اللطيـف البغـدادي مـن مشـاهير الأطبـاء فـي القـرن السـابع الهجـري، وهـو عالـم مشـارك لـه شـروح لغويـة، وكتـاب جميل عن مشـاهداته فـي مصر بعنـوان «الإفادة والاعتبار»، كما أن له سـيرة ذاتية مفقودة أورد شـيئًا منها ابن أبي أصيبعة في كتابه الحافل «عيون الأنباء فـي طبقـات الأطباء» وله -وهـذا بيت القصيد هنا- رسـالة عن مرض السُّـكَّري نشـرها أحد المستشرقين ثم نشـرها الأستاذ بول غليونجي- وهـو طبيـب له مؤلفـات جياد عـن تاريخ الطـب وعنايـة بعبداللطيف البغـدادي -وقـد قـرأت هـذه الرسـالة «رسـالة فـي المرض المسـمى ديابيطـس» وديابيطـس هو اسـم مـرض السُّـكَّري في مؤلفـات الطب القديـم؛ فتعجبـت من هـزال المعلومات التي ذكرهـا عن هذا المرض وطـرق علاجه، وإن أكبرت فيه شـرف المحاولة مـع الاعتذار له ببذل الوسـع فيمـا انتهت إليه علـوم عصره؛ وحمدت الله علـى ما منّ به من هذه الكشوف العلمية الحديثة .. ذكر في رسالته هذه أن من علاج هذا

المرض ديابيطس «السُّكَّري» تناولَ نصف أوقيةٍ من السُّكَّر! هذا؛ ولعبداللطيف البغدادي جهود طبية -في علم التشريح مثلًا- أبهر بها بعض العلماء المعاصرين، والمعرفة كلها إنما هي تراكم ومشترَك إنساني فلولا أمثاله ما وصل الطب إلى ما هو عليه..

وداء السُّكَّري قديم جدًّا وليس مرضًا عصريًّا، ذكر في مؤلفات قبل الميلاد، وكان الأطباء يعرفون هذا المرض بأعراضه وإن لم يشخصوا أسبابه وعلاجه، ومن الطرق التي كانوا يكتشفون بها المرض تذوّق بول المريض! فإن كان حلوًا دلّ على وجود هذا المرض «ديابيطس»، ومن طرقهم أيضًا: أن يجعلوا المريض يتبوّل فإذا أسرع النمل إلى بوله كان مصابًا بهذا الداء! أكرمكم الله وعافاكم!

***

يقال: إن أول من استخدم لفظ «جغرافيا» للدلالة على هذا العلم؛ «إخوان الصفا» في رسائلهم، وهذا العلم تسميته في التراث «علم البلدان»، وأفضل من تحدّث عن «إخوان الصفا» حقيقتهم وأسمائهم من المتقدمين؛ أبو حيان التوحيدي في كتابيه «المقابسات» و «الإمتاع والمؤانسة».

***

قرأت: أن من أوائل من ردّ على نظرية التطور من العلماء؛ جمال الدين الأفغاني في كتابه «الردّ على الدهريين»، وهذه فائدة عزيزة.

***

للشاعر المَهْجري -أو المُهاجَري على رأي بعض إخواننا اللغويين- إيليا أبو ماضي «أو إيليّا على رأي بعض النقاد»! قصيدة مشهورة تعدّ من عيون قصائده تعرف بقصيدة «الطّين»:

نَسِيَ الطّينُ ساعةً أنه طينٌ حقيرٌ فصال تيهًا وعَرْبَد

وَكَسى الخَزُّ جِسمَهُ فَتَباهى وَحَوى المالَ كيسُهُ فتَمَرَّد

يا أَخي لا تَمِل بِوَجهِكَ عَنّي ما أَنا فَحمَة وَلا أَنتَ فرقَد

أَنتَ لَم تَصنَعِ الحَريرَ الَّذي تَلبَس وَاللُؤلُؤَ الَّذي تَتَقَلَّد

كتب طه حسين نقدًا لاذعًا لديوان أبو ماضي -كان قلم طه حسين يَرْفَع ويَضَع وأصيب الشاعران إبراهيم ناجي ومحمود أبو الوفا باكتئاب بعد نقد لاذع كتبه طه حسين لشعرهما- ولكن العميد أعجب بقصيدة «الطين» هذه، وبعدها بسنوات فجّر البحاثة الأردني روكس بن زائد العُزَيزي مفاجأة ثقيلة؛ إذ كتب عدة مقالات أثبت فيها أن إيليا أبو ماضي «سرق» قصيدة «الطين» هذه من شاعر شعبي يدعى علي الرميثي وحوّل ألفاظها إلى الفصيح، وأورد كل بيت من قصيدة «الطين» وما يقابله من قصيدة الرميثي، ثم جمع هذا كله في كتاب عنوانه «فريسة أبي ماضي» وزاد على ما كان ذكره في المقالات من حجج، وقد جُنّ جنون الشاعر إيليا أبو ماضي، وملأ جريدة كان يصدرها من مهجره بسب العُزَيزي وشتمه.. وقد عرض هذه القضية الباحث أبو الرّب في مقالة نشرها في «العربي»، وأخونا الأستاذ صلاح الزامل في أكثر من مقالة نشرها.. وقيل: إن والد الشاعر إيليا أبو ماضي من رواة الشعر النَّبطي، وإن إيليا كان قد سمعها من والده.

***

روى السيوطي في «المزهر»: أن الأصمعي قال لأصحابه: ما معنى قول الخنساء:

يذكّرني طلوع الشمس صخرًا وأندبه لكلّ غروب شمسِ

لم خصّت هذين الوقتين؟ فلم يعرفوا، فقال: أرادت بطلوع الشمس الغارة، وبمغيبها القِرى «إطعام الضيف»، فقام أصحابه فقبّلوا رِجْله!

***

قالت الخنساء في رثاء أخيها صخر:

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

قال بعض العلماء: إن المبتلى يتأسى ويسلو حين يشاركه غيره في مصابه، ولذلك نفى الله عن أهل النار -عياذًا منها- هذا المعنى النفسي فقال سبحانه: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ٣٩﴾.

***

لا أمل في أن نحتملَ الحياة بلا أمل.

***

كان لديّ بعض مسائل من النحو أقيس عليها علمية المتحدث وكتابته؛ من مثل الوهم في «أشياء» وهي ممنوعة من الصرف حيث تشتبه «بأسماء»، وتنوينِ بعض الألفاظ على صيغة منتهى الجموع كقول بعضهم غلطًا: «رأيت موادًّا كثيرة» وهي هنا «موادَّ»، ومن مثل الغلط الشائع في رفع اسم إن الواجب التأخير إذا وقع خبرها جارًّا ومجرورًا كقول كثيرين: إن في هذه المسألة أقوالٌ كثيرة، وحقها هنا

وما أشبهها: إن في هذه المسألة أقوالًا، وقد اجتهدت في لقاء ثقافي في التلفزيون -هو الوحيد كبيضة الديك!- أن أتفاصح، فلما عدت إلى اللقاء وجدتني قد لحنت في هذه الأخيرة!

***

قال أبو عثمان الجاحظ: وروى أصحابنا البصريون: أن أبا عمرو ابنَ العلاء قال: ما رأيتُ قرويين -يعني من أهل الحضر- أفصح من الحَسَن والحَجَّاج، قال الجاحظ: وكان -زعموا- لا يبرئهما من اللحن.. والحسن هنا هو الحَسَن البصري، والحَجَّاج هو ابن يوسف، قال عبدالله عفا الله عنه: وقرأتُ في موضع آخر: أن أبا عمرو بن العلاء سئل عن أفصحهما فقال: الحسن.

***

صدق من قال: إنّ ذكريات الطفولة تضطرم في النصف الثاني من العُمُر، وما أجمل قول المعري:

وقد تعوّضتُ عن كلٍّ بمُشْبِهِهِ فما وجدتُ لأيام الصِّبا عِوَضا

***

حين يُمسِك النسيان بأنفاسنا؛ يدعونا الشاعر إلى إعادة تخيّل الطفولة الضائعة، يُعلّمنا «جسارة الذاكرة»، يجب علينا اختراع الماضي. باشلار

***

وعلم الطبّ ليس من العلوم الصعبة، فلا جَرَم أني برّزتُ فيه في أقلّ مدّة! ابن سينا في «سيرته الذاتية».

***

كنتُ في مراهقتي أفكّر في الانتحار؛ ولكني لم أنتحر لأني كنت توّاقًا إلى الاستزادة من علم الرياضيات! برتراند راسل في كتابه «سيرتي الذاتية».

***

«يوميات هرتزل».. إعداد أنيس صايغ، ترجمة هلدا شعبان صايغ.. صدر عن مركز الأبحاث: منظمة التحرير الفلسطينية.. مهم في فهم هذه الشخصية.

***

«قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية»، لأحمد أمين، لجنة التأليف ١٩٥٣، ماتع جدًّا.

***

كن طيّبًا؛ ولكن حاول ألّا يعرف أحدٌ أنك طيّب. تولستوي

***

يذكّرني التّاجرُ الجَشِعُ وهو يتحدّث عن مصلحتي؛ بالذئب الذي يحاضر جمعًا من الأغنام عن فوائد المذهب النّباتي!

***

الكحّال في كتب التراث هو الذي يعالج أعين المرضى، يعني طبيب عيون درجة ثانية، ولأن كثيرًا من العلاج كان بالكحل نسبت إليه هذه الصنعة، وأما «التكحيل» وهو مصطلح يتردد كثيرًا في تواريخ المماليك؛ فهو ضرب من العقاب عندهم، فقد كانوا يكحلون عيون

المعاقَب بميل حارّ فيذهب بصره، ومن أشهر الأطباء الكحّالين الشاعر المبدع ابن دانيال الكحّال، وهو القائل في بيته المشهور:

ما حال مَن دِرْهم إنفاقه   يأخذه من أعين الناسِ

***

لم يكن «روكرت» باحثًا في اللغة والشعر وحسب وهو الذي كان يتقن أكثر من ثلاثين لغة! وإنما كان صلة الوصل بين الأدب الألماني والأدب العربي. فيشر

***

من المعروف أن والد تشومسكي كان متخصصًا بالنحو العبري الذي يعتمد أساسًا على النحو العربي، وأعتقد أن تشومسكي قد أخذ الكثير من أفكاره الحديثة في النحو العربي عن هذا الطريق، ثم طورها إلى نظرية لغوية جديدة.. من مقابلة مع المستشرق الألماني الكبير فولف فيشر.

***

وعلم النفس أغمض وأشرف من أن يدرك بصناعة الجدل، فالكلام في أمر النفس غامض جدًّا، وإنما اختص الله تعالى به من الناس العلماءَ الراسخين. ابن رشد

***

جاء في رسالة ماجستير بعنوان «تطور أزياء السيدات في أوروبا»: في عام ١٩٠٧ قام ماريانو فورتوني بتصميم ثوب «ديلفوس» للسهرة، المصنوع من الستان المبطن، والذي علّق عليه خبراء تصميم الأزياء:

بأنه الثوب الذي لا يخفي شيئًا من جسد المرأة ولا يكشف شيئًا من جسدها.. «كاسيات عاريات»!

***

الفرنسية جين باكوين ١٨٦٩-١٩٣٦: أول من ابتدع فكرة عرض الأزياء بالاستعانة بسيدات عملن لديها موديلات «عارضات» يعرضن تصميماتها. «تطور أزياء السيدات».

***

يستغرب بعضُ أحبابنا نقلي عن كتب غريبة لا يطالعها أكثر مَن هم على هيئة معيّنة، وأنا فليس لديّ كتابٌ لا يقرأ، كلّ كتابٍ هو مشروع قراءة، ولستُ أدري السببَ الذي حملني على هذا التباين الحادّ في موضوعات القراءة منذ عرفت الكتاب؛ أهو الملل الذي جبلت عليه، أم الشغف المعرفي المجنّح، أم هي هاضمةٌ ثقافيةٌ لا يضيرها اختلافُ هذه الأنواع من طعوم العلم، هل هو كلّ هذا أم لا شيء منه؟ لستُ أدري! ولو رأى أحدهم كيس الكتب الذي أحمله في معرض الكتاب لتوهَّمني مجنونًا يختار الكتب على غير قانون طبيعي! فمِن كتبٍ عن الطبيخ إلى مسائل الإمام أحمد وبينهما غرائب.. لكنني سعيد!

***

قد قلتُها مِرارًا: حين نقرأ كتابًا رديئًا فإننا لم نخسر، لأننا امتلكنا التجرِبة المعرفية التي وقفتْنا على أنّ في الكتب الجيّدَ والرديء.

***

أحد أحبابنا كان يقرأ لي شيئًا مما كنت أنشره في الثقافة والأدب، وكان يظنني أنيقًا متجمّلًا، وقد حدثني أنه لما رأى صورتي أول مرة

وقد ارتفع الشماغ وخرج نصف الطاقية؛ حدّثني أنه أصيب بصدمة حضارية!

***

كتاب «العولمة الطوفان أم الإنقاذ، الجوانب الثقافية والسياسية والاقتصادية»، مركز دراسات الوحدة ٢٠٠٤ من أوفى ما طالعت عن هذا الموضوع.

***

«مصادر الدراسة الأدبية» لأسعد داغر، كتاب جيد يغفل عنه الباحثون، في طبعته القديمة ندرة، وقامت مكتبة لبنان بإعادة نشره في مجلد ضخم.

***

كان الشاعر المصري محمد الأسمر شديد البياض، وكان من رآه لأول وهلة يتعجب من هذه المفارقة بين لقبه وهيئته.

***

قال أبو بكر ابن الأنباري: قال السجستاني: العرب لا تقول عجوزة بالهاء، وهذا خطأ منه؛ لأن أبا العباس أحمد بن يحيى أخبرنا عن سلمة عن الفراء قال: قال يونس: سمعت العرب تقول: فرسة وعجوزة.

قال ابن الأنباري: والبعير يقع على المذكر والمؤنث، حكى الأصمعي عن بعض العرب: شربت من لبن بعيري، وصرعتني بعير لي، والجمل لا يكون إلا للذكر، وقال هشام: العرب تقول: شربت لبن بعيرك ولا تقول: شربت لبن جملك، والبَكْر من الإبل عند العرب بمنزلة الفتى من الناس.

لعلماء اللغة عناية كبيرة بالتأليف في «الفرق بين المذكر والمؤنث» من الألفاظ، ما يذكر ولا يؤنث، وما يؤنث ولا يذكر، وما يجوز فيه الوجهان: التذكير والتأنيث، وهم قد عدّوا الخطأ في هذا من اللحن الفاحش كنصب المرفوع وجرّ المنصوب.. وجاوز ما أَلَّفوه في هذا خمسة وعشرين كتابًا، منها المخطوط والمطبوع والمفقود، وكان أمثل التصانيف في هذا الموضوع كتاب الحافظ اللغوي الكبير أبي بكر ابن الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨ «المذكّر والمؤنّث»، وقد حققه العلامة محمد عبدالخالق عُضَيمة تحقيقًا عاليًا وصدر في جزأين تزيد صفحاتهما على ألف صفحة، وذكر في مقدمته أنه سيصنع فهرسًا في آخره للألفاظ التي أجمع العلماء على تأنيثها وحالت منيته دون ذلك، فصنع فهارسه الدكتور رمضان عبدالتواب وهو ممن اعتنى بهذا الموضوع حيث حقق بعض المؤلفات فيه.

***

ذكر الأستاذ أحمد أمين في سيرته الذاتية الحافلة «حياتي» أن إحدى المُدرسات الغربيات ممن كان يدرس عليها لغة أجنبية تعجبّت من أن العرب تؤنث الشمس وتذكر القمر، وقالت له: العكس هو الأولى في هذا..

وقد مرّ بي: أن تأنيث الشمس وتذكير القمر هو كذلك في الألمانية.

لِمَ أَنَّثت العربُ الشمسَ وذكّرت القمَرَ، مع ما للشمس من قوة وما في القمر من جَمال؟! كنت قرأت بعض التفاسير في سبب تأنيث الشمس وتذكير القمر لكنها غير مقنعة، والموضوع يحتاج إلى مزيد بحث!

***

الإِنْفَحَة: مادة تستخرج من بطون العجول والجداء بها خميرة إذا أضيفت إلى اللبن جعلته جُبنًا، ولا يتجبّن اللبن إلا بها أو بخميرة صناعية، واختلف العلماء في حكم «إِنْفَحَة» الميتة من الحيوان إذا أضيفت إلى اللبن حتى ينعقد ويصير جُبنًا: هل يحرم الجبن باستخدامها أم لا؟ ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى جواز ذلك -لشيخ الإسلام ابن تيمية اختيارات فقهية هي غاية في التيسير على غير ما يظن كثير ممن لم يمتّع ناظريه بتراث هذا الإمام المقاصدي الكبير- ولتوفيق الحكيم خمسة كتب في سيرته الذاتية: «سجن العمر»، «زهرة العمر»، «عودة الروح»، «مذكرات نائب في الأرياف»، «عصفور من الشرق» -للكاتب الساخر محمود السعدني كتاب عنوانه «حمار من الشرق!» وقد ذكر توفيق الحكيم- أظنه في كتابه «سجن العمر» -أنه مرض في صباه فذهب به أهله -للاستشفاء- إلى مقام الشيخ الطُّرطوشي، وبعد العودة حذّره أهله من تناول الجبن الرُّومي لأن الشيخ الطُّرطوشي يكره هذا الجبن، والعلامة الكبير أبو بكر الطُّرطوشي الأندلسي نزيل الإسكندرية توفي سنة ٥٢٠ للهجرة، هو مؤلف الكتاب الذائع الصيت «سراج الملوك»، وكتاب «الحوادث والبِدَع» وهو من أشد الناس على أهل البدع! ومع ما في صنيع أهل توفيق الحكيم من جهل وابتداع؛ إلا أن المغزى من كل ما أوردته؛ أن لأبي بكر الطُّرطوشي رسالة مطبوعة «في تحريم الجبن الرومي»! فهو يرى حرمة الجبن إذا أضيفت إليه «إِنْفَحَة» الميتة وقد ثبت عنده أن الروم تضيفها، فانظر كيف احتفظت الذاكرة الشعبية بمعنى هذه الرسالة طوال هذه السنوات، والمعذرة على الإطالة. أفدتُ من عبد المجيد تركي في مقدمة تحقيقه لهذه الرّسالة.

***

وطيبُ رائحةِ الفم من أهمّ شيءٍ في الدُّنوّ من الناسِ ومجالستهم.. قاله الحافظ أبو شامة في كتابه «السّواك وما أشبه ذاك».

***

كاد الشاعر القَرَويّ أن يُسلم... من كتاب «أدباء عرب معاصرون» لجهاد فاضل.

***

أوفى ترجمة للإمام الطبريّ في «معجم الأدباء» لياقوت الحموي.

***

أوفى ترجمة لجوهر الصقليّ -يرى أيمن فؤاد سيد أنه الصقلبيّ- في «المقفى الكبير» للمقريزي.

***

ساق ابن منظور نَسَبَ نَفْسِه في مادة «جرب» من اللسان.

***

السَّكْب: اسم خيل رسول الله عليه الصلاة والسلام، من كتاب «الأوائل» للجِراعي.

***

يوتوبيا[1]: هي أحلام الفلاسفة حين أصابهم اليأس من صلاح حال الإنسان على هذه الأرض.

***

---

(١) ومن ذلك: قصة خيالية فلسفية وسياسية كتبها الفيلسوف والمفكر البريطاني توماس مور ونشرت باللغة اللاتينية عام ١٥١٦ ، تروي القصة التقاليد السياسية والأعراف=

ذكر السيوطي في آخر رسالته «الزّجْر بالهَجْر» أسماء كثير من العلماء ممّن تهاجروا، وفي هذا دليلٌ على بشريّة أعلام التراث!

***

قال سَعيد بن مَسْعَدة الأخْفَش: لم تكن العربُ تعرف أسماءَ الحروف.

***

أيّهما أعظمُ هِمّةً في طَلبِ العلم؛ طالبُ العلمِ الفقيرُ أم طالبُ العلمِ الغنيُّ؟

قال عبدالله عفا الله عنه: لستُ من ذوي اليَسار والرئاسة؛ لكنّ الذي أعتقده أن حجة أبي محمد ابن حزم في مناظرته مع الباجي أنهض وأقوم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.[1]

***

أعجبني قولُ أحدِ الكُتّاب يَصِفُ نشأته: لم نكن بالأغنياء فتشيرَ إلينا الأيدي، ولا بالفقراء فتصفعَنا الأكف، ولكن كنّا بَيْنَ بيْن!

***

صنّف العلماء أكثر من كتاب في «أحكام الخاتم»، وكتاب الحافظ ابن رجب هذا من أهمها.

***

= الدينية والاجتماعية لجزيرة معزولة وغير معروفة، أطلقها على مكان لا وجود له في أي مكان، وعلى حضور غائب، وحقيقة غير حقيقية.

(١) صدر حديثًا كتاب: «علماء أغنياء آثروا العلم على الملذات»، لأحمد الجوهري عبدالجواد، دار المازري.

حدثني شيخُنا العلامة حمد الجاسر -رحمه الله- أنّ بعضَ مشايخ شقراء رأى أحد تلامذته وقد أقبل من بعيدٍ لابسًا خاتمًا فقال يداعبه:

ألا قل لبعضِ الناس مثل محمدٍ … متى كان ديـنُ الله لبسَ الخواتمِ

وبلغ البيتُ الشيخَ سليمان ابن سحمان - رحمه الله - فأنشأ قصيدة في الرد عليه.

نعم كان من هـدي النبي محمد … وسـنته الغـراء لبـس الخواتـم
كما كان حقًّا في الأحاديث كلها … وقـد كان معلومًا لدى كل عالمِ
فراجعه في تلـك الدواوين تلقه … بتلـك صريحًـا مسـتبينًا لرائـم
فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة … وإن كنت تدري فهي إحدى القواصم

***

مما قـرأت: نمتلـك جميعنـا آلاتٍ تسـافر بنا عبـر الزمـان، منها ما يعيدنـا إلـى الـوراء وتلك اسـمها الذاكرة، ومنهـا ما يدفعنـا إلى الأمام وهذه نسميها الأحلام.

***

قـال كامـل زهيـري: «المكان الوحيـد الذي أشـعر فيـه بالغربة هو البنـك».. لا عجـب أن يشـعر بهذا وهـو القائل: هناك فـي العيون عينٌ أمية لا تحسن قراءة الجَمال.

***

كان علـي عـزت بيجوفيتـش يقـول: الرأسـمالية لا ترحـم؛ لا تجد أناسًا يسألون عند المصانع، لكن تجدهم عند المعابد.

***

من أقدم النصوص النفيسة التي تحدثت عن نجد بشيء من التفصيل؛ ما ذكره خسرو في رحلته «سفر نامه» وهو من أهل القرن الخامس.

***

من لطيف ما قيل عن ضعف الإنسان:

يطلبُ الإنسانُ في الصيف الشتا فإذا جاء الشتا أنكره
ليس يرضى المرءُ حالًا واحدًا قتل الإنسان ما أكفره

***

كان شيخنا العلامة الجاسر لا ينفي شيئًا إلا بعد أن يبالغ في البحث والتقصّي، وهكذا هم كبار الشيوخ.

***

شيخ القرّاء ابن الجَزَري الدمشقي ت ٨٣٣ للهجرة، ألف منظومته المشهورة في القراءات «الدُّرة المضيّة» وهو في عنيزة.

***

معنى المثل المصري «اللي على راسُه بَطْحَه يحسّس عليها».. من كتاب «الأمثال العامية» لأحمد تيمور باشا: البطحه الجرح!

***

صديقُ العَيْن: هو صَدِيقُك ما دمتَ تراه، يريدك تسليةً خالصةً قليلةَ التكاليف بلا تَبِعةٍ ولا أعباء، لا تبتذل نفسك بصداقة هذا النّوع من النّاس.

***

حين تجري دموعُ الحَزانى أنهارًا في قلوبنا؛ تُورِق إنسانيتنا.

***

أوّل يـوم يكـذب فيـه العروسـان هو يـوم الزّفاف؛ هو يبتسـم وهي تبكي! بتلر

***

هذا ما قاله الشاعر الغَرناطي الكبير «لوركا» عن «غَرناطة» الحضارة العربية:

نص لوركا عن غرناطة

"لقـد كان سـقوط غرناطـة الإسـلامية لحظـة مشـؤومة وإن كانوا يقولون عكس ذلك.. لقد فقدنا منذ تلك اللحظة حضارة جديرة بالإعجاب والبقاء.. فقدنا شـعرًا، وعلم فلك، وعمارة، وفنًّـا، ورهافـة حـس لا مثيل لها في العالم، لكـي تتحول ديارنا بعـد ذلـك إلـى مدينة فقيـرة، جبانـة، وأرض جدباء تسـود فيها حاليًا أسوأ أنواع البورجوازية الإسبانية"..

***

يـا ليـتَ مـن نتمنى عنـد خلوتنا إذا خـلا خلـوةً يومًـا تمنّانـا!

البيت السـابق للعبّاس بن الأحنف، وشـعره في محبوبته «فوز» من أرقّ الشعر، تكاد قوافيه أن تتثنى!

***

كارل بروكلمان «١٨٦٨ - ١٩٥٦» صاحب الكتاب الحافل «تاريخ الأدب العربي»، وكان بروكلمان يجيد سبع عشرة لغة!

***

المستشرق اليهودي باول كراوس ١٩٠٤- ١٩٤٤م، مدرس اللغات السامية في الجامعة المصرية قديمًا، وأحد أهم من كتب عن تاريخ العلوم عند العرب؛ انتحر شابًّا في شقته بالقاهرة في ظروف غامضة، وكان موته فاجعةً لتلامذته ومحبيه من العلماء، فقد كان نابغة من نوابغ الباحثين، وهو صاحب البحث العلمي الخطير الذي ذهب فيه إلى: أن أكثر المؤلفات المنسوبة إلى جابر بن حيان لا تصح نسبتها إليه، وأن هذه المؤلفات إنما هي من تأليف جماعة سرية تشبه ما عرف فيما بعد «بإخوان الصّفا».. هذا؛ وقد كان العظيم شيخ الإسلام ابن تيمية قد ألمح إلى شيء قريب من هذا في حديثه عن شخصية جابر بن حيان قبل باول كراوس بعدة قرون.

***

أفاد ابن خَلدون من «إخوان الصفا» كما أفادوا من غيرهم، وأفاد من آخرين أيضًا في تراكم معرفي لا غنى للباحث عنه.

***

أفضل نشرات «مقدمة ابن خلدون»: النشرة التي بتحقيق إبراهيم شَبّوح، أو بتحقيق علي عبد الواحد وافي.

***

من **مُوجِعات الأيّام**.. أبو حيّان التوحيدي شيخُ الأدباء؛ يشكو حاله ويطلب من أبي الوفاء المهندس مالًا ليفتتح بقالة!

رسالةٍ أبي حيان في شكوى البؤس ورجاء المعونة وقد وجَّه بها إلى الشيخ أبي الوفاء المهندس:

"... سرِّحني رسولًا إلى صاحب البطائح أو إلى أبي السؤْل الكردي أو إلى غيره ممن هو في الجبال، هذا إن لم تؤهلني برسالةٍ إلى سعدِ المعالِمي بأطراف الشام، وإلى البصرة، فإني أبلغ في تحمل ما أحمل وأداء ما أؤدي وتزيين ما أزيِّن؛ حدًّا أملك به الحمد، وأُعرف فيه بالنصيحة وأستوفي فيه على الغاية. دع هذا ودع لي ألف درهم، فإني أتَّخذ رأس مال وأشارك بقال المحلة في درب الحاجب، ولا أقل من ذا، تقدَّم إلى كسج البقال حتى يستعين بي لأبيع الدفاتر. قلتَ: الوزيرُ مشغول، فما أصنع به إذا فرغ"...

***

اصطحب أحد ملوك أوروبا ابنه لمقابلة هيجو، وفي اللقاء قال الابن لوالده: سيدي الملك، فغضب عليه وقال: لا ملك في حضرة هيجو.

***

إن العقل يحترم الفروق بين الأشياء، بينما يحترم الخيال مواضع الشبه فيها. شيللي.

***

هذه بعض الأمثال الشعبية الجميلة، والمثل لا يكون له أثر على

النفس؛ حتى يجري على اللسان على البديهة في أثناء الكلام موافقًا مقتضى الحال:

إذا عطاكياه كله تراه زعل / انفكت الهوشة وبشر يتحزّم / يدربيه السيل ويقول ديمه / وجع مقعده لا ينشكى ولا ينحكى! / يا من لقى فطيم في سوق الغزل / دبّوج عْشَر / عصاه في الروضة / عروقه في الما / عنز الشيوخ نطّاحه / لا يرجّم ولا يجمّع حصى! / عقد خوص / ترى الشيوخ في الخلوة / خلّه على طمام المرحوم، ولهذا المثل قصة طريفة / ستر عنز / سطحِ ما حِجّي / الشيوخ أبخص / إلعب به وهو في قمعه / يكيلّه على قفا الصاع / الذيب ما يهرول عبث / اللي يطحن في رحانا يصبر على.../ إنوَه زباد / سنبلت على كعب / الأُبو صقّار عياله / ما طاح من النجوم خفّ للسما / اللي ما يراك بعين عِزّ لا تراه بعين جلال / حويّر ربيع إن رفع ديد وإن طمّن عشب / جادّة الطوع طويلة / الجوادّ ولو طالت.

***

تعليق على المثل المعروف «الشيوخ أبخص»: يظن كثير من الناس أن معنى المثل هو: المشايخ أخبر بالأمر، وهذا ليس معناه، فالمقصود «بالشيوخ» هو الملك عبدالعزيز رحمه الله وطيب ثراه، وقد كان أهل نجد يلقبون الملك عبدالعزيز «بالشيوخ» لعظم قدره في نفوسهم، فيقولون: الشيوخ سافر والشيوخ يبي يجلس اليوم، يقصدون بذلك الملك عبدالعزيز رحمه الله.

***

كتاب «الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب» لعبدالكريم الجهيمان، من أفضل ما ألف في الأمثال، وقد حفظ به الأستاذ الجهيمان رحمه الله ثروة شعبية كانت في سبيلها إلى الاندثار.

هناك كتاب «الأمثال العامية في نجد» للشيخ العبودي وهو كتاب حافل، وهو وكتاب الجهيمان من أفضل ما ألف في هذا الموضوع.

***

كتاب «من شيم العرب» للأستاذ فهد المارك من أجمل الكتب، يربّي النفس على المروءات.

***

لحميدان الشويعر في مُتكبر:

ومن الجماعه كالضبيب المنتفخ　　متبخترٍ ويسحب ثويبه من ورا
كن الضعيّف شايلٍ سبعَ الطبق　　هو ما درى انه خفّ ريش الحُمّرا!

***

من أمثال أحبابنا في مصر ممّا علق بالذاكرة من المسلسلات بعد نشرة الأخبار:

الناس خيبتها السبت والحد وانا خيبتي ما وردتش على حد / جت الحزينة تفرح ما لقتلهاش مطرح / خرج من المولد بلا حُمّص / اتضرب ضرب حمار في مطلع! / اللي معاه فلوس تحيره يشتري حمام ويطيره / جيت أتاجر في الحِنّا كترت الأحزان! / قال يا قاعدين يكفيكم شر الجايين / حكينا في سيرة القط جانا ينط / المال السايب يعلم السرقة / الخاين الغشاش أخدني لحم ورماني عظم!

***

مـرّ بـي أن حـيّ خنشـليله أصل تسـميته «خـان جليلـة»، وأنـه نُزُلٌ للمسافرين أوقفته هذه السيدة، والله أعلم.

***

سـمعت: أن بعـض النـاس يعظّـم من الذنـوب ما لا شـهوة له فيه، فتجـده يعظم الكـذب لأنه لا يكذب، ولا يكاد يذكر عظم شـأن الغيبة لأنه واقع فيها.

***

أودّ أن أكتـبَ عبـارةً جميلةً عن شـروقِ الشـمس وتباشـيرِ الصّباح لكنّي لن أفعل؛ أخشى أن أخونَ صديقي الليل!

الليـل فتنة الشـعراء، ونجوى العاشـقين، ومجلى الفكـر والإبداع، والنهـار هـمّ الكادحيـن وعـذاب المتقاعديـن، خذوا صخـب نهاركم وأعيدوا إليّ هدأة ليلي.

***

مقدمة كتاب «العَقد الاجتماعي» لجان جاك روسّـو من المقدّمات الباذخة في تاريخ التأليف.

كان جان جاك روسّو مرهفَ الإحساس، شديدَ تقلبات العواطف، حتى وصفه بعض الكتاب: بأنه أكثر الناس إنسانية في كُتّاب زمانه.

***

مـن أعـلام الأدبـاء ذوي الأحاسـيس المتقـدة والمشـاعر الروحية العالية الشاعر «طاغور» وهو القائل: «ثمة قَفْرٌ فسيح اسمه القلب؛ في أعماقه أضعت سبيلي»..

***

نصيحة للمتقاعدين: اسهروا في الليل، نصف أمراض المتقاعدين النفسية سببها الصبح والصياح على الزوجة حتى تقوم تقهويك.

***

في صغري كنت أعتقد أنّ الدنيا هي قلبُ أمّي؛ وحين كبرت أدركتُ كم كانت الدنيا صغيرة.

***

ثمّة تقليدٌ علميٌّ شريفٌ عالٍ، عُرف أوّلَ ما عُرف في التراث التأليفيّ عند الغرب، وأبدع فيه المستشرقون، وهو ما يُسمّى «بكتب الإهداء» أو «الكتب التذكارية».. وهو أن يقوم جَمْعٌ من تلامذة أحد الأعلام الكبار ومحبيه وعارفي فضله؛ بتأليف كتاب يُهدى إلى هذا العلم تكريمًا له حيث يذكر فيه شيءٌ من سيرته، وتنشر فيه دراساتٌ وبحوثٌ من جنس اختصاص هذا العالم، وقد انتقل هذا الضرب من التأليف إلى المكتبة العربية في العصر الحاضر، فألفتْ كتب «تذكارية أو مهداة أو تكريمية» كلها بمعنى واحد.

كنتُ قد عزمتُ -وأنا إذ ذاك في الأفق الشرقي من مباهج المعرفة!- على تأليف كتاب يرصد هذه الكتب التذكارية في المكتبة العربية جمعًا وتعريفًا وانتقاءً، وشرعتُ بحماسٍ في ذلك، لكني مَلولٌ فتوقفت، والملل كما قالت السادة العرب: من كواذب الأخلاق. هذه الكتب حافلة بالترجمة النادرة للمهداة إليه، ثريّة النفع، بالغة الغَناء، يغفل عنها بعض القرّاء والباحثين.

كانت هناك رسالة مخطوطة ألفها أحد علماء اليمن في الردّ على شيخ الإسلام ابن تيمية ولم أظفر بها مطبوعة إلا في الدراسات المهداة

إلى الدكتور علي سامي النشّار، ولم أعلم أن النشار أخٌ لجمال عبدالناصر من الرّضاعة إلا من هذا الكتاب، ووقفت على بحث نشر عن الكوثري في الدراسات المهداة إلى الدكتور محمد عبدالهادي أبو ريدة، وسألت غير واحد من المهتمين بتراث الكوثري فلم يعرفه، ونقلت عنه في كتابي «الهادي والهاذي».

أحسب أن أجَلّ كتاب تذكاري في المكتبة العربية هو المهدى إلى شيخ العربية محمود شاكر رحمه الله، وكَفْيُك أن تعلم أن بعض من شارك في تأليف هذا الكتاب قد أهديت إليهم كتب فيما بعد كإحسان عباس والطناحي رحمهما الله.

هناك كتب عن: عبدالسلام هارون، طه حسين، ماسينيون، بدوي، عبدالفتاح عاشور.. في هذا الكتاب أول نشرة لرد السيوطي على السخاوي المعروف بالكاوي.

أُلّف عن المفكر الكبير الدكتور عبدالوهاب المسيري -رحمه الله- ثلاثة كتب تكريمية، ولا أعلم أن أحدًا من أعلام العرب ألف عنه هذا القدر من الكتب.

هناك كتابان تكريميان من نوادر المكتبة العربية: «علم الأعلام خير الدين الزركلي»، و«ذكرى عادل زعيتر»، حصلت على الأول والثاني دونه خرط القتاد!

***

تقول العرب إذا كان المطلوب صعبًا: دونه النجم، ودونه العَيّوق، ودونه الثريا، ودونه خرط القتاد، ودونه رمل يبرين، ودونه الجمع بين الضب والنون. والنون: هو الحوت. ومن أقوالنا المعاصرة فيما يشبه

ما سبق: لو تحبّ الثريّا، إذا حجّت البقره على قرونها -لا أذكر أني سمعت هذا المثل منذ الصغر إلى اليوم إلا ابتسمت لهذه الصورة الطريفة التي لا أدري كيف رُكّبتْ!- وعند أهل اليمن: لما يرجع من خزيمة عَمّنا مبخوت، وعند أهل مصر: لما تشوف حلمة ودنك.. وهكذا.

***

مما قيل: احذر أن ينتهيَ بك عزُّ الغضب إلى ذُلّ الاعتذار.

***

الملل يكذب صاحبَه فلا يبلّغه مطلوبه، فليس هو من صادق الأخلاق كالصبر والعزم.

***

يقول الشاعر الشعبي الكبير راشد الخلاوي -وديوانه مملوء بالتجربة والحكمة-:

ومن هان نفسه للملا هان قدره حتى تشوف الذرّ يسعى بغاربه

قال عبدالله عفا الله عنه: تصوير الذّل في هذا البيت من الصور العزيزة في الشعر، لا أعرف ما يقوم لها إلا قول الفيتوري في تصوير رجل ذليل: ورَجْلٌ بلا عنق.

والخلاوي الحكيم المجرّب يقول: إن من أهان نفسه جعل رأسه في الأرض حتى كأنك ترى النمل يمشي فوق رقبته من الذلة، والغارب من فصيح الكلام وهو: ما بين سنام الجمل إلى رأسه، وكانت العرب إذا أرادت أن ينطلق البعير في المرعى؛ جعلت الحبل الذي ربطت به

رقبته على غاربه حتى لا يتعثر في مشيه فينطلق لا يرده شيء، ومن هذا قولهم في المثل: جعل له الحبل على الغارب.

***

شيخ شيوخ القرّاء محمد رفعت رحمه الله، تلاوته لسورة «الرحمن» بلغ فيها مبلغًا لا يتطالّ إليه قارئ، فكانت مثلًا وأنموذجًا عند كبار القراء كالمنشاوي وعبدالباسط، والمنشاوي وعبدالباسط هما في عداد تلامذته، من لم يسمع «سورة الرحمن» بتلاوة محمد رفعت فقد فاته خير عظيم، لم أسمع أندى ولا أجمل ولا أخشع من شيخ قراء الدنيا هذا.

كان بعض أدباء القاهرة إذا انصرفوا من سهرتهم آخر الليل ذهبوا إلى الجامع الذي يؤذن فيه محمد رفعت الفجر للاستماع إلى أذانه ثم ينصرفون.

***

قال الزُّهْرِيُّ في تفسير قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾: هو حُسْنُ الصّوت.

***

الغالية: نوع من أنواع الطيب الفاخر عند العرب جمعها الغوالي، سميت بذلك لأنها تحضّر من أغلى أنواع الطيب، وقيل: لأنها تغلى على النار، وكنتُ أسمع أن تطييب الشعر يعجّل بشيبه- لا أدري عن الرأي العلمي في هذا- ثم رأيت الجاحظ قال في كتاب «البرصان والعرجان»: والغالية تشيب الشعر.

***

الجاحظ عربيّ النسب، يقول لأحمد بن عبدالوهاب في «التربيع والتدوير»: والله لئن رميتني «ببجيلة» لأرمينّك «بكنانة».

***

ليست أخلاق الإنسان مصبوبة في قالب لا تتجاوزه، فقد حدثتنا كتب التراجم والآداب: عن شجاع جبن، وكريم بخل، وحليم غضب، وإنما الشأن في أخلاق المرء ما عُرف به وكثُر منه وشهد له به الناس.

***

«معجم الألقاب والأسماء المستعارة في التاريخ العربي والإسلامي»، لفؤاد صالح السيّد، هذا من أفضل الكتب في معرفة ألقاب الأعلام وأسمائهم المستعارة، ومؤلفه ليس فؤاد سيد الباحث التراثي المعروف والد د. أيمن.

***

يائس من نفسي إني أصير تاجر أو حازم في أموري، كلها فوضى في فوضى، اشتريت مرة سيارة جديدة فقال لي أحد الأحباب: إذا وقفت في الليل اكسر الدركسون -حركة تقفل الدركسون- ليصعب سرقتها، وحين هممت بدخول البيت تذكرت نصيحته فعدت وقفلته، وفي الصباح اكتشفت أني نسيت المفتاح على السيارة!

هذه طباع.. وفي المثل الشعبي: حَدّر جبل ولا تحدّر طبع، وعند أحبابنا الكويتيين: أبو طبيع ما يجوز عن طبعه، وفي أمثال العرب: الطبع أملك، والطبع يغلب التطبّع، وقال عمّنا المتنبي:

وأسرع مفعولٍ فعلتَ تغيّرًا تكلّف شيءٍ في طباعك ضدُّه

ومن جميل أبيات العرب في هذا:

كلّ امرئ راجعٌ يومًا لشيمته وإن تخلّق أخلاقًا إلى حينِ

وهنا قولهم: إنّ التخلّق يأتي دونه الخُلُقُ، قال غاندي في سيرته الرائعة «قصة تجاربي مع الحقيقة» قال: من ذا الذي يستطيع أن يقول إلى هنا لا إلى أبعد؛ لأمواج طبيعته الخاصة.

هل يمكن تغيير الطباع؟ هذه مسألة شائكة سال فيها حبر كثير عند علماء الأخلاق، والذي أعتقده أنه لا يمكن تغيير الطباع في أصل الفطرة، لكن يمكن أن تقيّد الطباع بقيود خارجة عنها، إيمانية مبعثها الاعتقاد ترغيبًا وترهيبًا، أو قانونية ردعًا ومكافأة، ويعود الطبع إلى أصله إذا ضعف المؤثر.

***

أجمل خمس سير ذاتية عربية قرأتها؛ فسافروا في عقول أصحابها، وتريّضوا في أفياء أرواحهم:

الأولى: «الأيام» لطه حسين:

ألف طه حسين هذه الرائعة الخالدة في جزأين، ثم جمعت له مقالات فيما بعد وألحقت بالأيام وهي الجزء الثالث وهو أضعفها، والجزء الأول من «الأيام» هو عندي أجمل سيرة ذاتية خطها قلمٌ عربيٌّ منذ كتب العرب إلى يوم الناس هذا، ألفها طه حسين -أو قل أملاها على كاتبه- في عدة أيام (أملاها وهو مسافر) طالعتها ثم طالعت الجزء الأول منها عدة مرات، ولا أعرف كتابًا أدبيًا في المكتبة

العربية طُبع أكثر مما طبع الجزء الأول من «الأيام»، فقد زادت طبعاته على مئة طبعة، ودُرّس، وتخرجت به أجيال.

فتح طه حسين باب السيرة الذاتية في الأدب المعاصر ثم عاد فأغلقه! لأن كثيرًا من أعلام عصره لم يكتبوا سيرهم الذاتية خشية أن تقارن بالأيام، وقد سار على طريقه بعض الأعلام وتأثر به لكنهم وقعوا جميعًا دونه، كسيد قطب في سيرته الذاتية «طفل من القرية» الذي أهداه إلى طه حسين: «إنها يا سيدي أيام كأيامك، عاشها طفل في القرية ....»، وكالمحقق الكبير سامي الدهان في سيرته الذاتية «درب الشوك»، وغيرهما.

وقد وقف الدكاترة زكي مبارك– تلميذ طه حسين وعدوّه اللدود – حائرًا يقلّب صفحات الجزء الأول من «الأيام»، ثم قال: أما هذا فلا أقول فيه شيئًا!

انتهى الحديث عن «الأيام» وفي القول متّسع لكن التغريد لا يحتمل أكثر من هذا، ولن أطيل الحديث عن الأربعة الكتب التالية:

انتشر في زمن الشاعر أحمد شوقي انتحار الطلبة بسبب الإخفاق في الاختبارات؛ فقال قصيدة معبّرة مطلعها:

ناشئٌ في الورد من أيّامه حسبه الله أبالورد عثر!

يقول شوقي: ماذا رأيتَ من مصاعب هذه الدنيا حتى تنتحر؟ تذكرت هذا البيت وأنا أعرض السيرة الذاتية الثانية وهي:

السيرة الذاتية الثانية: «حياتي» للعلامة الكبير أحمد أمين:

في هذه السيرة من العصامية والجلد والحكمة ومكابدة الأيام؛ ما يجعلك تجلّ صاحبها، وهي من أنفس السير الذاتية، وقد ختمها

بكلام مؤثر عن حكمة الله في هذه الحياة وتصرّف الدنيا بأهلها[1]، وكذلك ابنه جلال أمين قد ختم سيرته «رحيق العُمر» بفصل موجع عنوانه «لماذا تخيب الآمال»؟! وحسين أمين وجلال أمين قد كتبا كثيرًا عن والدهما العلامة أحمد أمين في مؤلفاتهما.

(١) يرد نص العلامة أحمد أمين في موضع آخر من هذا الكتاب.

لماذا تخيب الآمال؟ جلال أمين:

بعد عودتي النهائية من البعثة في لندن، كنا نحن الإخوة الثمانية، أو من كان منا في القاهرة في منتصف الستينات، نتقابل في كثير من أيام الجمعة في نادي الصيد بالدقي، وقد أتى كل منا مع زوجته وأولاده، فنجلس حول مائدة طويلة جدًّا، حتى تتسع لهذا العدد الكبير من الإخوة والزوجات والأولاد، ونحاول بمنتهى الاهتمام أن نختار أفضل المأكولات المتاحة لنا ولأولادنا، وقد وقف الخادم يتلقى الطلبات، وهو يتعجب بلا شك من هذا القدر من الأهمية الذي نعلقه على نوع الأكل المطلوب؛ إذ لا بد أن الأطباق كلها بدت في نظره متشابهة جدًّا، وتؤدي نفس الغرض، كما أدركت أنا فيما بعد، بعد أن تقدمت بي السن.

ولكن آمالنا وطموحاتنا لم تكن تقتصر فقط على ما يمكن أن نحصل عليه من متعة الأكل، بل كنا بلا شك نطمح أيضًا إلى أشياء أخرى أهم، كأن يكون أولادنا أذكى الأولاد، وأن يصبحوا أنجح الأولاد وأغناهم، بل لم يكن يدور في أذهاننا شك كبير في أن هذا هو ما سيحدث بالفعل، فضلًا عن تحقيق كل منا -نحن الإخوة- كل ما يصبو إليه من نجاح وثراء وشهرة ومنصب كبير ... إلخ..

كم كنا نبالغ في اعتقادنا في الذكاء اللامع لهذا الطفل أو ذاك، أو في شخصيته الجبارة، ونستخلص أعظم النتائج من أي عبارة تافهة يفوه بها، أو من تصرف عادي جدًّا يصدر عنه.

أنظر الآن بعد مرور أربعين عامًا على تلك الأيام، فأجد أن الحياة لم تعاملنا المعاملة التي كنا نريدها أو نتوقعها، بل أساءت إلى صحة بعضنا، ومات بعضنا في سن صغيرة، وخابت آمال معظمنا في الشهرة أو المنصب الكبير، كما خاب زواج الكثير من أولادنا، وتشاجر بعض الإخوة مع البعض الآخر لدرجة القطيعة الكاملة... إلخ.

كنت قد رأيت مسرحية «الملك لير» لشكسبير على المسرح أثناء دراستي في إنجلترا، وفتنت بها بشدة وأنا في الخامسة والعشرين من عمري، ولكن لم تسترع انتباهي فقرة محزنة تصف بدرجة عالية من التشاؤم ما يحدث للناس مع مرور الزمن. ثم عدت ورأيت نفس المسرحية من جديد وقد قاربت السبعين من عمري، وقرأت نص المسرحية قبل الذهاب لرؤيتها، فلفتت نظري الفقرة التالية وأثرت في نفسي بشدة. وهذه هي ترجمتها: «الحب يبرد، والصداقة تتصدع، والأشقاء ينقسم بعضهم على بعض. في المدن تمرد، وبين البلاد عداوة، وفي القصور خيانة والحبل الذي كان يربط بين الابن وأبيه قد انقطع».

من منا لم يجد في حياته، إذا امتدت حياته إلى السبعين أو أكثر، مصداقًا لهذا القول أو لبعضه؟ إني لا أعتبر نفسي فاشلًا ولا بائسًا ولا قليل التعلق بالحياة، بل أجد نفسي راضيًا في معظم الأوقات، وقادرًا على الاستمتاع بأشياء كثيرة. كما أني لا أعتبر نفسي سيئ الحظ بالمرة، ومع هذا أستطيع أن أتفهم

قـول شكسـبير وأن أتعاطـف معـه. بـل أريـد أن أضيف أسـبابًا أخـرى إلى الأسـباب التي ذكرها شكسـبير. فالجسـم يضعف، والأحبـاء يفترقـون... إلـخ. ولكن المرء لا يحتـاج إلى البحث عـن أحـداث من هذا النوع المأسـاوي لكي يفسـر خيبة الآمال فأظـن أن الظاهـرة حتمية حتى في ظروف الحيـاة العادية جدًّا؛ لسبب واحد أساسي: وهو أننا نبالغ جدًّا فيما نريده ونطمح إلى تحقيقه. وإذا كنا نبدأ بالطموح الزائد عن الحد، فما الذي يجب أن نتوقعه سوى تعرضنا للكثير من خيبة الأمل؟

إن كثيـرًا من أسـباب خيبـة الأمل التي يتعرض لها الإنسـان يشـترك فيها الإنسـان مـع الحيوان بدرجـة أو بأخرى: الجسـم يضعـف والموت يفـرّق... إلـخ. ولكـن هناك سـببًا لخيبة آمال الإنسـان لا يعرفـه الحيـوان، أو الأرجـح أنـه لا يعرفـه بنفس الدرجة، وهو قوة الخيال التي تدفع الإنسان إلى أن يمتد بآماله إلى آفاق بعيدة، فلا يتوقف عند الآمال التي يمكن تحقيقها.

نحـن نتطلـع إلى هدف ونتلهـف على تحقيقه، فـإذا حققناه سـرعان مـا نفقـد الحماس له بـل ربما فقدنـا حتـى الرغبة فيه، فنتطلـع ونتلهـف إلى ما هـو أبعد منه، ثم نفقـد الحماس وربما الرغبة في هذا أيضًا بمجرد فوزنا به، ونتطلع إلى ما هو أبعد منه فإذا به عصي صعب المنال، فنصاب بخيبة الأمل.

انتهى. من كتاب «رحيق العُمر» لجلال أمين.

السيرة الذاتية الثالثة: «سبعون» لميخائيل نعيمة:

في ثلاثة أجزاء؛ أجملها الأول ثم الثاني ثم الثالث، طالعت الأول منها عدة مرات، وهذه السيرة «سبعون» و «الأيام» و «حياتي»؛ أقول: هذه السير الثلاث أشهر سير ذاتية في المكتبة العربية، ولا يوجد كتاب -فيما اطلعت عليه- يدرس السير الذاتية في المكتبة العربية لم يعرض لهذه السير الثلاث، فقد أصبحت هذه السير مثلًا وأنموذجًا للسير الذاتية في أدبنا على اختلاف ما بينها.

وقد قرأت في رسالة خاصة بخط ميخائيل نعيمة؛ أنه لن يؤلف جزءًا رابعًا لسيرته «سبعون»، لأنه لا يريد أن يتعرض فيه للأحياء من معاصريه.

السيرة الذاتية الرابعة: «أوراق العمر» للويس عوض:

هذه سيرة مذهلة -وإن غضب علينا الشاكريّون!- وقد ندمت على أن أجّرت عقلي للعلامة الكبير محمود شاكر رحمه الله؛ فصدّقت كلّ ما قاله عن جهل لويس عوض وتفاهته وتعالمه في كتابه «أباطيل وأسمار».

نعم؛ لا أوافق لويس عوض على كثير من كتاباته، وقد أحسن العلامة محمود شاكر في فضحه وتعريته في الموضوع الذي ردّ عليه فيه، لكن من طالع سيرته الذاتية سيكره تلك الصورة التي رسمها شاكر عنه حتى جعله في تفاهة أصغر صحفي، لا تنتظر أن تجد في هذه السيرة «أوراق العمر» دفاعًا مجيدًا عن التراث أو الأخلاق أو... هو قبطي علماني، لكن سيرته فيها من... اقرأها أنت ثم احكم! ولويس عوض في هذه السيرة قد تأثر بأستاذه سلامة موسى في سيرته

«تربية سلامة موسى»، ولرجاء النقاش مقالات عن هذا جمعت بعدُ في كتاب، وكان لويس عوض يريد أن يكملها في أجزاء أخرى فعاجله الموت.

السيرة الذاتية الخامسة: «مجرّد ذكريات» لرفعت السعيد:

في ثلاثة أجزاء، الثالث منها ضعيف مقحم على السيرة، وهي تجربة فريدة استمتعت بها كثيرًا؛ على الرغم من توجّه كاتبها وشطحه، وأنا أؤمن أن من يشبهك كثيرًا لا يضيف إليك شيئًا، وأن قراءة تجارب من يختلف عنا مما يثري ويمتع.

سيرة المسيري رائعة، وأما سيرة إحسان عباس فضعيفة لا تليق به.

«أنا» للعقاد متميزة؛ لكنها مقالات متفرّقة أضعفت قيمتها فنيًّا، وهي مقالات جمعها الأستاذ طاهر الطناحي بعد وفاة العقاد وسماها بهذا الاسم الذي أثار عليه بعض الأدباء، والعقاد ممن خشي أن يؤلف سيرة ذاتية في كتاب فيخفق مقارنة بطه حسين.

«الاعتبار» للفارس الأديب أسامة ابن منقذ أفضل سيرة ذاتية في التراث العربي القديم، وأمثل نشرة لها بتحقيق قاسم السامرائي، ولو كانت القائمة تتسع لجعلته فيها مع: «أنيس صايغ عن أنيس صايغ»، «رحلتي الفكرية للمسيري»، و «حياة في الإدارة للقصيبي».

«الجمر والرماد» لهشام شرابي جيدة مع شطحه الفكري. أما إدوارد سعيد فهو لم يوفق كثيرًا في مترجميه.

كتب سهيل إدريس سيرة ذاتية غاية في السوء، ذكر فيها ما لا يليق وشنع فيها على بعض أهله.

***

العيد جاء للفرحِ والبهجةِ، لإظهار شعائرِ الله سبحانه وشكرِه على ما أولى من النّعم، وليس للبكاء والنياحة واجترار الأحزان.

***

قال سومرست موم في «سيرته الذاتية»: من أكبر أخطائي في الحياة؛ أنّي كنت أمرّ على لحظاتِ السعادةِ مرورًا عابرًا، وأعيش الحزن بكلّ مشاعري.

***

كتاب «عصارة الأيام» وهو السيرة الذاتية للروائي المشهور سومرست موم من أمتع ما قرأت ولا سيما في حديثه عن علاقته بالكتابة. ترجمة حسام الخطيب.

أقول: لم أفرح في زواجي! كأني ذاهب لمشوار، لم أكن أعرف ثقافة السعادة وفن الحياة فغلبتني مشاعر القلق والخجل، لو عادت تلك الليلة لفرِحتُ جدًّا.

***

بالليل يعودُ الملحدُ نصفَ مؤمنٍ بالله. يونج.

***

لا فكاك من انتقاد الناس على أية حالٍ تقلّب فيها المرء، لو لم يفعل ولم يقل ولم يكن شيئًا لقيل له: لِمَ لم تفعل وتقل وتكن؟!

***

أوهام المَوْهوبين.. كان الأديب الفرنسي الكبير بلزاك فقيرًا جدًّا،

وكان يكتب على جدران غرفته: هنا لوحة لمايكل أنجلو، وهذه لوحة لدافنتشي!

***

المؤلف الدمشقي أحمد قدامة -ت ١٩٨٥- صاحب «معالم وأعلام» و«قاموس الغذاء»؛ هو سليل البيت العلمي المشهور «آل قدامة».

***

تؤذيني معرفيًا مقولة: التاريخ يعيد نفسه؛ التاريخ لا يعيد نفسه أبدًا، وإنما تظهر سنن التاريخ وقوانينه التي أودعها الله عز وجل فيه حين تتشابه الأحداث.

التاريخ في سيرورته لا يعود، وفي المقولة جناية على تأمل السنن والقوانين التاريخية.

***

مَرّه واحد أرسل لي بعد الفجر على الجوال من رقم لا أعرفه يقول: استقبح المشايخ وطلبة العلم ما تكتبه.... إلخ، سدّ نفسي ثلاثة أيام الله يسد نفسه!

وذهب وفدٌ لأحد مشايخي الكبار واشتكوني عنده؛ لأني أكثر من الكلام على كتب الفلسفة وإيراد أقوال الغربيين، إي والله!

***

من أعلام العرب الذين عملوا في السعودية: الشيخ الشعراوي، الشيخ الغزالي، سيد طنطاوي شيخ الأزهر السابق، الدكتور أحمد الطيب

شيخ الأزهر، العلامة محمود شاكر، الأستاذ يحيى حقي، الشاعر مصطفى حمام، الشاعر أحمد شفيق كامل كاتب الأغنية المعروف، الدكتور عبدالوهاب المسيري، الدكتور علي جواد الطاهر، العلامة السيد صقر، الدكتور محمود الطناحي، العلامة محمد عبدالخالق عُضَيمة، الدكتور حسين نصار، الدكتور حسن ظاظا، الدكتوره عائشة عبدالرحمن «بنت الشاطئ»، الدكتور أحمد سوسة، الدكتور محمد رشاد سالم، العلامة الألباني -أذكر الأسماء حسب الذاكرة- وغيرهم.

من الأعلام الذين عملوا في السعودية: وزير العدالة الاجتماعية الهندي فيجاي سامبالا، وكان قد عمل سبَّاكًا ولا يعيبه بل هو شرف في سيرته الذاتية.

لم أذكر الرعيل الأول كحافظ وهبة، ويوسف ياسين، وفؤاد حمزة، ورشاد فرعون، والزركلي؛ لأنهم معروفون ومنهم من أصبح من أهل هذه البلاد. هذا يدل على أن هذا البلد المبارك يستقطب الكفاءات ويصنعها أيضًا.

***

الشابُّ ذو بُعْدٍ واحدٍ في أفكاره، لا يرى إلا الأبيض أو الأسود، يا بُنيّ: ستُريك الحياة ألوانًا أخرى، وستعلّمك أن أنصاف الحلول- في الغالب- هي الحلول.

***

خطر لي مرّة أنه لا يليق بي هذا الجهل الفاضح بأينشتاين ونظريته النسبية؛ فطالعت عدة كتب عنها وغصت في بحرٍ من الزمان والمكان

والكتلة، وكنت أهزّ رأسي كالمتفهّم لما يقرأ لكنّ الحيلة لم تُجْد فلم أفهم شيئًا! وكنت كلما طالعت كتابًا عنها زاد جهلي بها. فانصرفت راشدًا مردّدًا قولَ الشاعر:

إذا لم تستطع شيئًا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيعُ

***

سمعت في إحدى المرات جملة سريعة في التلفزيون كان لها أثر وصدى في نفسي وهكذا بعض الكلمات العابرة: الحياة لا تُفهم، الحياة تُعاش، كان غيرك أشطر!

***

العلامة المصري الكبير الدكتور علي مصطفى مُشَرَّفة؛ كان أحد القلائل الذين أتقنوا فهم النسبية وسيرته ملهمة جدًّا، ألّف عنه أخوه كتابًا نادرًا حافلًا، وهناك مؤلفات أخرى عنه، رأيت برنامجًا صُوِّر في إحدى الجامعات العلمية المصرية وقد سئل الطلبة عنه فلم يعرفه أحد!

***

زرتُ قبل ثلاثةِ أيّامِ مَعْرِضَ الكتاب في البحرين زيارةً سريعةً وعدتُ ببعضِ الكتب، سأتحدثُ عن واحدٍ منها وعن مؤلِّفه:

في بدايات القراءة طالعت بعض الترجمات التي أصدرتها دار الآداب لمؤلفات الكاتب الإنجليزي كولن ويلسون: «اللامنتمي» و«سقوط الحضارة» و «ما بعد اللامنتمي» و «طقوس في الظلام».. شدّني كتابه «اللامنتمي» كثيرًا، فهو يدرس فيه ظاهرة الاغتراب في أعلى نماذجها الغربية، ويحاول أن يؤسس لوجودية متفائلة منضبطة تختلف عن وجودية كيركجارد وهايدجر وسارتر وسيمون دو بوفوار.

ألف كولن ويلسون كتابه «اللامنتمي» وهو في الخامسة والعشرين من عمره، وبعد أن كان مشرّدًا ينام في كيس أو حقيبة في الشارع؛ أصبح بين عشية وضحاها من كبار المشهورين في العالم الثقافي، ترجم كتابه هذا إلى كثير من لغات العالم، وكتب عنه كبار النقاد في عصره وبيعت منه نسخ كثيرة جدًّا.

إلا أن كولن ويلسون كان مثالًا للمؤلف الذي أحرقه نبوغه المبكر، عاش بعد تأليف هذا الكتاب قريبًا من ستين سنة «ت ٢٠١٣»، وألف بعده مئة وسبعة عشر كتابًا! ولم تضف إليه هذه السنوات وهذه المؤلفات ما أضافه إليه كتابه الأول، وذهب يتخبط في التأليف فكتب عن الباراسيكولوجي والجريمة وخوارق العادات فنقم عليه من كان أثنى عليه واحتفى به.

ألّف ويلسون عدة سير ذاتية، ألّف وهو دون الأربعين «رحلة نحو البداية» وهي مترجمة، ثم عاد بعد خمس وثلاثين سنة فهذب بعض فصول تلك السيرة وزاد عليها في كتابه «حلم غاية ما»، وهو الكتاب الذي اشتريته مترجمًا من معرض البحرين.

***

أعتقد أنّ أمين معلوف سيفوز بجائزة نوبل للآداب يومًا ما، حظّ الكتاب العرب الفرانكفونيين من الجائزة أوفر من غيرهم.

***

أدونيس كما قال عنه بعض المثقفين: سيموت وفي نفسه شيءٌ من نوبل!

***

بيكاسو من أثرياء عصره حتى قيل: إن بيكاسو إذا أراد أن يشتري شيئًا رسمه.

***

سَألَني بعض الإخوة عن تفسير ابن تيمية لقوله تعالى: «الصَّمَد»؛ وأنه الذي لا جوف له. وأنا لا أحب الخوض في مثل هذه الدقائق من العلوم وردِّ الشُّبَه حولها في تويتر؛ لأني أُكنّ لمن أثارها محبةً وتقديرًا وأعرف له عِلْمَه وفَضْلَه ومَكارِم خُلُقِه، وجمع الكلمة والألفة أولى من التنازع والاختلاف، ولا سيما في أيامنا هذه وأحوال المسلمين إلى ما هي عليه، ولأن تويتر لا يحتمل مثل هذه النقاشات العلمية؛ فهي تحتاج إلى تقرير وتأصيل وبسط لا يحتمله هذا الفضاء.

لكن سأعرض لهذه المسألة بخصوصها لأنها قد طُرحت غير مرّة، والله أسأل أن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه. فسّر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى «الصَّمَد» بأنه الذي لا جوف له. لكن: هل ابن تيمية قد جاء ببدع من القول فلم يسبقه إليه أحد؟ وهل لابن تيمية كلام في «الصَّمَد» غير هذا؟ الحقّ أنه قد فسّر «الصَّمَد» بأنه الذي لا جوف له جمع كبير من أئمة التفسير منهم: ابن عباس ومجاهد والحسن وسعيد ابن جبير والضحاك والشعبي وسعيد بن المسيب وعكرمة. وقبله وأقره غير واحد من العلماء كالحافظ الطبراني وابن كثير، وقد ساق الحافظ الطبري في تفسيره أسانيده إلى قائلي هذا القول وبدأ به؛ لأنه أكثر الأقوال وأشهرها وإن لم يرجّحه.

هل هذا التفسير الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية هو كل ما هنالك؟ تحدّث شيخ الإسلام ابن تيمية في الجزء السابع عشر من

الفتاوى عن هذا اللفظ «الصَّمَد» في قريب من ثلاثين صفحة؛ بيّن الأقوال في تفسيره، وحرّرها، وساق أسانيده إليها، وفصّل لم اختار هذا التفسير ورجّحه دون غيره. وبيّن أن هذا التفسير هو مستلزم لجميع معاني الكمال لله تعالى، وأن التفاسير الأخرى راجعة إليه، وله كلام في معنى الصمد في غاية التعظيم والتنزيه لله تعالى، وكلام ابن تيمية -إذ كان كثير الاستطراد سيال القلم- لا ينتهب هكذا دون النظر في مجموع ما قاله.

وهنا معنى مهم في فهم كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله؛ وهو أنه كثير الاستطراد وردِّ مواضع كلامه على بعضها، ومن لم يتخرّج بكتبه لا يتهيأ له أن يحرّر مجموع كلامه في المسألة، ثم إنه رحمه الله جريء في التنزّل وقت الحِجاج مع الخصم؛ كما في «منهاج السنة»، والمناظرة يكون فيها من الكلام -تنزّلًا لإلزام الخصم- ما لا يكون في التقرير ابتداءً، وما أكثر من غلط عليه رحمه الله لأنه لم يفهم منهجه. والله المستعان.

***

رأيتُ خلطًا عند بعض الناس بين زهدِ الرسول عليه الصلاة والسلام في الدنيا؛ وقيمةِ المال وأهميته في نصوص الشرع، وهما معنيان مختلفان.

***

من أخطائنا؛ اهتمامُنا بباب العبادات في الفقه وتقصيرُنا في باب المعاملات، والعبادات والمعاملات قسيما الفقه؛ ليس أحدهما بأولى من الآخر.

أطـول آيـة في كتاب الله هي آية المداينة، أما آن لنا ونحن نرى تأثير الاقتصاد في حياة الشُّـعوب؛ أن نصحح تصوراتنا عن المال في النَّص الشرعي؟

***

حدثنـي شـيخنا العلامة حمد الجاسـر: أنـه درَّس متعاونًـا في كلية آداب جامعـة الملك سـعود فغضب بعض الدكاتـرة لأنه ليس دكتورًا! فتضايـق مـن كلامهم وتأثّر واعتذر عن مواصلة التدريس، ولذلك كان شـيخنا الجاسـر يقـول: لا تحدّثنـي عن عاميـة من لا يقـرأ ولا يكتب؛ حدّثنـي عن عامية أسـاتذة الجامعات! ولعل هذا الموقف من أسـباب كتابتـه -رحمـه الله- سلسـلة بحوثـه المشـهورة «الدكاتـرة والعبـث بالتراث»، وقد رجاه بعض الباحثين أن يغير العنوان فغيّره في آخر هذه البحوث.

وليـس المقصـود من هذا كلـه الحطُّ من قَـدْر أسـاتذة الجامعات؛ لا والله، ففيهم مشايخنا وأساتذتنا، وإنما الكلام على فئة منهم يتعجّب المـرء ويحتـار؛ أن كيف جاز لمثلهم أن يصلـوا إلى هذه المهنة العالية الشريفة وهم على ما هم عليه من ضعف فاضح في التحصيل العلمي والمواهـب والقـدرات؟ والغريـب أن هـذه الفئـة هـي أكثر مـن يؤذي الطلبـة بتعنُّته وادعائـه، بل منهم من يحارب الموهـوب من طلبته وقد رأينا ذلك وجرَّبناه.

***

ثـارت هنا قضية اللغة الآراميَّة وعلاقتها بالقرآن الكريم، وهو ليس كشـفًا وفتحًا، فللمستشـرقين بحوث وكتب في هذا الشأن منذ سنوات

طويلة، ولبعض النصارى السُّريان المعاصرين جهود حثيثة في الكتابة والترويج لهذا، وغالب بحوثهم ترمي إلى نفي الوحي عن الرسول صلى الله عليه وسلم وإثبات بشرية القرآن الكريم ونزع القداسة عنه، وأنه من كلام الرسول عليه الصلاة والسلام.

ومن باب الفائدة أقول: قد يُشكِل على بعض الإخوة وصف اللغة بالآرامية تارة، وبالسُّريانية تارة أخرى؛ فهل هما لغتان مختلفتان؟ اللغة السُّريانية هي اللغة الآرامية، وقد قال بعض علماء اللغويات: إن السُّريانية هي لهجة من لهجات الآرامية الموغلة في القدم، أو هي صورة للآرامية في اكتمال نموِّها اللغوي، وإن هذه اللغة كان يشيع وصفها بالآرامية قبل المسيح عليه السلام، ثم شاع وصفها بالسُّريانية بعده، والمعنى: أن اللغة السُّريانية هي اللغة الآرامية، هذا ما فهمته من بحث هذه المسألة إذ كانت قد أشكلت عليّ، والله أعلم.

هناك طائفة كبيرة تتحدث السُّريانية اليوم في سوريا والعراق ولبنان، وكثير من تراتيل الكنائس هو بهذه اللغة، بل هناك أهل قرية «معلولا» في سوريا يتحدثون السُّريانية وهم المجتمع الوحيد في العالم ممن يتحدثها، وهناك من المستشرقين من أقام بينهم وألّف عنهم.

***

جمال الدين الأفغاني من الشخصيات التي حيّرتني فهي شخصية غريبة بالغة التعقيد؛ إن طالعتُ ما كتب في ذمه تبيّن لي سوء الرجل، ثم إذا عدت لما كتبه عنه الشيخ رشيد رضا وبعض مريديه توقّفت في أمره، وهكذا.. لا شك أن جمال الدين الأفغاني يمتلك ذكاء نادرًا،

وهمة عالية، ولا يماري منصفٌ في مواهبه الجدلية والكاريزما الساحرة التي كان يمتلكها، وفي أثره الكبير على أهل زمانه.. والذي تبيّن لي بعد قراءات له وعنه؛ أنه كان يسعى إلى نهضة العرب المعاصرة سواء اتفقنا مع أفكاره ووسائله أم لم نتفق، وأنه في سلوكه ومعتقده كان فيلسوفًا لا رجل شريعة، والله أعلم بحاله.

ما كتب عن جمال الدين الأفغاني كثير معقّد، لكن ترجحت لدي نظرتي عنه -نظرة ليست لصالحه في أمر الأديان- بعد أن قرأت مناظرته مع أرنست رينان، وقد أطال عبدالرحمن بدوي في «موسوعة المستشرقين -ترجمة رينان-» في الكلام على هذه المناظرة وترجم نصوصًا منها.

***

في بداية العصر الحاضر؛ انخدع بالمظهر الثقافي والإصلاحي للماسونية بعض أعلام العرب كالعلامة محمد أبو زهرة رحمه الله وغيره، فقد انضم الشيخ أبو زهرة إلى المحفل الماسوني ثم اعتذر بعد ذلك حين تبيّن له حالها.

***

وجدت خلطًا عند بعض الكتاب بين الشيوعية بمعناها العام والماركسية، الماركسية -أتباع مذهب كارل ماركس- جزء من الشيوعية وليست الشيوعية كلها وهذا ما يطلق عليه العلماء: العموم والخصوص، بمعنى أن كل ماركسي هو شيوعي بالضرورة، وليس كل شيوعي ماركسيًّا. بل إن الماركسية نفسها تطورت في مراحل لاحقة بعد كارل ماركس، حتى كتب بعض الماركسيين: إن ماركس

لم يكن ماركسيًّا! هناك من الشيوعيين من ردّ على كارل ماركس، وهناك ردود بين الماركسيين أنفسهم.. وجدت خلطًا في هذا ولا سيما في كتابات الإسلاميين.

***

مصطلح اليمين واليسار: في بداية الثورة الفرنسية كان الجالسون عن اليمين في الاجتماعات هم المؤيدين، والجالسون عن اليسار هم المعارضين، ومن هنا: سمي كل مؤيد يمينيًّا، وكل معارض يساريًّا، ولما كان الشيوعيون يعارضون حكومات دولهم أطلق عليهم وصف «اليساريين»، وعليه فليس كل يساريّ شيوعيًّا بالضرورة، لكن شاع استخدامها في حقهم حتى غلب هذا الوصف عليهم.

***

عندما يضيق صدري أقرأ في مشكلات الفكر فأرتاح، ينشغل العقل فيكفّ عن إيذاء المشاعر!

***

كتاب «موسوعة أعلام الفكر العربي» تحرير أيوب أبودية ٢٠٠٨، لا يستغني عنه مثقف في معرفة أعلام الفكر المعاصر، ويختصر كثيرًا من الجهد.

***

ليس أجمل من وصف عاشق الكتب للكتب، كتاب «في بيتي»، لعباس العقاد، غاية في الطرافة يصف فيه العقاد منزله ومكتبته الحافلة بتحليل آسر.

***

مـن قانون مورفي[1]: تزيد نسـبة رؤيتك لأشـخاص تعرفهم عندما تكون في مكان عامٍّ لا تريد أن يراك فيه أحد.

قانون مورفي: إذا أخرجت بدل فاقد للوثائق الضائعة ستجدها!

قانـون مورفـي: إذا وصلـت إلى محطـة القطار باكرًا تأخـر القطار، وإذا تأخرت سار في موعده.

***

للناشـئة مـن طلبة العلـم والمثقفين ومن شـغلتهم المعرفة؛ تعلّموا شيئًا من ثقافة الادّخار حتى لا تذلّوا في المقبل من أيامكم.. هنا كلام دقيـق للحافـظ ابـن الجوزي عـن أهمية تدبيـر المال وثقافـة الادّخار؛ ولا سيما لمن شغلهم العلم عن مثل هذا السعي:

فصل: العالم الذي يتكسب يصون عرضه ودينه، من صيد الخاطر لابن الجوزي:

حضرنـا بعـض أغذية أربـاب الأمـوال، فرأيت العلمـاء أذل الناس عندهم، العلماء يتواضعون لهم، ويذلون لموضع طمعهم فيهـم، وهـم لا يحفلـون بهـم، لمـا يعلمونـه مـن احتياجهـم إليهم. فرأيـت هـذا عيبًا فـي الفريقين: أما في أهـل الدنيا، فوجه العيب أنهم كان ينبغي لهم تعظيم العلم، ولكن لجهلهم بقدره،

---

(١) هو مجموعة من الأقوال المأثورة التي تنص على أن: «أي شيء بإمكانه أن يسير في الاتجاه الخاطئ، سوف يسير بالاتجاه الخاطئ». وهو أقرب ما يكون إلى الكوميديا والتشاؤم الساخر.

فاتهم، وآثروا عليه كسب الأموال؛ فلا ينبغي أن يطلب منهم تعظيم ما لا يعرفون، ولا يعلمون قدره.

وإنما أعود باللوم على العلماء، وأقول: ينبغي لكم أن تصونوا أنفسكم التي شرفت بالعلم عن الذل للأنذال. وإن كنتم في غنى عنهم، كان الذل لهم، والطلب منهم حرامًا عليكم. وإن كنتم في كفاف، فلم لم تؤثروا التنزه عن الذل بالعفة عن الحطام الفاني الحاصل بالذلة.

إلا أنه يتخيل لي من هذا الأمر أني علمت قلة صبر النفس على الكفاف، والعزوف عن الفضول، فإن وجد ذلك منها في وقت، لم يوجد على الدوام. فالأولى للعالم أن يجتهد في طلب الغنى، ويبالغ في الكسب، وإن ضاع بذلك عليه كثير من زمان طلب العلم؛ فإنه يصون بعرضه عرضه. وقد كان سعيد ابن المسيب يتجر في الزيت، وخلف مالًا. وخلف سفيان الثوري مالًا، وقال: لولاك لتمندلوا بي.

وقد سبق في كتابي هذا في بعض الفصول شرف المال، ومن كان من الصحابة والعلماء يقتنيه، والسر في فعلهم ذلك، وحث طالبي العلم على ذلك، ما بينته من أن النفس لا تثبت على التعفف، ولا تصبر على دوام التزهد.

وكم قد رأينا من شخص قويت عزيمته على طلب الآخرة، فأخرج ما في يده، ثم ضعفت، فعاد يكتسب من أقبح وجه! فالأولى ادخار المال، والاستغناء عن الناس، فيخرج الطمع من القلب، ويصفو نشر العلم من شائبة ميلٍ.

ومن تأمل أخبار الأخيار من الأحبار، وجدهم على هذه الطريقة؛ وإنما سلك طريق الترفه عن الكسب من لم يؤثر عنه بذل الدين والوجه، فطلب الراحة، ونسي أنها في المعنى عناء، كما فعل جماعة من جهال المتصوفة في إخراج ما في أيديهم، وادعاء التوكل! وما علموا أن الكسب لا ينافي التوكل! وإنما طلبوا طريق الراحة، وجعلوا التعرض للناس كسبًا! وهذه طريقة مركبة من شيئين: أحدهما: قلة الأنفة على العرض، والثاني: قلة العلم.

***

تحقق دورُ النشر أرباحًا طائلة من نشر بعض كتب الزّهد! ولا تجد نسخًا منها توزّع توزيعًا خيريًّا؛ فافهموا يا طلبة العلم كيف تسير الأمور.

***

قرأتُ هذه الكلمة العميقة: الأفكار التي تراودك حين تضع رأسك على الوسادة؛ هي الأفكار التي تتحكم في حياتك.

***

قال أحمد فارس الشدياق: أخطر الأفكار وأهمّها ما كان في ثلاثة مواضع: عند النوم، وفي بداية المرض، وفي الحمّام!

***

ما أحسنتُ إلى لئيمٍ إلا ندمت، ولا أسأتُ إلى كريمٍ إلا خجلت.

***

صدر قديمًا سنة ١٣٧٨ كتاب «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط»، وفيه الكلام على تلك البلاد تحديدًا وتخطيطًا وعاداتهم وأخلاقهم وما يتعلق بذلك.. لأحمد بن الأمين.

***

للشيخ حمد الجاسر رحمه الله كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد»، وهو من أشهر المؤلفات في الأنساب.

***

حين تشفّ النفس عن بشريتها وتخيب آمالها؛ فلا تثريب عليها إن هي أنشدت:

يُزهِّدني في كلّ خيرٍ فعلتُه ... إلى الناس ما جرّبتُ من قلّة الشُّكْرِ

***

يقول ريكور: «إن تسلسل السؤال عن وجود الشرّ لا بدّ أن ينتهي إلى جواب أنطولوجي». وعند تأمل كثير من أسباب الإلحاد؛ نجد أن مسألة وجود الشرِّ في الحياة من أهم هذه الأسباب، ولهذا قال ابن تيمية:

وأصل ضلال الخلق من كلِّ فرقةٍ ... هو الخوضُ في فعل الإله بِعلَّة

***

من الأخطاء المعرفية: اعتقاد المرء بأن أصحَّ معارفه هو أسبُقها ورودًا على ذهنه، وكم ممّن استدركنا عليه بيتًا لأننا حفظناه أولًا على غير ما سمعناه منه.

***

طالعتُ مقالة الدكتور إبراهيم المطرودي المنشورة في جريدة الرياض بعنوان «الغزالي وتهافته». ولي معها هنا بعض الوقفات دون بسطٍ وتفصيل:

نقد الدكتور المطرودي كتاب أبي حامد الغزالي المعروف «تهافت الفلاسفة» في نصف مقالة في جريدة وانتهى منه، وهو الكتاب الذي اقتضى ابنَ رُشْد تأليفَ كتاب طبع في مجلدين بأزيد من ألف صفحة «تهافت التهافت». وكانت فكرة الدكتور إبراهيم الرئيسة تدور على أننا تابعنا الغزالي في نقده للفلسفة مع أن الغزالي نفسه لم يكن على تحقّق بأقوال هذه الفلسفة نفسها التي ينقدها، وحيث إن الغزالي قد ذكر في مقدمة «تهافت الفلاسفة» أنه سينقد أقوال متقدمي الفلاسفة مما اختاره الفارابي وابن سينا من مذهبهم؛ فقد رجع الدكتور إلى كتاب «الجمع بين رأيي الحكيمين أفلاطون وأرسطو» وهو الكتاب المعروف للفارابي، وقارَن بين نصوص الفارابي وما أورده الغزالي عن الفلاسفة فوجد اختلافًا استظهر منه الدكتور أن الغزالي: «ينسب إلى الفلاسفة أمورًا ينكرها من ينقل عنه وهو الفارابي، وينكرها غيره كابن رُشْد والعقاد، وفي هذا دلالة على أن الغزالي لم يطلع على كتاب الفارابي نفسه ولم يأخذ الأقوال عنه، وفي هذا ما فيه من العيب لقامة علمية.» كذا قال الدكتور.

وأقول له دون أن أعيبه: من حسن حظِّ الغزالي أنه لم ينقل كثيرًا عن الفارابي وإن صرَّح بذلك في مقدمة كتابه، وإنما كان أكثر نقله عن ابن سينا كما هو معروف لمن طالع كتابه وكما ذكر ذلك ابن رُشْد عنه، والدكتور إبراهيم لم يكلِّف نَفْسَه عناءَ الرجوع إلى كتب ابن سينا «كالإشارات» و«رسالة أضحوية» وغيرهما.. وإنما اختار من بين كل

كتب الفلسفة القديمة كتاب «الجمع بين رأيي الحكيمين أفلاطون وأرسطو» للفارابي، وكأن الله سبحانه كان يصنع للغزالي! في بداية معرفة العرب بالفلسفة اليونانية جاء النصّ المشّائي متداخلًا مع غيره يصعب فيه تبيّن أفلاطون من أرسطو، وأرسطو من أفلوطين، وكان من أقيم من حرّر هذا الاشتباك الفيلسوفان الكبيران: ابن مَلْكا وابن رشد.

أذكر هذا لأن ثمة كتابًا اسمه «أثولوجيا» توهّمتْه الفلسفةُ العربية الأولى من كتب أرسطو، ثمّ تبيّن فيما بعد أنه قطعة من «تاسوعات» أفلوطين، وهذا وهم أربك الفلسفة العربية الأولى ولا سيما الفارابي في كتابه «الجمع بين رأيي الحكيمين»؛ حيث إن الفارابي كان ينقل آراء أفلوطين ظانًّا أنها آراء أرسطو، وأفلوطين امتداد لمدرسة أفلاطون، فكان الفارابي يجمع بين أفلاطون ونفسه لا بين أفلاطون وأرسطو! وعليه فلم يعد للكتاب قيمة تحقق ما قصد إليه الفارابي من الجمع بين رأيي الحكيمين، وليس هو مما يُرجع إليه في تبيّن أقوال أرسطو، بات هذا يعرفه دارسو التراث الفلسفي في العصر الحاضر، لكن الدكتور المطرودي الآخذ على أبي حامد والزاري عليه؛ لم يكلّف نفسه عناء البحث في مثل هذا حتى يجنّب نفسه التحطّط من قدر الرجل بغير إنصاف، فنفى -مثلًا- أن يكون أرسطو قال «بقدم العالم» اعتمادًا على قول الفارابي وقد علمتَ ما فيه، في حين أن ابن رشد -وهو هو في درس أرسطو- يثبت ذلك عنه، وهكذا..

وبعد؛ فهذه وقفة واحدة من عشر وقفات أو أزيد مع هذا المقال، ثمة كلام على منهج الغزالي في كتابه «تهافت التهافت»، وكلام على تحرير أقوال الفلاسفة في المسائل الثلاث الكبار اللائي أخذهن الغزالي على الفلاسفة: القول بقِدم العالم، وعلم الله سبحانه

بالجزئيات، والقول في المعاد، ثم هناك حزازاتٌ حاكّة وملاماتٌ صاكّة! في قول الدكتور في مقاله عن الغزالي في نقده للفلسفة: «فمن جاء بعده لم يزد شيئًا كثيرًا على ردوده وتخوّفاته».. لا بأس؛ فهذا الجبل العلمي العظيم لا تتخطاه العين هكذا عن غير قصد، أعني ابنَ تيمية!

وهناك حديث ذو شجون عن هذا النّفَس اللافح الذي لا أحبه حين يتحدث بعضُ كتابنا عن الفلسفة ورفضِ مجتمعنا العلميّ لها، لكني لن أعرض لشيءٍ من هذا إلا إن دعت إليه الحاجة.. وختامًا؛ فأنا لست ممن يميل إلى تراث أبي حامد الغزالي رحمه الله فلي مشرب آخر، وله في كتابه «تهافت الفلاسفة» وغيره ما لا أرضاه، لكني أميل إلى الحقيقة والإنصاف ما استطعت، شكر الله للدكتور إبراهيم المطرودي ما أتاحه بمقاله من هذه المثاقفة وغفر لنا وله ولأحبابنا القرّاء.

***

الانتقائية ولا سيما في ثقافة الصورة هي مما عزّز فينا هذا التلذّذ بجلد الذات، واعتقاد أن كلّ ما لدينا قبيح في مقابل جمال كلّ ما لدى الآخر، صورة لأقذر حديقة لدينا في مقابل صورة لأجمل حديقة هناك.. وكأن ثقافة الصورة لا تستطيع أن تعكس هذه المقابلة.

أذكر مرّة أن برنامجًا يابانيًا سخر من مقدّم برامج مشهور عندنا، أسهم في تعزيز هذه النظرة باصطناع هذه الانتقائية غير العادلة في رسم مجمل الصورة، حيث وضع حافظة نقود في حيّ ياباني راقٍ وراقبها بالكاميرا فلم يأخذها أحد، وكان الحاضرون في هذا البرنامج من اليابانيين أنفسهم يسخرون من هذا، وعلّق أحدهم ضاحكًا: عليه أن يضعها في الحيّ الفلاني ويرى هل ترجع إليه؟!

وقد سافرنا كما سافر غيرنا ورأينا رقيًا وتطوُّرًا، ورأينا أيضًا نصف الصورة الآخر؛ من الأحياء العشوائية والزّحامِ وفسادِ الطرق وضعفِ النظافة في بعض المرافق العامة فهم بشرٌ ممّن خلق! لكنها الانتقائية حين تغالط.

مع هذه الكثرة من المعلومات في مواقع التواصل صرت مقتنعًا بقول بعض الكتاب: ليست المعرفة اليوم في التزوّد من المعلومات، وإنما في استبعاد بعضها.

***

مفارَقات.. سمّى ابنُ سينا كتابه في الإلهيات «الشفاء» وكتابه في الطب «القانون»، قالوا: لو كان عكس التسمية؛ فالشفاء للطب والقانون للإلهيات.

***

مفارقات.. عاش الجاحظ في مجالس الوزراء والأمراء وأكثر أدبه عن العامّة والباعة، وعاش التوحيدي بين المهمشين والصناع وليس في أدبه حديث كثير عنهم.

***

مفارقات.. ملأ ابن المقفّع كتبه بسياسة الناس والحكمة، وقُتل لاستهزائه بنائب البصرة وكان ذا أنف كبير؛ كان ابن المقفع يقول له: السلام عليكما!

***

مفارقـات.. في كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني كلام رائع عـن آداب المجالسـة والتأنّق والذوق، وكان قذر الثيـاب منفِّر الرائحة لا يُحسن الأكل.

***

مفارقـات.. كتب الشـاعر الإنجليزي جون ميلتـون مقالة عن حرية النشر أحدثت صدى كبيرًا، وحين تسلّم منصب الرقابة على النشر منع كثيرًا من الكتب!

***

مفارقـات.. كان الفيلسـوف الإنجليـزيّ المعـروف برتراند راسـل -وقد ملأ الدنيا بالدعوة إلى السلام والتسامح- انتهازيًّا شديدَ القسوة على عائلته.

***

مفارقات.. كان أبو الرأسمالية الصارمة آدم سميث صاحب الكتاب المعـروف «ثـروة الأمم»؛ مـن كبار عشّـاق الجمال وفلاسـفته وله فيه مؤلفاتٌ رائدة.

***

ثمّـة مفارقات كثيرة، ومنها شـعور البهجة هذا الذي يتملّكني دائمًا حيـن أتذكـر كلمة فيتغنشـتاين: قـد يكون مغـزى الوجود البشـري أيَّ شيءٍ إلا أن نكون سعداء!

***

كتاب «باب السلام في المسجد الحرام ودور مكتباته في النهضة العلمية الحديثة» للدكتور عبد الوهاب أبو سليمان، ط ١٤٢٧ مجلد حافل.

***

من أنفس الكتب التي وقفت عليها هذه الأيام: «النشر العائلي في مصر» للسعيد داود، ط ٢٠٠٨، تحدث فيه عن أشهر العوائل الناشرة كالحلبي والخانجي ومدبولي.

***

قال قاسم أمين: أعرف قاضيًا ظلم بعضَ أهله حتى يشتهر بين الناس بالعدل.

***

أشهر عصور الإسلام في العناية بالعطور هو العصر العباسي، بلغت فيه صناعة العطور مبلغًا عظيمًا وازدهرت تجارتها كثيرًا، وكان الخليفة المتوكِّل من أكبر عشاق العطور على مرّ التاريخ. وقد اشتهر عند القراء وهواة العطور أن ابن سينا هو أول من تحدث عن تقطير المواد واستخراج الزيوت العطرية منها، لكني وجدت الكندي في كتابه «الترفق في العطر» -سأتحدث عنه لاحقًا- قد أشار إلى التقطير قبل ابن سينا، والتقطير قد أحدث نقلة كبيرة جدًّا في صناعة العطور.

وكبار صانعي العطور من الغربيين اليوم يعرفون للعرب فضلهم في هذا. وفي العصور المتأخرة عرف عن لويس الخامس عشر جنونه وافتتانه بالعطور فكل شيءٍ يمسّه كان لا بد أن يعطر من مجلسه إلى عربة جياده، وقد اتخذ بركة من العطور. وهو الذي يعود إليه الفضل في كل ما وصلت إليه فرنسا العصر الحاضر -ثم باقي أوروبا وأمريكا- من رقيّ في هذه الصناعة، حيث دعم صناعة العطور في زمنه وكان عصره البداية الحقيقية لهذه الصناعة، وهناك ماركة فرنسية مشهورة اسمها دو مارلي تنتج العطور بشعار الجياد وأسمائها تخليدًا لهواية

لويس الخامس عشر حيث كان يهوى الجياد أيضًا، ومن أشهر عطورها: عطر «بيقاسوس» وهو صَيْفِيٌّ حالِمٌ وبيقاسوس اسم جواد مشهور في القرن الثامن عشر، ومن عطورها أيضًا: عطر «غودلفين» وهو من أجمل عطور الجلود -هو وال c من كلايف كريستيان والتوسكان ليذر من توم فورد هذه ملوك عطور الجلود- وغودلفين جواد مشهور.

***

للعطور ثلاث درجات في الفوحان، وتقيَّم بأربعة أشياء، ولها خمسة أعداء، وستة تركيزات! للعطر افتتاحية وهي أول ما تَشَمُّه منه وتستمر ثلث ساعة تقريبًا، ثم القلب ويستمر نصف ساعة تقريبًا، ثم القاعدة وهي التي تستمر طويلًا بحسب ثبات العطر.

***

يُقيَّم العطر: بجمال رائحته وثباته وفوحانه وسعره.

أعداء العطر خمسة: الزمن ويفضل عدم استخدامه بعد ثلاث سنوات من أول استعمال، والهواء، والحرارة والضوء والرطوبة، لأن كل هذه تؤثر في التركيب الكيميائي للعطر، وأفضل مكان يحفظ فيه العطر هو المكان البارد المُظلم الجافّ.

***

تركيز العطر: خلاصة العطر والعطر وماء العطر أودي بارفيوم والمكثف انتنس وماء العطر أودي تواليت وأودي كلون، ولكلٍّ واحدة من هذه التركيزات طريقة في استخدام العطر.

***

الضـوء يؤثر علـى تركيب العطـر كيميائيًا، وقرأت فـي بعض كتب التراث ما معناه: ويحفظ الطيب في زجاجة مستورة! أي غير شفافة.

***

بعض المتزوجين يعتقد أن المرأة تفضل العطر الناعم على الرجل، المـرأة عمومًـا تفضـل علـى الرجـل العطـر الذكـوري أو عطـور اليونيسيكس.[1]

***

شـانيل صاحبة الماركة المشهورة هي غابرييل شانيل أو كوكو كما عُرفت بذلك، كان ابتداء شـهرتها بعطرها النسـائي الأسطوري نمبر 5 وهـو أقـدم وأشـهر عطر في تاريخ عطـور العصر الحاضـر، وقد ألفت إحـدى الباحثـات -نسـيت اسـمها- وهـي معنيـة بالتاريـخ الثقافـي والاجتماعي الفرنسي؛ ألفت كتابًا عن هذا العطر تحدثت فيه عنه وعن صناعة العطور والسيرة الذاتية لغابرييل شانيل.

***

حيلـة تقوم بها شـركات العطـور: تصنيع عدد محـدود من زجاجة العطـر الصغيـرة وعرضها بثمـن مرتفع، وجعل سـعر الزجاجة الكبيرة قريبًا من سعرها لتشتريها.

***

أنا من عشـاق العطور الغربية، الشرقية جميلة لكن يكثر فيها الغش فتسبب الحساسية، الماركات العالمية تحافظ على سمعتها.

***

---

(١) اليونيسيكس: أي التي تناسب كلا الجنسين.

كنت أستغرب من وضع علبة قهوة في محلات العطور، ثم علمت أن المشتري يَشَمُّها لتعود إليه حاسَّةُ الشَّمِّ بعد أن فقدها لكثرة العطور واختلاطها، العلم بحر.

***

لا أُحِبُّ دهن العود أبدًا، صَلَّيت في مسجد وتلقَّاني واحد معه دهن عود وطيَّبني وهو يبتسم، رحت وتروَّشْت وغيرت كل ثيابي.(١)

دهن العود لا يعصر كما يعتقد البعض، لكن يقطَّر، وهناك عطور صباحية ومسائية، وصيفية وشتوية، ورائحة العطر في المحل أجمل منها في البيت لأنك تشَم عدة عطور مشتركة فتظنها لهذا العطر. العطر «عالم وفكر» كما قال أحد كبار صناع العطور في غراس الفرنسية أشهر مدينة لصناعة العطور.

***

العطر الرخيص قد تكون رائحته جميلة، لكن مواده الكيميائية سيئة جدًّا تسبب الربو والحساسية.

***

أجمل العطور -والمسألة أذواق- ما كان في تركيبه زهرة اللافندر، واللافندر -لمن لا يعرف- هي زهرة الخزامى.

***

(١) أظن أن استحسان رائحة «دهن العود» هو تعوُّد لا فطرة، فارتباطه بالمناسبات السعيدة يجمّل رائحته بمرور الزمن، ولو شمه من لم يشمه من قبل فلن يستطيبه، ولذا ينفر الأطفال من رائحته عادة.

هـذه وصفة طيب مُلوكية سـأهديكم إياها وهي نتـاج خبرة طويلة: ضـع وردًا طائفيًّـا أصليًّا؛ ثم تبخر بعود طيّب، لن تشـم أفضل من هذه الرائحة.

***

كان لطه حسين مع الرافعي بعد وفاته -مع ما كان بينهما- موقف مشرِّف، حيث أرسل برقية عزاء لأسرته وتبنّى تعليم بعض بناته.

***

وكان ابـن المُرحّـل مـن ألدِّ أعـداء الإمـام العظيم ابـن تيمية وكان علامـة كبيـرًا حتـى قيل: إنه مـا كان يقف لابـن تيمية فـي المناظرة إلا ابن المرحّل. وقيل: لو وُضعت الكتب التي يحفظها ابن المرحّل فوق بعضهـا لتجـاوزت قامتَه! وكان ابـن تيمية يقول عنه: عالـمٌ غَلَبَهُ هواه. ولما توفِّي ابن المرحّل ذهب ابن تيمية إلى أهله وعزّاهم وقال لأبنائه: أنا والدكم بعده.. فأين هذه الأنفس اليوم؟!

***

أسـبوع شـيخ الإسـلام محمد بـن عبدالوهـاب رحمـه الله لم يكن احتفالًا دينيًّا؛ وأقيم مرة فهو لا يتكرَّر كلَّ عام؛ فهو كمثل المهرجانات التـي أقيمـت لكثير من العلمـاء للتعريف بهم ونشـر تراثهم كمهرجان ابن عسـاكر وابن خلدون والجبرتي؛ وغيرهم... فقياس هذا الأسـبوع على الاحتفال بمولد خير الخلق بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام؛ هو قياس مع الفرق المُؤثِّر ولا ينضبط.

***

ورد عن عطاء: إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له وقد سمعته قبل أن تلده أُمه.

***

مرّ بي ذكر قصيدة يتحدث فيها صاحبها عن حفّار قبور متزوج من قابلة «امرأة تولّد النساء»؛ يذهب كلّ واحد منهما إلى عمله في الصباح، ثم يلتقيان في المساء ويحدّث كلّ منهما الآخر؛ هذا عن الموت وهي عن الحياة.. فكرة رائعة لكني نسيت اسم شاعرها ولا أعرف القصيدة!

***

حين يفقد الإنسان الدهشة يفقد بهجة الحياة، عادة اللامبالاة هي سمة الأغبياء.

***

قال مارون عبّود: دخلت الجامعة وأنا جاهلٌ بلا شهادة، وتخرّجت فيها وأنا جاهلٌ بشهادة!

***

قال جمال عبد الناصر عن ميشيل عفلق: أهو طول الوقت بيقول يعني يعني، وهوّ ما بيعنيش حاجة! وكان عفلق ضعيفًا جدًّا في بيانه.

***

هناك موضوع تكلمت عنه أكثر من مرة وما زال يشغلني ويؤذيني؛ وهو ظاهرة «الشفاحة» وكثرة الأسئلة عن أمورك الخاصة عندما تقابل بعض الناس، أحدهم أعرفه معرفة خفيفة قابلني في مكان عام وسألني

سبعمئة وخمسة وتسعين سؤالًا في الدقيقة! وأقولها صراحة وليس من باب المزح، لم أجد في المعجم اللغوي لفظة تطلق على هذا السلوك الذي نسميه «الشفاحة أو اللقافة» فليت أحدًا يفيدنا؟ الفضول والتطفل لا تصيبان معنى «الشفاحة واللقافة» إصابة دقيقة!

***

في كتاب جَبرا إبراهيم جَبرا «شارع الأميرات»، مقالة طريفة عن أجاثا كريستي حيث قابلها في العراق وكان يظنها امرأة عامية.

***

أكثرتُ من قراءة النصائح الطبية فصحّ جسمي ومرضت نفسي، أعتقد أن السمنة خير من الوسوسة، والاعتدال مطلوب في الأكل وفي قراءة النصائح الطبية أيضًا!

***

لو أطعنا الأطباء لما أكلنا، أو أطعنا النحاة لما تحدّثنا، أو أطعنا خبراء الطقس للزمنا البيوت.. خذ من هؤلاء المفيد القريب واترك تفصيلاتهم.

***

هذه لفارس الخوري في تفضيل ماري عجمي على ميّ زيادة:

يا رجال الأريحية اسمعوا هذي الشهاده
إن ماري العجمية هي ميٌّ وزياده!

***

أصبح تراثُ ابنِ تيميّة في الفِرَق الحاقدة الكارهة الغالية؛ محرجًا لخصومه وهم يرون دلائل صدقه تتحقق في واقعهم المشهود بالصوت والصورة.

راهنت السلفية على ابن تيمية والتاريخ في شأن الفرق الغالية، وراهن بعض مثقفينا على صباحات القهوة بنكهة فيروز؛ فربحنا الحقيقة وفسد مذاق القهوة!

***

اعلم أيها الكاتب أن الغسق والنسق والمنبثق لا تجعل منك مثقفًا، إن لم تكن واسع الاطلاع عميق الفكر فلن ترتدي من ألفاظك إلا أسمالًا تثير الشفقة.

النسق الدوغمائي يحتاج إلى طعام بورجوازي في هالبرد!

درجت الإسلاموية الصلبة على تناول الحنيني في الشبط، هذه دوغمائية لا دحضية تتعامى عن حراك المطبخ المختلف وما ينتجه من مشترك القبابيط الإنساني!

***

تنتابني أحاسيسُ متباينة بعضها غريبٌ على روحي؛ حين أراجع سنواتِ حياتي وما أنفقته من وقتٍ وجهدٍ ومالٍ على مغامرات الروح والشغف المعرفيّ، وما يمكن أن أكونه ماديًا واجتماعيًا لو لم أبالغ في هذا الاستغراق الثقافي، هكذا يضعف الإنسان حين تشفّ نفسه وهي تقف على قسوة الحياة ومطالبها العملية بعيدًا عن الخيال الجامح وصنع الذات والمجد الأدبيّ، وقديمًا قيل: «وبأحسنتَ لا يباع الدقيقُ».

***

يقول ماركس: -وهو صاحب كتاب رأس المال- الاستثمار الحقيقيّ إنما هو في الإنسان. وهناك تقصيرٌ ظاهر في استثمار الإنسان في مجتمعاتنا ولا سيما في المؤسسات البحثية والثقافية، نعم؛ قد تكون فرص الموهوب اليوم أكثر ثراءً بسبب مواقع التواصل الاجتماعي والانفتاح الإعلامي، ولكن لا غنىً له عن رعاية هذه المؤسسات الثقافية والبحثية تعريفًا ورعايةً وتوجيهًا وتشجيعًا ونشرًا..

***

كان نجيب الريحاني يقول: لو كان لسوء الحظّ تمثالٌ لكان أنا! وهو أحد قلائل الممثلين الذين ترجم لهم الزركلي في «الأعلام».

عزم نجيب الريحاني على إعلان إسلامه آخر حياته وراجع أحد المشايخ في هذا، ثم تردّد فلم يسلم.

لنجيب الريحاني مذكرات شخصية قليلة الفائدة والقيمة، ولزوجته بديعة مصابني مذكرات شخصية رائعة العمق والمحتوى، وقد ذكرت عن الريحاني ما لا يسرّه.

ولد نجيب الريحاني سنة ١٨٨٩، وقد كنت أتعجب من تردد هذه السنة في ولادة كثير من مشاهير العرب والغرب: طه حسين والعقاد والمازني وميخائيل نعيمة وهتلر وشارلي شابلن كلهم ولدوا في هذه السنة وغيرهم كثير من الأعلام، ثم وجدت كتابًا طريفًا لأنيس منصور عن هذه السنة ففرحت به، وهو اتفاق عجيب.

سنة ١٩٢٣ قد ولد فيها كثير من الأعلام أيضًا.

***

وُلـدت سـنة ١٩٦٨، حاولت جاهدًا فلم أجـد فيها أي تميّز! كانت مرحلةً باهتةً بعد النكسة.

***

مـن أجمـلِ الكلمات التـي قرأتُها في قَبـول العذر؛ قـولُ ابنِ حزم: ذنبك مغفورٌ لو كان، فكيف ولا ذنب!

***

سُـلْطة المجتمع الثقافيّ لا تقلّ عن أي سُلْطة مؤثرةٍ أخرى، أودّ أن أقول: إن عبدالرحمن منيف روائي دون الوسط؛ إلا أني أخشى سلطة هذا المجتمع الثقافي!

أيهـا الرِّفـاق: احـذروا الجَـوادَّ الثقافيـة، مَزِّقُـوا الصُّـورةَ اليــابسةَ للمثقف النَّمَـطِيِّ.. لا تحرموا أنفسَكم من بهجة الإصابة بالدهشة.

نَقْـدُ السُّـلْطَة الثقافية هو المسـكوت عنه في ثقافتنـا، هذا الكَهَنُوت الثقافـي له مُقَدَّسـاته ورموزه التي لا يَسـمح لأحدٍ بالاقتـراب منها إلا جاثيًا على قدميه.

أعـلام السُّـلْطة الثقافيـة سـتخرجك مـن دائرتهـا وتجلدك بسـياط التخلُّف والجهل؛ إن أنت تجرأتَ بوجهة نظرٍ تخالف سائدَها الثقافي.

***

أكثر من يسـخر من مقولة: «لحوم العلماء مَسْمُومة» هـم المثقفون، مع أنهم يطبّقونها عمليًا على رموزهم الثقافية!

***

النِّضال والمنفى والمُعتقل والكاريزما والنِّهايات الحزينة... كل أولئك ليس مؤثِّرًا عندي في تقييم القيمة الفنية.

***

المُثقف من قرأ كثيرًا من الكتب الجادَّة.

***

لو كان «البقاء للأقوى» لما انقرضت الديناصورات، لا بدَّ أن في العبارة خللًا فكريًّا، لعلّ صحة العبارة: البقاء للأصلح أو الأقدر على التكيّف.

كان أحد ظرفاء الأدباء قليلَ شعر الرأس وكان يقول: البقاءُ للأصلع!

***

ضيفٌ في حوار فضائي يقول: لا يعنيني كلام الناس ولا يؤثر فيّ ولا أهتم به، ثم التقطته الكاميرا وهو يعدِّل شماغه، مغالطة الطبيعة الإنسانيةِ ضعفٌ آخر.

***

قال ابن قتيبة: وكذلك اللحن إن مرَّ بك في حديثٍ من النوادر فلا يذهبنَّ عليك أنّا تعمَّدناه.. لأن الإعراب ربما سلب بعضَ الحديث حُسْنَه!

***

كتاب «ذكريات المدرسة» للإيطالي جوفاني موسكا؛ من ألذّ وأمتع الكتب التي قرأتها، أسلوب رائع في بساطته وبراءته.

***

العلامة العراقي الكبير مصطفى جواد هو أوّل من استخدم هذا التركيب في التصحيح اللغويّ: «قل ولا تقل».. كان يذيعه في برنامج مشهور في وقته وطبعت هذه التصحيحات اللغوية في كتاب بهذا العنوان: «قل ولا تقل»، وشاعت هذه الكلمة..

ويقع في خاطري أن هذا التركيب غير صحيح تعليميًّا وأنّ الأَولى: «لا تقل وقل»؛ بمعنى أن يُنهى عن الخطأ ثم يُذكر التصحيح ليرسخ في الذهن المذكورُ الأخير وليس العكس، وقد وجدت في القرآن الكريم ما يؤيِّد هذا، حيث قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا ﴾، فهي هنا «لا تقل وقل»، وليست «قل ولا تقل».

***

في ظلمة الفجر العاشقة، في المَمرِّ العابر بين الموت والحياة، على مرأى من النجوم الساهرة، على مسمع من الأناشيد البهيجة الغامضة..

النصُّ الإبداعيُّ السابق من مقدمة رواية نجيب محفوظ «الحرافيش» .. من يعرف معنى قوله: «في الممرِّ العابر بين الموت والحياة»؟

هذه الافتتاحية من أشهر افتتاحيات روايات نجيب محفوظ، هو يصف طريقًا يفصل بين المقبرة والحارة: «في الممرّ العابر بين الموت والحياة»!

***

في رائعة نزار:

والمطرُ الأسودُ في عيني ... يتساقط زخاتٍ زخات

«والمطر الأسود»، هو يصف دموعًا اختلطت بالكحل: «المطر الأسود».. هذه صورة جميلة لن تنتبه لها هكذا سريعًا.

***

يقول الفيتوري: «ورَجْلٌ بلا عُنُق».. هو يصف رجلًا ذليلًا: «ورَجْل بلا عُنُق».. من أكثر الصور إبداعًا في وصف الذليل.

قراءة النصوص الإبداعية تحتاج إلى تأمل في الصور والتراكيب حتى يتمثّلها القارئ حين يكتب.. الموهبة لا تكفي وحدها لا بدّ من شحذها.

***

أنكد الناس عيشًا؛ غنيٌّ يعيش فقيرًا، وفقيرٌ يعيش بقناعات غنيّ.

***

ندم توماس هوبز على كتاب ألفه فقال: اقترفتُ كغيري من الشباب خطيئة الذهاب إلى المطبعة باكرًا.. أتذكر خطيئة هوبز كثيرًا حين أتجول في معارض الكتب.

***

مع نفوري مما يؤلفه بعض الشباب من هذه الشذرات والروايات؛ إلا أني لا أحب هذه الهجمات الحاطمة عليهم، فما زال ابن أبي ربيعة يهذي بالشِّعر حتى قاله!

***

قرأتُ تغريدةً يقول فيها صاحبها: تويتر ثاني أسوأ مكان بعد الواقع.. وليته قال: أصبح العالم الافتراضي ثاني أسوأ مكان بعد الواقع.

***

صدر ديوان الشاعر النَّبَطي الكبير بندر بن سرور رحمه الله.

***

في الشعر النَّبَطي صورٌ شعرية قد تفوق الشعرَ الفصيح، كقول ابن لعبون:

ضِحْكتي يوم انا طفلٍ رضيع ما سِوَتْ عبرتي عند الوداع

وهو أبلغ من قول أبي العلاء المعرّي:

إنّ حزنًا في ساعة الموتِ أضعا فُ سرورٍ في ساعة الميلادِ

***

هذه دعوة لأهل الاختصاص: دعوةٌ إلى دراسة نقدية مقارنة بين الصورة الشعرية في الشعر الفصيح والشعر النَّبَطي فيما يتشابه من المعاني.. ستكون دراسة ممتعة.[1]

***

يكبَر الأستاذ الجامعيّ وتكبَر معه خَصلتان: حُبّ اللجان وحضورُ المؤتمرات! أتيحوا الفرصة لغيركم من ناشئة المثقفين والمحاضرين والمعيدين.

***

ثارت قضية أدبية؛ هل تأثر السيّاب في قوله: أصيح بالخليج: يا خليج.. ياواهب اللؤلؤ والمحار والرَّدى.. فيرجع الصَّدى.. كأنه

---

(١) للأديب عبد الله ابن خميس كتاب اسمه: «رموز من الشعر الشعبي تنبع من أصلها الفصيح»، ربما أفاد في هذا الباب.

النشـيج: يا خليج: يا واهب المحار والرَّدى! هل تأثر بقول ابن لعبون -وهو قد سكن العراق-:

أسأل الصَّدى يا للعجب هل لهم تالي   قـال الصَّدى يا للعجب هل لهم تالي

***

كتـاب «فنّ الإلقاء» للفنان عبدالوارث عَسَـر رحمه الله.. ولله ذلك الزمـان؛ فنانوه أعمق ثقافة من بعـض مثقفينا! وكتاب «فنّ الإلقاء» هو أوّل كتـاب ألف في المكتبة العربية في هـذا الموضوع، أكثركم يعرف صورة مؤلفه لكن ما يعرف اسمه!

***

الأدب صنعةُ مقتدر وخيالُ موهوب.. أتذكر أن الشاعر الشعبي سويلم العلي قال قصيدة رائعة في الغوصِ وأهوالِه وهو لم يفارق الصحراء.

حيـن أقلِّـب زهـرة بريئة فـي حديقتي صدقتْهـا أنداءُ الفَجْـرِ؛ أتذكَّر قسوةَ شوكِ الصحراء حين خانه السراب..

ما قد قلّبت زهرة ولا عندي حديقة، أكثر الأدب صنعة!

***

من جميل ما قرأت:

عُيـونٌ عن السِّـحرِ المبيـن تُبينُ   لها عند تحريكِ الجُفون سكونُ
إذا أبصرتْ قلبًا خليًّا من الهوى   تقـولُ لـه كـن مُغرمًـا.. فيكونُ!

***

«النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية» لابن شدَّاد، من أوفى ما كتب عن صلاح الدين الأيوبي وكان ابن شدَّاد ملازمًا له.

***

كتابُ صالح في سيرة والده الإمام أحمد ابن حنبل رحمهما الله.. لا أدري لمَ هو غير مشهور عند طلبة العلم؟

***

أنكرتُ بَعْـدَكَ مِمّن كنتُ أعرفه ... ما الناسُ بَعْدَكَ يامرداسُ بالناسِ!

عمران بن حِطّان

***

كان العلامة محمود شاكر -مع ما عرف عنه من شدّة- رقيقَ القلب طاهرَ السريرة.. هنا شيءٌ من الدموع عن هذا الكبير:

زرتُ العلامة محمود شاكر آخرَ أيامه في المستشفى فكانت تلك الزيارة من سوانح الأيام، وأكرمتني زوجه الفاضلة أمّ فهر رحمهما الله تعالى بحُسْن استقبالها. وكنت أدرتُ في نفسي كلامًا لأقوله له ومنه: جئتُ يا أستاذ وبي شوقان؛ شوق لرؤية الهرم وآخر لرؤيتكم.. وما إلى ذلك من هذه المعاني، فهذا محمود شاكر الذي كان تاريخًا يكتبه التاريخ، ومعنىً يأخذ أوّله بآخره فلا ترى فيه إلا صورةً من نفس أبيّة أكرمت العلم فأكرمها العلم.

كان -كما قال الطناحيّ-: حنانًا يأوي إليه كلُّ تلميذ.. ولكن -وما أوجع هذه اللاكن- رأيته أسدًا جريحًا يتأوه من الألم، وأحزنني مرآه وما كنتُ أحبّ أن أراه هكذا، وكان لمحمود شاكر رائعة عن المتنبي

عنوانهـا: «المتنبـي ليتني ما عرفته»؛ فأسـررتُ كُليماتي ودموعي، كان حالي كبعض حال من كتب عنه وهو رأى مثل ما رأيت: محمود شاكر ليتنـي مـا رأيتك! رحمك الله وغفر لمن بلغتَ من نفسـه ما قال به وقد غـلا فيـك وهـو مُحِـقٌّ: كان شـيخنا محمـود شـاكر كالبحـار والجبال والأعاصير؛ كان محمود شاكر من مظاهر الطبيعة!

***

سُـئل أحـد ممثلـي هوليود عـن أحرج موقـف له فقـال: ركبت مع سائق تاكسي فعرفني فقلت له: إذن قد عرفتني، فقال: نعم أرأيتَ شدّة اهتمامي بتوافه الأشياء!

***

سـافر المقـرئ الكبيـر الشـيخ المتولّي مـن القاهرة ليقـرأ في طنطا فأخطأ، فلما انتهى قال له قارئ: يا ليت تقرأ على المتولي فقال: ما أنا الزفت المتولي!

لما توفي شيخ القراء المتولي باع نسيبه كتبَه إلى بائع ترمس.

***

قرأت في مذكرات شارلي شابلن؛ استغرابه من شدّة احتفاء الناس به في الأماكن العامة وكان يقول: كلّ هذا لأجل مُمَثِّل!

***

كان علـي الـوردي يسـخر ممن يقـول: نأخذ مـن الحضـارة النافع فقط؛ يقول: صناع هذه الحضارة لم يستطيعوا ذلك!

***

يقول تشومسكي: «أنا لا أعطي نصائح لأطفالي أبدًا، ولو فعلت فلن يلقوا لها بالًا، عليك أن تجد جوابك بنفسك»[1].

***

الكاتب الموهوب هو الذي يلتقط أشياء الحياة الصغيرة ويحوّلها إلى عمل خالد، مشيت في «زُقاق المَدَقّ» الذي خلّده نجيب محفوظ بروايته؛ فوجدته زقاقًا مهملًا طوله عدة أمتار..

ومن أشهر الروايات العالمية «المعطف» لغوغول، قيل: إن الأدب الروسي خرج من معطف غوغول.. إشارة إلى شدة تأثير هذه الرواية على الأدب الروسي، وهذه الرواية الصغيرة في حجمها من روائع الأدب الواقعي، وقصتها تدور على فقير اهترأ معطفه فأراد أن يفصّل معطفًا جديدًا ... هذا الشيءُ الصغير حوّلته عبقرية غوغول إلى رائعة إنسانية.. وقد أبدع غوغول بحسه الفني وملاحظته الدقيقة فالتقط اللازمة التي تكثر في الكلام لتصوير شخصيته؛ تكرار كلمة «يعني»، وقطع الكلام.. أشياء لا يأبه لها الناس كثيرًا، لكن الفنان الموهوب يحسن توظيفها، الخيال الموهوب هو الذي يلتقط المهمل والمهمّش والعادي في حياة الناس فيصنع منه عملًا إبداعيًا غير عاديّ.

***

لباتريك زوسكيند رواية «الحمامة» أيضًا، أدار الرواية على حدث عادي بعبقرية فذّة.

***

---

(١) ربما يكون هذا في الأمور «الحياتية»، حيث يتعلم الطفل من أخطائه.

كان عندنـا مُـدِّرسٌ سـمينٌ فـي الابتدائي يضع يـدي الطالب تحت قوائم الكرسي ويجلس على الكرسي!

***

عـن الأخطـاء المطبعيـة وقصور الإنسـان.. حيـن اتَّصلتْ أسـبابي بأسـباب والـدي وشـيخي العلامـة حمـد الجاسـر -رحمه الله- طلب إليّ -أحسـن الله إليـه- تعليمًـا وتشـجيعًا؛ مراجعـة نشـرته لكتـاب «الأماكن» للحازمي حتى يستدرك ما وقع فيها من «تطبيعات = أخطاء مطبعيـة» فـي نشـرة جديـدة، وكان هـذا أوّل معرفتي بمراجعـة الكتب وتصحيحها..

ثم تخرّجت عدّة سـنوات بهذا الفنِّ الشـاقِّ العسير؛ أعني مراجعة تجـارِب الطباعة «البروفات» تصحيحًا وتحريـرًا، وراجعت عدة كتب لشيخي العلامة بكر أبو زيد رحمه الله، وشيخي العلامة أبي عبدالرحمن ابـن عقيـل الظاهري أمـدّ الله في عمره على الخيـر، ثم عملت في أحد المراكـز العلميـة سـنواتٍ محـرِّرًا ومصحِّحًـا وراجعـت فيه عشـرات الكتب بعضها في مجلّدات..

وهذه الحرفة أعني حرفة مراجعة تجارب الطبع وتحريرها -مع ما فيهـا مـن فائدة علميَّة غزيرة- من أسـوأ وأنكد وأشـقِّ الحرف، إذ فيها كما قال الشِّدياق: ضياع العمر والبصر معًا..

وحين علم بعض أحبابنا من المؤلفين والباحثين وطلبة الدراسات العليـا بموهبة الشُّـؤم والنكد هـذه؛ انهالت عليّ طلباتهـم، وكنت امرأً ضعيفًـا مُجامِـلًا فكلَّفتني هذه النقيصة أيامًا هي مـن أجمل أيام حياتي ذهبـت سُـدىً فـي مراجعة كتـب لمن يسـتحقُّ ومن لا يسـتحقُّ، ولقد

طلبت يومًا من بعض من راجعت له كتابًا -بالمجّان- نسخة من الكتاب بعد الطبع فقال لي: إن أردته فابتعه من المكتبة! وآخر؛ أرهقت نفسي في مراجعة كتاب له فلما صدر الكتاب أهداني نسخة منه وباعني النسخة الأخرى بلا حياء! ثم حزمت أمري وحلفت بالله ألا أراجع كتابًا لأحد ما حييت إلا ما يوجبه عملي أو نحو ذلك فارتحت كثيرًا.

***

حين عزمت على إصدار كتابي «ميراث الصمت والملكوت»؛ وقع في خاطري أنه لا يليق بي وقد راجعت ما راجعت ولمن راجعت؛ لا يليق بكتابي أن أصدره مشوَّهًا قد امتلأ بأخطاء الطبع، فحشدت جهودي واستنفرت قواي وراجعت تجاربه -دونما مبالغة- أزيد من عشرين مرّة، ثم دفعته قريرَ العين إلى المطبعة وصدر الكتاب وقرأته مرّةً وثلاثًا وسبعًا فلم أقع فيه على خطأ مطبعي، ثم مضت أشهر على صدوره.. وبينما كنت أتكلم مع بعض طلبة العلم وهو قد زارني في مكتبتي؛ أخذ الكتاب بكل عفويّة وقال لي: هنا خطأ مطبعي يبدو أنك لم تتنبه له وأرانيه فإذا هو كفَلَق الصُّبْح!! فقلت له في ثقة أو تواثق هازًّا رأسي ساعة ومطرقًا ساعة: نعم لا يخلو كتاب من مثل هذا وصَرَفت الحديث إلى موضوع آخر، وكنت على أحرّ من الجمر أتعجّل انصرافه، فلما غادر حدّقت إلى هذا الخطأ المطبعي الغادر ثم رجعت إلى أصول الطبع فوجدته هناك، فتعجّبت من ضعف الإنسان وقصوره وما يمنُّ به الله على عباده من مثل هذا؛ كسرًا لغرورهم، وقيامًا بالحجّة عليهم لإشهادهم على حقيقة أنفسهم ضعفًا وعجزًا وغفلةً.. والله المستعان.

***

قيل: المتصفِّح للكتاب أبصرُ بمواضع الخلل فيه من مُنشئه.

***

قاطعتُ ابني الصغير وعمره ثماني سنوات فلم أكلِّمه مدة يوم تأديبًا له لكلمة تلفّظ بها، ثم رحمته فقلت له: أكلّمك ولا تعود إليها، فقال: لا!

كانت الأجيال السابقة يربيها آباؤها، وفي هذا الجيل الغريب أصبح الأبناء هم مَن يربّي الآباء، تخشى من أن تردّ له طلبًا وتحاذر أن يغضب عليك!

***

كتاب «معجم المعاجم» لأحمد الشرقاوي إقبال لا يستغني عنه طالب علم، فيه تعريف بنحو ألف وثلاثمئة معجم، صدر عن دار الغرب، الطبعة الثانية ١٩٩٣.

***

للأستاذ عبدالجبار عبدالرحمن كتاب نافع عنوانه: «كشاف الدوريات العربية»، فَهرسَ فيه لنحو ٢٥٠ دورية على امتداد مئة سنة، صدر في ٤ أجزاء ١٩٨٩.

***

تأثرت في الكتابة بأسلوب المازني وشيخنا أبي عبد الرحمن ابن عقيل، وهو مزج الذاتي بالمعنى العامّ، وأراه أسلوبًا جذّابًا يغري بالقراءة ويكسر جمود الكلمات، وهو أسلوب خطِر يحتاج إلى خبرة وتصالح مع القارئ حتى يتجاوب روحيًّا مع الكاتب فلا ينفر منه،

ومزج الذاتي بالمعنى العامّ يراد به وَصْل حديث النفس ومعاناتها وتجاربها الشخصية بالموضوع المطروق.

***

إذا رأيت مبتلىً بذنب فلا تشمت به فما حال بينك وبين ذنبه إلا فضل الله عليك ورحمته بك، وكم مسجونٍ بجُرْمٍ ما أنجاك من عقوبته إلا سابغ ستر الله عليك.

***

أرثي لحال كلِّ مُتمشيخٍ تنويريٍّ يحاول أن يداعب سُلْطة بعض الجماهير المثقّفة؛ من قوله: «عفوًا» بعد أن يكحّ! إلى إظهار نوازع التمرُّد على السائد الدينيّ، يرفض أن يسير -زاعمًا- في قافلة القطيع، ثم هو يرضى بأن يكون مطيّة لغيره.

***

بعض المتديّنين يريد منك أن تطابقه حتى في مشيتك وقسمات وجهك، فلا يحتمل أن تتجاوز دائرته وقناعاته وإلا كانت المفاصلة والقطيعة؛ وكذلك بعض من يزعم الثقافة والتنوير، ففي كلِّ وادٍ بنو سعد..

وكنتُ أحتمل بعض من أتابع ممّن يباينني مباينة شديدة في المنهج، ولا أذكر أني سفّهته أو نلت منه، ولما كتبت شيئًا يسيرًا مما لا يرضاه سفّه ورتوت وقفز وتدحرج.. على رسلك يا ابن أخي! أين دعوى احترام الآخر وقَبول الاختلاف ودعم التعددية الثقافية.. وما إلى كلّ هذه المبادئ البلاستيكية التي ألقيتَها في أول حاوية نفايات حين استُثرتَ برأي لا توافقه؟ سبحانك اللهمَّ!

***

أنا سلفيٌّ لا يقبل المساس بشعائر الدين، ومثقّف قارئ لن يتخلى عن الحوار والوعي.. إن شقَّ عليك الجمعُ بين هذين المعنيين فهذه مشكلتك لا مشكلتي.

***

يا فتّاح يا عليم.. كان عمر المختار يقول: قال لي والدي: يابنيّ؛ الضربات التي لا تقصم الظهر تقوّيه!

***

موضوع مقترح: «مأساةُ المثقّف السَّلَفيّ بين سُلْطَتين - جمعًا ودراسة»!

***

لم يعرف كولن ويلسون أبا حيان التوحيديّ ولا تراثه، التوحيديُّ هو الأديب «اللامنتمي» في ثقافتنا العربية.

***

لم يكن كاهن الناصرية محمد حسنين هيكل شاهدًا على التاريخ؛ وإنما كان من صُنَّاع هذا التاريخ، هل كان صانعًا جيدًا أم رديئًا؟ هذا ما سيكتبه التاريخ.

***

رأيتُ بعضَ القرّاء لا يفرّق بين الأديب السياسيّ د. محمد حسين هيكل ت ١٩٥٦، والسياسيّ الصحفيّ محمد حسنين هيكل ت ٢٠١٦.

تخرّج محمد حسنين هيكل -ومثله علي أمين ومصطفى أمين-

بمدرسة محمد التابعي ت ١٩٧٦، مؤسس مجلة آخر ساعة والملقب بأمير الصحافة.

على ذكر مجلة «آخر ساعة» قضيتُ سنواتٍ في بداية القراءة أقرأ عنوانها: «أخهاعه» بسبب كتابته وكنت أحتار في تفسير الاسم!

***

كان الأستاذ محمد جلال كشك من أكبر ناقدي هيكل، تناوله في أكثر من كتاب..

***

قد تختلف معي في أن محمد حسنين هيكل لم يكن يكذب، لكني أستبعد أن تختلف معي في أنه لم يكن يذكر الحقيقة كاملة.

من أجمل كتب محمد حسنين هيكل، ذكرياته عن بعض من لقيه من الأعلام: أينشتاين، نهرو، خوان كارلوس، مونتغمري.

ذكر محمد حسنين هيكل في لقائه مع أنديرا غاندي؛ أن أكثر كلامها معه كان عن زوجة ابنها وما تلاقيه منها.. المرأة هي المرأة!

المعذرة: أنا شككت الآن، هل هو هيكل أم د. غازي من ذكر ذلك عنها، في ذهني أنه هيكل وقرأت «الوزير المرافق» فهل ذكراه جميعًا؟ ما عدت أذكر.

أحسستُ من قراءة كتب هيكل أنه كان يغار غيرةً شديدةً من هنري كيسنجر -ولدا في السنة نفسها ١٩٢٣- هل كان يطمح إلى شهرته السياسية؟

***

تحية وشكر لكلّ هذه الأنفس الجميلة التي سألت، وساءها هذا الفراق الافتراضيّ، ورغبت إليّ بالمحبة في الرجوع، وألحفت عليّ في ذلك بحق الودّ..

وكنت -لهْفَ نفسي عليّ- أتكتّم الدمعة أردّها بيدي فترجع تفيض من عيني على قلبي، وأغالب الشوقَ فيعود الشوقُ أغلب.. ولا أظنّ أحدًا يرزق في هذه الدنيا -بعد عفو الله وعافيته- بأحسن من قبولٍ يجده في أنفسٍ رائعةٍ ما فتئتْ تردّ إليك إيمانَك بالناس والحياة؛ حين تدير علائقها معك على مثل هذه المعاني النبيلة والمشاعرِ الفُضْلى التي تعالت عن علائق المادة والأثَرة..

وكنت امرأً شديدَ حساسية النفس توجعني الكلمة النابية والنظرة الجارحة فتمرضني أيامًا والله.. وما زلت من هذه الصفة في جَهْدٍ جاهدٍ وعناءٍ مُمِضٍّ، هذا مع علمي بأنّ بعضَ أنفسِ هذا الناس لم تفصّل على مقياس نفسي؛ وأنه ما بُدٌّ من تحمّل ذلك شئتُ هذا أم أبيت.. وبعد أن هدأت نفسي قرّرت الرجوع وإنْ بمعنىً آخر، ولا أخفي عليكم أنّ أكثر ما كان يمنعني الرجوعَ إلى تويتر هذا الخاطرُ المؤذي: وهو أن أوصف بالتردّد والمزاجية وتقلّب الآراء -كنت قرأت قصة قصيرة أظنها للأديب الفرنسي جي دو موباسان عنوانها «المتردّد»، أبدع فيها ما شاء في تصويرِ ساخرِ النَّفاذ لشخصية «المتردّد» رأيت فيها للأسف مَشابه مِنّي!

أقول: خشيتُ هذا الوصف فاستشرتُ بعضَ أصفيائي من ذوي العقل؛ فاستحسن مني الرجوع لأنه ليس ثمة عيبٌ في أن تُغيّر الآراءُ حين تكون إلى الأفضل «إنما العيب في تغيّر المبادئ».. ولا سيما وأنّ الصفحاتِ الثقافية تكاد أن تَدْثُر في هذا الزحف التويتري الجارف،

على ألا ألتفت إلى ما يكتب ممّا يؤذي ما استطعت، وألا أردّ إلا على ما تدعو إليه الحاجة من فائدة محقّقة أو تعليق كاشف ونحو من ذلك في أضيق الحدود.. وهذا هو الرأي بإذن الله على عهدٍ على السير -في هذه الصفحة كما كانت- سيرة ثقافية تحقق الفائدة والذائقة الجمالية، ثم لا تنحدر إلى هُجْرٍ من مرذول القول أو هجينٍ من ساقط الرأي، والله يتولانا وإياكم بفيض مَنّه ووارف رحمته، ثمّ عائدًا بأوفى معاني الامتنان لله سبحانه ثم لكم بما طوّقتموني به من هذه المحبة..

الصّبُّ تفضَحُه عُيونُه وتنِمُّ عن وَجْدٍ شؤونُه
إنّا تكتّمْنا الهوى والدّاءُ أقتله دَفينُه

***

كنت سأسأل علماء الاقتصاد، علماء الأخلاق: إن كانوا يعرفون عدد الأفراد الذين يجب عليهم البؤس والجهل والفقر لينتجوا غنيًّا واحدًا؟ مفكرة ساراماغو.

***

رأيتُ بعض الناس يركز كثيرًا على معالجة عيوبه؛ ولا يتنبه لاستثمار مكامن القوة والقدرة عنده.

***

كتب شيخنا العلامة حمد الجاسر في «سوانحه» صفحات جميلة عن الإخوان في عهد الملك عبدالعزيز، وكان شيخنا إمامًا لهم في بعض الهِجَر في شبابه الباكر.

***

قال العقاد: التاريخ عِرْضُ الأمّة.

***

كلّ أمنيتي ألا أذيب شخصيتي في مستنقعات الآخرين، وأن أظلّ منسجمًا مع ذاتي، وأن أبقى ساذجًا لا تكلف ولا تعقيد في حياتي.. مارون عَبُّود.

***

«ثلاثون عامًا في صراع مع الجريمة».. من تأليف اللواء طلعت نجيب أحمد، من الكتب الماتعة الحافلة بالغرابة والعِبْرة.. صدر عن دار النهضة العربية.

***

كتاب «أبونا قنواتي».. عن جورج شحاته قنواتي، من إخراج سمير أبوداود وهو من أهدانيه، نادر وفي آخره كلام عزيز عن الفيلسوف يوسف كرم.

***

كتاب «دراسات نقدية» للمثقف المذهل والناقد الدكتور ماهر شفيق فريد.. فيه بحث عنوانه «عباس محمود العقاد-إعادة تقييم» من أنفس ما طالعت عنه.

***

«المرجع في علم النفس السياسي» كتاب مهم في جزأين من تحرير نخبة من الباحثين.. صدر مترجمًا عن المركز القومي للترجمة ٢٠١٠.

***

أمسى لزامًا علي أن أصطلح مع الليل، إذ لم يكن جَمال النهار أكثر من ذكرى .كامو.

***

كتاب «بنية الثورات العلمية» لتوماس كون؛ لا يستغني طالب علم ولا مثقف عن قراءته، صدر عن المنظمة العربية بترجمة حيدر إسماعيل ٢٠٠٧.

***

ذكر السُّيوطي عن الجهر بالنية: أن أحد العلماء كان والده إذا أراد ضربه قال: نويت ضرب ابني هذا تأديبًا له، يقول: فإذا أتم كلامه أكون قد هربت!

***

«الحداثة السائلة».. هذا الكتاب من أهم الكتب التي تأثر بها د. عبدالوهاب المسيري في أطروحاته، بل لصاحب هذا الكتاب -مع غيره من كتبه- سبقٌ محيِّر لكثير من المصطلحات التي تنسبها ثقافتنا العربية إلى د. عبدالوهاب المسيري، كالنماذج والدولة الوظيفية والسيولة.

حين تقرأ لزيجمونت باومان -تُرجم له أربعة كتب أو خمسة- سترى بعدًا آخر لأصالة أطروحات المسيري، وستقف على مفكر ستندم على أنك تأخرت في معرفة كتبه.. هو كاتب يهودي من أصل بولندي معادٍ للصهيونية، معمّر ما زال يعيش بيننا[1]، وزوجته كاتبة كذلك.

***

(١) تُوفي عام ٢٠١٧م.

لم نعد من آكلي لحوم البشر لكننا نبتلع الأجانب ثقافيًا.. علينا أن نتعلم أكثر الفنون صعوبة وهو أن نعيش مختلفين.. زيجمونت باومان.

***

زيجمونت باومان واحد من أكبر علماء الاجتماع الأحياء، تأخرت ثقافتنا كثيرًا في معرفته والتعريف به.

***

لا تقرأوا الأعراضَ الجانبية للأدوية.. فقد ذكر الكاتب لويس ولبرت: أنه تناول علاجًا للاكتئاب وتطفّل فقرأ أعراضَه الجانبية فأصيب بها كلّها!

لم أرَ الإنسان أشدّ ضعفًا وأكثر تهيُّؤًا لقبول الأوهام منه في حال مرضه، والمريض كما قال ابن تيمية: يؤذيه ما لا يؤذي الصحيح وإن كان المؤثر واحدًا.

***

السعادة ليست في مكان آخر، ستكون حزينًا في كل مكان تذهب إليه لأن السعادة ستذهب معك إلى المكان الآخر، السعادة في طمأنينة نفسك وقناعاتك حيث كنت.

***

زوجة سقراط وزوجة تولستوي.. هاتان المرأتان قد اتُخِذتا مثالين سيئين على مناكدة أزواجهنّ من الأعلام والتنغيص عليهم، حتى قال بعض الساخرين: إن سقراط إنما شرب السمّ ليهرب من زوجته!

وقد هرب تولستوي من زوجته آخرَ حياته ومات في إحدى

محطات القطار.. وقد رأيت في قراءاتي سيرَ زوجاتٍ رائعاتٍ كان لهنّ فضلٌ كبيرٌ على أزواجهنّ من الأعلام حنانًا وتفهمًا ومشاركةً وجدانية، وأثرٌ ظاهرٌ على أزواجهنّ وما بلغوه في حياتهم..

ذكر جون ستيوارت مِلْ في «سيرته الذاتية» ما كان لزوجته عليه من فضلٍ وأسهب في ذلك، وكذلك كان لزوجة دوستويفسكي أنّا جريجوريفنا دوستويفسكايا، ومن يقرأ «مذكراتها» الرائعة سيعلم هذا وماذا كانت لدوستويفسكي في حياته وبعد مماته، وأفضل ترجمة لمذكراتها هي طبعة المركز القومي للترجمة وما ترجم من قبل كان مختصرًا مُخِلًّا، وقد أهداها دستويفسكي روايته «الإخوة كارامازوف» اعترافًا بفضلها عليه.

وهناك مؤرخ الحضارة الكبير وِل ديورانت حيث شاركته زوجته إيريل تأليف «قصة الحضارة»، وسافرت معه بل شاركته كلّ شيء في حياته في سيرة زوجية مذهلة -ألّفا معًا مذكراتهما بعنوان «قصة حياتينا» ولم تترجم وليت المكتبة العربية تحظى بها..

وطه حسين وزوجته الفرنسية سوزان، وقد ألّفت مذكراتها عنه بعنوان «معك» وهي مترجَمة معروفة.. وجَبرا إبراهيم جَبرا وما كتبه في أجمل ما قرأت من وصف زوج لزوجته في «شارع الأميرات».

وهناك بنت الشاطئ د. عائشة عبدالرحمن وزوجها العلامة أمين الخُولي وما كتبته عما كان بينهما في كتابها «على الجسر».. ود. هدى حجازي مع د. عبدالوهاب المسيري وما كان لها من أثر كبير على حياته ذكره في غير موضع من كتبه ومحاضراته.. وكذلك زوجة العلامة محمود شاكر، ورضوى عاشور مع مريد البرغوثي.. وغيرهنّ

ممن كان لهنّ فضلٌ كبيرٌ على أزواجهنّ يُكبِر المرءُ معه مثلَ هذه النعمة المهداة.. إذن ليست كلّ زوجة علمٍ من الأعلام هي زوجة سقراط أو تولستوي!

***

كنت ضقت ذرعًا بترجمة كمال أبو ديب لكتاب «الاستشراق» لإدوارد سعيد فلم أكمل قراءته، وفرحت فرحًا شديدًا بصدور ترجمة محمد عناني لكتاب «الاستشراق» وحرصت على قراءته، ثم تفاجأت بكلام للدكتور وليد حمارنة ينقد فيه ترجمة عناني نقدًا شديدًا، لم يوفق إدوارد سعيد في مترجمي كتبه.

بعيدًا عن مسألة «الاستشراق والمستشرقين» ما لهم وما عليهم؛ حين كنت أطالع «موسوعة المستشرقين» لعبدالرحمن بدوي رأيته يذكر سيرًا ذاتية لكثير من كبار هؤلاء المستشرقين وينقل عنها، لكنها لم تترجم مع الأسف، مع أن ترجمتها تزيد من فهمنا ودراستنا لموضوع الاستشراق هذا الموضوع الشائك في ثقافتنا العربية.. «موسوعة المستشرقين» في مجلدها الضخم لعبدالرحمن بدوي، وكتاب «المستشرقون» بأجزائه الثلاثة لنجيب العقيقي؛ هذان الكتابان لا غنىً عنهما بحالٍ لكلّ قارئ أو باحث في هذا الموضوع، يتميز بدوي بالإطالة في ترجمة المستشرق، والعقيقي بالإفاضة في ذكر أعمال المستشرق في تتبع مذهل..

***

عودًا على بدء: وفي هذه السنة صدرت ترجمة ليوميات المستشرق اليهودي المجري ذي الذِّكْر السيِّء في تراثنا العربي «إيجناس

جولدتسيهر»، وهي يوميات في مجلد كبير تكشف كثيرًا من الحالة النفسية والاجتماعية لهذا المستشرق الغريب، احتفيتُ بها لأنها أوقفتني على نموذج من نماذج هذه الأنفس العجيبة في بحثها وجدها وجلدها ومعاناتها على ما لا نرضاه منها، هذا المستشرق ملأ كتبه بالدسائس والشبه التي يرددها كثير من مفكرينا ممن كتب عن التراث الإسلامي، وهم في شبههم مُقلِّدون مُجترُّون لا أصلاء عند من يطَّلع على موارد أفكارهم.

***

اشتريت من مَعْرِض الكتاب في الرياض خمسَ روايات: عالم جديد شجاع لألدوس هكسلي، والدم الحكيم لفلارينى أوكونور، وظلّ الريح لكارلوس زافون، والساعة الخامسة والعشرون لقسطنطين جيورجيو، وأسرار لكنوت هامسن.. وهي روايات عالمية مشهورة، لكني لم أستطع إكمال واحدة منها، حقيقة لم أعد قادرًا على قراءة الروايات -لله أيامًا قرأت فيها لنجيب محفوظ وحده أكثر من ثلاثين رواية وأعدت قراءة بعضها- لا أدري هل لقراءة الروايات علاقة بالعمر فهي تناسب بداية القراءة وسنوات النشاط؟ أم هو أمر خاص بي..

لن أشتري روايةً مرة أخرى وهو خيار شخصي، لكني أبحث عن رواية «قلب الظلام» لجوزيف كونراد.. إن وجدتها فهو استثناءٌ من قولي!

***

أوصيكم بقراءة الكتاب النفيس للدكتور بشار عوّاد: «الذَّهَبي

ومنهجه»، فهو من أوفى ما كتب عن الحافظ الذَّهَبي، بل يعدّ نموذجًا لمثل هذه الدراسات، وكتاب د. بشار السابق ذكره، ثم كتاب «الحافظ الذهبي» لعبدالستار الشيخ؛ هما أجمع ما أُلّف عن هذا الحافظ الكبير رحمه الله.

تعرَّض الحافظ الذَّهَبي في حياته لبعض الأذى من خصومه، وباغته نفرٌ من مبغضيه في مكان مهجور وضربوه ضربًا مبرِّحًا! إلا أن ذلك لم يؤثر في عدله وإنصافه فيما كتب، وهو جميل الروح لطيف العبارة -بل هو من أدباء المحدّثين- سمحٌ كثير الإنصاف في تعليقاته مع عبارة علمية دقيقة، كفّ بصره آخر حياته، وله ابنٌ محدّث، وكتب سيرةً ذاتيةً لم تصلنا مع الأسف..

ومن يقرأ له؛ ثم يقرأ للعلامة السُّبْكي -وهو تلميذه ومن محبيه- في «طبقات الشافعية»، أو للحافظ السَّخاوي في «الضوء اللامع»؛ يجد فرقًا واضحًا في الإنصاف وهضم النفس ولطف العبارة، فالسُّبْكي شديد التنقّص لمخالفيه، مبالغ غاية المبالغة في ترجمة من كان على مشربه، أفسد كتابه بكثرة ثنائه على والده ثناء تجاوز قدر الإنصاف حتى عدّ دراسة والده على أبي حيان النحوي من مناقب أبي حيّان! هذا مع ما لوالده -رحمه الله- من مكانة في العلم والفضل، وما لهذا الكتاب «طبقات الشافعية» من قيمة علمية عالية رحم الله مؤلفه وغفر له..

وقد سألتُ شيخَنا العلامة الطناحي -رحمه الله- هل رأيت الزِّرِكْليَّ فقال: كنا في حفل وكان حاضرًا فسأل عن عبدالفتاح الحلو ليشكره على تحقيق «الطبقات»، فقالوا له: إنه غير موجود، لكن الطناحي شريكه في التحقيق موجود، يقول الطناحي: فأقبل الزركلي

عليّ وقبّل ما بين عينيّ حفاوة وتشجيعًا لما قمنا به من خدمة هذا الكتاب..

والسُّبْكي ينقل في «الطبقات» في أواخر تراجِم -تراجِم بكسر الجيم وليس بضَمّها- كثيرٍ من العلماء؛ أنفسَ ما وقف عليه من أقوالهم، ولو جرّدت هذه النقول وحُرّرتْ لجاء منها بحثٌ غايةٌ..

وأما الحافظ السَّخَاوي في «الضوء اللّامع» فكثير الحطّ والزراية على معاصريه ولا سيّما مخالفو مدرسة شيخه الحافظ ابن حجر، حتى ذكر في تراجم بعضهم -كالبِقاعي والسُّيوطي- ما لا يليق.. مع أني سمعت من العلامة عبدالرحمن العثيمين -رحمه الله- في مجلس من مجالس شيخنا العلامة حمد الجاسر -رحمه الله-: أن «الضوء اللامع» هو أعظم كتاب للتراجم في تاريخ الإسلام، هكذا سمعتُه منه..

و«الضَّوْء اللامع» كتاب حافل عظيم وإن كانت عبارة السَّخاوي ليست جميلة فهي جافة بعض الشيء، وقد أفرد آخر الكتاب تراجم نساء أهل عصره فترجم لأكثر من ألف امرأة في استقصاء مذهل «تنقّص فيها زوجة أخيه ونال منها»! عفا الله عنه ورحمه وغفر له فهو من العلماء الكبار الأفذاذ.. وطبعة «الضوء اللامع» خدمها القدسيّ بما في وسعه وبإمكانات زمانه؛ لكنها جاءت كثيرة الأسقاط والتحريف، فعسى أن ييسر الله له من يقوم بحقّه دراسةً وتحقيقًا..

وهنا أمر أودّ أن أختم به بمناسبة الحديث عن بعض كتب التراث: ثمّة في ثقافتنا المعاصرة مفترقُ طرقٍ أوهمته ثنائية نكدة، فالمثقف المعاصر لا يكاد يلتفت إلى التراث؛ مع أن: «أوّلَ الجديد قتلُ القديم فهمًا» كما قال العلامة أمين الخُولي رحمه الله، وبعض طلبة العلم لا

يكاد يلمّ بالمستوى الأدنى من هذه الثقافة المعاصرة، وهو يستشهد في غدوّه ورواحه بشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- وهو من أكبر مثقفي عصره! لا سبيل إلى كسر هذه الثنائية المُرْبِكة إلا بالانفتاح على رحابة المكتبة، وتربية النفس على تجاوز هذه الحواجز الوهمية التي أنشأتها نظم الدَّرْس المعاصر، وتبنّتها بعض مناهج العلم وطرائقه.

***

«سير أعلام النبلاء» بإشراف العلامة المحدث الشيخ شعيب الأرناؤوط وتحقيق غير واحد من الأساتذة، فيها حذف يسير في بعض المواضع.

***

هل أبحَرَتْ بك أمواجُ الحياة هناك بعيدًا عن شاطئ نفسك.. ثمّ تلاطمتْ بك أمواجُها العاتيةُ وهزّتك هزًّا عنيفًا؟ فألقيتَ ثَمّ مرساتك تستقبل وجه الريح، وتحدّق إلى ميناء سفرك في هذه الغَيابة المظلمة التي ألفيتَ نفسَك فيها وحيدًا..

***

هناك في الأدب الروسيّ ثلاثة أدباء يُسمى كلّ واحد منهم تولستوي، في تداخل غريب بينهم، اثنان اسمهما ألكسي، واثنان متعاصران، واثنان لهما عنوانان متشابهان.. هناك الأمير ألكسي تولستوي ت ١٨٧٥م الشاعر وصاحب مسرحية «موت إيفان الرهيب» -لعلي أعود إلى الحديث عن القيصر إيفان الرهيب هذا الباطش الظالم الكريه ورجاله المعروفين بكلاب القيصر-.. وهناك ألكسي تولستوي ت ١٩٤٥، وكنت اشتريت بعض رواياته ظانًّا أنه صاحبنا المشهور الآتي ذِكره، وهناك ليو تولستوي المشهور ت ١٩١٠ صاحب «الحرب والسلم» و «آنا كارنينا»..

لتولستوي صاحبِنا هذا قصة عنوانها «موت إيفان إيليتش»، كتبها تولستوي في مرحلة متأخرة من حياته، يحكي فيها قصّة رجل هزّته الحياة هزًّا عنيفًا لمرضٍ أصابه، فتهاوت في نفسه كثيرٌ من المعاني التافهة التي كان يظنها غاية الحياة، وعاد أدراجه يعيد تقويم ذلك كلّه؛ في حبكة آسرة من هذا الروائي الكبير تمثل رؤيته لأولويات الحياة، ونقدًا مأساويًا عميقًا لما تخدعنا به أنفسنا وهو في ذيل القائمة حين يتبصّر المرء ويدرك بعضًا من أسرار نفسه في لعبة الحياة.

***

المُثَقَّفُون مساكينُ أهل الدنيا، طبعتُ كتابين على حسابي راح نصفها إهداء، ولا أذكر أن أحدًا طلب مني إعلانًا في هذه الصفحة ولو لعصير سن توب.

***

كتاب لم يُخفِّض لي ناشره -في المعرض- من قيمته واشتريته، ثم كتبت عنه عرضًا في تويتر فنفِد من المعرِض.

كتاب الدَّلَجي-عندي طبعته النادرة وهذا ما أفلحنا فيه- وكتاب أبوفاشا؛ من أجمل الكتب التي تحدثت عن فقر العلماء والأدباء.

المفلوك هو المحروم البائس أو قريبًا من هذا المعنى.

***

عجز عن تفسير الواقع؛ فأصبح يفسّر الأحلام.

***

حين أقرأ بعض المقالات الصحفية ثم أقرأ لكتابها في تويتر وأرى

ضحالة أفكارهم وضعف أسلوبهم؛ أجزم أن مقالاتهم قد أُجريت لها كثير من عمليات التجميل.

***

مع هذا السباق المحموم في الاستعداد الإعلاميّ العربيّ لشهر رمضان المبارك؛ تذكّرت تغريدة تقول: كان رمضان ثلاثين ليلة فجعلوه ثلاثين حلقة!

***

المثالية صعبة، أظن أن تكيف النفس مع تناقضاتها أفضل لصحة الإنسان النفسية من ادِّعاء مثالية لا تطاق.

***

لو أنّ العرب أبدعوا في قراءة الحاضر والمستقبل كما أبدعوا في كتابة التاريخ؛ لما فقدوا الجغرافيا.

***

طالعت بعض طبعات «تاريخ الجبرتي»، تعجبني طبعة مدبولي، وحققها مؤخرًا شموئيل موريه ولم أطلع على تحقيقه.

***

ندم أبو القنبلة الذريّة الفيزيائي روبرت أوبنهايمر؛ على ضحايا قنبلته بعد أن استيقظت فيه بقايا الإنسان.

موجز لقاء الرئيس ترومان الذي أمر بإلقاء القنبلة النووية بمخترعها روبرت أوبنهايمر:

يضـم المشـهد كلًّا مـن العالِـم النـووي روبـرت أوبنهايمر والرئيـس الأميركـي هـاري ترومـان. الأول هـو صانـع القنبلـة الذريـة، والثانـي هـو صاحـب قـرار اسـتخدامها علـى أرض اليابـان تحـت شـعار إنهـاء الحـرب.

دخل «أوبنهايمر» على رئيس البلاد قائلًا:

- سيادة الرئيس، أشعر أن يدي ملطختان بالدماء.

انتفض «ترومان» فقال:

- بل الدم يلطخ يدي أنا، ولذلك دعك من القلق.

وخـرج أوبنهايمـر. وبـادر ترومـان إلـى اسـتدعاء وكيـل وزارة خارجيتـه وهـو ديـن أتشيسـون (وقـد أصبـح وزيـرًا فيمـا بعـد) وسـاعتها قـال ترومـان:

- لا أريـد أن أرى «ابـن الكلـ ...» هـذا فـي مكتبـي بعـد الآن، مفهـوم؟

***

بعض صناع الموت -هؤلاء الذين لا يستحون من جَمال الحياة- تسـتيقظ ضمائرهم بعد فوات الأوان.. ندم أوبنهايمر ندمًا شـديدًا بعد إلقـاء القنبلـة الذريّة علـى «هيروشـيما» و«ناجازاكي» لمـا رآه من هذا الدمـار الرهيب الـذي خلّفته، وحاول جاهدًا أن يكفّـر عن ذنبه بإتاحة الحقّ للدول الأخرى بامتلاك القنبلة الذرية لتتوازن القوى ولا يهلك

العالـم، لكـن الأنظمـة الشُّـمولية الكريهـة لا تعـرف معنى الإنسـانية، حورب أوبنهايمر وعاش آخر حياته مراقَبًا منبوذًا، وكان-وهو المثقّف ومحبّ الشعر- ضحيّة عبقريته حيث سحق الوحشُ المجرمُ في داخله كلَّ معنى نبيل؛ ليبلغ غايته.

***

لا تظن بأن العَوْلَمة اليوم تسـعى إلى الانفتاح الثقافي بين الشعوب وحـوار الحضـارات؛ العَوْلَمـة هـي سـعي القـويّ إلى فـرض نموذجه الثقافي على الضعيف.

***

الحريّـة هـي إتاحةُ الخيارات أمام الفرد وليسـت فـرضَ الخيارات عليه، احذروا تزويرَ القيم وخداعَ المصطلح.

***

كنـتُ أقـول لطلابـي: إذا أقلقكـم كتابٌ فاتركـوه، هـذا الكتابُ لم يكتـب لكـم، فالقـراءة يجـب أن تكـون شـكلًا مـن أشـكال السّـعادة. بورخيس.

***

«نقد العقل الخالص.. أو المحض أو المجرّد» للفيلسوف الألماني إيمانويـل كانـط، من أصعب كتب الفلاسـفة وأعقدهـا، وقراءته ترجع إلى تخصص القارئ واستعداده.

***

كتاب «البجعة السوداء» أعطي أكبر من حجمه، ومادته هي «نقض

استقراء» المَدرسيين أتباع أرسطو، وهذا تجده عند فرانسيس بيكون في «الأورجانون الجديد»، وتراث جون ستيوارت مِل، ومن بعدهما.

***

ليس لشدائد الحياة فضلٌ على الإنسان، كم سحقت هذه الشدائد من أنفس، المجد للأنفس الكبيرة التي جعلت من هذه الشدائد مرقاةً لتحقيق طموحها وأحلامها.

***

دارت الأيام دورتها؛ وسمعت من أفكار أبنائي في سنّ المراهقة ما كنت أُسمِعه والديّ حين كنت مراهقًا، لم أشعر بقدر نصحهما وصبرهما إلا حين جرّبت ذلك.

***

قوله عليه الصلاة والسلام: «ليكونَنَّ من أُمّتي أقوامٌ يَستحِلّونَ الحِرَ والحَريرَ والخَمْرَ والمَعازفَ..»، كنتُ بحثتُ هذا الحديث الشريف، وسأذكر خلاصةً مختصرةً جِدًّا لما وقفتُ عليه من جهة صحته، فإن أصبتُ فمن الله، وإن غيرُ ذلك فلا أحبَّ إليَّ ممّن يصحّح لي ما أخطأتُ فيه بكلامٍ علميٍّ فيه الحُجّة والبُرهان..

وكتبتُ هذا لأني رأيتُ تغريداتٍ كثيرةً تحدّث فيها أصحابُها عن هذا الحديث من جهة سنده فأحببتُ أن أذكر ما عساه ينفع ويفيد.. هذا الحديثُ علّقه الإمام البخاريّ في «صحيحه»: «وقال هشام بن عمّار ...»، وقد ذكر بعض فضلاء المشايخ هنا: أنّ أبا ذَرٍّ الهرويَّ راويَ البخاريّ قد وصله في روايته وأنّ الحديث جاء موصولًا أيضًا عند البخاريّ؛ وهذا وهم منهم.. هذا الحديث

رواه البخاريّ معلّقًا بصيغة الجزم فهو صحيح على شرطه، ذكر ذلك غيرُ واحدٍ من أهل العلم الكبار، ثمّ إن هذا الحديث وصله مصرّحًا فيه بالسماع عن «هشام بن عمار» جمعٌ من الرواة الحفاظ الأثبات، فلا حجة في قول من ضعّفه لرواية البخاريّ له معلّقًا، إذ إن الحديث روي موصولًا بأسانيد صحيحة كثيرة من غير طريق البخاريّ، وقد صحح هذا الحديث وردَّ على ابن حزم في تضعيفه أكثر من أربعة عشر عالمًا من أعلام الحديث الكبار وحفاظه منهم: ابن الصّلاح والنوويّ وابن تيمية وابن القيم وابن كثير وابن حجر وابن باز والألباني.. وغيرهم كثر فهذا الحديث الشريف صحيحٌ لا لبس فيه، وهو من أظهر حجج من قال بتحريم المعازف.. والله أعلم.

***

لو كنتَ تعلمُ ما أقولُ عَذرتَني ... أوْ كنتَ تعلم ما تقولُ عَذلتُكا
لكنْ جهلتَ مقالتي فعذلتَني ... وعلمتُ أنك جاهلٌ فعذرتُكا

الخليل بن أحمد

***

كيف يتجرّد الإنسانُ من إنسانيته ويُمسخ ليصير بهذه القسوة المحيّرة؟ كتاب «القسوة» لكاثلين تايلور..

***

إذا أردت أن تعرفَ أسوأ ما في الإنسان فأغضبه.. سؤالي: لِمَ تحاول أن تعرف أسوأ ما فيه، ألا يرضيك منه جمالُ نفسِه حال رضاه؟

***

الناسُ لا يُوَفّون الناجحَ حقّه، والمعاصرةُ حِجابٌ يحول دونَ رؤية فضائل المرء؛ فإذا آنستَ من نفسك موهبةً وقدرةً فامضِ في شأنك ولا تلتفت.

***

كن جَميلًا تَرَ الوجودَ جميلا.. أيّها العابسُ حانَ لك أن تبتسمَ فالأسنانُ ليست عورة!

***

لا أكره وقتًا من أوقات اليوم مثل آخرِ النهار، وقتٌ لا ملامح له، ليس بنهارٍ صادقٍ ولا ليلٍ مُلهِم، باردُ الأحاسيس، مثقلٌ بالكآبة والفتور.

***

«ثَمَّة» صحيحة والمقصود بها «هناك»، و «ثُمَّتَ» صحيحة أيضًا والمقصود بها «ثُمَّ».. والخطأ في استعمال إحداهما مكانَ الأخرى، فكلّ واحدةٍ من اللفظتين لها رسمٌ ومعنىً.

***

ما أعلمه: أن الذي خطط حي الملز هو الأمير فهد الفيصل أمين مدينة الرياض رحمه الله، وكانت له جهود كبيرة في الرقيّ بمدينة الرياض.

***

هناك رسالة نادرة ترجم فيها الشيخ عبدالله الغماري لنفسه، وفيها أنه في زيارته لأمريكا سكن عند محمد علي كلاي!

***

بعض الناس مُغرَمٌ بالمخالفة في كل شيء؛ حيلة ساذجة لإثبات الذات وسترِ مَلَكة العقل، يعترض قبل أن يفهم وآراؤه كلها نقض وهدم ولا بناء.

***

قال أينشتاين: الحياة مثل ركوب دراجة لكي لا تسقط يجب عليك ألا تتوقف.

***

الفكر الليبرالي وليد عصر التنوير لا تنقضه شيلة مُنشد! الفكر طريقٌ عقليٌّ مرهِق، يكون سجاله باطّلاع عميق وأدواتٍ معرفية مكتملة.

هذا المعنى يؤرقني فمتى نتفهّمه؟: بناءُ الإنسان لحصونه مُقدّمٌ على دَكّ حصون الآخرين، فالتسلّح بالمعرفة يكون قبل ثقافة الردود.

أخشى إن نحن استمررنا على هذا أن يخرج لنا جيل جديد؛ يُساجل فكرة الأنظمة الشمولية والحداثة السائلة بشيلة: واكبدي اللي من الهجران منفطرة.

***

يقولون: إن المعرّي ألف كتاب «الفصول والغايات» ليعارض به القرآن، وكتاب «الفصول والغايات» طبعت القطعة الموجودة منه بتحقيق محمود زناتي وهو في تمجيد الله والمواعظ! يقول في عبارة منه في تسبيح الله عزّ وجلّ: «تسبّح لك حمرة شفق الغروب».. وهذه العبارة من أرقّ ما قرأت للمتقدّمين.. ومن أوّل من أشاع هذا عن المعرّي وأساء إليه؛ ياقوتُ الحموي -سامحه الله- في ترجمته

للمعـرّي من «معجم الأدبـاء»، وقد ملأ ترجمته بحكايات مظلمة عنه، والمعـرّي كان شـاكًا ثم رجع لكن كثيرًا مما ذكـر عنه لا يصحّ، هذا ما ظهر لي من حاله رحمه الله..

***

سمعتُ بعض الإخوة يقرأ قولَه تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ بتسكين الفاء «كُفْوًا»، وهذا خطأ شائع، فقراءة حفص بضمّ الفاء ولا تسكّن.

***

سـمعت بعض الإخوة يسـكّن الهاء في مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾، يقرأهـا: «وَهْـوَ» وهـذا خطأ، فقـراءة حفص بضم الهاء لا سكونها.

***

شديت حيلي في الجامعة وتخرّجت بتفوّق، ورغبت في الدراسات العليا.. في المقابلة لم أجب عن أي سـؤال لا أدري لماذا؟ لا أحسـن الإجابـة فـي المقابـلات ولا الـردّ علـى الأسـئلة السـريعة، قبلـت في الدراسـات العليا ربما لتفوّقي، لكن بعد المقابلة قال لي أحد الدكاترة على انفراد: أنت ستصبح طالبًا في الدراسات العليا وأرى أن علميتك ضعيفـة ولا بدّ أن تسـتعد، أوصيك بالقـراءة! كانت طعنة في الصميم، شكرته وقلت له: إن شاء الله..

أرى أن المقابلات ليست مقياسًا جيدًا لشخصية المرء ولا لعلميته، يقول الشـدياق: من الناس من إذا دهشـته بالسؤال لا يكاد يجيب، فإذا خلا إلى نفسـه أتى بالعجب العجـاب.. الناس تختلف مواهبهم وكثير من المتميزين لا أراهم جيدين في المشافهة، درست السنة التحضيرية

للماجستير مدة، ثم جاء دور الإحصاءات -أكثر ما كرهته فيها تلك الدائرة التي قد اقتطع منها مثلث!- فهربت.. أحب الفوضى الخلاقة والمزاجية وأكره الصرامة الأكاديمية.

***

أبو فراس الحمْداني شاعرٌ شاعرٌ، كان من سوء حظه أن عاصر عمّنا المتنبي فأخمله، ولو لم يعاصره لكان له شأن أكبر.

***

اثنان لا أرى أن أحدًا يعدلهما في الأدب العربي كلّه: الجاحظ في النثر، والمتنبي في الشعر.

وحسبك بعلوّ قدر الجاحظ؛ أن سيدًا من سادات النثر وهو أبو حيان التوحيدي كان يترسّم قلم الجاحظ وألّف كتابًا في «تقريظه»، وحسبك بعلوّ شأن المتنبي؛ أن أبا العلاء المعرّي وهو هو في الشعر يقول: أنا من عناني المتنبي بقوله:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي   وأسمعت كلماتي من به صمم

***

أبو حيان التوحيدي بعد الجاحظ في النثر، والمعري بعد المتنبي في الشعر.

***

لستُ أدري لماذا: لم يعط الأستاذ حسين بافقيه[1] حقّه ولم يوفّ

---

(١) حسين محمّد علوي بافقيه من مواليد عام ١٩٦٤ في جدة. ناقد أدبي ومؤرخ ثقافي سعودي، وله عدد من المؤلفات النقدية والأدبية.

قدره في دنيا الثقافة والنقد؛ وقد نال من هو دونه معرفة وقلمًا أرفع مما يستحقّ؟

***

جملة خلدها التاريخ: يولد الإنسانُ حُرًّا؛ لكنه مكبّلٌ بالقيود في كلّ مكان.. روسّو.

***

لي عدّة سنوات أبحث عن نسخة ورقية للثلاثية النقدية العميقة لعبدالعزيز حمّودة -التي عرّت كثيرًا من الأدب المعاصر- ولم أستطع الحصول عليها..

أثارت هذه الثلاثية النقدية العميقة وقت صدورها- ولا سيما الجزء الأول وهو أقوى أجزائها - ضجة أدبية كبيرة، وآذت كثيرًا من كتاب الأدب المعاصر ونقّاده-خاصة كتاب مجلة «فصول»- وألّف بعض الأساتذة في الردّ عليها.. رحم الله د. عبدالعزيز حمودة هكذا تكون الدراسات النقدية.

***

ساطع الحصري من أكبر المعجبين بابن خلدون، وما كتبه عنه يعد مرجعًا لكل باحث عن ابن خلدون.

***

أوصي بقراءة كتاب «أخبار جلال الدين الرومي» للشيخ البحاثة أبي الفضل القونوي.

لجلال الدين الروميّ كلمات جميلة في «مثنوي» وغيره، لكن

جمالها الأدبي يخفي سمًّا زُعافًا من الخرافة والعبث بالشريعة والقول بوحدة الوجود.

***

دأب بعض المستشرقين على إحياء أسماء مشبوهة في تراثنا الإسلامي: كالحلاج وابن عربي والرومي وابن الفارض، وترميزهم والرفع من شأنهم.

***

أوّل نصّ في «مثنوي» جلال الدين الرومي؛ هو قولٌ بوحدة الوجود.

***

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله؛ له كلام كثير منثور في كتبه عن ابن عربي، في بعضه ثناء عليه، لكنه في آخر أقواله رجع عن ذلك واستقرّ على الاعتقاد بسوء ما كان عليه.

***

كل معاصر كتب عن ابن عربي فهو يرجع إلى بلاثيوس، ومن أوفى من كتب عنه -وإن بوجهة مخالفة لما أعتقده- محمد رياض المالح.

***

أتمنى على كلّ محبّ للقراءة؛ مطالعة الكتاب الحافل الماتع الذي جمع فيه مؤلفه ما تحدث به ابن تيمية عن نفسه في كتبه «السيرة الذاتية لشيخ الإسلام ابن تيمية» للدكتور يوسف أحمد البدوي.

***

هذا تحليلهم: كلّ خطأ من مسلم فبسبب دينه، وكلّ خطأ من غيره فبسبب اضطهادٍ نفسيّ تعرّض له في طفولته!

***

بعض أسئلة المستفتين تنمّ على معدن خسيس: هل تجوز الزكاة على الأمّ المحتاجة؟!

***

الحقيقة ولكثير مما أسمعه من القصص؛ تيقّنت أن البنت أرحم وألطف وأبرّ بوالديها من كثير من الأبناء.

***

من حكم الآباء: الجوادّ ولو طالت.. أي الزم الطرق المستقيمة الواضحة حتى لو كانت طويلة.

***

خروتشوف هو أول من أدخل مصطلح «الممانعة بالحذاء» في قاموس السياسة المعاصرة.[1]

***

صَمْتُنا مع مَن نُحِبّ؛ يعني أنّ لدينا كلامًا كثيرًا نودّ أن نقوله.

***

قالوا: إذا وهبك الكريمُ فأمهله؛ وإذا وهبك البخيلُ فبادِره!

***

(١) وذلك عندما نزع الحذاء على منبر الجمعية العامة للأمم المتحدة، متوعدًا ومهددًا الدول الإمبريالية، أيام الحرب الباردة في ستينيات القرن الماضي.

قصة عن كرم أهل حائل يا حبّي لهم: سائق سيارة في حائل لم يسيطر عليها فدخل بها في أحد البيوت وأهله يأكلون، فقال له صاحب البيت: يا هلا والله تفضّل!

***

لا يوجد شرح من شروح السنة كلها في مجموعه كشرح ابن حجر على البخاري.

***

رحم الله الحافظ ابن رجب وجزاه خير الجزاء، وهو كثير النقل عن مؤلفات ابن أبي الدنيا وهذا من أسباب تفرّد نقوله عن السلف.

«لا هجرة بعد الفتح» أظن أن أول من قالها -في هذا السياق- العلامة الشوكاني وهي غير دقيقة؛ لأن القسطلّاني شرح البخاري بعد «الفتح» ووفق كثيرًا فيه، لكن ليس هناك شرح بلغ مبلغ شرح الحافظ ابن حجر رحمه الله، وهذه الكلمة صدّت بعض طلبة العلم عن الشروح التي ألفت بعد «الفتح»، وهذا ما قصدته.

***

نقل ابن خَلدون عن مشايخه: شرح كتاب البخاري دَيْنٌ على الأُمّة.. ومن العجيب أن الذي وفّى هذا الدَّيْن هو تلميذه الحافظ ابن حجر رحمهم الله.

***

الكتاب الحافل «الجواهر والدُّرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر»، لشمس الدين السخاوي تلميذ ابن حجر ؛ هو أفضل ترجمة مفردة في تراثنا فيما اطلعت عليه.. استقصاءٌ مذهل.

***

كان للحافظ ابن حجر -رحمه الله- ابنٌ شابٌّ بعيدٌ عن العلم، يخرج كثيرًا للتنزّه في النيل مع بعض أصدقائه بعيدًا عن العلم وأهله وحلقات والده، وكان هذا يضايق الحافظَ ابنَ حجر ويتمنى أن لو اشتغل ابنُه بالعلم وتركَ حياة اللهو والبطالة، ولأن الحافظ ابن حجر نشأ يتيمًا حيث فقد والديه صغيرًا وعاش في كفالة بعض العلماء؛ فقد كان شديد المحبّة لابنه هذا، لا يكاد يردّ له طلبًا..

وقد ألّف الحافظ ابن حجر لابنه هذا كتاب «بلوغ المرام من أدلّة الأحكام» ليحفظه، ترغيبًا له في العلم وتشجيعًا له، لكنه لم يصبح من أهل العلم وإن قيل في سيرته: إنه اتجّه إلى العلم بعد ذلك ولا أظنه صحيحًا.. قصدت من هذه التغريدات إلى: أن العلم لا يورّث، بل هو هبة من الله تعالى يختصّ به من شاء من عباده، وإلى أن في سير العلماء بعضَ الملامح الإنسانية التي لا نراها كثيرًا عند من يكتبون هذه السير.

***

هذه ظاهرةٌ تربويةٌ شاهدتُها كثيرًا: لا أرى أنّ أحدًا أشدّ شفقةً ورحمةً بأولاده؛ ممّن عاش يتيمًا.. من عاش يتيمًا لا يكون قاسيًا على أولاده.

***

أين في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية أنه: «يرى قتل من جهر بالنية في الصلاة»؟ فقد قال ذلك بعضُ مَن كتب عنه، دُلّونا على هذا النصّ مأجورين!

لم يقل الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بهذا: «قتل من جهر بالنية في الصلاة»؛ وحاشاه أن يقوله.. وإنما كلام شيخ الإسلام

في هذه المسألة عمّن: «ادّعى أن ذلك دين الله وأنه واجب» في تفصيل ذكره رحمه الله.. وفرق ظاهر بين العبارتين.

اختلف مع شيخ الإسلام كيف شئت، لكن ليس من الإنصاف تقويله ما لم يقل، ولا إيراد نصوصه مبتورة السياق.

لولا أني رأيت الليلة من أثار هذا الموضوع لما أثرته، وما أريد قوله: لك أن تختلف مع ابن تيمية في قوله: «ومن ادّعى أن ذلك دين الله وأنه واجب فإنه يجب تعريفه الشريعة، واستتابته من هذا القول، فإن أصرّ على ذلك قتل».. لك أن تختلف مع ابن تيمية في ذلك بالحجة والبرهان. ولكن ليس لك أن تقوّل ابن تيمية ما لم يقل، وليس لك أن تبتر نصوصه ليروج ذلك عند من لا يفرّق بين الكلمتين.

وأصل المسألة هو: أن ابن تيمية لا يقول بقتل من جهر بالنية في الصلاة. فإن وجدت قولًا له في هذه المسألة ينقض ما قرّرتُه فأتحفنا به، وأما التلفّظ بالنية والجهر بها واختلاف أقوال الفقهاء في هذا؛ فهو خارج عن محلّ النزاع. محلّ النزاع هو: «نسبة هذه الكلمة إلى ابن تيمية».

***

أقترح تسمية مطبات الشوارع بأسماء الأدباء، فحال هؤلاء المساكين في الحياة لا يختلف عنها كثيرًا.

***

كان الحافظ الدِّمياطي من أجمل أهل الدنيا ويعرف بابن الماجد؛ فكانت العروس إذا زّفت قيل: ما شاء الله كأنها ابن الماجد!

كان هارون الرشيد من أجمل أهل زمانه، ويروى أنه لما رآه الفضيل ابـن عيـاض قال له: يا حسـنَ الوجه؛ والله ما رأيت أحسـنَ وجهًا منك فاحذر أن تلفحه النار.

***

هـل تعلم أن هارون الرشـيد الذي ملأ اسـمه الدنيـا توفي عن أربعٍ وأربعين سنة! هناك كتاب لعبدالله فيلبي عنه، كان نادرًا وصوّر.

***

هل تعلم: أن هذا الاسـم الضخم أبا العباس السـفاح توفي عن ٣٢ سنة! والشافعي توفي عن ٥٤ سنة، والنووي عن ٤٥ سنة، وأبا القاسم الشاطبي عن ٢٦ سنة.

***

كتـاب «الجيتـو اليهـودي».. دراسـة للأصـول الفكريـة والثقافيـة والنفسـية للمجتمـع الإسـرائيلي، للدكتـورة سـناء صبـري، دار القلـم ١٤١٩.

***

كتاب «رسـوم دار الخلافة» لهلال الصابىء، صدر ١٩٦٤ بتحقيق ميخائيل عواد، وهو عن البروتوكولات السياسـية، ومن الرسم جاءت لفظة المرسوم المعاصرة.

***

اقتنيت من مصر صورة نادرة للأستاذ العقاد، ذهبت بها الأيام.

***

أريـد أن أصارحكـم: أنا طبيعةٌ على غير قياس، لا أضحك إذا كنتُ سعيدًا، ويغلبني الضَّحِك حين أحزن..

***

كان الحافـظ ابـنُ الجـوزيّ شـديدَ المحبّـة والتعلّـق بابنه يوسـف، ويوسـف هذا كان ذكيًّا نجيبًا بارًّا بوالده، ويوسـف هذا هو الذي أنشـأ فيمـا بعـد المدرسـةَ الجوزيّةَ فعُرفت بهذا الاسـم نسبةً إليـه، ثمّ عمل أبو بكر بن أيّوب قيّمًا لها -أي مسؤولًا ومديرًا- فعُرف بقيّم الجوزيّة، وولـد لأبـي بكر بن أيوب ابنٌ سـماه محمـدًا؛ ومحمد هـذا هو الإمام الكبير المعروف «بابن قيّم الجوزيّة».

فهنـاك الحافـظ أبـو الفرج ابن الجـوزي، وهناك ابنه يوسـف الذي أنشـأ المدرسـة الجوزيّـة فنُسـبت إليـه، وهناك أبـو بكر بن أيـوب قيّم المدرسـة الجوزيّة أي القائم عليها فهو المدير والمسؤول، وهناك ابنه محمـد بـن أبي بكـر بن أيوب المعـروف «بابن قيّم الجوزيـة» أي: ابن المديـر أو المسـؤول عن المدرسـة الجوزية، ويعرف اختصـارًا «بابن القيّـم»، وبهـذا تعـرف خطـأ مـن يقـول: «ابـن القيّـم الجوزيّـة»؛ فهـو «ابن القيّم» أو «ابن قيّم الجوزيّة». فصّلت في هذا كله لمزيد الفائدة..

واسم والد محمد «ابن القيّم»: هو أبو بكر، هكذا اسمه كنيته، وقد قال لي شـيخنا العلامة بكر أبو زيد -وهو من أبصر الناس بابن القيّم: اجتهـدت كثيـرًا لأجـد اسـمًا لأبـي بكـر فلـم أجـد فاسـمه هكـذا «أبو بكر». قلت: واسـم والد السـيوطي «أبو بكر»، وقد ذكر السيوطي في سـيرته الذاتية «التحدّث بنعمة الله» كثيرًا ممن اسـمه «أبو بكر» من العلماء عند الكلام على والده..

عـودًا علـى بدء أقـول: كان الحافظ أبـو الفرج ابن الجوزي شـديد المحبـة والتعلّـق بولده يوسـف، ثـم إن الحافظ أبا الفـرج ابن الجوزي امتُحن آخر حياته فسجن في مدينة واسط في أحد البيوت مدة سنة ثم فـرّج الله عنـه، قال الحافظ أبـو الفرج: لما أُحدِرتُ إلى واسـط مكثتُ سـنةً أختـم القـرآن كلّ يوم مرّة لم أقرأ فيها سـورة يوسـف؛ حزنًا على ولدي يوسف!

***

فـي سـيرة توماس أديسـون جانـبٌ مظلم؛ فقـد ظَلم هـذا العبقريَّ المسكينَ نيكولا تسلا واستغلّ أفكاره وتنكّر له.

حكاية أديسون وتسلا

موجزها: أن أديسون طلب من مساعده آنذاك تسلا أن يقوم بتحسـين أداء مولـدات الكهربـاء ووعده بمكافـأة مقدارها ٥٠ ألـف دولار، فلمـا أنجز تسـلا المهمة وطالـب بمكافأته رفض أديسون وقال: إن الأمر لم يكن إلا مزحة أمريكية وعرض عليه زيادة شهرية على راتبه بنحو ١٠ دولارات، شعر تسلا بالإهانة وغادر. بعد ذلك أسـس تسـلا شـركة بمسـاعدة رجل الأعمال الأمريكـي جـورج ويسـتينغهاوس الـذي قـام بشـراء عـدد من بـراءات اختـراع تسـلا فـي مجـال الكهربـاء، لتبـدأ شـركة ويسـتينغهاوس بمنافسـة شـركة أديسـون فقامت حرب تجارية بين الشركتين سميت بحرب التيارات.

***

ليس لك أن تفرض قناعاتك على الآخرين؛ لكن لك أن تتعامل معهم بها في حدودك المشروعة، هناك خلطٌ بين المعنيين يسبب الخلل في العلاقات الاجتماعية.

***

يقول المسيري: إذا أدخلتك في حياتي فلن أسمح لك بالخروج منها؛ وأقول: إذا أدخلتك في حياتي فالمفتاح معك وهو خيارك لكن إذا رحلتَ فأغلق الباب بهدوء.

***

مرّت بي هذه الكلمة ولا أدري لـمَن: اليوم الذي تقول فيه لصديقك: لا أستطيع الاستغناء عنك؛ فقد فقدتَه.

***

أكثر كلمتين ظُلمتا في عصرنا الحاضر: الحريّة والتنوير.. جُعلت الحريّةُ مرادفةً لعبودية الهوى، وصار التنويرُ وصفًا للأفكار المظلمة.

***

منظر المتسوّلين غير حضاريّ، ووجود الفقراء غير إنسانيّ.. ألبير كامو.

***

قام أربعة من ملوك هذه الدولة السعودية المباركة بطبع فتاوى ابن تيمية: سعود وفيصل وخالد وفهد رحمهم الله تعالى.

***

حين يُعيّن أحدُهم في منصب؛ يَكثُر مَن يعرف فضلَه ويثني على خلقه ومواهبه وقدراته، وحين يُغادر منصبَه تذهب هذه الفضائل بذهابه!

***

لوحة «الصرخة» لمونك بيعت ب ٤٥٠ مليون ريال! وتعدّ من أشهر وأغلى اللوحات في العالم.

***

كتاب «طيور أمريكا» أغلى كتاب في العالم، حدثني هولندي يبيع النوادر أنه باعه بـ ٢٥ مليون ريال!

***

يا أخي كارنيجي لم ينتحر![1]

***

ما أعلمه أن «أبو الأعلى» اسمه، فاسمه كنيته.. وحدثني شيخنا العلامة حمد الجاسر أنه ذكر لأبي الأعلى المودودي هذا الاستدراك -أي في جواز التسمي بأبي الأعلى- وأن المودودي كأنه تضايق من قوله.. وأعتقد أنه: لا بأس بهذه التسمية أو الكنية، فهو علوٌّ يليق بالمخلوق؛ ويشهد له قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٦٨ ﴾.. والله أعلم.

---

(١) من المعلومات الشائعة أن ديل كارنيجي المؤلف الأمريكي صاحب الكتاب المشهور «دع القلق وابدأ الحياة» مات منتحرًا، ولا دليل على ذلك، وقد توفي مريضًا بالسرطان.

فائدة عن الشيخ محمد العبودي

ذكر الشيخ/ محمد بن ناصر العبودي -رحمه الله- في أحد مجالسه بأنه ناقش المودودي في اسمه مستنكرًا أن يسمى بأبي الأعلى لأن الأعلى هو الله! وقد أفاده المودودي بأن أصل الاسم أبو العُلى، ولكن عند كتابة الاسم في جوازه ووثائقه بالإنجليزية كُتب هكذا واشتهر به.

***

خذها قاعدة: أيّ بيت شعر تشكّ في نسبته قل: ولبعضهم، وأيّ حكمة تجهل قائلها انسبها لحكم أهل الصين.

***

قلتُ لوالدي وشيخي العلامة الكبير حمد الجاسر رحمه الله: إنّ روكس العُزَيْزي كثيرُ الثناءِ عليكم؛ فقال لي: لا يعنيني أن يثنيَ عليّ إنّما يُثني على المرء آثارُه، وكتبتُ بحثًا وعرضته عليه وفيه: «أفضل عليّ عالم الجزيرة» فتغيّر وجهه وقال رحمه الله: لا، احذفها، جزيرةٌ أنا عالمها جزيرةٌ جاهلةٌ، فقلت له: هذا رأيي، فقال: احذفها واكتب «الشيخ حمد الجاسر» وهذا يكفي.

وقال لي مرّة في سياقٍ علميٍّ: كان طه حسين في جلسات مجمع اللغة يقول للأعضاء وأنا حاضر: إذا اختلفنا في موضع من مواضع الجزيرة والشيخ حمد الجاسر موجود فالقولُ قولُه.. قال لي الشيخ ذلك مرّةً واحدةً في سياقٍ علميٍّ، ولم أسمعه يكرّر ذلك أو يتبجّح به وهو ثناءٌ من طه حسين، ومن عرف قدرَ طه حسين في تلك الأيام

وقـدرَ مـن كان يحضر جلسـاتِ المجمـع من العلماء؛ عـرف قدرَ هذا الثناء.

كان لتلـك الـدروس العمليـة مـن والـدي وشـيخي العلامـة حمد الجاسـر؛ أثـرٌ بالـغٌ علـى تكوين نفـس هذا الناشـئ الذي كانت نفسـه -ومـا زالت- تتطالُ إلى الثناء العلميّ وتتحسّـس خطواتِها في مدارج البحـث والمعرفة، ليس شـيءٌ يمنح النفـسَ قيمتَها كسـعيها الجادّ في تحصيلِ العلم، وبُعدها -ما استطاعت- عن كلّ ما يشين بذلَها له: من عُجـبٍ يحـرق الموهبـة، ومنّـةٍ تُنقـص العطـاء، وخلـقٍ أعـوج يُـزري بالجاهـل فكيـف وقـد تلبّسـه من يدّعـي العلـم، وذاتٍ متورّمـة «يظنّ صاحبُها معها أن لو قد تأخّر ميلاده؛ لتساءل الناس متى يولد!».

***

كان الشـيخ الجاسـر إذا دخل المجمع قال طه حسين: مرحبًا بعالـم الجزيـرة أو جـاء عالـم الجزيـرة.. لكن لا أدري هل هو مـن لقّبه بعالـم الجزيرة أم غيره؟

***

منذ أمدٍ طويلٍ وأنا يُعتصَر قلبي؛ حين أقرأ لمثقّفٍ أو إعلامي يزور بلـدي فيقابل بالحفاوة والتكريم، ثـم ينقلب إلى أهله فيتخذ من بلدي الكريـم وأهلي الطيّبين مادةً للتّندّر والسـخرية، في معنىً غير لائقٍ بما تمليه عليه ثقافته أو مروءته.

وقد كنت لا أودّ لنفسـي الخوض في مثل هذا؛ إلا أن هذه الظاهرة قـد كثـرت فأصبح السـكوت عنها ضربًا مـن المهانة، فما عاد يسـعني السـكوت.. سـأردّ على كلّ من ينال من بلدي وأهلي بما يليق به، ومَن في نفسه شيءٌ على بلدي الطيّب وأهلي الكرام فغير مرحّبٍ به.

***

أيام المراهقة قال لي الوالد: هذه السنة سنعتمد عليك في إخراج زكاة الفطر، فاشتريتها ووزعتها. وفي شهر الله المحرّم كنت أقلّب في شنطة السيارة فوجدت كيسين من الأرز!

***

واحد من أعزّ الأصدقاء أهداني عطر، شميته عنده وقلت: حلوٍ ما عليه.. وبحثت في النّت لقيته ماركة قيمته أكثر من ٣٠٠٠ ريال.. ففهمت نظراته لي.

***

كنتُ في صغري حين يأتي العيد أتمنّى أن أفرحَ به كالكبار، واليوم أتمنّى أن أعيشَه كالأطفال.. وضاعت فرحة العيد.

***

مغرمٌ برصد المشاعر وتقلّباتها، وتأمّلِ حالِ هذه النفس الإنسانية في بَدَواتها وأطوارها ونوازعها وشأنِها كلّه!

***

كنتُ -وما زلتُ- أرى أنّ الأديبَ المبدع والفنانَ الموهوبَ؛ هما اللذان يستطيعان إخبارَ الناسِ بما يشعرون به ولا يستطيعون قولَه.

***

قرأت لأحد الأدباء الغربيين قولَه: أشعر بضيق شديد أدفعه فيعود؛ كمن علقت داخل حذائه حصاة صغيرة وينفضها برِجله.. هذا وصف عبقري من السهل الممتنع.

***

يقول تولستوي: كان من الطبقة الوسطى؛ لكنه كان يبالغ في تزيين مجلسه -ككلّ أصحاب هذه الطبقة- ليبدو من طبقة أعلى.. قال تولستوي ما نشعر به.

***

قال أحدُ الأدباء: كثرةُ الاعتذار تنبّه في نفس المُعتذَر إليه شيئًا من الملامة لم يكن موجودًا من قبل.. هذا ممّا نشعر به ولا نهتدي إلى قوله.

***

فائدة في الاعتذار: إذا اعتذرت فركز على عذر واحد، لا تذكر أكثر من عذر لأنها يضعف بعضها بعضًا في نفس المعتذَر إليه.

***

من طرائف إهداء الكتب.. اشترك زوجان في تأليف كتاب، وصدّراه بكلمة إهداءٍ قالا فيها: إلى أولادنا.. وهم الثمار الأخرى للتعاون بيننا!

***

نمت البارحة بعد العشاء، أردتها غفوةً قصيرةً لأعدّل نومي فلم أستيقظ إلا مع أذان الفجر، تورّطت بهذا الصباح الطويل المُمِلّ.. لماذا تخيب الآمال؟

***

يقول برنارد شو عن رواية «موبي ديك» لهرمان ملفل: منذ كتب الإنسان لم يوجد قط كتاب مثل هذا، وعقل الإنسان أضعف من أن يكتب كتابًا مثله.[1]

---

(١) أشهر ترجمة لها ترجمة إحسان عباس.

وهذه الرواية المذهلة إحدى أجمل عشر روايات قرأتها في حياتي، شيءٌ عظيمٌ فريدٌ، إبداعٌ محيّرٌ، حفر ذاكرتي وطبع مشاعري بغواية البحر.

***

روايـات أضافـت لـي قيمـة: البؤسـاء لهيجـو، الجريمـة والعقاب لدوستويفسـكي، موبـي ديـك لملفل، مـدام بوفـاري لفلوبيـر، أوليفر تويست لديكنز.

***

بودّي أن أتحدّث في غفلة من العقل وغواية من الجنون؛ عن زوربا وكازانتزاكـي وأنتونـي كويـن وإيريـن بابـاس.. لكني أخشـى غدرات الأيام وغضبة المشايخ.

***

في هذا الصيف اللاهب؛ أرجوك لا تغرّد من زيلامسي لتقنعني: أن السعادة ليست في المال.

***

لبيجوفيتـش كتاب «هروبي إلى الحريـة»، وهو خواطر رائعة قيدها في السجن.

***

صـدر عـن «كلمـة» ١٤٣١ كتـاب: «النمـل.. التاريـخ الطبيعـي والثقافي»، لشارلوت سلي بترجمة معين الإمام.

***

أُتهم بأني أعادي المرأة في تغريداتي ولست كذلك، وعندي سؤال وأخشى من غضبتهن فهل تحموني: لِمَ كان أمهر الطبّاخين ومصمّمي الأزياء وكبار أطباء النساء والولادة وخبراء التجميل؛ من الرّجال؟

***

كان الأمير شكيب أرسلان تعجبه أبيات النابلسي:

قهــوة البــنّ حــلالٌ ما نهى الناهون عنها
كيف أدعوها حرامًا وأنــا أشــرب منهــا

***

جـازان بلـد الشـعر والثقافـة ومـكارم الأخـلاق، لها تاريـخ علميّ حافل، وأهلها من أرقّ الناس وأطيبهم.

***

تعرفون سيارة كان الشباب يسمونها «مسطرة»؟ اللي ما يعرفها فاته كثير من التاريخ المحلّي وذاكرة الشارع.(١)

***

كلّ مـن كان فـي جيلي -وأتكلم عن الرياض- عاش مراهقة غريبة مـن عـام ١٤٠٢هـ إلى عام ١٤٠٩هـ تقريبًا، وحتى أكـون دقيقًا «كثير ممـن كان فـي جيلـي».. أتمنى بشـوقٍ أن أجـد رواية تعيـد ذاكرة تلك المرحلـة بـكلّ مـا فيهـا مـن خيـر وشـرّ.. لا أجدنـي أنشـط الآن لهذه الذكريـات، لكنهـا خليط غريب من الصغـار والكبار، مرحلـة مادّتها:

---

(١) السيارة هي سدرك من نيسان، وكانت لها تسميات مختلفة: سي، هارتوب، مسطرة.

التفحيط، والشوارع، والهروب من المدرسة، ومفرداتها: المسطرة، والقراندي، والعبّارتين، والفليور، وطيس البرمان، والترفيع، والمحاقين.. والشارع الأصفر، وشارع المحبين، وشارع الحبّ! وشارع صيته، والجنادرية عصر الجمعة.. في خليط من بشير شنّان، وفهد بن سعيد، وعيسى الأحسائي، وطاهر، والصّريخ، والجنوبي ونيران وبريطة! وبنت البكّار، والجرّادية، مضاربات عنيفة، ورموز مخيفة لكبار الأقوياء في الحارات!

***

تريدون أن تقرأوا شعرَ شاعرٍ برّح به الوَجْد، وأضناه الهوى؛ طالعوا ديوان العبّاس بن الأحنف وما قاله في محبوبته فوز.

***

أنزلِ الناسَ المنزلةَ التي ينزلونك إيّاها من أنفسهم؛ احترم من يحترمك ولا تبتذل نفسَك لمن لا يعرف قدرك.

***

سأُعلّم أبنائي قيمة المال لئلا تطحنهم الحياة كما فعلت بنا، سأخبرهم أن هذه المثاليات يُكذّبها الواقع ولا تُصدّقها الأيام.

***

يضع صورة طفل يتأرجح في مزبلة وهو يبتسم، ثم يعلّق عليها: مَن قال إن السعادة في المال؟ لم لا تصوّر الشقاء الذي يعيشه سائر يومه!

أنا بخيرٍ والحمد لله، ومن أسرة جيدة ماديًا، لكني غفلت في بعض مراحل حياتي عما هو أولى بي من شأن أسرتي ومعيشتي؛ ففهمت زيف هذه المثاليات.

***

لي في تويتر سنوات وأعتقد أن أكبر إنجازٍ لي فيه: عدم دخولي في نقاشات تفعل بروحي ما تفعله بقعة الصدأ بالحديد «تأكل منه ولا تزيده شيئًا».

يعتقد كرام المتابعين لما يرون من بعض الدعابة والمحبّة؛ أن الجو رخاء وسلام.. يأتيني من السبّ والشتم والاستفزاز والضغوط ما لا يتوقّعونه لكني وطّنت نفسي على المضيّ في شأني بسلام، ومغالبة انفعالاتي ما استطعت.. وما رأيت في تويتر أفضل من هذه الحكمة: قُلْ كلمتَك وامْشِ.

***

تركت الدراسة فترة ولا أروح لعزيمة إلا ويسألني واحد: من أي جامعة متخرج؟ وسكنت سنين في إيجار وكل أسئلتهم عسى البيت ملك؟ فلما تخرجتُ في الجامعة وملكتُ بيتًا لم يَعُد أحدٌ يسألني!

***

هناك جانب خفيّ في علاقة أم كلثوم بعبدالناصر والثورة التي تبنّتها ورمّزتها، وقد أراد أنور السادات أن يجعل من ياسمين الخيّام ما جعله عبدالناصر من أم كلثوم ففشل؛ كما فشل في جعل أنيس منصور مقابلًا لحسنين هيكل في عهد عبدالناصر، للسياسة خفاياها..

***

كثير من الأطباء أدباء، وكثير من خرّيجي كلية الزراعة فنّانون.

***

أجمل كلماتي في تويتر؛ ما جاءت عفويّة من وحي اللحظة الحاضرة، كلّ كلمة استعددت لها وبالغت في تحريرها جاءت صناعيّة شوهاء.. المجد للبسطاء!

***

للكلمات روح وقبول وأسرار، تكتب تغريدة تظن أنها ستغيّر وجه العالم فيتغيّر وجهك لأنها لم يلتف إليها أحد؛ وتغريدة تتردد في نشرها ويكون لها أثر.

***

يقول يحيى حقّي: الإبداع جُهدان، جهد الصنعة؛ وجهد إخفاء الصنعة.. وهذا معنى آخر يختلف عمّا تكلمت عنه.

***

نشاطي المفضّل في أوقات الفراغ؛ قضاءُ وقتٍ طويلٍ مع أشخاص يختلفون معي.. جولديكر.

***

لا يمكنك أن تقنعَ بعضَ النّاس بالمنطق؛ ليتخلّوا عن أفكارٍ اعتنقوها دون أساسٍ منطقيٍّ من البداية.. جولديكر.

***

حين أرى التسابق على بعض دورات تطويرِ الذاتِ يخطر في بالي هذا السؤال: لماذا يفعل من نظنّهم أذكياءَ أشياءَ غبيّة؟!

***

«السُّلْطةُ الـمُطْلقة مَفسدةٌ مُطْلَقة».. الـمُطلقات بلا قيودٍ لا يستقيم معها سلوكُ هذا الإنسان.

***

ممّـا قرأتُـه عـن جنـونِ الكتابة والتماهـي مـع خيالاتهـا: أنّ روائيةً اشتكت من شخصيّةٍ شرّيرةٍ في روايتها الجديدة قد تحرّشت بها!

***

يقـول البِشْـري فـي كتابه «في المرآة» عن سـعد زغلـول: لو حاول بـكل جهـده ألا يكـون رجلًا عظيمًـا ما اسـتطاع، وهيهـات لامرئ أن يملك عن نفسه ما شاء لها الله!

***

حين أقرأ لكبار الكتاب أولئك أسأل: أين ذهب أرباب البيان وأعلام القلـم؟ كيـف تجمّعت في زمـان واحد كلّ تلك العبقريّـات ثم أقفرت أيّامنا من مثل واحدٍ منهم؟ هل لانتقال الأُمّة من طَوْرٍ حضاريٍّ إلى آخر أثرٌ على صناعة العبقريّة؟ أم أنّ العبقريّة روحٌ غالبةٌ وضربٌ من ضروب العـدوى؟ كنـتُ أتصفّـح عددًا قديمًـا من مجلة «الهـلال» فوجدتُ في العدد نفسه؛ مقالةً لطه حسين ثم للعقّاد ثم للمازنيّ ثم لأحمد أمين..!

***

لم أرَ أوسـعَ للعقل من تنوّع الاطلاع والتفنّنِ في ضروب المعرفة، الاتجـاه الحـادّ في القـراءة يـورث القارئ نظـرةً ضيّقةً لا تـرى صورة المعنى كاملة.

***

لا غنـى للمتخصّص من حدّ أدنـى من المعارف في غير تخصّصه، ومثل هذا يجعله أكثرَ تفوّقًا في تخصّصه من غيره.

***

مـا هذه الأخبار؟ عالَمنا توحّـش وجُنّ جُنونه، أوقفوا كتابة التاريخ لئلا تلعننا الأجيال.

***

جالـسْ مـن يحبّ القـراءة ويُعنى بشـأنها ويكثر مـن الحديث عنها وستكون كذلك، فالصاحب ساحب.

***

يرجـع عَوْدي على بدئي ثمّ لا شـيء.. لا دهشـة، حيـاة رتيبة الوقع كدوران ساقية في قرية نائية.

***

مشكلةُ بعضِ الأساتذةِ الأكاديميين أنه لم يستوعب الفرقَ بين الإملاءِ والتقريرِ في قاعة الدرس؛ وطبيعةِ الحوارِ الثقافيِّ العامّ في تويتر.

***

أصحُّ نشـرةٍ لديوانِ الإمامِ الشـافعيِّ -رحمه الله- هي التي بتحقيق الدكتور مجاهد مصطفى بهجت.

***

كتـاب «عبـدالله النفيسـي الرجل-الفكرة-التقلّبـات» للأسـتاذ علـي العميـم، بحثٌ مهـمٌّ، وفيه نَفَسٌ حـادٌّ وانفعالٌ خـرج بمؤلّفه عن الاعتدال.

***

هنـاك قائمـة ذكـرتُ فيهـا اثني عشـر كتابًا للمسـيري -لعلهـا تغني القارئ عن تتبع باقي كتبه- في لقاء معي على الشبكة:

ما مؤلفات المسيري التي من اكتفى بقراءتها أغنته عن بقية مؤلفات المسيري الأخرى؟

الحقّ أنه ليس هناك كتاب يغني عن كتاب، لكنْ هناك كتاب أجمع من كتاب. لعبدالوهاب المسيري أزيد من ستين كتابًا، إلا أنه كثير التكرار في كتبه، استلّ من موسوعته موادَّ كثيرة زاد عليها ثم أفردها في كتب.. لذا فإن قراءة الموسوعة لغير المتخصص ربما وفرت عناء تتبع كثير من كتبه ومقارنة موادها وما أضافه على ما في الموسوعة، وهذه قائمة باثني عشر كتابًا من مؤلفاته لعلها تجمع زبدة نِتاجه الفكري:

١. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد «في ثمانية أجزاء» وهي أهم كتبه.
٢. الموسوعة الموجزة: وهي اختصار للموسوعة السابقة صدرت في مجلدين.
٣. الفردوس الأرضي: دراسات وانطباعات عن الحضارة الأمريكية .
٤. الانتفاضة الفلسطينية والأزمة الصهيونية: دراسة في الإدراك والكرامة.
٥. من الانتفاضة إلى حرب التحرير الفلسطينية: أثر الانتفاضة على الكيان الإسرائيلي. هذه الدراسة مكملة للدراسة السابقة.
٦. إشكالية التحيّز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد، وذكر هذا الكتاب في مؤلفات المسيري فيه تجوّز، فهو

مجموعـة مـن البحـوث لـه ولغيـره وكان أشـرف علـى تحريره، وهو مهم في فنه.

٧. دراسات معرفية في الحداثة الغربية .

٨. الإنسان والحضارة والنماذج المركّبة .

٩. الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان .

١٠. اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود .

١١. العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة .

١٢. العالَم من منظور غربي .

وله بعض المترجمات كترجمته بالاشتراك مع زوجته هدى حجازي كتاب صديقه كافين رايلي «الغرب والعالم».

مع بعض الكتب عن الشـعر الرومانتيكي وقصص الأطفال. وسيرة ذاتية مهمة عنوانها: رحلتي الفكرية: في البذور والجذور والثمر..

كمـا أن له حـوارات قد جمعـت في كتاب مـن أربعة أجزاء وهـو مفيد للغاية «كانت كتب الحوارات غير معروفة إلى وقت قريـب فـي المكتبـة العربيـة، ولكنها كثـرت منذ عدة سـنوات، ولعله أن يكون لهذا الضرب من التأليف أهمية كبيرة في المكتبة العربية في المقبل من الأيام».

هذا الذي أوردته من كتب المسيري إنما ذكرته ذكرًا مجرَّدًا دون تقويمـه أو الحديـث عنـه، لأن فيـه كثيرًا مـن الأخطاء وما لا يرضاه طالب العلم الشرعي.

***

لا شيء يتكرّر في الحياة سوى أخطائنا.. مثل روسي.

***

تفسير «درّ الأسرار» للحمزاوي.. فسّر فيه القرآن بالحروف المهملة، لم يذكر في تفسيره كلمة فيها حرف منقوط![1]

***

هناك أمران يحكمان الحوار العلمي: البرهان القائم على مقدمات يقينية، والسلوك الضابط لأدب الحوار، حين يخلو منهما أو من أحدهما فلا قيمة له.

***

الباب المفتوح يخيف السارق، السارق يبحث عن الأبواب الموصدة!

***

احذروا صراعَ صناعةِ الرّموزِ وتحطيمِها بين التياراتِ والمناهج، العاقلُ هو من يُنزِلُ الإنسانَ منزلتَه دون بَخْسٍ ولا مُبالغة.

***

كثير مما ورد عن الحيوان في الكتب التراثية لا يقرّه العلم الحديث.

***

---

(١) أشار الأستاذ الهدلق في موضع آخر إلى أن التفسير لا يضيف الكثير بل هو ترف علمي.

ليس كلّ من فشل في الاختبار يصبح مالكًا لمايكروسوفت، الشهادة سلاح العصر.

***

ليس هناك عادة لا تتغيّر، لكن تغيير العادات يحتاج إلى المُطاولة كما قال ابن خلدون. ولو ذقتم لذة الفوضى لجالدتمونا عليها بالسيوف.

***

أظن -وليس لديّ إحصائية دقيقة- أنه لا يوجد كتاب مؤلف باللغة العربية طبع منه ما طبع من كتاب «حصن المُسلم». وما أعلمه أنه ترجم إلى ثلاث وأربعين لغة.

***

الآن التغريدات سلفية، وفي آخر الليل حديث عن «ذئب السهوب» لهرمان هسّه!

***

حافظوا أحبّتي على أذكار الصباح والمساء بالوارد من القرآن وصحيح السنة، هي حصنٌ حصينٌ من شرور الدنيا وآفاتها، وتورث طيبًا وطمأنينة في النفس.

***

شيئان لم أستسغهما؛ هذا التكلّف في التحذير الشرعيّ ممّا يكتب على المنتجات، والمبالغة الوعظية في إيراد الأخبار عن عبادة الصالحين.

تقول: «المبالغة الوعظية» في إيراد أخبار الصالحين، فيردّ: أخبار الصالحين أفضل من الروايات. أعانك الله على عقلك وأعان مَن حولك على هذه البلادة.

أعتقد أن من سلبيات الصحوة؛ هذه المبالغة في صياغة المثال الذي كان على المتديّن اتباعُه.. في هدي نبينا عليه السلام غنية عن هذه الخوارق المحبطة.

***

كتاب «الفيلم الوثائقي: قضايا وإشكالات».. تأليف مجموعة من الباحثين، إعداد قناة الجزيرة، صدر عن الدار العربية للعلوم ١٤٣١.. مهم.

***

كتاب «ذكرى الأمير شكيب أرسلان.. المراثي وحفلات التأبين وأقوال الجرائد»، جمعها محمد علي الطاهر (مهم).. الطبعة الثانية ١٤٠٩.

***

قرأتُ كثيرًا ممّا كتبه عبدالله القصيمي، وطالعتُ أغلبَ ما ألّف عنه من كتب وما نُشر عنه من مقالات، وسمعتُ بعضَ أخباره الخاصّة ممّن عرفه وجالسه.. وبعيدًا عمّا في كتبه من الطوامّ والموبقات؛ أودّ أن أذكر معنىً آخر وهو: أن «القصيميّ نفسه ظاهرة صوتية»، ضَحْل الثقافة لا يملك منهجًا فكريًّا وليس لديه مشروع معرفي، يكرّر نفسَه وأفكارَه تكرارًا كئيبًا مملًّا في وَلَعٍ غريبٍ بمترادفات الألفاظ.

لا أستطيع أن أقول عن نيتشه هذا الكلام وإن خالفته غاية المخالفة، نيتشـه -هذا الذي كان القصيمي معجبًا به- يملك عقلًا قويًا وأسـلوبًا يعدّ من أرفع الأساليب، وله نظامه الفكريّ، وأسخر من نفسي ويسخر مني دارسـو الفلسـفة حين أسـلب نيتشـه هـذه القدرة لأنـي لا أرتضي أفـكاره، أفـرّق بيـن القدرة فـي ذاتها وبيـن موافقتها لمنهجـي، عبدالله القصيمـي ذو أفـكارٍ رخوةٍ فـي عناوين برّاقة، وَهَـوَسٍ لفظيٍّ في جُمَلٍ مخاتلةٍ؛ إذا تأمّلتها تكشّـفت لك عن لا شـيء.. وهذه كتبه شاهدة بيننا علـى أن مـا كتبـه ما هو إلا تهويمـات مأزومٍ بلا نظامٍ فكـريٍّ ولا عمقٍ معرفيٍّ.

***

لماذا يجعلون الوقت في دعايات الساعات: الساعة العاشرة وعشر دقائق؟ ما أعرفه أن ذلك ليس له علاقة بحدث تاريخي، إنما لأجلِ أن يكون اسـم الماركة واضحًا، وتكبّر مسـاحة السـاعة، والشكل جذاب وفيه ابتسامة.

***

شـعورُ المرءِ بأنـه عديم الأهميّـة يجعله يقوم بأشـياءَ غريبةٍ لجلبِ الاهتمام، فيصبحُ بها أقلَّ أهميّةً ممّا كان عليه.

***

لا أحـبّ الاسـتماع إلـى قـارئ يتكلّـف تقليدَ قـارئ مشـهور، اقرأ بصوتك الذي خلقه الله لك وكن أنت لا نسخة أقلّ من غيرك.

***

كان الأديب المازنيُّ -وقد أذاقته الحياة من فنون العذاب ألوانًا- يوصي باللامبالاة والسخرية من الحياة، لأنها سافلة لا تستحق أكثر من هذا.

***

الخطابُ الوعظيُّ المتوازنُ في الطّرح، الذي يتمثّل طبيعةَ النفس الإنسانية ولا يتعالى عليها؛ هو الأحظّ بالقبول والأدعى إلى التأثير.

***

منذ عدّة سنوات وكميّة الفرح تتناقص من نفسي في ليالي رمضان، كانت أكثرَ بهجة ومتعة، خذوا لياليكم البلاستيكية هذه وأعيدوا إليّ لياليّ.

***

-لماذا تضحك كثيرًا؟ حتى لا أبكي..

***

ذكر ستيفن هوكينغ أن التفاحة لم تسقط على رأس نيوتن، وذكر إيزاكسون أن أينشتاين لم يكن ضعيفًا في الرياضيات في طفولته.. لكنها قصص ملهمة.

***

مرّت بي تغريدة فيها: أنتم أكبر سبب بعد الله.. وهذا خطأ عقدي يقع فيه بعضهم بحُسن نية، وهو وصف الله بأنه سبب للأشياء، والله سبحانه هو خالق الأسباب.

***

أكثر أسماء الأمراض عند العرب تأتي على وزن «فُعال» كزُكام وصُداع وسُعال وكُباد.. وكان د. مصطفى جواد يسمي مرضَ القلب -وقد أصيب به- القُلاب.

***

لديّ -منذ سنواتٍ- مشروع بحثٍ عن جميع ما كانت العرب عليه؛ في اعتقادها وعوائدها، ما تحبّه وتكرهه، وما تتفاءل به وتتطيّر منه.. وهكذا في جميع شأنها، وربطِه ببعض ما بقي من ذلك في ذاكرة العربي في أيّامنا هذه، وهو موضوع طريف نافع، إلا أني كسولٌ ملول.

***

كتاب الألوسي «بلوغ الأَرَب في معرفة أحوال العرب» كتاب حافل فاز به بجائزة الملك أوسكار، لكنه دون كتاب د. جواد علي، وهو من مراجعه.

***

كتاب «المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام» في ١٠ أجزاء لجواد علي؛ هو أعظم كتاب في موضوعه، رجع فيه مؤلفه إلى ١٠٠٠ مرجع بثلاث لغات في ٣٠ سنة.

كل من خَطَّ حرفًا في تاريخ العرب قبل الإسلام بعد تأليف هذا الكتاب، فهو عيال عليه لا محالة، طبع الكتاب في عشرة مجلدات ضخمة.

***

الملك أوسكار الثاني من أكبر محبي العلوم وداعميها في العالم في زمانه، سيرته غريبة وملهمة.. اقرأ عنه.

***

كانت العرب تقول: إذا شربتَ فأسئر؛ أي لا تشرب الإناء كلّه وأبق بقية مما تشربه في الإناء.. قالوا: لأنه ربّما تجمّع في آخر الإناء شيءٌ يضرّ.

في أيّامهم لم تكن مياههم صافية في كلّ أحوالها فهذا من حفظ الصحّة عندهم، وقد مرّ بي أن هذه الكلمة وردت في حديث ولا أعلم.

***

تَقِلُّ قيمة مزايانا في أعيننا حين يمتلكها الآخرون.. رونار.

***

إذا قلتَ للمرأة أنتِ جميلة اعتقدت أنها ذكية.. رونار.

***

المَصْلَحة العامَّة مجموع مَصالح خاصة.. نسيت القائل.

***

نشر الأمير شكيب أرسلان الرسائل التي أرسلها إليه رشيد رضا في كتابه عن رشيد، ثم قام الشَّـرَباصي بنشر رسائل شكيب إلى رشيد في مؤلَّفه عن شكيب.

***

طه حسين والعقاد لهما رسائل شخصية منشورة.

***

وقع بين الكَرْمِليّ وعبدالسلام هارون سجال علمي نشر في مجلة الثقافة، وأعاد هارون نشره في كتابه «قطوف أدبية».

***

لا تستعجلوا شوّال لأجل الرّاتب؛ لم أعد أستعجلُ الأيّام منذ أن قرأت: أنّ الفقيرَ يستعجلُ عُمُرَه!

***

قصيدة: إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه.. ليست للسموأل الجاهلي، وإنما هي لشاعر إسلامي يقال له عبدالملك الحارثي، وهناك أبيات فيها يقال إنها ليست له.

***

صنع حبيبنا الشيخ عبدالله السحيم فهرسًا كاشفًا للمجلة الحافلة: «تراث الإنسانية»، شكر الله له وبارك في جهوده.

***

أسعى إلى الكمال في عالم ناقص، وأرى أفاعيَ تنهش أقدامًا طاولتها الدروب، ثمة حقيرٌ يتحدث في عظمةٍ عن أشياء تافهة، ولا أحد يهتمّ لخيانة الكلمات.

***

كان بنيامين فرانكلين يسجل أخطاءه في أوراق، وبعد سنوات راجعها فوجد أهم هذه الأخطاء: إضاعة الوقت، الاهتمام بالتوافه، الاندفاع في تسفيه آراء الناس.

***

صباحكم جِدٌّ ونشاطٌ، حكمةُ الصّباح: «لا تؤجّل أعمالَ اليومِ إلى الغد، أجّلها إلى ما بعد الغد!» أوسكار وايلد.

***

يجب أن تستمرّ الحياة... هل تكملون هذه العبارة بكلمات إبداعية قصيرة؟

(يجب أن تستمرّ الحياة لكني نسيت السبب!) إدنا سانت فنسنت ميليه. هذا إبداع غير متوقّع وليس تقليديًّا.

***

أكملوها بإبداع مفاجئ في كلمات قليلة، هذا كاتب يصف حالة الضياع التي يعيشها يقول: أفتحُ البابَ...... أكملوها حتى نقارن الإبداع!

هو يصف حالة الضياع التي كان يعانيها واضطرابَ الأشياء من حوله فيقول: أفتحُ البابَ وأدخل إلى الشارع!

***

صدر قديمًا: سنة ١٣١٩ كتاب «الحماسة السنية الكاملة المزية في الرحلة العلمية الشنقيطية التركزية».. للعلامة الكبير ابن التلاميد، فيه نفائس.

أمضى ابن التلاميد الشنقيطي في تحقيق المخصّص لابن سيده عدة سنوات، يراجع الكتاب في غرفة رطبة مظلمة حتى مرض، وكان يقول: أنا قتيل المخصّص.

***

إنّ العبقرية والألم مترادفان؛ فإنّ أذكى الناس هم أكثرهم قابليةً للألم.. ريشيه.

***

هل لنا أن نفخرَ بالدكتور أحمد زويل رحمه الله، أم علينا أن نتوارى خَجَلًا من بيئةٍ عربيةٍ طاردةٍ للمواهب والكفاءات؟

***

يقول ماركس: «الاستثمار الحقيقي هو الإنسان»، هناك في دراسات العقول المهاجرة مصطلح: «رأس المال الفكري» وهو من أقوى دعائم رأس المال الاقتصادي.

***

صدر قديمًا: سنة ١٩٥٦ كتاب «في عالم المكفوفين» للأستاذ الكبير أحمد الشرباصي –هو ممن لم يعط حقه رحمه الله– بحث طريف عن المكفوفين.

***

أقرأ في مقدمة المؤلفات الغربية كثرة ثناء المؤلف على من ساعده في بحثه، وأجد في مقدمة المؤلفات العربية كثرة تنقّص المؤلف لمن سبقه في مجال بحثه!

***

إنّ العقول تشبه القلوب بصفة عامة في أنها تذهب حيث تلقى التقدير. روبرت مكنامارا.

***

كتاب «الإمتاع والمؤانسة» لأبي حيان التوحيدي من ذخائر التراث الأدبي، وهو أجمل وأقيم مؤلفات التوحيدي. ومن اللطائف أن أحد محقّقَيه وهو الأستاذ الشاعر أحمد الزين كان كفيفًا.

***

حين امتلكنا جميعَ الأجوبة غيروا الأسئلة. إدواردو غاليانو.

***

حرية التعبير تسمح لنا بأن نصغيَ لأولئك الذين يتحدّثون باسمنا، لا نريد أن نحيا نريد أن نعيش. إدواردو غاليانو.

***

مما قرأته: في الكتاب مُتعَتان: مُتعَةُ قراءته، ومُتعَةُ الحديثِ عنه.

***

أستاذ.. فارسية معناها الحاذق بصنعته، ولا تجتمع السين والذال في كلام العرب، ويرى بعضهم أنه لا يقال للمرأة أستاذة وإنما أستاذ، ويجوز الوجهان.

***

كلُّ مقولةٍ لا أذكرُ اسمَ كاتبِها؛ فهي بقلمي.

***

كوكب «الزُّهَرَة» هو هذا الكوكب الغائر في السماء، وضبط اسمه «الزُّهَرَة» وليس «الزُّهْرَة». ولأبي بكر محمد بن داود الأصبهاني كتاب «الزهرة».. وهي «أصْفَهان» أو «أصْبَهان» من بلاد فارس، والنسبة إليها في كتب التراث «الأصْفَهانيُّ» أو «الأصْبَهانيُّ»، ومن ذلك: أبو الفرج الأصْفَهانيُّ أو الأصْبَهانيُّ، وقد ظنّ بعضهم هذه النسبة الأخيرة في اسم أبي الفرج من أخطاء الطباعة! توفي أبو بكر محمد بن داود الأصبهاني سنة ٢٩٦ أو ٢٩٧ للهجرة عن ثنتين وأربعين سنة، وله كتابٌ مشهورٌ هو من أوائل ما ألّف في العشق في تراثنا؛ عنوانه

«الزَّهْـرَة» علـى خـلافٍ فـي ضبط عنـوان الكتـاب، ولعل مـا كتبتُه هو الأصحّ كما استظهره محقق الكتاب.. وجد من هذا الكتاب في بداية القرن العشرين قطعةٌ هي الجزء الأول منه نشرها المستشرق الإنجليزي نيـكل بالاشـتراك مـع الشـاعر إبراهيـم طوقـان، وهذا المستشـرق هو مترجم كتاب ابن حزم «طوق الحمامة» إلى الإنجليزية - أوّل ما نَشَـر أحدُ المستشرقين كتاب «طوق الحمامة» لابن حزم؛ ثارت ثائرة بعض رجـال الأزهـر وأنكـروا أن يكون لابـن حزم وأصدروا فـي ذلك بيانًا! لا أريد أن أستطرد كثيرًا..

هناك قصيدةٌ مشهورةٌ في أيامنا وهي قصيدة «ثورة الشكّ»:

أَكَادُ أَشُـكُّ فـي نَفْسِـي لأَنِّـي ... أَكَادُ أَشُـكُّ فيـكَ وأَنْـتَ مِنِّـي

وكنـت أقلّـب كتـاب «الزَّهْرَة» لأبـي بكر محمد بـن داود؛ فوجدته أورد أبياتًـا جميلة لا شـكّ عندي في أن شـاعر «ثورة الشـكّ» تلمَّحَها وهـو ينظم قصيدته الرائعة ولا عيب في ذلك، وقصيدة «ثورة الشـكّ» تجـاوزت هـذه الأبيـات فـي شـجاها وجمالهـا وكلتاهمـا علـى بحـر الوافر(١). وقد نشـر كتاب «الزهرة» بعد ذلك كاملًا بتحقيق د. إبراهيم السامرائي، حيث وجدت قطعته الناقصة في إيطاليا.

قصيدة ثورة الشك:

أَكَادُ أَشُـكُّ فـي نَفْسِـي لأَنِّـي ... أَكَادُ أَشُـكُّ فيـكَ وأَنْـتَ مِنِّـي
يَقُـولُ النَّاسُ إنَّـكَ خُنْتَ عَهْدِي ... وَلَـمْ تَحْفَـظْ هَـوَايَ وَلَـمْ تَصُنِّـي
وَأنْـتَ مُنَايَ أَجْمَعُهَا مَشَـتْ بِي ... إلَيْكَ خُطَى الشَّبَابِ المُـطْمَئِنِّ
وَقَـدْ كَادَ الشَّـبَابُ لِغَيْـرِ عَـوْدٍ ... يُوَلِّـي عَـنْ فَتَـىً فـي غَيْـرِ أَمْـنِ

(١) سقطت القصيدة من النص.

وَهَا أَنَا فَاتَنِي القَدَرُ المُوَالِي بِأَحْلَامِ الشَّبَابِ وَلَمْ يَفُتْنِي
كَأَنَّ صِبَايَ قَدْ رُدَّتْ رُؤَاهُ عَلَى جَفْنِي الـمُسَهَّدِ أَوْ كَأَنِّي
يُكَذِّبُ فِيكَ كُلَّ النَّاسِ قَلْبِي وَتَسْمَعُ فِيكَ كُلَّ النَّاسِ أُذْنِي
وَكَمْ طَافَتْ عَلَيَّ ظِلَالُ شَكٍّ أَقَضَّتْ مَضْجَعِي وَاسْتَعْبَدَتْنِي
كَأَنِّي طَافَ بِي رَكْبُ اللَّيَالِي يُحَدِّثُ عَنْكَ فِي الدُّنْيَا وَعَنِّي
عَلَى أَنِّي أُغَالِطُ فِيكَ سَمْعِي وَتُبْصِرُ فِيكَ غَيْرَ الشَّكِّ عَيْنِي
وَمَا أَنَا بِالـمُصَدِّقِ فِيكَ قَوْلًا وَلَكِنِّي شَقِيتُ بِحُسْنِ ظَنِّي
وَبِي مِمَّا يُسَاوِرُنِي كَثِيرٌ مِنَ الشَّجَنِ الـمُؤَرِّقِ لَا تَدَعْنِي
تُعَذِّبُ فِي لَهِيبِ الشَّكِّ رُوحِي وَتَشْقَى بِالظُّنُونِ وَبِالتَّمَنِّي
أَجِبْنِي إِذْ سَأَلْتُكَ هَلْ صَحِيحٌ حَدِيثُ النَّاسِ خُنْتَ؟ أَلَمْ تَخُنِّي؟

***

لا أنت اكتشفت ولا حققّت، ذكّرتني بقول حافظ:

أَتَوا أَهلَهُم بالـمُعجِزاتِ تَفَنُّنًا فَيا لَيتَكُم تأتون بالكَلِماتِ

***

كنتُ ذكرتُ؛ أن باحثًا -نسيت اسمه- كتب عن «الواو والنون» التي تلحق الأسماء الأندلسية كخلدون وحمدون وزيدون وعبدون وبدرون ورحمون، كتب بحثًا ذهب فيه إلى أن هذه أسماء عربية: خالد وحمد وزيد.. لحقتها «الواو والنون» في الأندلس تأثّرًا بلغة قشتالية قديمة.

***

الـمَرْحَلةُ الحَرِجَةُ في القراءة؛ أن تستمتعَ بالقراءةِ نفسِها وليس بالنص المقروء، هذا من آثارِ إدمانِ القراءة.

***

لا أكتبُ للآمالِ الزائفةِ بمَوَاكبِ الخُلود، أكتبُ لأنّ معنىً من الحياة يَقسِرني على الكتابة، لأنّ الكتابة هي كلّ ما تبقّى لي من نَفْسي.

***

لشيخنا العلامة حمد الجاسر -رحمه الله- في العدد الأول من مجلته الحافلة «العرب»؛ حديثٌ مؤثرٌ عن اشتغاله بالتراث والغرب يشتغل بالكشوفات.

افتتاحية العلامة الجاسر للعدد الأول من مجلة العرب عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م

علم الذَّرة وبلوغ القمر!!

قال: وما كان مخذلًا، ولا هازلًا:

وماذا ستنشر في مجلة «العرب» عن «العرب»؟!

لقد بلغ العالم غاية من التطور، بعيدة البعد كله عن كل ما أثر عن العرب من علم، وثقافة، وحضارة. وتغيرت معالم الحياة في هذا الكون بل تبدلت، بتطوره الهائل المريع، تغيرًا قضى على كل وسائل الحياة التي ألفها الناس وعرفوها، منذ نصف قرن من الزمن، فضلًا عن حياتهم قبل عشرة قرون أو أكثر.

فهل تتحدث عن عصر «الجدِيْل»، و «شَدْقَم»، في زمن «الذرّة» و «الصاروخ»؟

وهل ستكتب عن معالم الجزيرة العربية «الدَّخُول»، و«حومل»، والعالم يتسابق أجواء الفضاء، ليجد من «القمر» و«المريخ»، سعة عن ضيْق هذا الكوكب «الأرضي» الذي برم بالحياة به، وضاق منها؟!

وهَبْ أنك كتبت بذلك الأسلوب، أو تحدثت بتلك الطريقة، فهل تصوَّر أنك ستجد قارئًا لما تكتب، أو مستمعًا لما تتحدث به؟!

وقبل هذا وذاك، هل تأتي بما تكتبه، أو تبين بما تتحدث عنه، بشيء نافع مفيد، للقارئ، إن وجدت قارئًا، أو السامع إن ألفيت مستمعًا؟!

هـذا بعض ما قاله أحـد الأصدقاء، حينما علـم بعزمي على إصـدار هذه المجلة، وهو ما سـيقوله جـلُّ القراء، ولا أقول كل القراء.

ذلـك أن الحيـاة -وإن تغيـرت، واختلفـت وسـائلها- عمـا كانت عليه في عهد آبائنا، فضلًا عن عصر أجدادنا وعصور من قبلهم، فإن شـيئًا واحدًا في هـذا الكون المضطرب العجيب لم يتغير، ولن يتغير ما بقي هذا الكائن المسـمى بـ «الإنسان» على الوجود.

ذلك هو الشيء الكامن في هذا «الإنسان».

إننا نخطىء خطأ فاحشًـا حينما نعتقد أن ما نسـميه «الحياة» هو هذه «المادة» التي نحسُّ بتغيرها وتطورها في كل لحظة.

بل إننا نخطئ أيضًا حينما نربط تلك «الحياة» ربطًا وثيقًا بما يلامسـها من مـادة، وحينما نعتقـد أنها لا تنفصل عن الوسـائل الماديـة التـي مهمـا بلغـت قوتهـا، ومهمـا حاولـت السـيطرة والتحكم بحياتنا، فلن تبلغ ذلك.

لقـد أوجـد الله الإنسـان -حينمـا أوجـده لا مـن «المـادة» وحدهـا، مادة «العظـم» و «اللحم» بل أضاف إليها شـيئًا أعظم وأقوى وأسمى.

وبتأثير هذا الشـيء القوي العظيم السامي استطاع أن يسخر المـادة وفـق رغباتـه، وأن يبلغ من وسـائل السـيطرة عليها قدرًا كبيـرًا ممـا أراد بلوغـه، ولكنه وقف وقـد أعياه السـير، وأضناه التفكير عاجزًا عن إدراك ما وراء «المادة».

إن أشنع خطإ ارتكبه «الإنسان» منذ وجوده هو اعتقاده بأن «المادة» هي كل شيء في هذا الكون ولا شيء غيرها، وأنها هي غاية هذه الحياة. وما أحقر الحياة عندما نتصور هذه غايتها!

إن الحياة من حيث هي، لم تتغير، منذ وجد الإنسان، وإن تغيرت أساليبها ووسائلها.

إنها في عصر «الجمل» وما قبله هي هي في عصر «الذرة»، والصعود إلى «القمر». فلماذا نفرق بين الوسائل ما دامت الغاية واحدة؟!

أفلا يجدر بنا وقد أدركنا اللهاث من أثر المادة، وقسرها في سيرنا وراءها -أن نغفي إغفاءة في ظل الماضي، لعلنا نستروح من راحة العقل وهدوء الضمير، ما يبعث في نفوسنا شيئًا من الطمأنينة التي لا تطيب الحياة بدونها؟!

مُنىً إن تكُن حقًّا تكُن أَحسَنَ المُنى
وَإلّا فَقَد عِشنا بِها زَمَنًا رَغدا

حمد الجاسر

***

للشاعر الكبير محمد بن عبدالله ابن عثيمين ت ١٣٦٣هـ، قصيدةٌ هي في عيون قصائد شعراء نجد.. قالها في رثاء شيخه العلامة سعد ابن حمد ابن عتيق المتوفى سنة ١٣٤٩هـ:

أهكذا البدرُ تُخفي نورَه الحُفَرُ ... ويُفقد العلمُ لا عينٌ ولا أَثَرُ
خبتْ مصابيحُ كنا نستضيء بها ... وطَوّحتْ للمغيب الأنجُمُ الزُّهُرُ

ومَن طالعَ هذه القصيدة؛ ثم طالع قصيدةَ الشاعرِ والكاتبِ الأندلسيِّ الكبيرِ ابنِ عَبْدونَ الفهريِّ في رثاء بني الأفطس؛ ربما رأى تأثر الشاعر ابن عثيمين بهذه القصيدة وتلمّحه لها، على شيءٍ من البعد بين القصيدتين، وكلتاهما قصيدتان رائعتان. يقول ابن عبدون في مطلع قصيدته:

الدّهْـرُ يفجع بعـد العيـنِ بالأثرِ ... فما البكاءُ على الأشباحِ والصُّوَرِ

أنهـاكَ أنهـاكَ لا آلـوك معـذرةً ... عن وقفةٍ بين نابِ الليثِ والظُّفُرِ

وهذه القصيدة من عيون القصائد في رثاء الدول في ديوان الشعر العربيّ، شرحها ابنُ بَدرونَ ونشر أحدُ المستشرقين شرحَه هذا في طبعة من النوادر، وقد وهم الحافظ الذهبي -غفر الله له- فذكر اسمَ ابنِ عبدون في «سير أعلام النبلاء» هكذا: «ابن عيذون» وهو كان ذكر اسمه على الصحيح في «تاريخه» أو لعلّه من تحريف النّسّاخ. وهذا خبر فيه حزن وطرافة عن حال الوزير ابن عبدون بعد زوال دولة بني الأفطس أورده الحافظ في «السِّيَر»:

خبر ابن عبدون، من سير أعلام النبلاء

قال أبو بكر بن زهر: دخل علينا رجل رث الهيئة، كأنه بدوي، فقال: يا بني، استأذن لي على الوزير أبي مروان، فقلت: هو نائم، فقال: ما هذا الكتاب؟ قلت: وما سؤالك عنه؟! هذا من كتاب الأغاني، فقال: تقابله؟ فقلت: ما هنا أصل، قال: إني حفظته في الصغر، فتبسمت، فقال: فأمسك علي، فأمسكت، فو الله ما أخطأ شيئًا، وقرأ نحوًا من كراسين، فقمت مسرعًا إلى أبي، فخرج حافيًا وعانقه، وقبل يده واعتذر، وسبني وهو يخفض عليه، ثم حادثه، ووهبه مركوبًا، ثم قلت: يا أبت، من هذا؟ قال: ويحك! هذا أديب الأندلس ابن عيذون، أيسر محفوظاته كتاب «الأغاني».

***

هناك استدراكات على ترجمات بدوي وأنها ليست دقيقة.

***

غيابٌ بشرف أفضل من حضورٍ مبتذل.

***

قال لي غاضِبًا: لا تغضب! فشَتمتُه وذكّرتُه بما جاء في حُسْنِ الخُلُق.

***

تكرّمًا؛ ما أقدم «نصّ» وقف عليه أحدكم وردت فيه لفظة «مطاوعة»؟ لا أريد لفظ «الـمُطَّوِّعَة» فهو يرد في تواريخ الأندلس وغيرها.

وقفت على لفظة «المطاوعة» في رحلة ابن شيخ الحزّاميين ت ٧١١، ولا أدري هل وردت في نصّ أقدم؟

***

اللامية المعروفة: اعتزلْ ذكرَ الأغاني والغزل... لا تصحّ نسبتها إلى ابن الورديّ، وقائلها مجهول.

***

استفاد القرطبي في تفسيره من ابن العربي، ثم استفاد الشوكاني في تفسيره من القرطبي، ثم استفاد صديق حسن خان في تفسيره «فتح البيان» من الشوكاني. وبعض مواطن الاستفادة لا يصرّح بها العلماء، وهذا يدعو الباحث إلى العناية بدراسة الموارد.

***

ليس أضرَّ على الباحث من أن يعتقد: أنّ أصحَّ معارفِه هي أسبُقها

ورودًا على ذهنه، لأنّ الخطأ ربّما سبق الصّوابَ في وروده على الذهن فيظنّ الباحثُ أن تقادُم العَهْدِ بالمعرفة يمنحها وَثاقةً ورسوخًا، والشأنُ إنّما هو في البُرهانِ القائمِ والدليلِ الناهضِ، وما عداه فهو من أغلوطات الذّهن.

***

ما أذكره هنا من تصحيحِ نسبةِ مَقولةٍ أو قصيدةٍ أو كتابٍ؛ هو رأيٌ أعرِضُه ولا أفرِضُه، أريد به شحذَ الهمّة لمزيدٍ من القراءةِ والبحثِ والتبصُّرِ لي أوّلًا وللقارئ الكريم ثانيًا، وحياةُ العلمِ بمذاكرتِه، ونماؤه بمدارسته، والعقلُ مولَعٌ بأن يدير ما يحسنه من العلوم والمعارف أكثر ممّا يقصد إلى تحريرها، وهي حيلةٌ يتحيّلها لإثباتِ الذاتِ العالمة، ولا يستنهضه إلى التحرير إلا التعقّب والاستشكال.

***

لعل كتابًا لم يقع في نسبته خلافٌ كالذي وقع في نسبة كتاب «التبيان في شرح الديوان»، فقد نُسب على الولاء إلى أربعةٍ من العلماء وكان مستقرّ النسبة إلى أبي البقاء العُكْبَرِيِّ، وأوّل من شكّ في هذه النسبة في العصر الحاضر هو المستشرق الفرنسي بلاشير، ثم كتب د.مصطفى جواد بحثًا ذهب فيه إلى نسبة هذا الشرح إلى الإربلّي، وعاد ونقض هذه النسبة إليه في بحثٍ مشهورٍ ونسبه إلى ابن عَدلان.

وتوافر الباحثون على اعتماد نسبة هذا الشرح إلى ابن عَدلان؛ إلا أن الأستاذ زهير محمد علي في أطروحته العلمية اللغوية عن هذا الشرح شكك في هذه النسبة لكنه اعتمدها على الراجح لأنه لم يعرف الشارح.

ثم كتب الدكتور عبدالرحمن الهليل بحثًا نشره في «مجلة الدراسات اللغوية»؛ أثبت فيه أن هذا الشرح لزكيّ الدين السعديّ، وأورد على ذلك أدلةً قويّةً تجعل زكيَّ الدينِ السعديَّ هو الأحظَّ بنسبة هذا الشرح الحافل، وتعيد الحقّ إليه.

***

ذكر ستيفن هوكنج في مقدمة كتابه «تاريخ موجز للزمان» أن الناشر قال له: إن كل معادلة رياضية تضعها في هذا الكتاب ستنقص القراء إلى النصف! وهذا هو حالي مع بعض المتابعين؛ بعد كلّ حديث جادّ عن كتاب يتناقص عددهم، وقد قلت مرارًا: سأتحدث عن الكتب ولو جلست آخر الأمر على الرصيف.

***

قبل سنوات كان الإنسان إذا لدغته حية أو قرصته عقرب، يمنعونه من النوم خشية أن يسري السمّ في جسده، لا أدري عن صحة هذا علميًّا لكنهم كانوا يفعلون ذلك، فإذا جاء الليل جعلوا معه أحدًا «يساهره» أي يسهر معه ويحدثه حتى لا ينام.. وقد انقلب نومي منذ عدة أيام فأصبحت أنام بعد صلاة العشاء وأستيقظ الفجر! وكنت أتوسّد خجلي من الليل، وأجالس الصباح على كره، فهو أثقل على نفسي من وجه الدائن ومعلم الحصة الأولى! لذا قرّرت الليلة أن أواصل السهر نكايةً في كلّ الجادّين، فالليل هو نهاري ولا شأن لي بنهارهم، لذا؛ ومن منطلق الأخوة المدلهمّة، ولما أحسّه في نفسي من غلبة النوم؛ آمل منكم مؤازرتي ومساهرتي حتى يسفر الصبح لذي عينين، والمرءُ مخبوءٌ تحت طيِّ لسانِه لا تحت طَيْلِسانه، ولا أدري ما

علاقة الكلمة السابقة بما نحن فيه، وكنت قلت ذات تجلٍّ ليلي شفّاف: كيف أُدعى فقيرًا وأنا أملك كلّ هذا الليل؟ لا أريد غنى النهار!

***

يقول الجاحظ: الهزل إذا أخرج مخرج الجدّ سَمَج.. وقديمًا تعوّذوا من كلّ كثيف النفس ثقيل الروح لا يطرب للدعابة.

***

الإنسان قد أشكل عليه الإنسان. أبو حيان التوحيدي.

***

يا مسؤولي الثقافة: مللنا هذه الوجوه التي تطلّ علينا في كل محفل ثقافي، أعيدوا للثقافة روحها بمواهب ناشئة، ارحمونا من أعلام العصر الجوراسي!

***

الحياة رحلة.. لا يستمتعُ بها من يقطعها مع مُرشد.

***

لا أدري من هو أوّل من سمى هذا النوع من خونة الأصدقاء «الأعدقاء»! لكنها تسمية دقيقة معبّرة.

وهناك تسمية إميل حبيبي روايته «المتشائل»، وهي تسمية ساخرة يعني بها المتفائل المتشائم.

***

الشهرة ليست قيمة في ذاتها، وهذا ما لا يفهمه بعض أتباع المشاهير.

***

«للقلب أسبابه التي لا يعلم العقل عنها شيئًا».. باسكال، الفيلسوف الفرنسي.

***

قالت جورج صاند في تحليل عميق للنفس الإنسانية: يمكن تقسيم الناس إلى قسمين؛ الذين يطمحون إلى سُكنى الكوخ، والذين يطمحون إلى سُكنى القصر.

***

في طفولتنا كانت الأساطير تبدو أكثر قِدَمًا ممّا هي عليه اليوم.. باشلين.

***

عادة النفس أن لها إقبالًا وإدبارًا، لكن الانقطاع الطويل مضرّ بعادة القراءة، والأَوْلى محايلة النفس.

***

قصيدة لامارتين[1] العذبة الشجيّة «البحيرة» لها أكثر من سبع ترجمات إلى العربية، أجملها ترجمة نقولا فياض[2] وفاز بها بجائزة أدبية.

قصيدة البُحيرة

أهكذا أبدًا تمضي أمانينا
نطوي الحياةَ وليلُ الموت يطوينا

---

(١) ألفونس دي لامارتين، ١٧٩٠-١٨٦٩، أحد أكبر شعراء المدرسة الرومانسية الفرنسية، من أشهر قصائده قصيدة البحيرة.

(٢) طبيب وشاعر وخطيب ومترجم لبناني، وعضو المجمع العلمي العربي مجمع اللغة العربية بدمشق ١٨٧١-١٩٣٠.

تجـري بنـا سُـفُنُ الأعمـارِ ماخـرةً
بحـرَ الوجـودِ ولا نُلقي مراسـينا؟
بحيـرةَ الحـبِّ حيّـاكِ الحيـا فَلَكَـمْ
كانـت مياهُـكِ بالنجـوى تُحيّينـا
قـد كنـتُ أرجو ختـامَ العـامِ يجمعنا
واليـومَ للدهـر لا يُرجـى تلاقينـا
فجئـتُ أجلـس وحـدي حيثمـا أخـذتْ
عنـي الحبيبـةُ آيَ الحـبّ تَلْقينـا
هـذا أنينُـكِ مـا بدّلـتِ نغمتَـهُ
وطـال مـا حُملـتْ فيـه أغانينـا
وفـوق شـاطئكِ الأمـواجُ مـا برحتْ
تُلاطـم الصخـرَ حينًـا والهـوا حينا
وتحـت أقدامها يا طـال ما طرحتْ
مـن رغـوة الماءِ كـفُّ الريـحِ تأمينا
هـل تذكريـن مسـاءً فوق مائـكِ إذ
يجـري ونحـن سـكوتٌ فـي تصابينـا؟
والبـرُّ والبحـر والأفـلاكُ مصغيـةٌ
مَعْنـا فـلا شـيءَ يُلهيهـا ويُلهينـا
إلا المجاذيـفُ بالأمـواج ضاربـةً
يخـالُ إيقاعَهـا العشّـاقُ تلحينـا
إذا برنّـة أنغـامٍ سُـحرتُ بهـا
فخِلـتُ أن المـلا الأعلـى يُناجينـا
والمـوجُ أصغى لمن أهـوى، وقد تركتْ
بهـذه الكلمـاتِ المـوجَ مفتونـا

يـا دهـرُ قـفْ، فحـرامٌ أن تطيـرَ بنـا
مـن قبـل أن نتملّـى مـن أمانينـا
ويـا زمـانَ الصِّبـا دعنـا علـى مَهَـلٍ
نلتـذُّ بالحـبِّ فـي أحلـى ليالينـا
أجـبْ دعـاءَ بنـي البؤسـى بأرضـكَ ذي
وطـرْ بهم فهـمُ في العيش يشـقونا
خُـذِ الشـقيَّ وخـذْ مَعْـه تعاسـتَهُ
وخلّنـا فهنـاءُ الحـبِّ يكفينـا
هيهـات هيهـات أن الدهـرَ يسـمع لـي
فالوقـتُ يفلـت والسـاعاتُ تُفنينـا
أقـولُ للّيـل قـفْ، والفجـرُ يطـردُهُ
مُمزِّقًـا منـه سِـترًا بـات يُخفينـا
فلنغنـمِ الحـبَّ مـا دام الزمـانُ بنـا
يجـري، ولا وقفـةٌ فيـه تُعزّينـا
مـا دام فـي البـؤس والنُعمـى تصرّفُهُ
إلـى الـزوال، فيَبْلـى وهـو يُبلينـا
تـاللهِ يـا ظلمـةَ الماضـي، ويـا عَدَمًا
فـي ليلـه الأبـديّ الدهـرُ يرمينـا
مـا زال لجُـكِ للأيـام مبتلِعًـا
فمـا الـذي أنـتِ بالأيـام تُجرينـا؟
ناشـدتُكِ اللهَ قُولـي وارحمـي وَلَهي
أتُرجعيـن لنـا أحـلامَ ماضينـا؟
فيـا بحيـرةَ أيـامِ الصِّبـا أبـدًا
تبقيـن بالدهـر والأيـام تُزرينـا

تـذكارُ عهـدِ التصابـي فاحفظيـه لنـا
ففيـكِ عهـدُ التصابـي بـات مدفونا
علـى مياهـكِ في صفـوٍ وفـي كدر
فليَبـقَ ذا الذِّكـرُ تُحييـه فيُحيينـا
وفـي صخـوركِ جـرداءً معلّقـةً
عليـكِ، والشـوحِ مُسْـوَدٍّ الأفانينـا
وفـي ضفافـكِ والأصـواتُ راجعـةٌ
منهـا إليهـا كترجيـع الشـجيّينا
وليبـقَ فـي القمـر السـاري، مُبيِّضةً
أنـوارُه سـطحَكِ الزاهـي بهـا حينا
وكلَّمـا صافحتْـكِ الريـحُ في سَـحَرٍ
أو حرّكـتْ قُصَبـاتٌ عِطفَهـا لينـا
أو فـاح فـي الروض عطـرٌ فليكن لـكِ ذا
صوتًـا يُـردّد عنـا مـا جـرى فينـا
أحبَّهـا وأحبَّتـه، ومـا سـلما
مـن الـردى، رحـمَ اللهُ المحبّينـا

***

قـول لامارتين في ترجمـة نقولا فياض: نطوي الحياة وليل الموت يطوينا؛ يشبه قول راشد الخلاوي: «نعدّ الليالي والليالي تعدّنا».. وزاد الخلاوي على لامارتين جمالًا وإبداعًا بقوله: «والاعمار تفنى والليالي بزايد»..

كم في شعر هذا الشاعر الكبير راشد الخلاوي[1] من فرائد ودُرَر.

***

(١) راشد الخلاوي شاعر وعالم فلكي، من أهم من برعوا في علم الفلك ومواضع =

يجلدوننا بألفاظٍ يلوكونها بأفواهٍ متورّمة: أعداء الفرح، صنّاع الوهم، ثقافة التخلّف.. وهي ألفاظ جوفاء قيمتها ما يسيل منها من شهوة وانفلات.

***

ابن تيمية معلّقًا على قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾.. قال رحمه الله: لم يقل سبحانه وتعالى: كلا إنّ الإنسان ليطغى * أن استغنى، وإنما قال: ﴿ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾ لأن الإنسان لا يستغني عن الله طرفة عين، لكن المسكين يظن في نفسه نوع استغناء فيطغى.. اللهم اغفر لنا وارحمنا وتجاوز عنا، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، نحن الفقراء وأنت الغنيّ لا نحصي ثناءً عليك.

***

من أمثل وأوفى الكتب التي تحدثت عن الحيوان وهو غير معروف لدى كثير من القراء: «معجم الحيوان» لأمين المعلوف، صدر ١٩٣٢، هدية المقتطف السنوية.

***

كان الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد شديد الاعتداد بنفسه، وفي آخر حياته أدركه ضعف الشيخوخة فكان يقول: إن حياة لا تريد العقاد لا يريدها العقاد!

***

= النجوم ومعرفة أوقات الزراعة، إضافة إلى براعته الشعرية، له إرث إبداعي كبير، لازال يُكتب عنه ويحتفى به في الشعر والفلك. اشتُهر بكنيته «الخلاوي» لأنه يسكن الخلاء وحيدًا. حيث قال عن نفسه: خلاوي خلا ماني خلاوي قبيلة، وقيل إنه عاش في القرن الحادي عشر أو أوائل القرن الثاني عشر، وثمة من يرى أنه عاش في القرن الثامن الهجري.

قال ابن خَلِّكان في ترجمة الشاعر الجميل البهاء زهير: «وشعره كله لطيف وهو كما يقال السهل الممتنع».. وكنتُ أظن «السهل الممتنع» وصفًا معاصرًا.

***

لا تتحنّثْ في محاريب أنفس الآخرين، ستخسر نفسك ولن تربحهم بطقوسك، كن كما خلقك الله ولا تجعل مشروع حياتك رسمةً باهتةً لوجهك في مرآتهم.

***

يصفك بالقطيع لاتباعك آراء المحقّقين الأثبات من علماء الإسلام، وهو يرعى هشيم الغرب.

***

لا أكترثُ كثيرًا بالسّقوط، لكن يُشجيني مَن يفي ومَن يخون، تؤرّقني لمعةُ سِكّينِ غادرٍ يباغتني بها عَدوٌّ صديق.

***

هناك تباين ظاهر في حياة كثير من الفلاسفة بين طهر التنظير وحقارة السلوك، ومنهم ليبنتز وفولتير وبرتراند راسل، وكذلك تعجب غاية العجب من مثل مواقف جان جينيه وسلوكه الشخصي المنحطّ.

***

يقول أوستر: إنك تعثر على الكتاب خلال كتابته وتلك هي المغامرة.

***

الخبرةُ مِشْطٌ تعطيناه الحياةُ بعد أن نفقدَ شَعْرَنا.. مثلٌ عالمي.

***

يقول كافكا واصفًا كآبة حياته والموتَ الذي كان يحمله بداخله: أنا حَجَرٌ لقبر نفسي! وكان ملحدًا خاويَ الرُّوح..

كافكا بعدد قرائه، لا يمكن أن يطالع اثنان صفحاتٍ مما كتبه فرانز كافكا فيخرجان بتفسير وانطباع واحد، كافكا هو النصّ المفتوح لكلّ احتمال، وهو النص المغلق أمام كلّ تفسير، وهذا من أسرار عبقريته وفتنة الدارسين به، عاش شريدًا في دنيا اللامعقول، مريضًا فقيرًا كئيبًا مجهولًا وكان يقول: كل أعمالي أوحتها العزلة..

وبعد موته تنازعته عدّة دول، وكُتبت عنه آلافُ الرسائل العلمية والكتب والبحوث والمقالات وعقدت عنه مئات الندوات، وأصدرت الطوابع باسمه، وبيعت بعض مخطوطات كتبه في المزادات بالملايين، ماذا استفاد من هذا كلّه؛ لا شيء!

أعظم قصصه «المسخ» أو «الانمساخ».. كتبها في جلسة واحدة من أول الليل إلى الفجر، وهي من أعلى النصوص الأدبية وأعمقها في العصر الحديث. كُتب في تحليلها ونقدها ودراستها عشراتٌ من الرسائل العلمية والدراسات النقدية من كتب وبحوث ومقالات.. استيقظ بطلها جريجور سامسا صباحًا فوجد نفسه على السرير وقد تحوّل إلى حشرة! وهنا تبدأ القصّة.. ماذا تظنون جريجور سامسا قد فعل حين وجد نفسه هكذا؟ لقد حاول أن ينزلق من السرير حتى لا يتأخر عن العمل! في تلك الصورة المحزنة للعنة الحياة؛ يصوّر كافكا ما فعلته الحياة بهذا الإنسان البائس الذي شوّهته الحياة فلم

يهتمّ لشيء إلا أن يسعى لاهثًا لتحصيل لقمة عيشه، يصوّر كافكا هشاشة الإنسان وضعفه في دورة هذه الحضارة المادية. يصوّر كافكا نفسه وما فعلته به الحياة حتى أصبح شيئًا يبحث عن شيء، كافكا هو جريجور سامسا.. وهكذا هو نصّ كافكا المفتوح لكلّ احتمال وتأويل.

***

لماذا لا يفهم الفقراء حين ينتهي فقرهم؟ بابلو نيرودا.

***

قد ذهب للأسف كثير من أخبارنا الشفوية ولم يقيّد.

***

نجيب الريّس السياسي والكاتب والشاعر هو والد رياض الريّس صاحب دار النشر المعروفة.

***

كان القلق ينتابني أوّلَ عهدي بالكتابة لحرصي الشديد على جودة ما أكتب، وكان هذا القلق هو سببَ إخفاقي في التعبير الجيّد عن نفسي. برتراند راسل.

***

الحنظله لو هي على شاطيَ النيل **زادت مرارتها القديمه مراره**

عبدالله اللويحان التميمي

***

الأديب والصحفي الكبير محمد علي الطاهر، لعله صاحب أقدم مذكرات سجين في العصر الحاضر «معتقل هاكستب». هذا الأستاذ الكبير محمد علي الطاهر لا يكاد يُعرف اليوم، وقد كان في وقته صحفيًّا مشهورًا ووطنيًا غيورًا له مواقف مشرّفة ضد الاحتلال، سجن وطورد كثيرًا، صاحب جريدة «الشورى».. وله كتابه الحافل «ظلام السجن» -استوحى عنوانه من قصيدة لنجيب الريّس- من نوادر الكتب وفيه أخبار لا تكاد توجد في كتاب معاصر، في مجلّد ضخم، وله «ذكرى شكيب أرسلان» وغيره من الكتب.. رحمه الله تعالى.

***

تكرّمًا؛ أكملوا هذه الجملة من إبداعكم بألفاظ قليلة: ما أتعس الحياة التي...

هذه عبارة نجيب محفوظ: ما أتعسَ الحياة التي تستغرقها مطالب الرّزق..

***

ذكر الأصفهاني في كتابه «أدب الغرباء» بعض ما كتب على الصخور والجدران، وكذلك غاليانو كتب في مؤلفاته أجمل ما قرأه على الجدران.

***

يقول أحد قدماء الأطباء: قد يَشَمُّ الإنسان رائحة سيئة لا يعرف سببها، وتكون العلّة في أنفه!

***

قرأت أن الخط المستقيم -رياضيًّا- ليس أقصر مسافة بين نقطتين في كلّ الأحوال، ولا أدري عن هذا، لعل أحد الرياضيين يفيدنا.

الخط المستقيم ليس أقصر مسافة بين نقطتين على إطلاقه! هذا يذكرنا بقول كارل بوبر: ليس هناك نظرية علمية مغلقة، هناك نظرية علمية مفتوحة للبرهان. إذن؛ أحبّوا بقلبٍ مُنحنٍ وروحٍ مستقيمة!

***

لا تحكم على البدايات؛ كان في صباه بليدًا كسولًا ولم يكن أحدٌ يتصوّر أنه سيكون أكثر بلادة وكسلًا ممّا صار إليه!

***

تذكرت بابلو نيرودا وهو يقول: هل في الحياة أسخف من أن تدعى بابلو نيرودا!

***

أسوأ قرار اتخذته في تويتر هو كتابتي باسمي الصريح، لو عادت بي الأيام لما كتبت إلا باسم مستعار، ليتني فعلت ذلك.. كم من ذكرى وبوح وشجن ومعنى أكتبه ثم يردني عن نشره عيب العائب وتبعة الحياة الاجتماعية، آه لو كنت أكتب باسم مستعار، لن أتجاوز حدود الأدب ومنهجي هو منهجي هنا، إلا أن التحرّر من عينٍ تتلصّص على روحك، والانطلاق في مجاهل حياتك ما مضى منها وما سيأتي، والغورَ في سراديب نفسك، ومناغاة الجَمال الطروب، ومعابثة مفاتن الذكرى؛ لا يكون باسم حقيقيّ.

***

الدكتور أحمد الشافعي؛ لكثرة ضحاياه من المرضى سمَّى أهلُ شقراء جانبًا من المقبرة باسم مقبرة الشافعي!

في تراثنا أهاجٍ كثيرة لبعض من يتطبَّب عن جهل.

***

تقول مدام دي سيفينيه في رسالةٍ إلى ابنتها وكانت هذه الابنة تعاني من مرضٍ في صدرها: يا ابنتي؛ إن صدرك يوجعني..

***

يقول العوني:

وش لـذّة الدنيـا إذا لـم تجد بها حِلْوًا تذوقه عقب جرعة مرورها

***

هل هناك كتاب عن الشاعر فواز عيد صاحب القصيدة المشهورة «دان دان»؟

***

هذه معلومة قد تخفى على بعض مستخدمي العطور: على كرتون العطر صورة فوهة العطر وهو مفتوح، ويكتب عليه 12M أو 18M أو 24M أو 36M والرمز 12M يعني: ١٢ شهرًا «M اختصار شهر بالإنجليزي» ومعناه أن هذا العطر صالح مدة اثني عشر شهرًا من فتح عبوة العطر، وهكذا 18M صالح لثمانية عشر شهرًا.

وكلما كان العطر أجود وتركيزه أقوى كانت مدته أقلّ لقلّة نسبة الكحول فيه وكثرة مواده، فالبارفيوم مثلًا ينتهي بعد سنة في الغالب والأودي تواليت بعد ثلاث سنوات في العادة.. وهكذا، والمقصود بفتح العبوة هو الرش منها ولو لمرة واحدة، ولذلك إذا أردت أن يطول عمر العطر فلا ترش منه الرشة الأولى -كأن يكون عندك منه

أكثر من زجاجة- لأنك تلاحظ بعض الفراغ حين ترش منه أول مرة وهذا يجعل عمر العطر يبدأ بأول رشة.

وليس من المستحسن استخدام العطر بعد ثلاث سنوات من شرائه حتى ولو لم يفتح.

***

بعض الناس يتوصلون إلى استنتاجاتهم عن الحياة كما يفعل طلاب المدرسة؛ يغشّون الأجوبة.. كيركجارد.

***

نهاياتٌ عَدَمِيّة.. شتاين على فراش الموت تسأل سكرتيرتها «آليس»: ما الجواب؟ آليس: ما من جواب. شتاين: حسنًا إذن: ما السؤال؟

***

أحس بنقص أمام كل مثقف عربي يتحدث اللغة الإنجليزية، لا تحدثني عن الاعتزاز باللغة والنقص الحضاري.. هذه مشاعري أعبر عنها ولا أزعم صوابها.

حاولت قديمًا، أحضرت مدرّسًا خصوصيًا ولم أفلح، والتحقت بمعهد فخرجت منه كما دخلت! يبدو أني غير قابل لتعلم اللغة.

اللغة الإنجليزية في طموحي ليست لطلب وجبة من مطعم، أو حبة أسبرين من مضيفة.. إتقان اللغة يعني لي امتلاك ثقافة تلك اللغة، وترجماتنا بائسة.

ربما كان هذا الشعور بالنقص هو دافعي لقراءة كثير من الكتب

المترجمة، لكن هذا لا يكفي، المكتبة العربية فقيرة في الترجمة مع الأسف..

هناك معنى لا ينتبه له بعض القراء، اللغة الإنجليزية ليست ثرية بثقافتها فقط، بل ثرية بالثقافات الأخرى التي تترجم إليها.

***

الأدب الألماني تاريخ كبير ومخيف!

***

كتاب «التحدي والاستجابة في الصراع العربي الصهيوني.. جذور الصراع وقوانينه الضابطة».. لعوني فرسخ «مهم».. صدر عن مركز دراسات الوحدة ٢٠٠٨.

***

كتاب «الأغيار في الثقافة اليهودية.. صورة العرب في الأدب اليهودي المعاصر»، ليوسف يوسف، دار القلم ١٤٢١.

***

لعل بعضكم يستغرب من أن ثانوية اليرموك الشاملة بالرياض كانت تدرّس الفرنسية، درستُ فيها فصلين كاملين لهذه اللغة.

***

المشكلة في اليوميات هو تضخيمها للتوافه اليومية كما قال سارتر.

***

تعجبني هذه العبارة لغاستون باشلار: أشعرُ بألمِ لُغَويٍّ حين يستعمل كاتبٌ كلمةً عظيمةً بدلالةٍ مَهينة.

***

النص القادم؛ ممّا قرأتُ من فنتازيا الكلمات، ولا أدري لم تستهويني مثل هذه الكلمات وتأخذني من نفسي..

سمعتُ صوتَ الألوان، للصّمت رائحة قديمة، أعرف نوعًا من الحزن له رائحة الأناناس، حزينٌ بِرِقّة، أسكنُ داخلَ نفسي، مسجونٌ في الخارج، نكون حيث لا نوجد، الجغرافيا الحزينة للحدود الإنسانية.... قد تكون الصورة المفاجئة من أسباب محبتي لمثل هذه الكلمات.

***

في كثير من حالات الإبداع تكون اللغة الفنية لإخفاء مشاعرنا لا للبوح بها.

***

هناك كلمات كثيرة قيلت في الحثّ على العزيمة والإصرار واتخاذ القرار، تؤثر في نفسي كثيرًا لكنّي لا أبحث فيها عن العزيمة والإصرار، أفتش في هذه الكلمات عن الصورة المفارقة التي تتجاوز الوعي، وعن إبداع المعنى لا عن حقيقته، تأمّلْ كلمة كافكا مثلًا: هناك نقطة في الأمام إذا بلغتها لا يحقّ لك أن تتراجع بعدها؛ هذه النقطة هي التي يجب عليك أن تبلغها.. كان كافكا مشغولًا بفنّه لا بك، يتركك وحيدًا تواجه مصيرك دون أن يسير معك إلى آخر الطريق، ولا يعنيه ما ستتعرض له بعد استئناف مسيرك من هذه النقطة، الأديب ليس مصلحًا اجتماعيًا، الأديب فنان يرسم صوره بالكلمات.

***

ديل كارنيجي نعم، أما غيره من كُتّاب تطوير الذات فاطّلعت على كتبهم حتى أُحذّر منها.[1]

***

قد أكون على خطأ، وقد تكون على صواب؛ وببذل الجهد سنقترب من الحقيقة.. كارل بوبر.

***

كثير من المُتناقشين يجدون صعوبة في نسيان أنهم يجب أن ينتصروا، إن المناقشة التي تنتصر فيها ولا تعينك على وزن أفكارك هي خسران مبين. كارل بوبر.

***

القول المنسوب إلى الإمام الشافعي: قولي صواب يحتمل الخطأ، وقول غيري خطأ يحتمل الصواب؛ لا أعرفه في شيءٍ من كتبه ولا مسندًا إليه.

***

نصيحة للجامعي المستجد: لا تتحمس كثيرًا يا بنيّ، ستجد آخر طلاب القاعة أمامك في الحياة!

***

نصٌّ عميقٌ من كتاب «روح التربية» لغوستاف لوبون: «كثيرٌ جدًّا من الأساتذة لا يعرفون فنَّ التعليم، ليس الخيرُ بأن تحشوَ رؤوسَ الطلبة

(١) يقصد أن أهم كتب تطوير الذات كتاب ديل كارنيجي المشهور «دع القلق وابدأ الحياة».

بمسائل العلم دون أن تُبيّنَ لهم عِلَلَ الأشياء، يجب أن تُعلّمهم التفكير، لا ينبغي أن تُمِرَّن الذاكرة وحدها؛ بل ينبغي أن تُمرّن معها العقل».

***

ذكر الصفدي في ترجمة بدر الدين ابن مالك أنه زار بعض الأكابر فقام هذا بمدّ رجله، فأخذ بدر الدين مروحة وضرب بها رجله وقال: ضم رجلك بلا قلّة أدب!

***

قال إمانويل كانط لخادمه: لا تفسد عدم نظام مكتبتي!

***

صدر قديمًا: سنة ١٩٣١ كتاب «أدب الجاحظ»، لحسن السندوبي نشر المكتبة التجارية. وهو من نوادر الدراسات عن الجاحظ.

***

«كليوباترة».. لأكبر كُتّاب التراجم في العصر الحاضر: إميل لودفيج.. بترجمة عادل زعيتر صدر عن المعارف ١٩٥٢، صوَّر شخصية كليوباترة عاشقة وأمًّا وملكة.

***

صدر قديمًا كتاب «تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء» للصابي، بتحقيق عبدالستار فراج ١٩٥٨، فيه أسرار تاريخية نادرة وحقائق تدعو إلى العظة والاعتبار.

***

الأسلوب هو تقاطيع الذهن وملامحه، وهو مَنفذٌ إلى الشخصية أكثر صدقًا ودلالةً من ملامح الوجه.. شوبنهاور.

***

تمنّى آرثر شوبنهاور أن لو أصبح إمبراطورًا؛ ليكون أوّل أمرٍ يصدره إلى الناس: دعوني وشأني!

***

من غرائب الطبيعة البشرية؛ أن نشعر بالمقت لمن نحسّ أننا قد أخطأنا في حقهم، وأن نتفانى تبعًا لذلك في إيذائهم.. شفيق مقار.

***

هناك مسافة لا يقطعها إلا العقلاء؛ وهي أن تبتعد عن نفسك حتى تراها بوضوح.

***

قتلَ الوردُ نفسَه حسدًا منكِ وألقى دماه في وجنتيكِ
والفراشاتُ مَلّتِ الزهرَ لمّا حدثتها الأنسامُ عن شفتيكِ

الأخطل الصغير

***

يقول بورخيس: «إن أجمل عنوان لكتاب في المكتبة الإنسانية كلها هو: ألف ليلة وليلة».. ولقد تمرّ بي عناوين رائعة لبعض الكتب؛ إما لجمالها أو لموافقتها الدقيقة لمعنى الكتاب، أو لكلا المعنيين.. من ذلك؛ أن الصلاح الصفدي كان يسرق من شعر ابن نباتة وينسبه إلى نفسه، وهو مع ذلك يعيب شِعر ابن نُباتة، فألف ابن نباتة كتابًا

سماه «خُبز الشَّعير» يردّ فيه على الصفدي، وهو يشير في عنوان كتابه إلى المثل المعروف قديمًا وحديثًا: كالشَّعير مأكول مذموم.. يعني: تسرق من شعري فتأكله وتذمّه!

ومن العناوين الجميلة التي قرأتها مؤخرًا عنوان السيرة الذاتية لغونتر غراس «تقشير البَصَلة» وهو يقول: إن الحياة كالبصلة كلما نزعت قشرة منها دمعت عينك وهكذا هي مراحل الحياة.. إلا أن هذه السيرة الذاتية نفسها لم تستهوني كثيرًا وإن راق لي عنوانها، والحديث طويل ذو شجون.

هناك كتب كثيرة ذات عناوين تأخذ بالنفس في التراث القديم والمكتبة الحديثة، وكم اشتهر كتاب بسبب عنوانه، وأهمل آخر للسبب نفسه.. وأختم بهذا العنوان الطريف، فقد كان أحد خصوم صدّيق حسن خان ألف كتابًا في الردّ عليه سماه «العُروج بالفُروج»؛ يشير إلى أن صديق حسن خان ما بلغ الذي بلغه إلا بعد زواجه من ملكة بهوبال.

من العناوين الجميلة في العصر الحاضر: «مواطنون لا رعايا» لخالد محمد خالد، «كزهر اللوز أو أبعد» لمحمود درويش، «ذكريات عمر أكلته الحروف» لنجيب المانع..

«المسافة بين السيف والعنق» لشاكر النابلسي، «حبر على ورق» لمارون عبّود، «ذكريات من منزل الأموات» لدوستويفسكي عن السجن.

«سِقط الزند» للمعري عنوان ديوان عبقري، وذكر بعض النقاد أن المعرّي هو أول من سمى ديوانه في التراث العربي، وكانوا يقولون ديوان فلان أو شعر فلان.

من الأسماء التراثية الجميلة «زاد المعاد» لابن القيم، ولميخائيل نعيمة كتاب اسمه «زاد المعاد» وقد ذكر أنه لم يعرف أن لابن القيم كتابًا بهذا الاسم إلا بعد زمن من نشر كتابه..

***

المعتصم بن صُمادح أمير المَريّة رقد في سريره مريضًا فسمع أصوات المرابطين تقتحم قصره فقال: لا إله إلا الله، نُغّصَ علينا كلّ شيءٍ حتى الموت!

***

كان طه حسين من أحسن الناس خُلقًا، غاية في الوفاء مع تلامذته، وكان يترفق بمحمود شاكر ويحسن مقابلته.. ولا يغررك ما يكتبه بعض التراثيين عن تصدّي طه حسين له بسبب نقده، ولا مبالغاتهم حين يضعون طه حسين في كِفّة ومحمود شاكر في الكِفّة الأخرى؛ أعني من جهة المكانة الأدبية وحضور الاسم، كان طه حسين يستقبل في البلدان استقبال الملوك، ويصطف الطلبة طوابير في الشوارع للترحيب به.

***

معرفة بعض المعلومات لا يعني أن تلقيها في الحوار كيفما اتفق، المعلومات وحدها لا تكفي فلا بدّ معها من حسن توظيفها في خدمة الحوار ومناسبتها له.

***

لم يضيّق طه حسين على زكي مبارك، وإنما فصل زكي مبارك من الجامعة لما لا يليق بي ولا به أن أذكره في سيرته هنا.

***

ما حيلة من كره الحياة والموت معًا! وصارت سعادته في أطراف حزنه، يبست روحه فما عاد يفتنه خصر ناحل ولا هو يطربه نغم شارد؟

***

تعلمت من الحياة أن هناك فرقًا بين التواضع وابتذال النفس، إن لم تتنبه له امتهنك الناس.

***

في «الدراري» لابن العديم: أن أعرابيًا نظر إلى ابنٍ له قبيحٍ فقال: يا بنيّ لستَ من زينة الحياة الدنيا!

***

في صغري كنت أسمع الإمام في الخطبة يقول: اتق الله يا عبدالله، فأستغرب كيف عرف اسمي!

***

القراءة السريعة يمتلكها القارئ من عادة القراءة.

***

«صَرَّدُرّ» هو الشاعر أبو الفضل علي بن الحسن البغدادي من كبار شعراء القرن الخامس ت ٤٦٥، لُقّب والده «صَرَّبَعْر» لبخله؛ فلما سمع نظامُ المُلك شعرَ أبي الفضل قال له: أنت «صَرَّدُرّ» فشُهِر به. شاعرٌ مُجيد، يقال: إنه كان على دابّته في طريقه لإحدى القرى فتردّى في حُفرةٍ -حُفِرَتْ لصيد الأسد- فمات..

فُتن الباروديُّ بشعره فأودع في «مختاراته» أكثرَ من ألف بيتٍ له، و«مختارات» البارودي من أجمل الكتب في مختار الشعر، بل هكذا

أغلب من يؤلف كتابًا في الاختيارات الشعرية وهو شاعر، تجيء اختياراته عذبة، وقد قيل: إنّ أبا تمام في حماسته أشعر منه في شعره؛ يبالغون في امتداح جمال ذائقته في «انتقاء الشعر».. وقد طبع ديوان «صَرَّدُرّ» قديمًا في دار الكتب المصرية عن نسخة بخطّ البارودي، وهذه الطبعة غير متقنة، ثم حقق ديوانه د. سيّد علي عبدالعال على عدّة نسخ وصدر عن مكتبة الخانجي وهي أتقن من نشرة دار الكتب.

للشاعر صَرّدُرّ بيتان جميلان يعرفهما كثيرٌ من طلبة العلم دون معرفة قائلهما، وقد رأيت من وهم في نسبتهما:

تموتُ النفوس بأوصابها ولم يَدْرِ عُوّادها ما بها
وما أنصفتْ مهجةٌ تشتكي هواها إلى غير أحبابها

وقد ذكر الصّلاح الصفدي؛ أن شيخ الإسلام ابن تيمية كان كثيرًا ما يتمثّل هذين البيتين..

والبيتان السابقان مطلع قصيدة لهذا الشاعر تقع في أكثر من أربعين بيتًا وفيها فرائد.

***

كل ما أعلمه عن مقالات محمد سعيد العريان أنه كان يكتب باسم «قافٍ» في بعض المجلات.

***

حين يتردّى كاتبٌ إلى الحضيض لا يخاف السقوط، وهذا يفسّر الجرأة الوقحة عند ساكني القاع.

***

من باب الدعابة مع كامل الاحترام، يقول فوينكينوس: لا أحد يحبّ طبيب الأسنان، بل إنه لم يصبح طبيبًا للأسنان إلا لأنه لا أحد يحبّه!

***

يقول أستاذ التواصل الإعلامي هربرت شيللر: إن السيطرة على المجتمعات تتطلب في الوقت الحاضر الاستخدام الموجّه للكلمات والصور، فمهما كان جبروت القوّة التي يمكن استخدامها ضدّ مجتمع مّا؛ فإنها لا تفيد على المدى البعيد إلا إذا تمكنت القوّة المسيطرة من أن تجعل أهدافها مقبولة إن لم تكن جذابة لهؤلاء الذين تسعى لإخضاعهم..

ويتساءل هربرت شيللر: هل تُعدّ المشروعاتُ العلمية «كالناشيونال جيوغرافيك» مشروعاتٍ علميةً محايدةً غير أيديولوجية، فهي لا تسعى إلى صياغةِ معانٍ أيديولوجية غير محايدة وإن زعمت ذلك؟

هل يُعدّ الترفيه البريء «كمشروعات ديزني» ترفيهًا بريئًا، ترفيهًا مفصولًا عن صياغة قيمٍ من الأنساق الثقافية والخلقية في صراع السوق لتسليع الإنسان؟ هل يُعدّ الحديثُ باستمرارٍ عن مبتكرات التكنولوجيا، وما توحي به من مباهجِ الاستهلاك وتسهيلِ حياة الإنسان، وتعزيزِ تحقّق الذات في لغة الإعلام للشركات العملاقة؛ توحيدًا لرغبة كلّ إنسان مع المِلْكية الخاصّة، ونموذجًا مُلهِمًا للعولمة ودعاوى التعايش السّلمي؟ هل يمكن فَصْلُ استطلاعِ الرأي العامّ عن النسيج المؤسّسي والأيديولوجي الذي يعمل من خلاله؟ وهل يمكن أن نصل بهذا الاستطلاع إلى قراراتٍ عقلانيةٍ مبنيةٍ على أساس

ديموقراطي؛ لمشاركٍ يفتقد القدرة على التعامل مع المعلومات التي قامت عليها تلك الاستطلاعات؟! أم أن تلك الاستطلاعات آلة لسيطرة التوجيه المضَلِّل في إتاحة وهمية لخيارات لا يملك معها رأيًا؟

هذه المقتطفات السابقة -وهي ممّا يحرّك العقول حقًّا- انتخبتها لكم من كتاب هربرت شيللر «المتلاعبون بالعقول»، يصور فيه شيللر كيف تتلاعب السلطة الإعلامية بالعقول في صناعة ما يسميه «الوعي المعلّب».. وهذا الكتاب وإن كان قديمًا بعض الشيء؛ إلا أن أفكاره الأصيلة لم تفقد جِدّتها ونفاذها.

***

لا يعدّ النووي في شيوخ ابن تيمية، وقد ذكره ابن تيمية في مواضع قليلة من كتبه، وكنت قد كتبت متسائلًا مستغربًا عن هذا.

***

من أفضل ما كتب عن الأندلس «رحلة الأندلس» لحسين مؤنس، والمطوّل «دولة الإسلام في الأندلس» لمحمد عبدالله عنان.

***

توماس أديسون -للأسف- لم يخترع المصباح الكهربائي، ومخترعه جوزيف سوان.[1]

***

---

(١) السير جوزيف ويلسون سوان، فيزيائي إنجليزي، يُعرف بأنه المطور المبكر للمصباح الكهربائي المتوهج ١٨٢٨-١٩١٤.

الجمـال ليـس وجه المـرأة في لوحـة الموناليزا، الجمـال في الفن والخيـال، الخيـال والإبـداع أجمـل مـن الحقيقـة، تائيـة كثيّر عـزّة في محبوبته عزّة أجمل منها، وأشعار المجنون في ليلاه أجمل من ليلى، وجولييـت لـم تُعـرف لأن روميو أحبهـا، الجمال في عبقرية شكسـبير التي خلدت هذه المأساة الرومانسية.

***

الجمـال أذواق.. كانوا يقولـون لمجنون ليلى: لا نرى فيها ما تراه، وكان يقول لهم: خذوا عيني وانظروا بها!

***

فريدا كالو الرسامة المشهورة عشقها كثيرون في وقتها، وممن هام بها حبًّا السياسي الكبير تروتسكي، وهي بشنب!

***

لا يوجـد فـي تاريـخ الإسـلام كلـه فيلسـوف لـه نظامـه الفلسـفي ومدرسته الخاصة، لا في القديم ولا الحديث، يوجد دارسو فلسفة.

***

لا تقـرأ مـن التّاريخ ما تريد أن تقرأه منه، اقرأ من التاريخ ما لا تريد أن تقرأه.

***

من أفضل وأمثل من فنّد قصة أحمد الرفاعي بعلمية مدهشة؛ الشيخ مشهور حسن سلمان في كتابه «قصص لا تثبت».

***

الدهر يومان؛ يوم عليك، ويوم ليس لك!

***

ما هذا الصباح الرائع، يستحق أن تستعدّ فيه للنوم لاستقبال ليلٍ آخر.

***

عبدالرحمن الناصر أعظم ملوك الأندلس، ملك خمسين سنة وقال: عددت الأيام السعيدة في حياتي فوجدتها أربعة عشر يومًا!

ألف أحد الفرنسيين كتابًا عنوانه «أربعة عشر يومًا سعداء في خلافة الأمير عبد الرحمن الأندلسي» ترجمه شيخ العروبة، وهو من النوادر.

***

في إعلان قديم لشركة غربية لتجهيز الموتى ورد ما يلي: مُت، ودع الباقي علينا!

***

لو أن المرء كلّف نفسه عناء الالتفات لهؤلاء لبقي حيث هو، الملتفت لا يصل.

***

أذكّركم أن الطيب ممّا أحبه رسولنا الكريم بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام، وقد كان عليه السلام يحبّ الطيب كثيرًا، ويوصي به ويحثّ على استعماله، فالطيب ليس ترفًا، بل هو سنة، وسنة مهجورة كما ذكر بعض العلماء، وقد أُثر عن بعض العلماء أنه قال: لو أنفق

المرءُ ثلثَ ماله في الطيب لم يكن مسرفًا، هذه مقولة مشهورة والحقيقة أني لا أعلم قائلها..

وقد سمعت من أحد كبار أساتذة العطور الخبيرين بها: أنه لم يشتر عطرًا في يوم من الأيام إلا تصدّق بشيء من المال رجاء أن يبارك الله له في هذا العطر، ولئلا ينسى الفقراءَ من ماله، وقد تعجّبت من قوله فهو شابٌّ غير متديّن في مظهره، لكنه قد امتلأ خيرًا وطهرًا، وهذا يجعلنا نبتعد عن غرور الهداية والحكم على الناس من مظاهرهم فقط.

***

يقول بعض العلماء: الفهم عَرَض يطرأ ويزول. ويقولون عندنا: تغيب وتحضر!

***

آخر من يعتدّ علماء اللغة به من الشعراء القدماء -على اختلاف بينهم- الشاعر إبراهيم بن هَرْمَة؛ هو آخر من يعتد به علماء اللغة في الاستشهاد ت ١٧٦.

***

كتاب «قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن» للشيخ العلامة نديم الجسر، منشورات المكتب الإسلامي ١٣٨٩.. كتاب نفيس بحق أنصح بقراءته مرارًا.

***

العزلة جميلة إذا كنت ممّن يحسن استثمارها، أما عزلة تأكل روح صاحبها بالتفكير والهموم فهي من ضروب المرض.

من تجربة؛ وجدت أن العزلة قدرة روحية تحتاج إلى تدريب وتعوّد، ولا أحبّذ العزلة للشابّ في بداية حياته، العزلة تكون بعد شيء من النضج.

***

«من الصخيرات إلى تازمامارت» لمحمد الرايس.. من آلم ما كتب في أدب السجون.

***

قرأت في كتاب عن «لغة الجسد»: أنه كلما ارتفع الشخص في السُّلَّم الاجتماعي كان أقدر على الاتصال بالكلمة، وقلّت الإيماءات ولغة الجسد التي يستخدمها.

ولذلك يقولون: لا تكثر في المقابلات الشخصية من استخدام الإيماءات والحركات، واجعل أكثر تواصلك عن طريق الكلمة فهو يشعر بثقة في الشخصية.

***

على طاري أنا وهو أنا.. أحد المشايخ الظرفاء قديمًا سأله رجل بسيط: ظنك أدخل الجنة، فقال مازحًا: أنا وهو أنا ما أدري أدخلها ولّا لا وشلون أنت!

***

هناك كتاب نقدي جميل لمارون عبّود اسمه «على الطائر».

***

هل تعرفون قائل القصيدة الجميلة المؤثرة: أغرى امرؤٌ يومًا غلامًا جاهلًا؟

هو الشاعر اللبناني واللغوي الكبير إبراهيم المنذر، طُبع له ديوانا شعر، وله كتاب مشهور في وقته «عثرات الأقلام».

أغرى امرؤٌ يومًا غلامًا جاهلًا
بنقوده حتّى ينال به الوَطر
قال ائتني بفؤاد أمّك يا فتى
ولك الدّراهم والجواهر والدّرر
فمضى وأغمد خنجرًا في صدرها
والقلب أخرجه وعاد على الأثر
لكنّه من فرط سرعته هوى
فتدحرج القلب المضرّج إذ عثر
ناداه قلب الأم وهو معفّرٌ
ولدي حبيبي هل أصابك من ضرر
فكأن هذا الصوت رغم حنوّه
غضب السماء به على الولد انهمر
فاستلّ خنجره ليطعن نفسَه
طعنًا سيبقى عبرة لمن اعتبر
ناداه قلب الأم كفّ يدًا ولا
تطعن فؤادي مرتين على الأثر

***

حين انتهى العام قلّبتُ أوراق التقويم لأتذكر أيام الفرح التي

عشتها؛ فوجدتُ حكمة تقول: من يبحث عن فرحه في الماضي لن يجده أمامه.

***

هناك بعيدًا عن أعين البشر، في الطريق الثالث من أعماق قلبي غرفة لم يسكنها أحد، حين تصل افتح الباب وادخل؛ ستجدني في انتظارك!

***

في الحياة: أكون أو لا أكون، وفي الحبّ: لولا أنت لما كنت..

***

لولا دموع الفشل لما عرفتُ ابتسامة النجاح..

***

هناك دموع للفرح ودموع للحزن، وأجمل الدموع أثرًا هي دموع الدهشة.. هولك مارتيل.

***

قرأتُ: «أن المعلمين يدرّسون بالأسلوب نفسه الذي دُرّس لهم به». إن المعلم المُلهِم هو الذي يتجاوز النمطية الرتيبة التي لا تناسب روح عصره.

***

أيام الجامعة كان لدينا في الفصل الأخير تطبيق للتدريس مدته أسبوع، وجّهت إلى إحدى المدارس الابتدائية وسلمت على المدير

ثم دخلت الفصل، وكان من سوء حظي أن المشرف موجود في أول حصة لي ولا خبرة سابقة لدي، بدأت الشرح فقام طالب واستأذن في الخروج إلى الحمّام، وكنت قرأت أن من الأخطاء أن تحرم الطالب من حاجاته الطبيعية؛ فأذنت له وقلت في نفسي: هذه ستزيد من درجتي عند المشرف، ثمّ تتابع الطلاب في الاستئذان فلما انتهت الحصة كان قد استأذن أكثر من تسعة طلاب! فقال لي المشرف: كثير من الطلاب الذين استأذنوا لا حاجة حقيقية لهم، لكن رأوا تساهلك في الإذن فاستغلّوا ذلك، كان عليك أن تتنبه لهذا، ثم إنك لم تحضر وسائل للشرح فكانت الحصة مملّة. فقلت له: شف الله يبارك فيك: أنا لا خبرة لي بكل هذا ولا أريد أن أكون معلمًا، أنا موظف وأدرُس وهذا من متطلبات الجامعة، فقال: هذا لا يعفيك! المهم انتهى الأسبوع وأنا مرة أسحّب المسجّل معي، ومرة لوحة فلين ومرة... وحالة مباركة، كانت تجربة غير مشجعة حمدت الله على انتهائها.

***

تولستوي عانى كثيرًا من تباين عالم المثال الذي كان يسعى إليه؛ مع واقعه الطبقيّ الذي أفسد عليه ذلك المثال.

***

حين نتذكر فنحن لا نستعيد الحياة على ما كانت عليه، نحن ننشئ واقعًا آخر من خلال هذه الذكريات..

***

إننا ننزع إلى القناعة وحماية الذات وقلة الابتكار عندما نصير ناجحين، وكثيرًا ما يكون التغلب على النجاح أصعب من التغلب على الصعوبات.. تشارلز كوك.

***

تشارلز كوك من كبار رجال الأعمال في العالم اليوم، ومؤلف كتاب «علم النجاح».

***

أسرع حيوان على وجه الأرض؛ هو اللئيم إذا رأى مصلحته!

***

صدّقني: إذا ما تسابقت أرنبٌ وسُلحفاةٌ فإنّ الأرنب هي التي ستفوز، إن حقائق الحياة لَتقوّض من أساطير الشعوب.

***

عند قراءة رواية أو ديوان شعر فإن الافتتاحية -في الغالب- تتحكم كثيرًا في قرار استمراري في مطالعته، افتتاحية سيئة تعني لي خيبة مؤجلة.

***

ربّاه عفوَك إنّي ظالمٌ جاني جَوّعتُ نفسي وأشبعتُ الهوى الفاني

إلياس أبو شبكة

***

لستُ مع دعوة المستشرقين لإعادة كتابة التاريخ؛ لكنّي مع رأي العقلاء في إعادة قراءة التاريخ.

***

الأديب الكبير علي أحمد باكثير[1] رحمه الله، أستاذ قدير لم ينصفه أهل زمانه.

***

---

(١) علي بن أحمد بن محمد باكثير الكندي ١٩١٠-١٩٦٩، شاعر وكاتب مسرحي =

فـي بداية إحدى السـنوات أردتُ أن أكون مُنظَّمـا؛ وضعتُ أهدافًا وخطة لتنفيذها، وفي آخر السنة خرجت من هذا كله بشرف المحاولة.

***

مقولـة: لـن أؤمـن بمـا تقول لكن سـأكافح لتقـول ما تريد؛ تنسـب لفولتير كثيرًا وليست له، هي لمؤلفة كتاب عنه.

***

فلسفتي في الحياة هي: الفوضى الـمُنَظَّمة!

***

بعض حلول الحياة كالشبّاصة، صغيرة لكن مجدية.

***

مؤلف كتاب «اليواقيت في ذكر من لقيت» هو ابن فرحون المالكي.

***

ابن كثير تزوج ابنة شيخه المزّي.

***

-هل تعرف حزنًا للبيع؟

- الصادقون لا يبيعون أحزانَهم..

= وروائي مصري من أصل حضرمي، إندونيسي المولد، ألف العديد من المسرحيات الملحمية الشعرية والنثرية أشهرها: ملحمة عمر بن الخطاب، والروايات التاريخية أشهرها: وا إسلاماه، والثائر الأحمر، ومترجم ترجم مسرحية روميو وجولييت. حصل على جائزة الدولة التقديرية الأولى في مصر مناصفة مع نجيب محفوظ.

-والكاذبون؟

أحزانهم لا تجلب الحزن، تجلب الشّماتة..

***

كتاب «المكوّن اليهودي في الحضارة الغربية» للدكتور سعد البازعي؛ من أقيم الكتب في موضوعه، بل من أمثل ما كتبه مثقّفونا، استفدت منه كثيرًا.

***

أحدهم سرق وسُجن مدة طويلة، ثم خرج من السجن وأراد أن يحيا حياة فاضلة فظلمه المجتمع ولم يتقبله وعانى كثيرًا. هذا كله في عمل روائي غربي، وقد كتب الروائي في مقدمة روايته كلمة رائعة في وصف حال بطل الرواية أوّل خروجه من السجن فقال: وحين خرج من السجن بدأت عقوبته.

***

الأيام التي يسميها الآباء «الصّفِري[1]»، من أسوأ أيام السنة في انتشار الأنفلونزا والأمراض، استعدوا لها بترك شرب البارد وبتخفيف المكيف.

***

قرأتُ اليوم عرضًا لقصّة فيها حبكة رائعة جدًّا ونهاية عبقرية غير مألوفة، يأخذني مثل هذا الإبداع الآسر عن نفسي بعيدًا ثم لا يعيدني إليها..

---

(١) وهي أيام من فصل الخريف، حين تنكسر حرارة الجو ويلطُف ليلًا قبل مقدم الشتاء.

خلال الحرب الأهلية الأمريكية يحاول فاركهار أن يخرّب سكّة الحديد فيحكم عليه بالإعدام شنقًا بتعليقه على جسر، وعندما توضع الأنشوطة حول عنقه ينقطع الحبل ويهوي فاركهار في النهر فيسبح حتى يصل إلى الضفة، ويتمكن من النجاة من رصاص الجنود، فيواصل الهرب عبر الغابة مطارَدًا، متذكّرًا أحداثًا من ماضيه وهو يقترب من بيته، وما إن اجتاز عتبة بيته حتى رأى زوجته، وفي اللحظة التي عانقها فيها... إلخ، اسم القصة «حادث على جسر» لأمبروس بيرس.

***

رحم الله د. نعمات أحمد فؤاد[1]، كانت من جيل الروّاد الكبار، أثرت المكتبة العربية بمؤلفات قيمة، وكانت تمتلك مكتبة من أندر المكتبات الشخصية.

العلامة محمد فؤاد عبدالباقي صاحب «المعجم المفهرس»، والتراث الحافل في خدمة السنة الشريفة، هو عمّ الدكتوره نعمات أحمد فؤاد رحمهما الله.

***

كلمة أقولها بعد تجربة مريرة ومعاناة: ما رأيتُ أضرَّ على الموهوب من آراء أقرانه، استشر من جاوزك بمراحل فهو لا يعميه الحسد عن تبيّن موهبتك.

***

---

(١) نعمات أحمد فؤاد ١٩٢٤/ ٢٠١٦، كاتبة مصرية، حصل كتابها «إلى ابنتي» على جائزة أفضل كتاب في العام عن قضية الأمومة من منظمة اليونسكو، ولها عدد من الكتب المميزة.

الكتابة طريقة من طرق الحياة.. فلوبير.

***

صعوبة النطق تكون مقصودة بلاغيًّا في بعض الأحيان: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾، ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ۝٢٢﴾.

***

قال الإمام أحمد: ما شبّهتُ الشباب إلا بشيء كان في كمّي وسقط.

***

من طريف ما قرأتُ في وصف من يتزوج امرأة ثانية: أنه رجل يؤمن بانتصار الأمل على التجربة!

***

ها هو الليل قد ذاب في أرواحنا كما تذوب قطعة حلوى لذيذة في الفم، وها هو الصباح يستحثّ الليل ويدافعه لترحل بقاياه، وهكذا هي الحياة.

***

لو كانت الدموع تتحوّل إلى ذهب لرأيتَ كنوزًا في عيون الأمهات.. لامارتين.

***

الكتاب الذي ألّفه بوزويل عن حياة أستاذه صمويل جونسون؛ يعدّ نموذجًا للسيرة الغيرية في المكتبة الغربية، قرأت عنه كثيرًا، ليته يترجم.

***

إميـل لودفيـج؛ من أكبـر كتاب السير في العصر الحاضـر، عبقري مذهل.. كان يقول: «على المترجم أن ينشئ إنسانًا لا أن يصوغ تمثالًا مـن النحاس» كتب سـيرًا غيرية رائعة، كتب عـن نابليون وكليوباترا... وكتـب عن «نهر النيل» و «البحر المتوسـط»؛ ترجـم للنهر والبحر كما كان يترجم للعظماء.

كتابـه عـن «نهر النيـل» تحفـةُ فنـانٍ ومـؤرخٍ ودارس للحضارات، أمضـى فـي تأليفه سـنوات وركب المركب من منابـع النيل إلى مصبّه، الكتاب ترجمه عادل زعيتر.

ويكاد يجمع دارسـو تراث إميل لودفيج؛ على أن أفضل كتاب ألّفه فـي سـير الأعلام هو كتابه عن «بسـمارك».. كتاب مـن أعظم ما قرأت في سـير الأعلام. ترجمه عادل زعيتر -توافر عادل زعيتر على ترجمة كتب لودفيج وكتب غوستاف لوبون- في مجلد ضخم، وهو من نوادر المكتبـة العربيـة. وقـرأت أن الدسـوقي ترجمـه أيضًا ولـم أطلع على ترجمته.. بحثت في الشبكة عن صورة لترجمة زعيتر أو الدسوقي فلم أجد.(١)

***

«السِّـيرة الغَيْرِيَّـة» مصطلح يطلـق على الترجمة التي يؤلفها كاتب عـن علم من الأعـلام، للتفرقة بينها وبين «السـيرة الذاتية» التي يكتبها العَلَم عن نفسه.

***

(١) يمكن تحميل كتاب «بسمارك» من موقع «هنداوي» بشكل مجاني على الإنترنت، كذا أغلب ترجمات عادل زعيتر.

يقول الشافعي: ليس من المروءة الأدب في البستان؛ يقصد أنه من غير المستحسن الوقار والتزمُّت في النزهة؛ يعني «أنبسط يا تقيل»!

***

قال شيخنا أبوعبد الرحمن ابن عقيل الظاهري: أدركتُ أناسًا تأكل الطير من أيديهم لسلامة قلوبهم.. قلت: بيننا اليوم أناسٌ تخشاهم الذئاب.

***

أصحاب النوم السيِّئ؛ يكافئهم الله بالليل.

***

أحبُّ العطور؛ ولكن أجمل الروائح عندي هي رائحة العُزلة.

***

أتعسُ الناس؛ من كانت حياتُه رديئة وذاكرتُه جيدة.

***

أحبُّ كلَّ ما هو إنسانيّ؛ «أخافُ من الأشخاص الذين لا يشعرون بالخوف» كما قال أنطونيو تابوكي.

***

اللهمّ اكفنا من يتسقّط منّا الهفوة، ويتحيّن بنا الغفلة، وباعد بيننا وبين مَن إذا رأى حَسَنًا ستره، أو قبيحًا نشره، وكن لنا فأنت أولى بنا منّا. اللهمّ إنّا قد سامحْنا مَن أساء إلينا ونحن أهلُ الذّنْب، فسامحْنا وأنتَ أهلُ العفو.

***

صدق وليس مزح، فيه نشيد: «المساجد كلها مشتاقه لك»! الله يستر لا يطلع علينا واحد ينشد: أغدًا أتوب يا خوف فؤادي من غد.

***

« كان يمكن للأمور أن تجري على نحو مختلف، ولكنها جرت على هذا النحو».. يقال إن افتتاحية هذه الرواية من أكثر الافتتاحيات تشويقًا، هل تعرفونها؟

هي رواية «الطريق» لميغيل دليبيس.

افتتاحية «قصة مدينتين» لديكنز، من أشهر الافتتاحيات.

***

هذه وجهة نظري وقد لا تكون صحيحة، طالعت «داغستان بلدي» لحمزاتوف أكثر من مرة، فيها بعض الكلمات الجميلة، لكنها ضعيفة لا أدري ما سبب شهرتها؟

***

نسيت أين قرأت هذا النص أذكره بمعناه: كنا طلابًا صغارًا في مدرسة متهالكة؛ وكان الأستاذ البائس يحدثنا -بملابسه الرثّة- عن العصامية والطموح!

***

بردة البوصيري جميلة ملأى بالحكم، وفيها أبيات غلا فيها صاحبها عفا الله عنه.

***

من الشعر النبطي

المـوت ما هو طعنة الرّمح والسيف المـوت عينك يوم ترخي هدبها

من الشعر النبطي

أوّل قصيده قلتهـا يـوم شـفتك وآخـر قصيـده قلتها يـوم فرقاك

من الشعر النبطي

قد قلت لـك بكره زمانك يردّك ودار الزمان الشين فيني وجيتك

***

لإيزابيـل الليـنـدي -أو أيّيندي كما ذكر بعض مترجمي الإسـبانية- كلمـة عميقـة؛ تقول: «نحن لا نعيش الحياة في خطّ مسـتقيم بل نعيش الحياة في دوائر، نعتقد أن السـنين تبعدنا عن الشـيء ثم نتفاجأ بأننا كنا فـي رحلة طويلـة للعودة إليه».. صدقت؛ أرى هـذا في بعض العادات والقناعـات التـي اعتقـدت أننـي خلّفتهـا بعيـدًا وراء ظهري في مسـير الحيـاة، ثـم أتفاجأ بـي أعود إليها دون أن أشـعر، كيف كان ذلك؟ هي فلسفة الدوائر هذه.

***

الصراحـة أول مـرة أسـمع باسـم بـوب ديـلان الفائـز بنوبـل لـلآداب، قـرأت بعض مـا كتبـه فوجدتها أشـعارًا لا ترتقـي لنوبل، اللجنة أبخص.

***

حَزيـنٌ حيـن تجاهلْتني في مناسـبةٍ عامّـة، حَزينٌ حُزنَ أثـاثٍ قديمٍ أخفاه أهلُ المنزلِ عن أعينِ الزائرين الجُدُد.

***

صـدر قديمًا: سـنة ١٣٥٢ كتاب «تاريخ غزوات العرب في فرنسـا وسويسـرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسـط»، للأمير شكيب أرسلان، مادته نفيسة.

***

كتـاب «السنوسـية.. دين ودولـة» لمحمد فؤاد شـكري، صدر عن مركـز الدراسـات الليبيـة، أكسـفورد، كتـاب حافـل عـن تاريـخ كفاح الشعب الليبـي.

***

اجتمـع جوتـه في شـيخوخته بشـوبنهاور وكان شـابًّا، وحين غادر شـوبنهاور قـال عنه جوته: هذا الفتى فيلسـوف ولكـن ينقصه أن يفهم هـذا: حتـى يكون لحياتـك معنى لا بـدّ أن تجعل للأشـياء من حولك معنى.. وقد قال بعض الكُتّاب فيما بعد: إن فلسـفة شـوبنهاور كقارب صغير لن يصمد براكبه أمام أمواج الحياة.

***

هنـاك ثـلاث شـخصيات مُنحت جائـزة نوبـل لـلآداب ورفضتها: برنارد شو، باسترناك، سارتر..

عانـى برنـارد شـو كثيرًا فـي حياته الأدبيـة، ومنح الجائـزة وهو في السـبعين مـن عمره فرفضها قائـلًا: ما فائدة طوق النجـاة بعد أن يصل الغريق إلى الشاطئ.. يعني أنه لم يعد في حاجة إليها.

وأما باسترناك فقد ضغط عليه الاتحاد السوفيتي لرفضها؛ فرفضها وهو يتمنى الحصول عليها وأثر ذلك في نفسيته، ورفضها جان بول سارتر لقناعات في فلسفته الوجودية.

***

إن كنتَ ستحاول فاذهب حتى النهاية؛ وإلا فلا تبدأ. بوكوفسكي.

***

عندما تسعى إلى تحقيق هدفٍ ثم تفشل في الحصول عليه؛ فقد نجحتَ في السعي إلى تحقيق هدف، ستعرف قيمة هذه التجربة حين تنجح في المرة القادمة.

***

إذا تأمّلتَ كيف يُكتب حاضرُنا لتقرأه الأجيال القادمة؛ ستدرك أنّ كثيرًا من التاريخ قد صيغ برؤية ذاتية انتحلتْ صفة التاريخ.

***

الزمن يُكسب الرؤية الذاتية للتاريخ قوّة الحقيقة؛ ولذلك كان من أعتى جهود النّقد التاريخي تخليصُ هذا الاشتباك بالفحص والمقارنة والاستنتاج.

***

لاحظت أن أغلب الفلاسفة عابسون، يقول الدكتور جونسون ساخرًا من كآبتهم: حاولت مرارًا أن أكون فيلسوفًا، غير أن المرح وقف حائلًا دون تحقيق رغبتي!

***

إذا تزوّج الرجل زوجة ثانية ففي ذلك تنويه عظيم بزوجته الأولى؛ أسعدته بالزواج فأغراه ذلك باستئناف السعادة مرة أخرى! صمويل جونسون.

***

من لاذع النقد قول د. جونسون عن أحدهم: هو غبي بالفطرة، لكن لا بد أنه أجهد نفسه ليصل إلى هذه الدرجة من الغباء، لأنه شيء لا تقوى عليه طبيعته وحدها!

***

من أفضل ما ألف في الفلسفة كتاب «تاريخ الفلسفة» الجزء الأول ليوسف كرم، وغيرها كثير.

***

الفلسفة اليونانية والإغريقية والهيلينية كلها بمعنى واحد، وقد تطلق الهيلينية على مرحلة من مراحل الفكر اليوناني أوالإغريقي.

***

هناك في بعض المسلسلات الكوميدية تقنية ما يسمى بالضحك المسجّل، وهو الضحك الذي يرافق بعض المشاهد، أكثرنا يعلم أنهم يعمدون إلى مثل ذلك لتحفيز التجاوب الشعوري عند المتلقّي، وقلّة منا يعلم -كما ذكرت بعض كتب التأثير- أن تقنية الضحك المسجّل هذه ترافق أضعف النكات لتقويتها وتعويضها.. ومما يمكن أن نستفيده من هذه الحيلة النفسية؛ أنه كلما كانت السلعة رديئة كان البائع أكثر مبالغةً في الثناء عليها، بمعنى عام يتناسب التحفيز عكسيًّا مع جودة المنتج في لغة الاقتصاد والإعلام.

***

الأحلام متاحة للجميع، ما يجعلنا مختلفين هو القدرة على تحقيقها.. فرناندو بيسوا.

***

إحقاقًا للحقّ: يخيّل إليّ أنّ الأمل هو أوّل مخلوق صباحيّ.

***

يروق لي أحيانًا أن أتسكّع في زوايا ذاكرتي، فأجد آلامًا نغّصت عليّ حياتي وهي الآن ملقاة هنا وهناك، لا تبتئس فكلّ الهموم ستمضي وستصير نسيانًا.

***

صدر قديمًا: ١٩٤٠ «إغاثة الأُمة بكشف الغُمّة» للمقريزي، عن لجنة التأليف، بحث اجتماعي واقتصادي، قرر فيه أن العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة.

***

كتاب «السلفية وأعلامها في موريتانيا».. عرض لتاريخ السلفية والأشعرية وما له علاقة بذلك من الحركة العلمية والجهادية، للشيخ الطيب بن عمر.

***

كان لقيصر روما بروتس واحد، ونحن يتربّص بنا: ألف بروتس.. لا بأس يا بلدي الطيّب والله إن أرواحنا لترخص لك «والضربات التي لا تقصم الظهر تقوّيه».

بروتس كان مقرّبًا من قيصر روما وتآمر على قتله، فقال له القيصر

عند موته هذه الكلمة: «حتى أنت يا بروتس» فاشتُهر قوله، وهناك روايات أخرى للكلمة.

***

لا تهدرْ وقتك وقواك في جدالٍ مع مَن أغلق على أفكاره في صندوق عقله الصدئ، مع مَن يعتقد أنّ كلّ من يختلف معه إنّما يفعل ذلك لبواعث دنيئة.

***

قسمة عادلة.. حين يكون لديّ معطفان فأتصدّق بأحدهما على فقيرٍ لا يجد معطفًا؛ أكون قد أدفأتُ جسدي وروحي.

***

جاء في كتاب صحيّ عن النوم: «إن اضطرابات النوم لم تذكر في كتب القدماء ولم تعرفها المجتمعات البدائية إلا قليلاً». الأرق من أمراض عصرنا الكريه.

***

لطيفة.. لم يكمل الأديب الغواتيمالي مونتيروسو الابتدائية، وكان يقول: عندي رغبة في إكمال الابتدائية إذ أجد في كتبها نصوصًا كتبتها أنا!

***

شكيب أرسلان هو من اقترح على شوقي تسمية ديوانه بالشوقيات.

***

عناد المثقفين.. في عام ١٩٧٨ ألقى بورخيس محاضرته عن الخلود، في الساعة نفسها التي كان يخوض فيها المنتخب الأرجنتيني أولى مبارياته في المونديال!

***

هل دخلت يومًا إلى استاد خالٍ؟ جرّب ذلك؛ ليس هناك ما هو أكثر فراغًا منه، ليس هناك ما هو أكثر صمتًا من مدرجات خاوية.. غاليانو.

***

ما رأيتُ شيئًا أدلَّ على جودة عقل الإنسان ونضوج خبرته؛ ككثرة الاستشارة.. هي عقول تضيفها إلى عقلك فتنبهك إلى مواقع الزلل والغفلة في الرأي.

***

ألم تقابلوا في حياتكم إنسانًا جيّدَ الرأي لغيره ضعيفَ الرأي لنفسه!

يقول أناتول فرانس: إنه لجزءٌ من طبيعتنا البشرية؛ أن نُفكّر بحكمة ونتصرّفَ بحماقة.

***

حين بدت لي سَوْأةُ جهلي؛ طفقتُ أخصف عليّ من ورق المعرفة.

***

رأى في منامه لصًا يتبعه، وحين استيقظ .....

هذه مسابقة عالمية كانت معروفة في المجلات الأدبية، ينشرون قصة قصيرة ناقصة النهاية ويطلبون تكملتها وينشرون أجمل تكملة مع جائزة.

***

كنتُ كثيرَ التنقّص للناس فقلتُ يومًا لنفسي: أخشى أن تكون كثرة تنقّصكِ للناس ناشئةً عمّا تتوهّمينه من الكمال فيكِ؟ فلم تُجِب.

***

ألستَ تجد بين هذا الناس من يتسوّلون المالَ بعاهاتهم الجسدية؟ ثمّة أناسٌ آخرون يستجدون المشاعرَ بابتذال آلامهم وأحزانهم.

***

لا يمكن أن تنسجم مع إنسانٍ بين عقلك وعقله فارقٌ كبيرٌ في التوقيت.

***

عندما تغيبُ الشمس؛ تُشرِق نفسي.

***

كان الحسن بن الهيثم كثيرَ الفقر والفاقة، فلما كبر وتقدّمت به السنّ أقبلت عليه الدنيا فقال: لا إله إلا الله، لمـّا حيينا متنا.

***

من دواعي الأسف: أنّ الحضارة في هذا الزمان أوجدت عند الإنسان كثيرًا من الحاجات، ولم تعطه وسائل تحقيقها.. غوستاف لوبون.

***

لاختلاف الأوقات تأثيرٌ عجيبٌ على النفس الإنسانية؛ أحسّ أني في الليل إنسانٌ آخر غيري في النهار.

خطر لي الآن خاطر: هل في قول نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي

دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ مراعاة لحال النفس وتقلّب المزاج في هذه الأوقات؟

***

إنصافًا للصَّباحيين: ليس هناك ما هو أجملُ من ليل المدينة إلا صباح القرية.

***

ليس هناك ما هو أكثرُ سعادةً في هذه الدنيا؛ من أن تكون هوايةُ الإنسان هي حرفته.. شوبنهاور.

***

قال أحدُ الظرفاء كلمة محزنة: ليس هناك موهبة إلا وهي عندي إلا موهبة واحدة؛ حسن استغلال هذه المواهب!

***

قال لين يوتانج: أنثى الإنسان هي أجمل أنثى في الطبيعة؛ وذلك لإحساسها بأنوثتها. قلت: الله الله! ما هذا الجَمال!

***

صدق من قال: الوظيفة أمانٌ من الفقر ومن الغنى! والمغامرة التجارية إمّا أن تجعلك تتأمل الحياة من شرفة قصرك، أو من خلال قضبان السجن.

***

كتاب «معجم السياسيين المثقفين في التاريخ العربي والإسلامي»، لفؤاد صالح سيد ١٤٣٢، جهد رائع ذكر فيه مئات السياسيين الذي عرفوا بالعلم والثقافة.

***

كتـاب «معجـم العلماء والمشـاهير الذيـن أفردوا بتراجـم خاصة» لعبـدالله الحبشـي ١٤٣٠ صدر عـن أبوظبي للثقافة جهـد ببليوجرافي ممتاز.

***

كتـاب «الرائحـة! أبجديـة الإغـواء الغامضة»، لبيت فـرون بترجمة صديق جوهر، صدر عن كلمة ١٤٣١.. كتاب رائع.

مـن كتاب «الرائحـة» لبيت فرون: تاريخ الرائحة، الشـم والرائحة، الروائح كدوافع للسـلوك.. كتاب جميل ولا سـيما لمن كان قرأ رواية «العطر» لسوزكيند.

***

حديـث: «تسـعة أعشـار الـرزق في التجـارة»؛ ضعيف فيمـا أعلم، ولا شك أن التجارة من أوسع أبواب الرزق.

روى الخـلّال فـي «الحثّ على التجـارة» أن الفضل بـن زياد قال: سمعت أبا عبدالله -يعني الإمام أحمد- يأمر بالسوق ويقول: ما أحسن الاستغناء عن الناس.

يقـول الشـيخ أبو غـدّة رحمـه الله: الناس اليـوم ليسـوا بحاجة إلى الحـثّ على التجارة فقـد غدت الدنيا مطمح أنظارهم، هم بحاجة إلى تحذير من أكل المال الحرام.

***

قال صالح ابن الإمام أحمد: سئل أبي وأنا شاهد عن قوم لا يعملون ويقولـون: نحـن متوكّلـون؛ فقـال: هـؤلاء مبتدعـة. وقـال: قوم سـوءٍ يريدون تعطيل الدنيا!

***

هل يُفقد الرزق الحلال من الدنيا؟ سأل رجلٌ الإمام أحمد: ما ترى مكاسب الناس؟ فغضب وقال: انظر إلى هذا الخبيث! يريد أن يُفْسِد على الناس معايشهم.

***

قرأت: كان ينتظر مني طريقة عبقرية في الملاكمة، بادرته بلكمة صريحة فسقط أرضًا، بعض الحلول البدائية مفيدة.

***

«علّموا أبناءكم السباحة والرماية وركوب الخيل» ليس حديثًا، يروى عن الفاروق عمر رضي الله عنه ولا يصح، وهو ثابت عن عثمان رضي الله عنه.

***

لا ريبَ في أن الرّجال الذين يشرفون على تنفيذ القوانين أهمّ من القوانين نفسها.. لين يوتانج.

***

أتخيّر لصداقتي من يلائمني ولا تتناكر روحه وروحي، وليس هناك ما يضطرني إلى مراعاة كلّ الأمزجة، ومسايرة جميع الناس.. محمد كرد علي.

***

رأيتُ بعضَ طلبة العلم لا يفرّق بين فهمه والنصّ الشرعيّ فيظنهما أمرًا واحدًا، **أطالبُ: بثقافة المسافة بين الفهم والنصّ.**

***

تَتَّهم السلفية اتهامًا غير عقلاني، وتضع صورة ديكارت؛ فهل تعلم أن أول ترجمة في العربية لكتاب ديكارت «مقال عن المنهج» نشره الخطيب في المطبعة السلفية!

ما ذكرتُه هو من باب التنزّل في الاستدلال فقط، ومع أن جامعاتنا تدرّس المنطق مثلًا؛ إلا أنه لا علاقة للمنطق والفلسفة بتحرير التداخل بين الفهم والنص، هذا التحرير يحقّقه طالب العلم بالفقه في الدين والبصر بمقاصد الشرع، بقراءة «أعلام الموقّعين» و«موافقات» الشاطبي، و«فروق» القرافي وغيرها كثير من كتب أئمة الإسلام في الفقه والأصول.. وقد كان العلامة ابن عثيمين رحمه الله -وهو لم يدرس الفلسفة- إذا قيل له: ما حكم الشرع في كذا؛ يقول: هذا رأيي وأنا لا أمثل الشرع.

***

أنا في النهار سَلَفيّ، وفي الليل عاشق.

***

بالنسبة إلى الذين لم ينجحوا؛ فإن إفساد نجاح الآخرين هو النجاح قليلًا.. روبير دو فليرس.

***

منذ مئة عام واجهتُ جمهورًا وقلت لهم: لعلكم مندهشون لرؤية شخص في مثل سني يتحدث إلى جمهور. قالها الوزير براون في عيد ميلاده السادس بعد المئة.

***

كم تبدو الأمور مُقنِعة للذي لا يعرف إلا القليل. إلياس كانتي.

***

انتشرت في أوروبا نكات كثيرة عن بخل اليهود وجبنهم، فكان اليهود يجمعون هذه النكات في كتب ويبيعونها للأوروبيين ويستثمرون المال في خدمة قضيتهم!

***

يقولون: إذا ساءت أيام المرء ساءت أخلاقه.. اللهم ارزقنا أحاسن الأخلاق في أحوالنا كلّها.

***

يعبّر الإنسان عن مشاعره بالأدوات التي يمتلكها، فالأديب بالكلمة، والرسام بالفرشاة، والموسيقي باللحن والمقطوعة. وكثير من أصول الموسيقى العالمية -التي يُظن أنها غارقة في الدنيوية- قد خرجت من عباءة الكنيسة في عصر النهضة الأوروبية.

كان الموسيقي العالمي «يوهان باخ» قويَّ الإحساس الديني؛ لذا جاءت مؤلفاته الموسيقية تعبيرًا كنسيًّا حادًّا. وكان يدرّسنا الفقه في الكلية شيخٌ فاضلٌ تظن حين تراه أنه قد جاء من إحدى المزارع إلى مدرج الكلية، فقال لنا يومًا: مررتُ بقرب إحدى المدارس العالمية فسمعتُ موسيقى باخ، هذه موسيقى كنسية! فتطايرت ملامح وجهي وبغتتني كلمته فلم أصدق أذنيّ، وتعجّبت كثيرًا من تخصّصه وسَمْته وكيف عرف باخًا وموسيقاه! فأخذت أسأل عنه فعلمت أن هذا الشيخ الجليل الدكتور الذي يدرّسنا الفقه؛ كان في بداية حياته قد درس

الإخراج المسرحي في أوروبا! ثم آثر العلم الشرعي -ونعم ما آثر- فعاد طالبًا من جديد فدرس على كبر في مقاعد كلية الشريعة، ثم نال الماجستير والدكتوراه وأصبح أستاذًا في الجامعة، رحلة غريبة وعصامية تستحق التدوين[1].

***

بعضُ آلام الرّوح عميقة جدًّا، عميقة حتى إنّ الكلماتِ لا تستطيع بلوغها لتصفها.

***

لا تنخدع بالمظاهر كثيرًا: «فربّما كان أشدُّ الناس احترامًا لقوانين المرور هو سارق السيّارة»!

***

من أطرف ما مرّ بي من أسماء المحلات «بنشر السعادة».

***

تأمّل في النفس الإنسانية.. قرأتُ: أنه حين يهدّدك شخصٌ لا تعرفه بشيءٍ؛ فإنّ هذا الشيء الذي هدّدك به هو أكثر ما يثير مخاوفه.

***

دوستويفسكي وصل إلى مجاهل مخيفة في النفس الإنسانية لم يصلها قلم كاتب قبله، يقولون: إن قلم دوستويفسكي عرّى النفس الإنسانية.

---

(١) هو فضيلة الشيخ الدكتور/ سليمان بن إبراهيم الثنيان -رحمه الله-.

دوستويفسكي هو الصرّاع الرهيب الذي يدور في النفس الإنسانية بين نوازع الخير والشرّ، ومعاناة الإنسان الدائمة في مغالبة ضعفه سعيًا للكمال الروحي.

***

تستهويني الكلمات العميقة التي تنفذ إلى مسارب النفس الإنسانية فتصوّرها في براعة، وتكشف عن دخيلتها بعيدًا عن هذه الأقنعة التي تواجه بها الناسَ والحياة، لا أقف كثيرًا في قراءاتي على مثل هذه الكلمات، لكنني إذا عثرت عليها ظل صداها يتردّد في نفسي أيامًا طويلة.

***

أحيانًا يطلب مني الأهل شيئًا وأقول ليس الآن ما معي فلوس، ثم أذهب إلى المكتبة وأشتري كتبًا فأتركها في السيارة وأدخّلها البيت إذا ناموا.

ومرّة كشفوني ومعي أكياس كتب، فقلت: هذا واحد أزعجني مهديني هالكتب حنا ناقصين كتب! ما مشت..

من تعاملي مع كثير من مدمني القراءة ومحبي الكتب وجدت أن فيهم وَشّه وطباعهم غريبة!

***

بعض الناس يحبّ يفهم غلط، يظن أني بالتغريدات السابقة عن شراء الكتب أحاول أن أمدح نفسي وأني قارئ. بداية خذها قاعدة: القارئ الجيّد الواثق من نفسه لا يكثر من الحديث عن محبته للقراءة

ولا يـردّد هـذا دائمًـا، من يفعل ذلك ليس قارئًا جيـدًا، أو هو قارئ في بداية مشـواره الثقافي، وكثيرًا ما يطلب مني الحديث الذاتي عن رحلة القراءة والكتب -إعلاميًا- وفي مواقع التواصل فأمتنع ولا أرتاح لهذا الحديث.

فـي بداية تعلّقي بالقراءة كنت شـغوفًا باكتسـاب هـذه الصفة، صفة القـارئ النهم المثقّـف وهذا أمر طبيعي، وفيما بعد ما عاد يعنيني هذا، ربّمـا كان لبعـض التجارب في هذا أثرها علـى النفس؛ حيث رأيت أن كثـرة الاحتفـاء برأي الآخرين واسـتجداء إعجابهم يُمـرض الروح بل يدمّرهـا، ثـمّ هو لا يبنـي العقل.. والحديـث في هذا طويل ذو شُـعَب وشـجون، والإنسـان لا ينفكّ عن بشـريته فهي قد تشفّ عن ضعفه في بعض الأحيان، لكن الشأن في المعاني الغالبة التي تحكم تصرّفاته.

***

الناس المتقاربون في الأعمار يعرف بعضُهم بعضًا بسبب مشاعرهم وأفكارهـم المشتركة.. جورج سيمنون.

***

أجمل ما في كتابات زكي مبارك حديثه عن زكي مبارك! والمازني نفسه من كبار أدباء الذاتيّة.

***

اقرأوا رائعة سعدي الشيرازي في ثنائية الأنا والأنت:

قال لي المحبوبُ لـمّا زرتُهُ ... مَـن ببابي قلـتُ بالبـابِ أنا
قال لي أخطأتَ تعريف الهوى ... حينمـا فرَّقـت فيـه بيْنَنَـا

ومضى عامٌ فلمَّا جئتُهُ أطرُقُ الباب عليه مُوهِنا
قال لي منْ أنتَ قلتُ انْظُرْ فما ثَمَّ إلَّا أنتَ بالبابِ هُنا
قال لي أحسنتَ تعريف الهوى وعَرَفْتَ الحُبَّ فادخُلْ يا أنا!

***

جرِّب في طريقك أن تنظر إلى الجهة اليمنى سترى معالم غريبة حتى لو كنت تسلك الطريق لسنوات، دائمًا ما ينظر الإنسان إلى الجهة اليسرى جهة القلب، وهذا معروف في الحروب والكتب العسكرية، يقولون: إذا هرب الأسرى من مكان مغلق فإطلاق النار عليهم يكون عن يمين الجنديّ المواجه لهم، لأنهم يهربون عن يسارهم.

***

قرأت لبعض الرّحالة: أن أصفى المياه في الصحراء هي التي يجب عليك أن تحذرها، لأنها لو كانت صالحة للشرب ما تركتها الدوابُّ والهوامّ.. احذر بعض الصفاء.

***

في منزلي مكتبة هي سرّ من أسرار الخلود، وإليها غدوّي ورواحي حين يكايدني الزمان. زكي مبارك.

***

إذا كان يلازمك شعور دائم بأنك تثقل على الآخرين فاعلم أنك خفيف الروح لطيف المعشر، لأن ثقيل الروح –أبعده الله– لا يشعر بشيءٍ من ذلك أبدًا.

***

«ديوان إبراهيم بن سهل الإشبيلي»، من أهل القرن السابع، حقق الديوان محمد فرج دغيم، صدر عن دار الغرب ١٩٩٨، ابن سهل من أرقّ شعراء الأندلس.

***

من نوادر التأليف: كتاب «الإجماع في الشريعة الإسلامية» لعلي عبدالرازق، صدر عن دار الفكر العربي، ١٩٤٧.

***

اعلم أن الإنسان إنما يكره مِن الناس مَن كان على خلاف صِفَته: فالشجاع يكره الجبان، والبخيل يكره الكريم.. فما تكرهه من صفات الناس ففيك خلافه.

***

رأيتُ في بعض المجالس مَن يبالغ في قيمة كتابٍ أو خبرٍ إذا علم أنك تجهله، وما به إلا المبالغة في إظهار جهلك.

***

ثمّة مثلٌ ألمانيٌّ يقول: «إذا أغويتَ رجلًا نظيفًا فسوف يؤدي لك خدمات عشرة كانوا أنجاسًا»، من يتردّى من القمّة يكون أكثر خطرًا من ساكني الحضيض.

***

لو قدّر للإنسان أن يفتّش قلبه لوجد بداخله قلبَ الأمّ، ذلك أنّ قلبَ الأمّ هو الذي ينبض في قلوبنا بالحياة.

***

الدجّالون يعرفون فرائسهم منذ النظرة الأولى، ويعرفون أيضًا أنه عندما يريد المرء رؤية شيءٍ أو الاعتقاد به فإنه يراه أو يعتقده بسهولة.. زفايج.

***

أوهام التاريخ.. قيل لماري أنطوانيت: الشعب لا يجد الخبز، فقالت: ليأكل الكعك «أو القاتوه».. هذه العبارة لم يثبت تاريخيًّا أن ماري أنطوانيت قالتها.. وأمّا «ميرابو» صاحب الصيحة المشهورة في تاريخ الثورة الفرنسية: اشنقوا آخر مَلِك بأمعاء آخر قسّيس.. فكان فاجرًا كذّابًا خائنًا، يحرّض الثوّار في النهار، ويتقرّب إلى لويس السادس عشر وماري أنطوانيت في خفايا الليل ويستجديهم الرشاوى، دفنه الثوّار في مقبرة العظماء البانتيون، ثم اتّضحت لهم خيانته بالوثائق فنبشوا قبرَه وألقوه في إحدى المزابل، وصيحته هذه المشهورة قيلت قبله فتمثّلها ونسبت إليه.

***

مما قرأت: الحياة مسرح هَزْلي لكن لا أحد يضحك.

***

يُروى -ولعلّها قصةٌ رمزيَّةٌ- أنه أيّامَ الثورة الفرنسية تقرّر إعدام ثلاثة أشخاص بالمِقْصَلة، وهي آلة معروفة ارتبطت بذاكرة الثورة الفرنسية الدموية، حيث يوضع رأس المحكوم عليه بالإعدام داخل هذه الآلة فيهوي على رقبته نَصْلٌ حادٌّ يفصل رأسه عن جسده.. تقرّر إعدام ثلاثة أشخاص وهم: رجل دِين، ومحامٍ، وعالِم تجريبيٌّ، فلما قُدّم رجل الدين قال: الله سينقذني، فهوى نَصْلُ المِقْصَلة على عنقه ثم

توقـف قبـل أن يفصل رأسـه، فهاج النـاس وقالوا: لا بدّ مـن تركه فقد أنقـذه الله؛ فتركـوه، ثـم قُـدّم المحامـي فقـال: لسـتُ رجـل ديـن ولا أعرف الله -تعالى الله سـبحانه- لكني محامٍ وستنقذني العدالة، فهوى نَصْلُ المِقْصَلة على عنقه وتوّقف قبل أن يصل إليها، فهاج الناس أيضًا وقالوا: لا بدّ من تركه فقد أنقذته العدالة؛ فتُرك..

ثـم قُدّم رجـل العِلم التجريبي فقال: لسـتُ رجـلَ دين لأعرف الله -سـبحانه وتعالـى- ولا محاميًـا فأعـرف أين تكـون العدالة، أنـا عالِمٌ تجريبـيٌّ، وأعلم أن في مجـرى المِقْصَلة خللًا يمنع النَّصْل من النزول إلـى نهايته، فأصلـح القائمون على الإعدام هذا الخلـل وهوى النَّصْلُ على عنق هذا العالِم التجريبيِّ ففصل رأسَه عن جسده..

وبعـد؛ فهنا رأيان يُذكران فـي التعليق على هذه القصة: رأيٌ يقول: هـذا العالـم مغفّـل؛ إذ لا يحسـن أن يُخبـر العالِم بعلمه فـي كلّ وقت وعلى أيّة حال، ورأيٌ آخر يقول: بل هذا العالم شـجاع ضحّى بحياته من أجل علمه.

لعـل بعضكم لم يفهم مقصود مَن قـال: إن العالِم التجريبيَّ ضحّى بحياتـه مـن أجل علمـه، هو يقصـد أن العالـم التجريبـي أراد أن يثبت للنـاس أن الديـن والعدالـة لا علاقـة لهمـا هنـا بنجاتهمـا، وأن سـبب نجاتِهما هنا يجب أن يُربط بالعلم الصحيح الذي يفسّر الأسباب.

***

من أوهام التاريخ:

أن السـلطان عبدالحميـد هـو آخر خلفـاء الدولـة العثمانية، وليس كذلك فقد جاء بعده خلفاء لها، وهناك فرق بين الخلافة والسلطنة في

الدولة العثمانية، فقد ألغيت السلطنة عام ١٩٢٢، ثم ألغيت الخلافة عام ١٩٢٤ ولم يكن عبدالحميد آخرَ سلطان ولا خليفة، وتفصيل ذلك فيما كتب عن نهاية الدولة العثمانية، كما أن شيخ الإسلام مصطفى صبري لم يكن آخر من ولي هذا المنصب في الدولة العثمانية، فقد وليه بعدَه غيرُه، هذا ولم يكن الكوثريُّ ممّن ولي مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية وإنما كان وكيلًا لها، ولم تسقط الملكية في مصر عام الثورة ١٩٥٢، وإنما سقطت بعد ذلك سنة ١٩٥٣، وليس الملك فاروق هو آخر ملوك مصر، وإنما آخرهم ابنه الملك أحمد فؤاد الثاني وما زال حيًّا.. كما أن الملكية لم تسقط في فرنسا -كما يتوهّم كثيرون- سنة قيام الثورة الفرنسية ١٧٨٩، وإنما سقطت بعد ذلك بثلاث سنوات ١٧٩٢..

***

الملائكة خُلقت من نور، والجن من نار، والإنسان من طين.. ممّ خلقت الحيوانات؟ هذا سؤال سبق أن بحثته ولم أقف على إجابة عنه.

***

ليست مجاملة؛ وليس لي في الدعوات والمشاركات، لكن الكويت الحبيبة تملك ذاكرة ثقافيَّةً رائعةً، وقام مثقّفوها بتوثيقِ تلك الذاكرة بعناية كبيرة. وفيها جهود وإسهامات علمية وثقافية أَثْرت المكتبة العربية، «تاج العروس» و «الموسوعة الفقهية» و«العربي» و«عالم المعرفة».. ولي فيها أحباب وأصفياء كرام، قضيت معهم أيامًا هي من أجمل أيام العمر.. وما هو بغريبٍ على أهل هذا البلد مكارمُ الخلق وطيبُ العشرة ورحابةُ اللقاء.

***

من أجمل الأبيات التي قرأتُها وقد عدّلت فيه:

أيَـومٌ به أسـديتُ نُصْحًا لجاهلٍ كيـومٍ به أبديتُ للناصح الجَهْلا

***

يقـول مُحصّـل ديون: إذا أقرضـتَ أحدًا فلا تطلب منه السّـداد في النهار واطلب منه السّداد في الليل، لأن النفس تضعف في الليل!

***

يُروى أن الزمخشري وقف في الحج عند باب الكعبة ورفع تفسيرَه «الكشـاف» بيـده وقال: مـن يجادلني فيه؟ فقال لـه أحد العامة: ﴿ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾، فانصرف!

***

خرج لصوصٌ على رجل وسَـلبوه ما معه، ثم إن واحدًا منهم ابتعد قليـلاً وصَلّـى الضُّحَى، فقال له الرجـل: كيف وتوّك سـارقني؟ فقال: تبيني أحارب الله من كل وجه!

***

جلـس رجلٌ في حديقة فجـاء آخر وجلس جواره ومدّ يدَه فأصاب أنفَـه، فقـال لـه: آذيتني، فردَّ الرجـل: أنا حرٌّ في مدّ يـدي، فقال: تنتهي حريّة يدك عند ابتداء حريّة أنفي!

***

أن تأبى أن تكون مثلَ من أساء إليك؛ ذلك هو خير انتقام. ماركوس أوريليوس.

***

لو كانت الأشياء تتحقّق في اللحظة التي نريدها؛ لأصبحنا نخشى أن نريد مثلما نخشى لمسَ النار. بول فاليري.

***

الحِكمة مُشتَرك إنساني تقوّم بما فيها من عمق وإضافة، وتراثنا مملوء بحِكَم الأمم الأخرى.

***

لا أعرف أحدًا من هذا الخلق إلا وهو يعتقد أنه لم يُعط حقَّه، وأنه في منزلةٍ دون منزلته، قليلٌ ممّن يعتقد ذلك هو على حقّ، وكثيرٌ على باطل.

***

حين يقصد الفتى إلى العلم ويتوافر عليه فإنه قد يحصّل منه قدرًا لا بأس به، ولكنّ نموّه العقلي بالحكمة وتجاريب الحياة لا يأتي إلا متأخرًا.

***

يكشف لك تويتر: أنّ عقلية الوصاية هي من أشدّ الأدواء التي ابْتُلي بها مجتمعنا.

***

من المعاني التي أعجبتني قول أمين نَخْلة: إذا أصبحتَ وأحسستَ بأنك نشيط فاعلم أنك دخلت طور الشيخوخة، لأن الشاب لا تتفاوت أحوالُه فهو في نشاط دائم.

***

مشكلة إنسان هذا العصر أنه يأخذ الحياة بجديّة أكثر من اللازم.. لين يوتانج.

***

حِيَلٌ للتحفيز النفسي.. هناك أشخاص يتفقون مع المتسوّل؛ إذا رأوا شخصًا قادمًا أقبلوا على المتسوّل وأعطوه، فيتفاعل الشخص نفسيًّا مع الموقف!

***

حِيَلٌ تسويقية.. قرأت أن أحد العقاريين قد أعدّ بيتين سيئين يعرضهما على المستأجر بمبلغ كبير، ثم يعرض عليه العقار المراد تأجيره بمبلغ مناسب!

***

لا تكونوا نخبويين في سعادتكم، افرحوا بالتفاصيل الصغيرة، بلُثْغة أطفالكم، بنقودٍ تنتظركم في معاطف الشتاء، افرحوا قبل أن تصدأ أرواحكم.

***

بالأمس كسر بعض الأهل زجاجةَ عطرٍ غاليةً جدًّا من عطوري عن طريق الخطأ، وكانت هناك حركةٌ مريبةٌ في البيت واجتماعاتٌ سرّية لترتيب الأمور، والتشاور في كيفية إيصال الخبر إلى ربّ الأسرة هذا المتسلّط. كُسرت الزجاجة في الصالة ودلّت الرائحة على مكان الجريمة! تساءلت؟ فقيل لي في ترفّق هذا الخبر المزعج..

فقلت وقد اعتصرت كلّ حكمة الحياة من جهلي السابق: لا بأس تفداكم، أصبحت رائحةُ البيت جميلة.. وانتهى الموضوع بسعادة

عمّت البيت.. ما فائدة البكاء على اللبن المسكوب؟ لا فائدة سوى التوتّر والإساءة وتعكير صفو الأسرة، لو كان هذا الموقف قبل عدّة سنوات لأقمتُ الدنيا ثمّ لم أقعدها، كم كنت نزقًا أخرق! لا أدّعي الحكمة فكم من عثراتٍ تُخجل، لكني كنتُ في هذا التصرّف أوّلَ مَن ربح نفسَه ولتذهب عطور الدنيا!

***

يُغالب الإنسانُ الحياةَ في النصف الأوّل من عُمُره، وفي النصف الثاني منه يُغالب الموت.

***

السيرة الذاتية لسلامة موسى، تأثر بها لويس عوض في سيرته الذاتية «أوراق العمر»، وسلامة موسى مع ثقافته وأثره متعصّب كاره.

***

المبادئ لا تتجزأ إلا في نفسٍ شوهاء، حين تغضب لكرامة إنسانٍ أن تهدر؛ فأنت تغضب لكرامة المبدأ الذي تؤمن به ولا علاقة لذلك بِمُوافقٍ أو مُخالف.

***

في أصناف الناس شَبَهٌ بأصناف الأشجار: في الناس عالٍ بلا ثمر، وفيهم المُثمر سهل القطاف، وفيهم من يُستظل به، وفيهم المُتسلّق ومن لا يصلح إلا للزينة.

***

تُطالب بعض النّساء بمساواتها مع الرّجل، لعلها لا تدري أنها ستفقد بذلك ما تفوّقت به على الرجل: أنوثتها.

***

ما من أُمّةٍ من الأُمم تُهزم في كتب تاريخها.. ديورانت.

***

قرأتُ: أنّ أخطر الأشياء في حياة الإنسان هي التي تقع قبل مولده.

***

تاريخ ما نسيه التاريخ.. الرّفيق فيدل كاسترو كان يغار من وَهَج الرفيق غيفارا وكاريزماه، خذله في أحراش بوليفيا ممّا أدى إلى مقتله.

***

أنا إنسان متصالح مع نفسه إلى حدٍّ مّا، لستُ شُجاعًا، وصورةٌ محبطة لمن يبحث عن غرامشي وغيفارا، أحبُّ الخلق الرضيّ وإفادة غيري بما أقرأ، هذا كلّ شيء.

***

هذا الفرح المحموم ولا سيما من المثقفين أنفسهم: بكلّ هفوة لشاعر، وكلّ زلة لكاتب؛ يكشف عن وعي زائف يستجدي الضحك على أنقاض أرواح الآخرين.

***

ما سببُ هذا التحوّل المحيّر للإنسان حين يكون داخل مجموعة فاعلة؟ جواب هذا تجده في علم النفس الجمعيّ «علم النفس الاجتماعي».. تجده في كتاب «سيكولوجية الجماهير» لغوستاف لوبون، و«علم النفس الجمعي وتحليل الأنا» لفرويد، في كتابات: سيرج موسكوفيتشي، وغبريال تارد.

***

كان العقّاد لا يؤمن بهذه الفنون الحديثة، ودار نقاش حول منحوتة «قِطٍّ» من هذه المنحوتات الحديثة فقال: نحضر فأرًا فإن هرب فهو فنّ حقيقيّ!

***

أحـال العقّاد إحـدى القصائد الحديثة التي عُرضـت على لجنة هو فيهـا إلـى لجنـة النشـر، حيث لـم تكن مـن الشـعر العمـوديّ، وردّ عليه صلاح عبدالصبور بمقالة عنوانها: «والله العظيم موزون»!

الغريـب أن العقّاد الذي كان في شـبابه من أشـد الثائرين على كثير مـن النمـط القديـم «جماعـة الديوان»؛ صـار فيمـا بعد محاربًا شرسًـا للجديد.

***

كان أحمد شوقي يُلقي قصيدتَه في الحفل، ثم يُلقي حافظ إبراهيم قصيدتَـه؛ فيَطـرب الناس لقصيدة حافـظ أضعافَ ما يطربـون لقصيدة شـوقي، فـإذا ما نشـرت القصيدتان فـي الصحف من الغـد ظهر الفرق واضحًا لصالح قصيدة شـوقي؛ لأن شـوقي كان ضعيـفَ الإلقاء وكان حافظ يسـحر القلوب بصوته الجَهْوَرِيِّ وحسن إلقائه. والسيّاب ونزار لم يكن إلقاؤهم بمستوى الجمال الفني لقصائدهم، بخلاف أبو ريشة والجواهري.

كان المتنبـي -كمـا وُصـف- جسـيمًا جميلًا، وكان يهزّ السـامعين بإلقائه، فصيحًا متحدّثًا لا يجاريه غيرُه في المجلس إذا ما تحدّث.

وكان أبـو العـلاء المعـرّي -كمـا وُصـف- قصيـرًا ضئيلَ الجسـم تتقحّمه العينُ مجدورَ الوجه، عينه اليمنى ناتئة واليسـرى غائرة، رقيقًا ضعيفَ الصوت.

على الرغم من هاتين الصورتين المختلفتين للمتنبي والمعرّي؛ إلا أنهما -في رأيي المتواضع- قد التقيا في أنهما أشعر شعراء العربية، المتنبي عندي -وإن عذل العاذلون- أكبر شاعر في العربية على الإطلاق، يليه المعرّي، ثم أبو تمّام وابن الرومي، هذا رأيي ولغيري أن يخالفه.

***

كان المعرّي أشدَّ بصرًا باللغة والغريب من المتنبي، وكلاهما شاعِرٌ عالِمٌ بالعربية.. وأما في العصر الحاضر -ما دمنا في هذه الثنائيات- فثمّ أحمد شوقي وحافظ إبراهيم.. كان حافظ إبراهيم مضرب المثل في كرمه وطيبة قلبه، أريحيًا يحبّ الفقراء والمجالس الشعبية، حافظًا -كاسمه- للغة والشعر ذا ذاكرة جبّارة، حسنَ الإلقاء جدًّا، ومتحدّثًا بارعًا من أكبر ظرفاء عصره..

أما شوقي فكان بخيلًا متجهّمًا، أرستقراطيّ النزعة يكره الفقراء والبسطاء من الناس، شديدَ الحساسية لنقد شعره، ذا حافظة ضعيفة، مهووسًا بصحته -ومنه ورث محمد عبدالوهاب هذه الوساوس- لكنه - في نظري المتواضع جدًّا أيضًا- أكبر شاعر معاصر على الإطلاق؛ فشوقي هو شوقي! وما حافظ إبراهيم إلا تلميذ في مدرسة شعره.. رحمهم الله جميعًا.

شعراء المعلّقات والمفضليّات والأصعميّات والحماسة والأغاني شعراء كبار، قولي: إن المتنبي أشعر شعراء العربية لا يعني أن غيره ليس بشاعر.

ذكر نزار قباني ومحمود درويش كلاهما في مقابلتين -منفصلتين- معهما؛ أن شوقي أكبر الشعراء العرب المعاصرين!

لمـن أراد أن يقـرأ عـن خاصّـة حياة شـوقي وشـخصيّته وأسـراره؛ فهناك أربعة كتب فيها من ذلك الشيء الكثير[1].. أوفاها في هذا «حياة شوقي» لأحمد محفوظ.

***

مـن أقيـم مـا أُلّـف عـن المتنبي كتـاب محمود شـاكر وهو دراسـة عظيمة، وكتاب كوركيس عواد وميخائيل عواد ببليوغرافيا متميزة جدًّا وهو نادر.

***

مـن أفضـل ما أُلّـف عن المعـرّي: «أبو العـلاء وما إليه» نـادرٌ أعيد تصويره، و«ذكرى أبي العلاء» نادرٌ، طبع ثانية باسم «تجديد ذكرى أبي العلاء».

***

قيل: أشعرُ العرب امرؤ القيس إذا رَكِب، وزهيرٌ إذا رَغِب، والنّابغةُ إذا رَهِب، والأعشى إذا طَرِب.

***

هـذا الجوّ الرائع تناسـبه هذه الكلمة: «هناك أشـياءُ كثيرة لذيذة في هذا العالم يمكن القيام بها؛ مثل عدم القيام بأيّ شيء».. زاماكويس.

***

كتاب العلامة الكبير أحمد عُبيد «ذكرى الشاعرين حافظ وشوقي» فيه مخبّآت وفرائد وهو حقيق بالقراءة.

***

---

(١) سقطت الكتب الثلاثة من النص.

كُتب عن عقيدة أبي العلاء كلامٌ كثير، أكثره ممّا افتراه ياقوتُ الحمويُّ عليه في «معجم الأدباء»، وألف ابن العَديم كتابًا متقدّمًا في الدفاع عنه وصلتنا قطعةٌ منه، وقد نُشرت في كتاب «تعريف القدماء»، وللحافظ السِّلَفي كتاب عن المعرّي لعلّه في إنصافه، وقد ردّ المعرّي على من نال منه في هذا في كتابه «زَجْر النَّابح» وصلنا ناقصًا وطبع، وكتابه «زَجْر النَّجْر» وما أعلمه أنه مفقود..

ومن أفضل من فصّل القول في هذا المَيْمَنِيُّ في كتابه «أبو العلاء وما إليه»، وأحمد تَيمور في كتابه «أبو العلاء المعرّي»، وسليم الجُندي في «الجامع في أخبار أبي العلاء» وعبد المعين الملّوحي في كتابه «دفاع عن أبي العلاء».. وممن يرى سوء معتقده من المعاصرين: طه حسين، ومارون عبّود في كتابه «زوبعة الدهور» وهو من أضعف ما كتب عنه. ومن خلال مطالعتي لشعره -ولا سيما اللُّزُوميّات- وجدتُ أنّ له أشعارًا رديئة من جهة المعتقد، ولكن المحرّرين ممن كتب عنه ذكروا أنه كان شاكًّا ثم رجع. وآخر كتبه «أضواء على سِقْط الزَّنْد» يشهد بهذا، وأمّا ما ذكر من أنه عارض القرآن الكريم بكتابه «الفصول والغايات» فَفِرْيَةٌ عليه، فقد وجدت قطعة كبيرة من «الفصول والغايات» نشرها محمود زناتي؛ وهو في «تمجيد الله والمواعظ»! والله أعلم.

***

إيهٍ ثم أوّاه! هذه السعادة المتأخّرة كم يطوينا الأمل في انتظارها لكنها لا تأتي، صار العُمر صحراءَ واسعةً وراء كلّ قِمّةٍ منها ألفُ سفح.

***

كلّما ابتعدتُ عن الكتب عاقبني الله بالناس.. مقولةٌ جميلةٌ لا أدري لمن؟

***

مسألة القَدَر من المسائل الصّعبة، ومن خير من حرّرها شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «تائيّته» المعروفة ولها شروح.

***

لو خُيّرتُ بأن أتقدّم بكلمة كتبتُها -من جميع ما كتبته في تويتر- إلى مسابقة أدبية لكانت هذه: أشعرُ بأني أخون أحزاني حين أتحدّث عنها لكلّ أحد..

***

المُترجِم الأدبيُّ خائنٌ لطبيعة اللغة، وأصعبُ ضروب الترجمة؛ ترجمة الشعر من لغة إلى أخرى.

***

«الإلياذة» للشاعر اليوناني هوميروس، و«الأوديسة» له أيضًا، و«الإنيادة» للشاعر الروماني فرجيل، و«الشاهنامه» للشاعر الفارسي الفردوسي، و«الكوميديا الإلهية» للشاعر الإيطالي دانتي، و«الفردوس المفقود» للشاعر الإنكليزي ميلتون.. هذه أشهر الملاحِم الشعرية في التراث الإنساني.. ومن أجود ما قرأتُه في تعليل عدم وجود الملاحم الشعرية عند العرب -وهم هم في الشعر- أن العرب لم يكونوا يكتبون بل يحفظون، والملاحِم لا تناسب الحفظ..

كان شيخنا العلامة بكر أبو زيد -رحمه الله- تعجبه كثيرًا مقدمة سليمان البُستاني التي صدّر بها ترجمته للإلياذة، وهي مقدمة بديعة حقًّا أدبًا وأسلوبًا تفنن فيها البُستاني ما شاء له علمه وقلمه، وقد ظُلمت هذه المقدمة فلم يتنبّه لها كثير من الدارسين، وحقّها أن تطبع مفردة..

وتُعدّ طبعة ترجمة البُستاني للإلياذة من نوادر الكتب العربية، وهي

من مقتنياتي، وقد صُوّرت، وبعد أن ترجم البُستاني «إلياذة» هوميروس أقـام لـه محبّوه حفلـة أدبية كبيرة احتفـاءً بترجمته وعمله الشـاقّ الذي استمرّ فيه لسنوات.

وهـذا الاحتفـال -فيمـا أعلم- هـو أوّل احتفال بصـدور كتاب في العصر الحاضر وكان في بداية القرن العشرين.. وقد طبعت وقائع هذا الاحتفـال فـي كتيّب نـادرٍ جدًّا أهديته إلى بعـض أحبابي وكان أهداني عـدة كتـب وهو صاحـب الفضل، وقد حضـر هذا الاحتفـالَ نخبةٌ من العلمـاء والأدبـاء والأعلام فـي زمنهم، ولمـا كان المُترجِم والقائمون على الاحتفال نصارى؛ فقد جاء في كتيّب وصف الحفل كلمة جميلة هذا معناها: وقد امتنع القائمون على الحفل من تقديم الخمور احترامًا لمشاعر المسلمين؛ ولكن الحاضرين جميعهم سَكِروا براحِ الأدب!

***

معاصـرون تمنّيـتُ لقاءهـم: الألبانـي، عبـدالله الدويـش، إحسـان عبـاس، روكـس العُزَيزي، إدوارد سـعيد، غـازي القصيبـي، المنّوني، نازك الملائكة، نعمات أحمد فؤاد.

***

قـال أحـد الحكماء: في صغري كنتُ أعتقد أن المال هو السـعادة؛ وعندما كبرتُ أدركت أني كنت على حقّ!

ثُنائيّة المال والصحة تغيظني كثيرًا، كأن مصائبَ الدنيا وأمراضَها لا تنزل إلا بالغنيّ، والفقير إذا فقد العافية يبذل ماء وجهه كله لأجل العافية.

***

في الثانوية كان أستاذي الكبير د. عبد الله العَمْري يشجّعني ويصفح عنّي بأبوّته الحانية، أتمنى ألا يذكرني فلم أكن بالتلميذ الذي يسرّ!

***

أخلاق الكبار.. كان أحد العلماء يَحْسُد الإمام أحمدَ ويتكلم فيه، وكان الإمام أحمد يوصي تلامذته بدروسه، فيقولون له: يتنقّصك، فيقول: شيخٌ صالِحٌ ابتُلي بي.

***

الأنفلونزا تجاذبني أطرافَ الصحّة وأدافعها بكلّ ما عرفه تاريخ الطبّ من أيام جالينوس وأبقراط إلى أيامنا هذه! ومع أننا نتعلّم من الأنفلونزا أشياءَ رائعة وخبراتٍ جميلة؛ كمعرفتنا إذا ما طاولتْنا وطأتُها: أن جليسَ السوء خيرٌ من الوحدة! وأنها تستمرّ سبعة أيام بالعلاج وأسبوعًا بلا علاج! إلا أنها معلّم غير مرحّب به في دوائر نشاطات الإنسان، لأن الإنسان هذا الماكر يريد أن يتعلّم بالمجّان، وهذا ما تأباه عليه الحياة..

وكم ذا سمعتُ وسمعتَ من قائلٍ يقول: أنا إذا أصابتني الأنفلونزا تكون شديدةً عليّ وتنال منّي ما لا تناله من غيري.. وهذا تَوَهّمٌ تكشفه الأنفلونزا ومعنى تجلوه لنا؛ وهو أن الإنسان كثيرًا ما يضخّم تجارِبَه ويتجاهل تجارِبَ غيره، فلا عصاميَّةَ كعصاميته، ولا معاناةَ كمعاناته، ولا آلام تبلغ آلامه.. مسكينٌ هذا الإنسان يظنّ نفسَه محورَ الكون، قد امتلأت ذاتُه بوجوده وهو ذرّة تائهة في كون الله الواسع.

توضيحان إبراءً للذمّة: قولي: إن الأنفلونزا نعرف بها أن جليس السوء خيرٌ من الوحدة؛ أفدتُه من تغريدة طريفة لأحد الأفاضل عن المرض؛ وخرّجته على معنى لطيف: وهو أن المرض قد يَحْرِف مزاج

الإنسان فيجعل أحكامَه غير متوازنة، وأما أنّ الأنفلونزا تستمرّ سبعة أيام بالعلاج وأسبوعًا بلا علاج؛ فطُرْفة قديمة مشهورة عند الأطباء ويعنون بها: أن الأنفلونزا لا بدّ أن تأخذ دورتها في الجسم.

***

سئمتُ كلَّ قديمٍ عرفتُه في حياتي
إن كان عندكَ شيءٌ من الجَديد فهاتِ

جميل صدقي الزهاوي

***

أتمنّى أن أمرض ولا تمرض زوجتي، إذا مَرِضَتِ الزّوجةُ مَرِضَ البيت كلّه، أما الرجل فلا قيمة له، يخمد في فراشه.

***

العمل الخالد: هو الذي لا تستطيع أن تتجاوزه مهما عُدتَ إليه، تقول فرجينيا وولف: يعطيك شكسبير التعليقَ على ما اكتسبته من معرفةٍ إذا عُدتَ إليه.

***

أكبرُ حَدَثٍ في تاريخ الغرب؛ معرفةُ الشّرق. بورخيس.

***

لن أسمح لأحدٍ بأن يستأجر عقلي ويجعلَه مُستودَعًا لأغراضه الشخصية أيًّا كان نوع عُمْلته.

***

يُروى أن رجلًا كان يضرب جَمَله، فلما حضرتْه الوفاة ندم واعتذر إليه فقال الجَمَل: أسامحك عن ضربي، لكن والله لا أسامحك عن يوم ربطتني فيه خلف الحِمار!

***

إلفُ الأشياء عدوّ التأمل.

***

وضع الأبُ ابنَه الصغيرَ على جدارٍ ومدّ يديه إليه وطلب منه القفز؛ فلما قفز ابتعد عنه فسقط وتضرّر فقال له: يا بُنيّ هذا أول درس لك، لا تثق في أحد!

***

اختيارُ الأصدقاء يحتاج إلى مهارةٍ تُشبه مهارةَ استخراج المنديل الأوّل من العُلبة.

***

من الكُتّاب الذين جعلوني أبكي مصطفى خليفة في «القوقعة»، اسودّت الدنيا في عيني عدة أيام بعد قراءة هذه المذكرات.

***

سأتحدّث الليلة إن شاء الله -ربّما في وقتٍ متأخّر- بتغريداتٍ يسيرةٍ عن أدب السُّجون، وسأذكر أكثر خمسة كتب أثّرت فيّ مما قرأتُه في هذا.

يقول علي عزت بيجوفيتش: في السجن هناك ضيقٌ في المكان، وفائضٌ في الزمان.

هذان المعنيان؛ مع الألم النفسيّ والجسديّ اللذَين يواجههما السجين هما مدارُ حديث أدب السجون في الغالب.

كانت بداية تعرّفي إلى هذا الأدب في المكتبة العربية مع سلسلة مصطفى أمين المشهورة: «سنة أولى سجن»، وما بعدها... ولعلّ من أقدم ما أُلّف في أدب السُّجون في العصر الحاضر هو كتاب «معتقل هاكَسْتب» لمحمد علي الطاهر، وكثيرًا ما تجاوزه دارسو هذا الاتجاه الأدبي ربما لعدم شهرة الكتاب..

والتوافر على قراءة أدب السجون ليس ترفًا، ولا ضربًا من «الساديّة» = التلذّذ بإيذاء الآخرين، ولا من «الماسوشية» = التلذّذ بإيذاء النفس؛ وإنما هو توافر على درس النفس الإنسانية في أجلى مظاهر ضعفها، وكيف تَعْتَوِرُ الإنسانَ الشدائدُ فتحيل ضعفَه في كثير من الأحيان إلى قوّة يَدهش صاحبُها نفسه من امتلاكها، وكيف يتردّى الإنسان في هوّة نفسه فيسقط من كان يُظنّ به التجلّد.

تجربة القراءة في أدب السُّجون تجعل القارئ يَقْدُر نعمة الحريّة التي أنعم الله بها عليه، وتعوّده على الاستمتاع بالتفاصيل الصغيرة التي لم يكن يراها شيئًا يستحقّ الالتفات، وتَقِفُه على عظيم قدرة الله في خَلْقه، فكثيرٌ ممن عاش هذه التجارب المروّعة القاسية نجا -بخلاف كل مقاييس البشر- من مصير شبه محتوم، وربما عاش أطولَ مما عاش جلّاده، عاش ليروي..

ومن غريبِ أن الأدب العربي قد تأخّر عن الآداب الأجنبية في الأدب الروائيّ، لكنه يضارع كثيرًا منه بل ربما تفوّق عليه في أدب السُّجون! لأن أدب السُّجون لم تكتبْه الموهبةُ العربيَّةُ فقط، وإنما صاغتْه معها عبقريّةٌ أخرى..

ولك أن تستشعر هذا حين تعلم أن أحد السجون الكريه الذِّكْر قد كُتب عنه أكثر من عشر مذكّرات كلٌّ واحدةٍ هي أشدُّ ألمًا من الأخرى، وأن سجينًا تقلّب في السجون أربع عشرة سنة ثم عاش السنة الخامسة عشرة في هذا السجن كتب يقول: كانت السنة التي عشتُها في هذا السجن تعدل كل تلك السنوات الأربع عشرة على قسوة ووحشية تلك السنوات! لا أريد أن أطيل عليكم ففي المَحْبرة كثيرٌ من مداد الألم هذا لكنّي لا أريد أن أطيل..

حديثي هنا عما كان باللغة العربية: «كمجرّد ذكريات» لرفعت السعيد، و«النوافذ المفتوحة» لشريف حَتاتة -زوج نوال السَّعداوي ولها أيضًا مذكّرات عن سجنها- وغير ذلك.. ولعل أفضل ما قرأته في أدب السُّجون هو هذه المذكرات الأربع على اختلافٍ في تجارِب كُتّابها وثقافتهم وأسلوبهم وقوّة تمثّلهم، وكنت كتبتُ أني سأذكر خمسًا فاستبعدت واحدة لأنها مترجمة.(١)

***

يقول د.فيكتور فرانكل: «اليوم في السجن بطيء كئيب ثقيل بتفاصيله، لكن الشهر يمرّ سريعًا! ولذلك أقول: يوم السجن أطول من الأسبوع، لأن السجن يربك خبرة الزمن لدى السجين».

وهذا الذي قاله د. فرانكل ليس خاصًّا بالسجن فقط، بل هو يتحققّ في كلّ معاناة شديدة الوطأة على النفس الإنسانية؛ من مرضٍ عُضال، أو تجربة مؤلمة. تجدها بطيئة ثقيلة بتفاصيلها اليوميّة، لكنك إذا التفتّ إليها بمجموعها تستغرب كيف مرّت هكذا سريعًا، مهما كنتَ في

---

(١) كانت الكتب الأربعة مصورة في التغريدة، ولكن الصور ضاعت ولم أهتد إليها.

ضيقٍ من أمرك، في حاضرك المثقل بالألم والمعاناة؛ فإنّ الزمنَ القادم كفيلٌ بمواساة الجراح، فتجاوز نفسك إلى سعة الحياة.

***

في الغالب: طلبة العلم لا يدعونني لمؤتمراتهم لأني ضبابيٌّ غائم التوجّه، والمثقّفون يحتارون في التصنيف، وبقيتُ وحيدًا يا ولدي.

***

الجَحيم عُيون الآخرين.. سارتر.

***

عملتُ في السابعة عشرة من عمري بالمرتبة الثانية في إحدى الدوائر، وعملتُ حارسًا في سوق، وبائعًا في متجر.. لم أصبح شيئًا لكني لم أفقد الأمل.

***

رحم الله عمَّنا أبا الطيّب وهو يقول:

ليتَ الحوادثَ باعتْني الذي أخذتْ — مِنّي بحِلْمي الذي أعطتْ وتجريبي

***

مرّت بي كلمةٌ عميقةٌ لا أعرف قائلها: في الحياة نحن لا نخسر الأصدقاء؛ بل نعرف من هم الأصدقاء الحقيقيون.

***

كتاب «الإنسان ذو البُعد الواحد» لهربرت ماركيوز من أهم الكتب التي فضحت جناية المُجتمع الصناعيِّ على إنسان العصر الحاضر،

وهـو مـن أهـم مصـادر المسيري. ترجمة جـورج طرابيشـي، الآداب الطبعة الرابعة ٢٠٠٤، من الكتب العميقة التي حاربت تسليع الإنسان.

***

صـدر قديمًـا كتاب «روح السياسـة»، لغوسـتاف لوبـون.. بترجمة عادل زعيتر عن المطبعة العصرية.. لا أدري كيف لم يُحرق السياسيّون هذا الكتاب فقد عرّاهم؟

***

الدكتور ماهر شفيق فريد.. ما احتقرتُ نفسِي ولا ازدريتُ معارفي إلا حين عرفت هذا الرجل، وقرأت له.. أسـتاذٌ من كبار أساتيذ الأدب والنقـد في عصرنـا الحاضر، كاتب فَذّ، خارج السـرب تمامًا، من أكبر القـراء فـي عصرنـا الحاضر، قِبْطِـيٌّ علمانـيٌّ، فيه كثير مـن الإنصاف، إلْيُوتِـيُّ النزعـة، أضعـف انتشـارَ اسـمه وكتبـه تعصُّبٌ إقليمـيٌّ لا يليق بمثقـف، اسـتفدت منه كثيـرًا جدًّا وكان مفاجـأةً لي في زمـن التَّصَحُّر والجفـاف العربـي فـي المواهـب والقـدرات، يـزدري دول النفـط ولا أدري كيف اسـتكان بأَخَرة فنشـر في «الشـرق الأوسط»؟ صاحب أجمـل جملـة اعتراضيـة فـي الأدب العربـي المعاصـر كلـه.. خليـط سـارتريٌّ غريـبٌ هذا الماهر شـفيق فريد، لا أُحِبُّ الحديـثَ عنه كثيرًا لأنه من مقتنياتي الخاصة جدًّا..

أذكر أنه شـكا من سـوء ترجمة الأسـماء الأجنبية في ثقافتنا العربية فكتـب يقـول: يا أيها المترجمون: تعالوا إلى كلمة سـواء بيننا وبينكم، لـمَ لا تترجمـون الأسـماء الأجنبيـة كمـا يلفظهـا أصحابهـا؟ ومـع أن د. ماهر شفيق أكبر مترجمي: تي إس إليوت في المكتبة العربية؛ إلا أنه لا يكتب اسمه كما يلفظه أصحابه! ما علينا..

***

حين تقصد هدفًا في هذه الحياة: فاستعن بالله، ثم وازن بين طموحك وإمكاناتك، واعمل ما تستطيعه بما تهيّأ لك، ولا تنتظر من الناس شيئًا كثيرًا.

***

كم تمنيّنا الخلود وكرهنا الموت، ولكن أحد الكتاب له رأي آخر يقول: لو كنا خالدين لصارت أعمُالنا مؤجّلةً ولما أنجزنا!

***

سؤال: هناك خلاف طويل في رسم تنوين المنصوب، هل ترسم الفتحتان على الحرف «أحدًا» أم تُرسمان على ألف التعويض «أحداً»؟ خلاف طويل ولكلٍّ اجتهاده من العلماء.. **السؤال**: لماذا رُسمت الفتحتان على «فرقا» في سورة المرسلات متتابعتين، وعلى ما بعدهما متطابقتين؟

﴿فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ٦﴾

بذل علماء رَسْم المُصحف -جزاهم الله عنّا خير الجزاء- جهودًا عظيمةً لعل أغلبنا لا يتنبه لها ومنها هذا الذي ذكرت.. حروف الحَلْق سِتَّة مجموعة في أوائل قولك: «أخي هاك علمًا حازه غير خاسر»، فالتنوين يكتب في المصحف متطابقًا إذا جاء بعده أحد هذه الحروف، ويكتب متتابعًا إذا جاءت بعده بقية الحروف العربية، وكم مررنا على هذه اللطيفة -وغيرها- ولم نتنبه لها، وهذا يدلّك على عظيم عناية العلماء برَسْم المُصحف رحمهم الله.

***

أبياتٌ كان يتمثّلها شيخُنا الجاسر وهي للمُعافى بن زكريّا :

طلبتُ جَدّي بسَعيي فقيل لي قد تُوفّي
فلا علومي تُجدي ولا صناعةُ كَفّي
ثورٌ ينالُ الثُّريَّا وعالِمٌ متخفّي

***

أتابع-من قديمٍ-ما يكتبه الأستاذ علي العميم، مثقّف كبير وإن اختلفتُ معه في بعض ما يكتب، لكنه حادُّ النَّفَس في كتاباته فليته يتخفّف من هذه الصفة.

***

عدلي طاهر نور، مترجم الكتاب الرائع «المصريون المُحْدَثون» لإدوارد لين، ومؤلف «كلمات عربية في اللغة الإسبانية» وكتاب «إدوارد لين»، عدلي طاهر نور هذا لا يوجد له ترجمة ولا يُعرف، بحثت عنه كثيرًا فلم أجد عنه إلا سطرين في مجلة «الرسالة»، ومعلومة غير موثّقة عن انتسابه لبعض الجمعيات. وسألتُ عنه كبارًا من المثقفين والمختصّين بالتراجِم فلم يعرف أحدٌ عنه شيئًا، وكنت ذكرت أن مكتبة أخيه عادل بيعت واشتريت منها نسخة من «المصريون المُحْدَثون» عليها إهداء عدلي طاهر نور إلى أخيه.

***

هذا معنى جميل عن السعادة من د. فرانكل؛ يقول: إنك إذا قصدتَ السعادة وجعلتها هدفًا ستخطئها، السعادةُ حالةٌ مصاحِبةٌ وليست هدفًا بذاته.

***

أنا ضعيفٌ في المشافهة والإلقاء لخَجَلي، وقلمي أعلى بكثيرٍ من حديثي، لذلك كثيرًا ما يُصاب من يجالسني بخيبة أمل.

حين زرتُ شيخَنا العلامة محمود الطناحي رحمه الله قلت له: يا دكتور أنا على ما قاله الشِّدياق: «مِن الناس مَن إذا دَهَشْته بالسؤال لا يكادُ يجيب، فإذا خلا إلى نَفْسِه أتى بالعَجَب العُجاب»، في المشافهة يضيع نصف عقلي.. فابتسم وقال: شيخنا محمود شاكر ليس جيدًا في الحديث ولا حاضر الحُجَّة -أو قال كلامًا قريبًا من هذا- ثم قال لي: لأن تزويق الكلام ينقص من العقل.. هكذا قال لي وهو رأي له ما يؤيده وله ما ينقضه..

وحين عاش الدكاترة زكي مبارك في العراق مدّة من حياته؛ قال له بعض العراقيين: لماذا نراك في قلمك أقوى منك في حديثك؟ فقال: حين أخلو بنفسي أكون مع زكي مبارك! وحين زار العلامة محمد بن جعفر الكتاني دمشق امتلأ الجامعُ الأُمويُّ بأهلها لسماع درسه فلم يستطع أن يتكلم إلا بكلام ضعيف..

وكان ميشيل عفلق عييًّا ضعيف الكلام، اجتمع به جمال عبدالناصر فلما انصرفا قال عبدالناصر: عفلق طول الجلسة بيقول: يعني يعني، وهوّ ما بيعنيش حاجة!

وكان أبو عليٍّ القالي والخطيبُ البغدادي وابنُ دَقيق العيد؛ كانوا في حديثهم دون أقلامهم، هكذا ذُكِر في تراجمهم.. وفي العصر الحاضر: شوقي والرافعي، والعلامة رشيد رضا، حديثُهم دون أقلامهم..

هذه مواهبُ وقُدَرٌ وقِسَمٌ يمنّ الله بها على من يشاء من عباده؛ فهذا رَوِيّتُه خيرٌ من بديهته، وذاك يأتي بالكلام على وجْهه فإذا استُعيد لم

يأتِ به، وهذا خطيبٌ مفوّهٌ ومتحدّث لا يُجارى ثم هو لا يُحسن كتابة حرف، وذاك كاتبٌ بليغٌ مترسّل لكنه ركيك اللسان، ومن الناس من جَمَعهما -أعني اللسانَ والقلم- وهذا قليل في الناس: كابن تيمية وابن زيدون وطه حسين والعقاد.. ومن الناس من له حظٌّ وسط من هذين، ومنهم من لا حظَّ له منهما، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

***

تجربة ستانفورد.. كثر الحديث في كتب فلسفة الأخلاق والفلسفة، والفلسفة السياسية وعلم النفس والاجتماع؛ عن تأثير الموقف الخاص أو السياق الحضاري على نوازع الخير والشرّ لدى الإنسان..

ومن ذلك الكتابان المشهوران في العصر الحاضر: «آيخمان في القدس» لحنة أرندت، وقد أثار ضجة كبيرة عند صدوره، وكتاب «الحداثة والهولوكوست» لزيجمونت باومان..

كان الروائي وليم قولدينق في روايته «أمير الذباب» قد صوّر هذه النّوازِع في الحالة الفطرية لدى الإنسان، مع قتامة في موقفه من النفس الإنسانية متأثّرًا بتوماس هوبز في كتابه المعروف «اللفياثان»..

وكثيرٌ من الأعمال السينمائية التي يكون مدار قِصَّتها على أناس تتحطّم بهم الطائرات أو تغرق بهم السفن فيعيشون في جُزُر نائية، ثم يبدأ بينهم الصراع على الحياة والسلطة.. هي من وحي رواية قولدينق «أمير الذباب».. وفي عام ١٩٧١ قام عالم النفس فيليب زمباردو بتجربة ستانفورد المشهورة، وكتب عنها كتابه «أثر الشيطان»[١]،

---

(١) صدرت مترجمة عن دار تكوين، بعنوان «تأثير الشيطان».

وخرج بتفسيره للسلوك الإنساني بما سمّاه «صندوق التفاح الفاسد».. حيث أخضع مجموعةً من الشباب إلى تجربة العيش في سجن افتراضي في جامعة ستانفورد، وقسم عليهم الأدوار ما بين سجّانين وسجناء، فرأى أن سلوك بعض السجانين قد تحوّل بعد يومين إلى وحشية مفرطة -وكان قد اشترط في قَبول المتقدمين أن يكونوا أسوياء وأجرى معهم مقابلات لذلك- وقد اضطر إلى إيقاف التجربة بعد ستّة أيام -وكانت مدتها أسبوعين- بعد التجاوزات والعنف السلوكيّ، وقوبلت تجربته بحملة إعلامية ضده، لكنها حرّكت مياهًا راكدة في هذ النوع من الدراسات.

***

لاحظ بعضُ دارسي الحضارات؛ أن المهزوم حضاريًّا يأخذ عن الحضارة الغالبة أحطَّ ما في حضارتها، ولا يأخذ بالأسباب القوية التي صنعت تلك الحضارة.. والمعنى السابق يجيب بوضوحٍ عن هذا التساؤل الحضاريّ: لماذا تُصابُ بعضُ الأمم بأمراض الحضارة وهي لمّا تتحضّر بعد؟

***

قد دلّت التجرِبة على أن التلميذ يكون أشدَّ تعصُّبًا لفكر الأستاذ من الأستاذ نفسه، على الأستاذ المـُربّي أن يلطّف بحكمته حماسَ التلميذ.

***

في بداية العام: أخذ الأملُ بيدي في رفقٍ وانتحى بي جانبًا وقال: يا بُنيّ؛ لا تتركني فأتركَك..

في نهاية العام: ما زلت أشبه نفسي، أنتظر قادِمًا يغير حياتي لكنه لم يأتِ، بدت أحلامي أكثرَ نُضْجًا وواقعية، فرغيف خُبز في يدي خيرٌ من فُرن يُحرق خيالي.

***

من بين كلِّ الأحزان التي عرفتُها؛ يبقى الحزنُ الذي لا أعرف سببَه أعمقها جرحًا وأشدّها وجعًا.

***

نحن نبحث عن السعادة، والحُزن يبحث عنّا.

***

أحببتُ الليل لأنه يُشبهها؛ عيناها نجمتان ووجهُها قمر.

***

خفق القلبُ بالحُبّ؛ فقامت حرب طروادة، وجُنّ قيس، وانتحر روميو، ونَسِي أنطونيو مَجْدَ روما، وتنازل مَلِك بريطانيا عن العرش!

***

يحيى بن حكم الغَزال، أندلسيٌّ من القرن الثالث من كبار شعرائهم لُقّب بالغَزال لحُسْنه، عالِمٌ وجيهٌ أُرسل في سفارة إلى «جُتلَند» وهي ما يعرف اليوم بالدنمارك.

***

رأيتُ أنه كلّما تقدّم العمرُ بالمرء اتّسعت نفسُه لنفسه وضاقت عن الناس، ولا سيّما إن كان ممّن ابتلاهم الله بِحُبِّ هذه الدفاتر والقراطيس!

***

عُـرْوَة بـنُ أُذَيْنَة.. مـن التابعين، فقيهٌ مُحدِّثٌ مـن علماء المدينة من أهل القرن الثاني، وشـاعرٌ غَزِلٌ لـه أبياتٌ تقطرُ رِقّة وعذوبة، وَرَد على هشام بن عبدالملك فلمّا عرفه؛ قال له هشام: ألستَ القائل:

لقد عَلِمْتُ وما الإشْـرافُ من خُلُقِي أنَّ الذي هو رِزْقي سوف يأتيني

فقال عُروة: بلى، فقال له هشـام: أفلا جلستَ في بيتك حتى يأتيك رزقك! فقال له: قد وعظتني وانصرف، ثم إن هشـامًا ندم على ما كان منـه وأرسـل إليـه بمـالٍ وفيـرٍ فأدركه رسـولُ هشـامٍ وهو نـازلٌ ببعض المواضـع فأعطـاه المال، فقـال عُروة للرجـل: قل لهشـامٍ قد صدقني ربّي. له أشعارٌ غزليّة عفيفة في غاية الجمال كقوله:

إنّ التي زَعَمَتْ فُـؤَادَكَ مَلّها خُلِقَتْ هواكَ كما خُلقتَ هوىً لها
بَيْضاءُ باكَرها النعيـمُ فَصاغَها بـلـبـاقـةٍ فـأدقَّـهـا وأَجـلَّـهـا
حجبتْ تحيَّتها فقلت لصاحبي مـا كـان أكثرَها لنا وأقلّها
فـدنـا فـقـال لعلّها مـعـذورةٌ من أَجل رِقْبَتِها فقلتُ لعلّها

وهي قصيدة عذبة، وله غيرها.

***

كتـاب «مُنتهى الطلب» من أضخم المجاميع الشـعرية، فيه أربعون ألفَ بيت، أفنى ابنُ ميمون عمره في جمعها وترتيبها.

***

أفضل حوار اطلعت عليه مع د. إحسان عباس؛ هو ما ورد في آخر كتـاب «العلمانيـة والممانعـة الإسـلامية».. أهـمّ مـن سـيرته «غربـة الراعي».

***

لستُ مع وصف د. طه عبدالرحمن بالمفكر الكبير، هذا رأيي؛ وله تلامذة ومعجبون ومحبون كثر.

***

د. علي الوَرْدي من أكبر علماء الاجتماع في الوطن العربي، له هفوات وزلات في كتاباته.

***

كتب ابن قُتيبة تختلف في موضوعاتها، ومن أفضل كتبه في الأدب «عيون الأخبار».

***

لا أدوّن فوائد الكتب، كنت أعتمد على حافظتي، وبعد أن أصبحت الحافظةُ لافظةً نسيتُ كثيرًا ممّا مرّ بي.

***

«ضُحى الإسلام»؛ لأحمد أمين هو أقوى سلسلته التي كتبها، يُعدُّ من نُقّاد التراث قبل أدونيس والجابري.. كُتبه في هذا الاتجاه عالةٌ على المستشرقين.

***

يقول مارون عبّود: الشعراءُ في كلّ وادٍ يهيمون؛ والعقّاد يهيم في كلّ وادٍ لكنه ليس بشاعر!

***

إدوارد سعيد من كبار كتاب ما بعد الكولونيالية.. لم تحظ مؤلَّفاتُه بترجمة جيدة في المكتبة العربية إلا في القليل منها.

***

كتاب «قصة الحضارة» لـوِل ديورانت هو أفضل كتاب في تاريخ الحضارات، رائع الأسلوب، أمضى مؤلّفه ستين سنة في كتابته، يَعيبه كثرةُ التفاصيل وعدمُ تجرّد ديورانت في بعض الموضوعات.

***

د. عبدالرحمن بدوي من كبار دارسي الفلسفة وليس فيلسوفًا؛ أعني أنه ليس له نظامٌ فلسفيٌّ خاصٌّ به.. وكان يجيد خمس لغات.

***

أوّل قراراتي في السنة الجديدة: تكرار أخطائي في السنة الماضية، ثمّ النّدم عليها في نهاية السنة.

***

هناك أسلوبٌ غير حميد سلكه بعضٌ من العلماء والأدباء في وصف هذا البلد وأهله حتى صرنا عندهم شعيرًا يأكلونه ويذمّونه.. وكان قلمُ الوفاء لسابق العهد في النفس؛ أولى بهذا البلد الذي أكرمهم وكان له فضلٌ عليهم بلا مِنّة.. فهذا أديب كبير استقبلناه وأكرمناه فانصرف إلى بلده وألّف «رحلة إلى الحجاز»[1] ما ترك فيها عيبًا إلا ذكره، ولا مثلبة إلا أوردها: عن هذا البلد وأهله في ملابسهم وطعامهم وشرابهم وعاداتهم ومساكنهم.. في سخرية مريرة قاسية، وما هكذا قلم الحُرّ..

وشيخٌ درّس عندنا وعاش بيننا في عزٍّ وتكرمة فما وجد بعد عودته وصفًا يصفنا به غير «فقهاء البادية».. وشيخٌ ثانٍ لهذا البلد عليه من

(١) كتاب ألّفه الكاتب المصري المشهور إبراهيم عبد القادر المازني.

الفضل ما لا يدفعه إلا مكابر؛ آويناه ورحّبنا به فكتب «ذكرياته» في أجزاء؛ مدح ما مدح من بلاد الدنيا، واشتاق ما اشتاق إليه منها؛ ثمّ صوّر بعض الفضلاء من علماء الرياض في صورة الساذج، ووصف حياته فيها وصفًا كئيبًا كأنه قد قيّد ليسكنها، ولا تكاد تحسّ من أنفاس حرفه إلا البارد في وصف هذا البلد وأهله..

وكان بعض كبار المثقفين درّس وعاش هنا زمنًا؛ وكان لهذا البلد فضل عليه وعلى «موسوعته» المعروفة؛ فكتب عنا في «مذكّراته» بُطولة استغفل بها رجل المرور للتهرّب من قوانين هذا البلد.

وطَبعتْ إحدى الباحثات كتابًا ضخمًا أشرفت عليه في جزءين عن «المدينة في العالم الإسلامي» بدعم من بعض أعيان هذا البلد بعد أن تعذّر عليها طبعُه؛ فذكرت كلّ حاضرة إسلامية في القديم والحديث وبعضَ مدن الخليج؛ ولم تتكرّم علينا بدراسةٍ عن عمارة مكة والمدينة وتطوّرهما في العصر الحاضر، ولهما ما لهما من المكانة والتاريخ!

وأكثر ما تُباع كتب هذا الروائي وذاك في مكتباتنا؛ وهما يشتمان هذا البلد وأهله سائر يومهم. وكم ممّن استقبلناه واحتفينا به في لقاءاتنا ومهرجاناتنا؛ فسَخِر منّا وازدرانا وهو في الطائرة عائدًا إلى بلده في الدرجة الأولى محمّلًا بما لذّ وطاب.

وكم من صاحب دار نشر أثرى من معارض هذا البلد؛ ثم إذا زرتَ معرِضًا في بلد آخر رأيتَ على طاولة العَرض كتبًا قد أبرزها، كتبًا تلعن هذا البلد وظلاميّته. والقائمة تطول، ولديّ في هذا دفاتر، فلمَ كان هذا، وإلى متى؟!

***

كلها بمعنىً واحد: ولا سيّما، لا سيّما، سيّما.. أفصحهنَّ الأولى ثم الثانية، وهناك من يغلّط من يقول: سيّما.

***

سُـهْرَوَرْد بلـدة قديمـة نُسـب إليها بعـض الأعلام، وهـي اليوم في إيران، وممّن نُسـب إليها: الشـيخ الكبير أبو حفص عمر السُّـهْرَوَرْدي صاحـب كتاب «عوارف المعارف»، وقد حلّاه الحافظ الذهبي بشـيخ الإسلام، ومدحه الأكابر كابن تيميّة وغيره..

وهـذه اللفظـة «حـلّاه» بمعنـى وصفـه، ويُكثـر العلمـاء قديمًـا من استخدامها في كتب التراجم -التراجِم هنا بكسر الجيم؛ وأما التراجُم بضمّهـا فقبيحـة هنا وهـي بمعنـى الرجم بالحجـارة وبشـديد القول- فيقولـون: حـلّاه فلان بكذا؛ أي وصفه بكذا مـن التحلية كأنه يزينه بما يمدحه به من جميل القول، وأما حلّأه في قول الشمّاخ:

وَحَلَّأَهـا عـن ذي الأَراكـةِ عامرٌ
أخو الخُضرِ يرمي حيثُ تُكوى النّواحِزُ

فمعنـى آخـر طالعه فـي رائعة شـيخ العربية أبي فهر محمود شـاكر «القوس العذراء».

وثمّة سُـهْرَوَرْديٌّ آخرُ هو: أبو الفتوح يحيى السُّهْرَوَردي المعروف بالمقتول، شـابٌّ نَبَهٌ ذكـيٌّ ابتُلي بالزندقة فقتله صـلاح الدين الأيوبي، وهو صاحب كتاب «حكمة الإشراق» وغيره، وكان تأثر كثيرًا بالحَلّاج، وهـو والـذي ذكرتُه قبله كانا من أهل عصر واحد فاختلطت ترجمتهما عند بعض من لم يحقّق ذلك..

والسُّـهْرَوَرْدي المقتول من أهل القرن السادس الهجري، قد اعتنى

بحياته وآثاره المستشرق هنري كوربان، على طريق أستاذه المستشرق ماسينيون في العناية بالحَلّاج، وهذا السُّهْرَوَرْدي القتيل أبو الفتوح له شِعْر جميل على ما فيه؛ منه قصيدته:

أبدًا تَحِنُّ إليكمُ الأرواحُ ... وَوِصالُكُم رَيحانُها وَالرّاحُ

وفيها البيت المشهور:

فتشبّهوا إن لم تكونوا مثلَهم ... إنَّ التَّشَبُّهَ بالكرامِ فَلاحُ

***

هي الدنيا تخالفك، كما قال بعض السلف: القشّة إذا سقطت في الإناء وشربتَ اقتربت من فمك، وإذا سكبتَ الماء لتذهب عادت إليك.

***

سأل هارونُ الرشيد أحدَ العلماء: ما أفضل بيت قيل في وصف الذئب؛ فإن وقع من نفسي موقعًا حسنًا فلك خاتمي هذا وشراؤه عليّ ب ١٦٠٠ دينار. فأجابه ببيت حُميد بن ثور الهِلاليّ:

ينام بإحدى مقلتيه ويتّقي ... بأُخرى المنايا فهو يقظانُ نائمُ

وتكملتها لا تعنينا، وإنما الذي يعنينا هو تقويم ثمن الخاتم والحساب تقريبي فصححوا لي، الدينار يساوي ٤.٢٥ جرامًا من الذهب، مضروبة في ١٤٠ ريالًا سعر الجرام، مضروبة في ١٦٠٠ = ٩٥٢ ألف ريال، هذا سعر خاتم هارون الرشيد رحمه الله، إن صح حسابي وصحّت القصة أيضًا، فهي من القصص الأدبية التي يستأنس بها، قيمة ساعة فاخرة.. هذا هارون الرشيد أجلّ ملوك الدنيا في وقته،

يقـول للسـحابة: أمطـري حيث شـئت فإن خراجـك سـيصلني! اليوم رجال أعمال عاديُّون يلبسون ساعات باتك فيليب.

لمـن تتطلّـع نفسُـه لمعرفة بقية القصـة: فقد أعطـاه الخاتم، فقالت زوجة هارون الرشـيد للعالِم: إني أرى أمير المؤمنين قد تعلّقت نفسُـه بهـذا الخاتـم فخذ هذه ١٦٠٠ دينـار واترك الخاتم، فقال الرشـيد: بل الخاتـم لـك مـع هـذه الدنانيـر التـي أعطتْك فإننـا قـومٌ إذا وَهَبْنا شـيئًا لا نَرجع فيه.. كبير يا هارون!

***

أغلـب قراءاتـي في المدة الماضية كانت تراثية، أَبَسَبْحِن[1] عليكم شويّ ببعض ما قرأت. وما دمنا في حديث الأُعطيات وهدايا الملوك؛ هـذه قصـة عالم حظه وسـط، هذا العالم النحوي أبو بكر السـرّاج كان يهوى جارية له فجَفَتْهُ، فخرج حزينًا ليتريّض على الشـاطئ في بغداد، فأبصـر الخليفةَ المكتفي قد قدم مـن النهر والناس قد اجتمعت لرؤيته وكان مـن أجمـل خلـق الله فـي زمانه، فتذكـر محبوبته فقـال أبياتًا فيها سـارت عنـد أهـل زمانـه، والبيتـان الأولان منهـا كثيـرًا ما يتمثّـل بهما الحافظ ابن القيّم -رحمه الله- ويجعلهما في ذم الدنيا:

قايسـتُ بيـن جَمالهـا وفَعالهـا ... فـإذا الملاحـةُ بالخيانـة لا تفـي
حَلَفـتْ لنـا ألا تَخُـون عهودَنـا ... فكأنهـا حَلَفَـتْ لنـا ألا تَفِـي
والله لا كلّمتُهـا ولـو انهـا ... كالشّمس أو كالبدر أو كالمكتفي

قـال عبـدالله الهدلق: الله الله! ثم إن هذه الأبيات سـارت في الناس فسمعها أحد جلساء الخليفة، فسأل لمن هي؟ فأجابه مغفّل بأنها لفلان

(١) مفردة عامية نجدية، أقرب دلالة لها في الفصيح: أقصُّ، وبالعامية الدارجة: أسولف.

وهي ليست له، أخطأ ولم يعرف أنها لأبي بكر السرّاج، فأوصل هذا الجليسُ الأبياتَ إلى المكتفي فراقت له، وأرسل إلى فلان هذا مالًا كثيرًا وهو لا يعرف السبب لكنه الرزق! وأما صاحبنا أبوبكر السرّاج فهجرته جاريته وفاته المال.

***

تَهامٍ أصابتْ قلبَه مَلليّةٌ غريبُ الهوى يا ويحَ كلِّ غريبِ

تَهامٍ: أي من أهل تِهامة، ومَلليّةٌ: أي امرأة من أهل مَلَل؛ موضع معروف عند العرب بعيد عن تِهامة، هذا البيت «لنُصَيب» وهو شاعرٌ عذبُ الشعر جميلُه، قاله حين فارق بلده طلبًا للرزق، وكان مولىً أسمرَ ليس من الجَمال في شيءٍ رقيقَ الحال، لكن شِعره يقطر رِقّة، ارتقى به شِعره حتى جالس الكبار، قال له أحد الأمراء يومًا: يا نُصَيب، هل لك في الشراب؟ فقال له نُصَيب: الشَّعْر مُفلفل والوجه مُغْبَرّ، وما بلغتُ مجلسك إلا بعقلي؛ فأبقه عليّ!

***

كلمةٌ سمعتُها وعلقتْ في ذهني: على المرء أن يرحل بعيدًا دون أشياء؛ حتى يعرف ما الذي يحتاجه منها.

***

أيّهما أشرف عند العرب: النثر أم الشِّعْر؟

أكثر الإجابات: الشِّعر.. والحقّ أن النثرَ أشرفُ عند العرب من الشِّعر، طالع في هذا المقدّمة النقدية العظيمة التي كتبها المَرْزُوقيُّ لشرح «ديوان الحماسة».

الموهبة والقدرة والأدوات التي يحتاجها من يكتب النثر الفني؛ تفوق كثيرًا تلك التي يحتاجها من يكتب الشِّعر، لكن لأن الشّعر موزون مقفى ولأن أكثر من يكتب لا يحسنهما؛ ظُنّ أن النثر أيسرُ مطلبًا من الشِّعر، وزاد هذا الظَّن وثاقةً في نفس صاحبه؛ أنه يكتب كلامَه نثرًا تشبه صورتُه صورةَ النثر الفني، وبين كثيرٍ من هذا الذي يُكتب وبين النثرِ الفنيِّ مفاوزُ تنقطع دونها مطايا الأقلام.

وماذا كان القرآن الكريم؟ لو كان الشِّعرُ أشرفَ عند العرب لما عُدل بالقرآن عن الأعلى إلى الأدنى، والمُعلَّقات على الكعبة لم يُسلّم بها بعض الباحثين.

***

لا أكتب الشعر؛ الشعر يكتبني.. -على جواب من يحتسي القهوة- وإن أردتَ جوابَ من حُنّك بالضّاد؛ فقولَ ابنِ المُقفّع: يأباني جيّدُه وآبى رديئَه.

***

على ذِكْر أن أبا الفرج الأصفهاني لم يترجم للمتنبي[1]؛ لم يترجم الزِّرِكْليُّ في «أعلامه» للشيخ حامد الفقي ولعله كان بينهما شيء. وممّا آذاني وكدّر خاطري ما فعله الوزير العلامة الكبير جمال الدين القِفْطِيُّ في «إنباه الرواة على أنباه النحاة»؛ مع ياقوتِ الحَمَويِّ..

كان ياقوتٌ مولىً ضعيف الحال؛ رأى سيّدُه نباهته فأعتقه، ثم زوّده ببعض المال ليتّجر به، فطاف كثيرًا في البلاد وكان ذا نهم شديد للعلم

(١) يبدو أنه كان هناك كلامٌ سابق.

فطلب وقيّد وسمع وشاهد وشافه.. وأتعب نفسه وكدّ خاطره -على سوء حاله وَرَهَق معيشته- فألف عدّة كتب منها كتاباه العظيمان «معجم البلدان» و «معجم الأدباء»، وهذان الكتابان من مفاخر المكتبة العربية وأصلان من أصولها، لا يكاد يخط عالمٌ كتابًا في فنٍّ واحدٍ منهما بعد ياقوت إلا كان عِيالًا عليه...

كنتُ على أن أسترسل في الكلام إلّا أن الحديث إذا قُطع ذهبت بشاشته، كالأكل إذا رفعتَ يدك عنه لشغل ثم عدت إليه زهدتْ نفسُك فيه، والمقصود أن ياقوتًا ترجم للقفطي في «معجم الأدباء» ترجمة وافية به، وأهداه نسخة من كتابه «معجم البلدان» بخطّ يده مع شدة تعظيمه له، ثم إن القفطي ترجم لياقوت -بعد وفاته- ترجمة بائسة فيها ظلم له وتجنٍّ عليه، وكان القفطي يكثر من التعوّذ من غلبة الهوى والبعد عن النَّصَفَة؛ ثم لم يذكر «معجم البلدان» ولا «معجم الأدباء» في كتب ياقوت عندما ترجم له، وأفاد منهما ولم يصرّح باسمه في بعض المواضع، فإن ذكر اسمه -على قلّة- نعته بالمولى.. والله يغفر لهما ويرحمهما فقد كانا عالمين كبيرين، وياقوتٌ أرفع أسلوبًا وأحذق في صنعة التأليف وأبعد أثرًا في المكتبة العربية.

***

للقراءة أثر بالغ على الأسلوب لا مِراء.. وسأكتب كلامًا يسيرًا عن كثرة الانقطاع عن تويتر، مرّةً على أنحاء الأُوَل في أخْذِهم الكلام، وأخرى على هَمَسات المثقفين، حتى ترى الفرق واضحًا في أثر القراءة على الأسلوب.. والحقيقة أني أحب الأسلوبين فلكل واحد منهما مزاياه:

١. وبعد؛ فإنك سألتني -أطال الله بقاءك- عن هذا الزاجر النازع بي عن المُغْتَرَد، لا أكاد أعود إليه حتى أرجع عنه، أحِنُّ إليه حنينَ الناقة ثمّ أطّرحه اطّراحَ السَّقْب غَرْسَه.. وسألتَ عن هذا الطبع الشَّطَط، وأين المأتى الدارسُ لما تقلّدتُ له.

٢. عزيزي! كثرت أسئلتك عن سبب الانقطاع عن تويتر، هل هناك سبب معين يبعدني عنه؟ ولماذا أشتاقُ إلى نفسي فأعانقها، وفجأة أرفض غيمة عزلتي فأهرب بذاتي إلى شمس الآخرين، تتساءل في صمت ودهشة عن تقلّب مزاجي الذي يفسد رسالتي الثقافية التي نذرتُ قلمي لها؟

***

قال أبو هلالٍ العسكريّ: والأمثال تُروى على ما جاءت عن العرب، فتقول للرَّجُل: الصيفَ ضيّعتِ اللبنَ بِكسر التاء؛ لأنها حكاية.

***

ألّف جار الله الزَّمَخْشَرِيُّ كتابَه «المُستقصَى» في أمثال العرب فأقبل الناس عليه، ثم ألّف المَيْدانيُّ كتابه «مَجْمَع الأمثال» فكان خيرًا من كتاب الزَّمَخْشَرِيِّ وأوعب وأحكم، فلمّا طالعه الزَّمَخْشَرِيُّ قال: أمات كتابي أماته الله!

***

تجد اسم «الليث» يتردد كثيرًا في معاجم اللغة؛ قال الليث: .... وهو الليث بن المظفّر من كبار علماء اللغة وليس الليث بن سعد كما توهّمه بعض الباحثين، وهذا قد نبّه عليه غيرُ واحدٍ من العلماء.

***

كتاب «أسبوع الفقه الإسلامي ومهرجان الإمام ابن تيمية»، أصله من نوادر الكتب، وكان مُجلِّد الكتب المصري المشهور «خضر» مجلِّدًا بارعًا وكان يجلّد الكتب العربية لمكتبة الكونجرس، وبعض مجلِّدي الكتب المتقنين اليوم هم من تلامذته أو تلامذة تلامذته.. وكان لديه مكتبة خاصة قد جلّدها بعناية شديدة بيعت بعد موته، وعندي منها نسخته من الكتاب السابق «أسبوع الفقه الإسلامي» أهداني إياها بعض الأحباب.

***

عثرتُ على طابع بريدي داخل أحد الكتب القديمة التي اشتريتُها، فافترّت شفتاي عن ابتسامة ماكرة وقلت في نفسي: لقد أقبلت والله عليك الدنيا يا أبا أحمد؛ فهنيئًا لك بها وهنيئًا لها بك، ابنُ الحياة قد خرج إلى الحياة.. ما يدريني فلعلّه من نوادر الطوابع ولكلِّ فنٍّ مجانينُه، ولعلّه ممّا يباع في تلك المزادات التي تظنّ أن أصحابها يأتون بالمال من صنابير المياه؟ أخفيت الطابع داخل أحد الكتب تحرّزًا من أن يضيع فتضيع معه الأحلام، ونويت أن أذهب به إلى «جمعية الطوابع» لأستفسر عنه، ثم شُغلت عنه فنسيتُ أين أخفيته! فلله هذه الدنيا ما أقرب يأسها من أملها.

***

«عيد الحبّ.. أعداء الفرح والحياة، وصنّاع البؤس وثقافة الكراهية؛ قد قتلوا كل معنى جميل في دنيانا، بخلوا علينا بسويعاتٍ تحتفل فيها أنفسنا بالبهجة».

التغريدة السابقة برعاية متأدّبٍ لَمْلَم كلمتين من هذه الهاشتاقات

وصفصفها ثم هو لا يدري عظيم ما فيها من الإثم والجناية على أصول الشرع، وصدق رسول الله بأبي هو وأمي عليه السلام: «لتتبعنّ سنن من كان قبلكم»..

أوّل من أدخل «عيد الحبّ» هذا على البلاد الإسلامية هو الصحفي مصطفى أمين، ولو سألتَ أكثر من يبتهج بهذا العيد المزعوم لما درى عن أصله ولما عرف من هو مصطفى أمين.. يترك سُنة رسوله عليه السلام وثوابتَ شرع الله؛ لأفكار تتلعّب به لا يعرف مبدأها من منتهاها، ويطلق العنان لقلمه فلا يدري لعل كلمة مما يكتبه تهوي به في نار جهنم..

فأوصيكم وصيّةَ ناصح؛ عليكم بميزان الشرع فهو والله النجاة، ولا تهولنكم هذه المعاني المكرورة التي اتخذها بعضهم -هداه الله- فتنة تستغوي ولا تهدي.. والله المستعان.

***

ذكر مارون عبّود أن رجلًا حثَّ ولدَه على الاستيقاظ مبكرًا فقال له: شوف ابن فلان صِحِي بكّير حَصّل ليره ذهب بالطريق، فقال الابن: اللي ضيّعها بكّر قبله!

***

هناك نوع من الأجوبة يقال له «الأجوبة المُسْكِتَة»؛ وهي الأجوبة التي لا تدع للسائل مجالًا للردّ من قوّة الإجابة.. ولابن أبي عون كتاب في هذا مطبوع بهذا العنوان «الأجوبة المُسْكِتَة»، وعقد بعضُ مؤلفي المجاميع الأدبية طرائف في هذا..

ومنها؛ دخل شابٌّ توفي والده على بعض الرؤساء فأراد تنقّصه فقال له: إلى مَن أوصى بك أبوك، فقال له: إن أبي أوصى إليّ ولم يوصِ بي!

***

في مقابلة شخصية أراد المقابِل أن يستفزَّ المُقابَل حتى يعرف شخصيته فقال له: وش الفرق بينك وبين الحمار، فقال: الطاولة.

ويُحكَى أن الأعمش مرض فزاره رجل ثقيل، ولما أراد الانصراف قال للأعمش: لعلي أثقلت عليك، فقال الأعمش: يا ابن أخي أنت ثقيل عليّ وأنت في بيتك.

نصيحة: الأطفال يُحرجون بردودهم في المجالس ويفضحون.

قرأت في مجلة؛ أن طفلًا كان يحدّق إلى وجه الضيف، فاستاء الضيف وقال: لماذا تنظر إليّ هكذا؟ فقال: أبحث عن وجهك الثاني، والدي يقول: إن لك وجهين!

***

قبل سنوات كانت سيارتي كالمستودع، كتب ودفاتر وأقلام وبقايا خبز، وكنت لحرصي أقرأ عند الإشارة وفي الزحام.. وأكتب بعض أبيات الشعر في ورقة وأعلّقها قريبًا مني لأنظر إليها وأحفظها، أنا بحقٍّ خرّيج شوارع الرياض!

كانت أيامًا ملأى بالحماس والأحلام، ومن اللطائف التي مرّت بي في هذه السيارة المكتبة؛ أن أحد الإخوة السودانيين تبعني مسافةً بسيارته وأخذ يشير إليّ بيده، لا أدري ماذا يريد، فتوقّفت فقال لي:

بالله عليك فين أحصّل موسم الهجرة؟ قلت: نعم، قال: موسم الهجرة بالله عليك فين أحصّله؟ قلت: وشّي هجرته! قال: «موسم الهجرة إلى الشمال» للطيّب صالح عندك عنوانه باين من الزجاج الخلفي، وكانت هناك كتب وراء المقعدة الخلفية، ففهمت قصده وابتسمت، فقال: يا أخي ما لاقيه.. فنزلت وأخذته وكان بجانبه «عُرْس الزّين» للطيّب صالح أيضًا، فأهديته الكتابين فتمنّع محرَجًا، ثم قبلهما بعد إلحاح مني وشكرني بفرحٍ غامر.. الأدباء لبعضيهم يا زول.

***

أزعم أني لم أسمع منذ سنواتٍ إمامًا يقرأ سورة البيّنة! على قصر هذه السورة -شرّفها الله- إلا أنها صعبة الحفظ لا أدري لم؟

***

أخبرني أحد الإخوة بقصّة غريبة؛ قال: حدثني شيخ حافظ متقن: أنه كان مع مجموعة من المشايخ الحفظة، وفي هؤلاء المشايخ حافظ يفوق بحفظه جميع من كان حاضرًا مع تمكنهم وإتقانهم؛ فداخله العُجْب في بعض كلامه، قال: لما حضرت الصلاة قدّمناه إمامًا لمكانته بيننا، فكبّر وسكت وأطال السكوت؛ ففتحنا عليه بالفاتحة آية آية.. ولمّا سلّم قال: سبحان الله لا أدري ما الذي أصابني ولعله درس لي..

قلت: هذا يذكّرني بما وقع للحافظ الضرير قَتادة بن دِعامة السَّدوسي -وكان آية في الحفظ- قال مرّة: ما حفظتُ شيئًا فنسيته، يا غلام أحضر نعلي، فقيل له: نعلك في رِجلك!

***

مما قرأت:

لماذا لم نجد في الحزنِ ما يكفي منَ السّلوانْ؟

لماذا لم نجد في الحبِّ ما يكفي منَ الغُفرانْ؟

لماذا ليس في الإنسانِ ما يكفي منَ الإنسانْ!

***

معاني الشِّعْر كالوردة تشمّ؛ لا تفركها بيديك.

***

أنا ابنُ جَلا وطلّاعُ الثّنايا متى أضعِ العِمامةَ تعرفوني

هذا البيتُ المشهورُ الذي تمثّل به الحجّاجُ بن يوسف في خطبته المعروفة؛ هو لِسُحَيم بن وَثيل الرِّياحي، مطلع قصيدة عالية فيها هذا البيت:

أخو خمسينَ مُجتَمِعٌ أشُدّي وَنَجَّذني مُداوَرَةُ الشُّؤونِ

***

قبل أيام أكملتُ الخمسين من عمري ومشيتُ في دربٍ يقال له عشر الستين! ما هذا؟ بالأمس كنت صبيًّا يافعًا أرى الأربعين هناك بعيدةَ المنال، واليوم قد جاوزتُها بعشر سنين..

وقد قيل للإمام أحمد رحمه الله: بِمَ شبّهتَ الشباب؟ فقال: بشيء كان في كُمّي فسقط! اللهم اجعله عمرًا مباركًا على طاعتك في ختامِ خيرٍ يتتبّع مراضيك، نوافيك اللهمَّ به غيرَ خزايا ولا مفتونين، لمن كتبه وقرأه.. ويرحمُ اللهُ عبدًا قال آمينا!

***

كانت عندي رسالة نادرة للعلامة الشيخ محمد سلطان المعصومي الخُجَنْدي -ت ١٣٨١ بمكة- في ترجمة حياته عنوانها «مختصر ترجمة حال محمد سلطان»، كانت عندي هذه الرسالة ثم اختفت لا أدري أين ذهبت -وقد أعيد طبعها فيما بعد- وكانت هذه الرسالة أوَّلَ تعرفي إلى هذه الشخصية الغريبة العلمية الفذّة، وقد قدّم الشيخ فواز السلمي رسالة ماجستير عنه، وكان بعض العلماء ظنَّ أنه شخصية وهمية لقلّة المعلومات عنه!

وهناك رسالة في الردّ عليه كتبها تلميذه العلامة الشيخ محمد مخدوم بخاري، لم أطلع عليها ولم يذكرها مؤلف رسالة الماجستير، مع أنها في صلب موضوعه..

والقصد أن هذه الشخصية العلمية الفريدة تستحق الدرس والاعتناء؛ لعلمه ولما في حياته من أحداث غريبة وترحال ولقاء مع العلماء.. وهو قد ولد في خُوجَند أو خُجَنْد أو خُجَنْدة في طاجيكستان، في بيت ثراء وجاه، ثم أصابه ما أصاب المسلمين أثناء الثورة البلشفية واستيلائها على تركستان الغربية.. وهاجر في قصص غريبة بعد أن حكموا عليه بالإعدام ونجا منهم بأعاجيب، ورحل كثيرًا إلى أن استقرّ في مكة المكرمة، وقصة حياته ثريّة حافلة، له أكثر من ثمانين كتابًا عدتْ على أكثرها عوادي الأيام، وكان يجيد خمس لغات، وتقرأ فيما كتبه أسماء هوبز وماركس!

ونشر مقالات في «مجلة الحج»، و«خوجَنْد» تختلف عن «خوقند» وكلتاهما في تركستان..

***

كنتُ أبدو في أعينهم قويًّا فيشكون لي آلامهم، وحين أضع رأسي على الوسادة كنتُ أبكي مرّتين.

***

في عينيك صمتٌ ناطق، وعلى شفتيّ قد ذابت كلمة خَجلى، فمتى نصطلح على الحُبِّ يا زينة الآمال..

***

أوَّلَ قراءاتي الأدبية؛ طالعتُ كتبَ الرافعيِّ، وكان شيخُنا العلامة حمد الجاسر قد أوصاني بقراءة كتابه «تحت راية القرآن» وهو يثني عليه، وقد فُتِنْتُ بقلم الرافعي في جمال معانيه وإشراقة ديباجته، إلا أنه كثيرُ توليد المعنى من المعنى، في طبقة عالية من البيان، فكان بعض أدبه عَسِرًا بعيدَ المنال على متأدِّبٍ ناشئ، فانصرفتُ عنه إلى مَن هو مِن الأدباء أقربُ معنىً وأيسرُ أسلوبًا، ثمَّ أخذتُ أعود إلى قراءته ما أمكنتني الفرصة، والرافعي من أرباب البيان والمعاني في الذروة العليا منهم، لكن قراءته تحتاج إلى استعداد وملكة قد لا تتهيآن للقارئ في بدايته.

***

كتاب «المعجم العربي» لحسين نصار عمدة في دراسة المعجمات العربية، وله السبق والريادة على كثير ممَّن كتب بعده.

***

كتاب «ابن رُشْد والرشدية»، لإرنست رينان بترجمة عادل زعيتر، صدر عام ١٩٧٥ دار إحياء الكتب العربية، الكتاب عرض تاريخي لحياة ابن رُشْد والرشدية.

***

فيما طبع من معجم «المساعد» لأنستاس الكَرْمِلي وفي «تكملة المعاجم العربية» لـدُوزي: مادة لغوية نادرة ولا سيما الألفاظ الحضارية، هما كتابان في الغاية.

***

في وجوب مناسبة الكلام للحال: كتب بعضهم إلى حبيبة له: عصمنا الله وإياكِ مما يكره.. فكتبت إليه: يا غليظ القلب؛ لو استجيبت دعوتك لم نلتق أبدًا!

***

قال أبو هلال العَسْكَرِيُّ: الجاهل كآكل الثّوم؛ لا يَشَمُّ من نفسه منه، وإنما يَشَمُّه غيره ويتأذى به سواه، ولا يرضى بالجهل إلا من هانت عليه نفسه.

***

رأيتُ أنه كلّما كان الإنسان متمكّنًا من لغته؛ صعُب عليه تعلّم لغة أخرى لقوّة البناء اللغوي لديه.. لذا كان تعلّم لغة أخرى في الصِّغَر أسهلَ وأيسر.

***

لا غنىً لطالب العلم ولا للقارئ الجيّد عن قراءة بواكير الأصول النقدية في المكتبة العربية، فهي تفتِق الذهن وتشحَذ المَلَكة وتُرهِف الشُّعور وتزيد في الموروث اللغوي، وتَقِفُه على أنفاس العرب في أساليبها، ولعلّ من أجمل ما في قراءتها؛ تأمّل هذه اللّمَعات العقلية والإشارات البلاغية التي يحاولها هؤلاء العلماء النقّاد؛ يحاولونها

-في شيءٍ من ضباب الطريق- وهم يتلمّسون ببواكير أقلامهم مواضع الهداية إلى إنشاء أسسٍ نظريةٍ للنقد الأدبي في أطواره الأولى، وهو تأمّلٌ جميلٌ مُلهِم.. وهذه قائمة بأقيم المؤلفات في هذا، رتّبتُها على الولاء من الأقدم إلى مَن بَعدَه، وهذا ترتيب يفيد في استقراء هذه الكتب في ترقّيها، ومعرفةِ أثر السابق على اللاحق..

والنقّاد المُحدَثون قد ذهبوا إلى أن أوّل أثر بلغنا في هذا هو: صحيفة بِشْرِ بن المُعْتَمِر أبي سهلٍ الهلاليّ.. طبقات فحول الشعراء لابن سلّام الجُمَحي، البيان والتبيين للجاحظ وفي اسم الكتاب خلافٌ: هل هو البيان والتبيين أم البيان والتبيّن؟ الشعر والشعراء لابن قُتَيبَة، البديع للخليفة عبدالله بن المُعتزّ، وقد وَلِي الخلافة العباسية يومًا واحدًا وقتل رحمه الله؛ فما أشدَّ تَعْسَ أهل الأدب!

عِيار الشعر لابن طَباطَبا العَلَوي، نقد الشعر لقُدامة بن جعفر، وقد طبع كتاب «نقد النثر» منسوبًا إلى قدامة بن جعفر؛ وصدّره طه حسين بدراسة نقدية عالية وشكّ في نسبته إليه ولم يكن هو محقّق الكتاب وإنما صدّره بدراسة فقط؛ ثم تبيّن أن ما طبع باسم «نقد النثر» هو من كتاب «البرهان في وجوه البيان» لابن وَهْب الكاتب، ردّ به مؤلّفه على الجاحظ، وهو من أوائل الكتب في الردود النقدية..

المَصُون في الأدب لأبي أحمد العَسْكَري، وهو الحسن بن عبدالله ويختلط اسمه كثيرًا باسم ابن أخته الحسن بن عبدالله أبي هلال العَسْكَري -الآتي ذكره- وهذا الخلط وقع فيه القدماء قبل المعاصرين..

المُوَشّح في مآخذ العلماء على الشعراء للمَرْزَباني، كتاب

الصناعتين لأبي هلال العَسْكَري.. قلت: قد عاش أبو هلال العَسْكَري عيشةً طابعها البؤس والفقر، عاش ومات مغمورًا يلبس الخَلَق من الثياب ويبيع في السوق لكسب قُوته وقد جاوز الثمانين، فآلمه ما آلت إليه حاله فقال:

إذا كان مالي مالَ من يلقط العَجَم ... وحاليَ فيكم حالَ من حاكَ أو حَجَم

فأين انتفاعي بالأصالةِ والحِجا ... وما ربحتْ كفّي على العلم والحِكم

ومن ذا الذي في الناس يبصر حالتي ... ولا يلعن القرطاسَ والحِبرَ والقَلَم

وذهب لا تكاد تعرف له ترجمة -على علوّ اسمه في العصر الحاضر- وهو ممّن فات ابنَ خَلِّكان فلم يترجم له في وَفَيات الأعيان -وهو وَفَيَات وليس وَفِيّات..

مقدمة «شرح الحماسة» لأبي علي المَرْزُوقي، وهي مقدمة نقدية عالية جدًّا ظلمها أن كانت مقدمةً لكتاب، وهنا غَفَلتُ عن كتاب «المُوازنة بين شعر أبي تمّام والبحتري» للآمِدي؛ وحقّه أن يَرِد بعد كتاب «نقد الشعر» في الترتيب، وكتاب «الوساطة بين المتنبي وخصومه» لعلي بن عبدالعزيز الجُرْجاني؛ وحقّه أن يَرِد بعد كتاب «المُوَشّح»..

ثم جاء الإمام الكبير عبدالقاهر الجُرْجاني بكتابيه «أسرار البلاغة» «ودلائل الإعجاز» فأضحى الدرس البلاغي بما كتبه شيئًا آخر..

«المَثَل السائر في أدب الكاتب والشاعر» لابن الأثير، «منهاج البلغاء» لحازم القَرطاجَنِّي..

ثم هناك «العُمْدة في صناعة الشعر ونَقْده» لابن رَشِيق القيرواني، وحقّه أن يتقدّم على بعض هذه الكتب الأخيرة في الترتيب.

وأخّرتـه لهـذه الفائـدة: هنـاك أحد العلمَـاء وَهِم بعض أهـل العلم المحقّقيـن فـي نسـبة كتابه إلى غيره وهو له، كما وهم في ضبط اسـمه لمشـابهته اسم صاحب العمدة؛ وهو ابنُ رُشَيِّق صاحب شيخ الإسلام ابن تيمية والباصر الخبير بخَطِّه، وقد كان خطُّ شيخ الإسلام ابن تيمية ربّما استغلق عليه هو فيطلب ابن رُشَيِّق لقراءته!

وابن تيمية كان سـريع الكتابة لذا اسـتغلق خَطُّه؛ وإلا فإن له سماعًا كتبه في الرابعة عشرة من عمره بخط واضح مقروء، و«أسماء مؤلفات شـيخ الإسـلام ابن تيمية» الذي نُسـب خطأً إلى ابن القيّم وطبع قديمًا بهذه النسـبة هو لابن رُشَـيِّق هذا، تجد خبر ذلك في بعض ما حُرّر في ترجمة شيخ الإسلام..

وأمّا الكلام على أمثلِ طبعات هذه الكتب، وأفضلِ ما أفرد عن كلٍّ من دراسـة، وخيرِ ما أُلّف من كتب في تاريخ النقد الأدبي في المكتبة المعاصرة؛ فآمل أن ييسره الله سبحانه وتعالى في ليلةٍ أخرى.

مسرد بواكير كتب الأصول النقدية في المكتبة العربية، الهدلق	
الكتاب	المؤلف
صحيفة بِشْرِ بن المُعْتَمِر	لأبي سهلٍ الهلاليّ
طبقات فحول الشعراء	لابن سلّام الجُمَحي
البيان والتبيين	للجاحظ
الشعر والشعراء	لابن قُتَيبَة

مسرد بواكير كتب الأصول النقدية
في المكتبة العربية، المدلق

الكتاب	المؤلف
البديع	للخليفة/ عبدالله بن الـمُعتزّ
عيار الشعر	لابن طَباطَبا العَلَوي
نقد الشعر	لقُدامة بن جعفر
الموازنة بين شعر أبي تمّام والبحتري	للآمدي
المَصُون في الأدب	لأبي أحمد العسكري
الـمُوَشّح في مآخذ العلماء على الشعراء	للمَرْزَباني
الوساطة بين المتنبي وخصومه	لعلي بن عبدالعزيز الجُرْجاني
كتاب الصناعتين	لأبي هلال العسكري
مقدمة شرح الحماسة	لأبي علي المرزوقي
أسرار البلاغة	لعبدالقاهر الجُرْجاني
دلائل الإعجاز	لعبدالقاهر الجُرْجاني
المَثَل السائر في أدب الكاتب والشاعر	لابن الأثير

مسرد بواكير كتب الأصول النقدية في المكتبة العربية، الملحق	
الكتاب	**المؤلف**
منهاج البلغاء	لحازم القَرطاجَنِّي
العُمْدة في صناعة الشعر ونَقْده	لابن رَشِيق القيرواني

***

الأستاذ الشاعر أحمد الزين كان أعمى وكان محقّقًا ومصحّحًا في دار الكتب، وقد حقق بعض الكتب الأصول، منها اشتراكه في تحقيق «الإمتاع والمؤانسة».

***

من المعاني العميقة التي قرأتُها عن مقاصد نظام الإرْث في الإسلام: تفتيتُ رأسِ المال وإعادةُ تدويره في المجتمع لئلا تتضخّم ثروات الأغنياء.

قال تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾، تفتيت رأس المال وإعادة تدويره في المجتمع يمنح الآخرين فرص الاستثمار المُنافِس، ويمنع تركّز الأموال في الأجيال.

***

درستُ علم الفرائض أو المواريث في الثانوية ثم في الجامعة، ثم نسيته إلا شيئًا يسيرًا.. وهو علم صعب متداخل يحتاج إلى إعمال

ذهـن ومراجعـة وممارسـة بلا انقطـاع، وأعتقد أنه من أصعـب العلوم الإسـلامية؛ لذا قـلَّ أن تجد متمكنًا منه بين طلبـة العلم مقارنة بالفنون الأخرى..

وقد كان سـماحة الشـيخ عبد العزيز ابن باز -رحمه الله- من أعلم أهل زمانه بهذا العلم وهو الفاقد البصر وهذا من العجائب. وفي الأيام الأخيـرة كانـت بعـض قراءاتي عن مقاصـد نظام الإرث في الإسـلام؛ للاطـلاع علـى مقاصـد التشـريع فـي إدارة رأس المـال، وأحببـت أن أشاركـكم بهذا، وهـو مستفادٌ كلّه من هذه القراءات.

أودّ سـؤالكم هـذا السـؤال: لِـمَ كانـت البنتُ تـرِثُ نصفَ مـا يرثه أخوها؟ وسـأتحدث بعدها عن النظام المالـي المُحكم الذي قام عليه توزيع الإرث، داعيًا بالخير لمن نقلتُ عنهم فهو جهدهم لا جهدي.

بدايةً نظام الإرث في الإسلام لا علاقة له بالذكورة أو الأنوثة، إنما يتعلّق بالمراحمة وهذا يدفع التوحّش الذي تراه في النظام الرأسمالي، ثـم هو يقوم على مقاصد غاية في الإحـكام من أهمهما: قاعدة «الغُرْم بالغُنْم»، وتسـييلُ رأس المال واسـتثماره وسأشـرح ذلك: البنت تأخذ نصـف مـا يأخذه الابـن؛ لأن الابن -في الغالب- هو مـن يقوم برعاية والـده ولا سـيما في حال مرضـه وفقره، وهو من يقـوم -في الغالب- بـإدارة شـؤونه الماليـة، ولأن الابنَ مُلْزمٌ -شـرعًا- بدفـع مَهْر لزوجته وإعالتهـا مـع الأولاد، وأمـا البنـت فهي مَن يُدفـع لها المهـر وقد أُلزم زوجها شرعًا بنفقتها ونفقة الأولاد..

لذا لـمّا كان الغُرْم على الابن أكثر من البنت كان غُنْمُه من الميراث أوفر، مقصد اقتصادي عادل لا علاقة له بالذكورة والأنوثة.

والدليل على ذلك: أن الحالات التي يكون فيها نصيب المرأة أكثر من الرجل في نظام الإرث أضعافُ الحالات التي يكون فيها نصيب الرجل أكثر منها..

وهناك حالات ترث فيها الأنثى ولا يرث فيها نظيرها من الذكور..

وهناك مقصد بديع في نظام الإرث: وهو أن النصيب الأكبر في الميراث -لا علاقة للذكورة أو الأنوثة بهذا- يكون من نصيب الفروع لا الأصول في الغالب: فالبنت مع الأب ترث ضعف ما يرث -إن لم أهم في المثال- ولذلك ترى رأس المال في نظام الإرث لا يتجّه إلى الأعلى وهي الأصول، وإنما يتجه إلى الفروع أي إلى الأجيال اللاحقة، وفي هذا إنماء لرأس المال في المستقبل، وكفاية لمن هو مقدم على الحياة ومقبل عليها؛ إذ هو أشد حاجة للمال -معيشة وشرعًا- ممن هو في آخر حياته قد خفّت أعباؤه وتكاليفه.. فرأس المال في نظام الإرث لا يرجع إلى الوراء..

وأختم بمعنى كنت قد ذكرته: وهو أن على المسلم ألا يخلط بين زهد الرسول عليه الصلاة والسلام في الدنيا؛ وبين قيمة المال في النص الشرعي، وما في هذا النص من تعظيم لشأن الاقتصاد، وما فيه من مقاصد وتدابير وحكم غاية في الإتقان في حفظ الحقوق وتوزيع المال وإدارته.

***

الزوجة الغنية لا تجب عليها النفقة -شرعًا- على زوجها وإن كان فقيرًا، ويجوز أن تعطيه من زكاة مالها -على خلافٍ في المسألة- تفضّلًا منها لا إلزامًا، وأما الزوج الفقير فتجب عليه النفقة على زوجته وإن كانت غنية ولا تسقط نفقتها بغناها، ولا يدفع لها من زكاة ماله لوجوب نفقتها عليه.

***

ما أصعبَ أن تُشبه نفسَك في فضاءٍ يطلبُ منك أن تشبه الآخرين.

***

«اختلافُ الرّأي لا يُفسد للودّ قضيّة».. هل تعرفون قائل هذه الكلمة المشهورة؟

هذه الكلمة المشهورة قد نسبت إلى ثلاثة من الأعلام: أحمد لطفي السيّد، وأحمد شوقي، والسياسي والشاعر السوداني الكبير محمد أحمد المحجوب.. وردت هذه الكلمة في مسرحية «مجنون ليلى» لشوقي، وهي من آخر ما ألّف، والأستاذ المحجوب كان في الرابعة والعشرين من عمره حين وفاة شوقي، فمن المُستبعد أن يكون شوقي سمعها منه ثم أوردها في شعره.. هل هي لأحمد لطفي السيّد واستفادها منه شوقي فأوردها في شعره؛ أم هي لشوقي ابتداء ولا علاقة لأحمد لطفي السيّد بها.. لستُ أدري؛ ولماذا لستُ أدري؟ لستُ أدري!

***

فرطُ الاغترابِ الروحيِّ في هذه الأيام المُغبرَّة؛ هو الذي يجعل الحنينَ إلى الماضي جزءًا من الحلِّ النفسي.

***

لا أحسب أن مبدعًا في تاريخ الأدب كلّه؛ قد ناله في حياته -بل وبُعَيد مماته- من الحسد والبغي والخصومة والتجني كالذي نال أبا الطيّب المُتنبي، فقد تظاهرت عليه أيامه وتظاهر عليه خصومه، لعبقريته التي ملأت الدنيا وشغلت الناس، فحيث حلّ المتنبي أخمل كلّ من كان هناك، فعاداه الوزراء والشعراء والعلماء والكتاب..

فتنقّصه أبو فراس الحَمْداني وابن خَالويه والخالديّان وأبو العباس النّامي، حسدًا من عند أنفسهم، واجتهد الوزير المُهلّبي والصاحب ابن عبّاد -وهما من هما- في إسقاطه، وابتدرته أقلام جلساء هؤلاء تتقرب إليهم بثلبه والحطّ من شأنه والزراية عليه؛ فتجاهله الخالديّان فيما ألّفاه، وأبو الفرج الأصفهاني في «أغانيه»، وكتب في سرقاته: ابن العميد والحاتمي، ثم بعدهم ابن وكيع والعَميدي وابن بسام، وتمالأ عليه أعلام كلّ بلد دخله، وتأهّب له منهم من قصدهم بالزيارة..

ولم يزده هذا كلّه إلا رفعة حتى إن بعض هؤلاءِ اليوم لا يذكر من شأنه إلا أنه ذاك الذي ألّف رسالة في ثَلْب المُتنبي.. وبقي أبو الطيّب يُردِّدُ والدنيا تجاوبه:

وما الدَّهْرُ إلا من رُواة قصائدي
إذا قلتُ شِعرًا أصبحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا

***

«ولذيذ الحياة ما كان فوضى».. هذه المبالغة في صرامة التعليمات وتنظيم الوقت تجعل الإنسانَ آلةً جادّة، نريد إنسانًا سويًّا بكلّ فضائله ومباذله.

ما رأيتُ أحدًا يبالغ في التنظيم ويتكلّف المثالية في الحرص على الوقت؛ إلا وجدتُ الأَثَرةَ غالبة عليه لا تعنيه مصلحة غيره أبدًا، ثم هو ثقيل الدّم!

***

هناك خطأ شائع وهو أن الفيلسوف البراغماتي المشهور جون

ديـوي هـو صاحـب «تصنيف ديـوي العشـري[1]»، والصحيـح أن هذا التصنيف للمكتبي ملفل ديوي.

***

لا تصدّق كلَّ ما يقال، ولا تقل كلَّ ما تصدّق.

***

لابـن العربـي سـيرة ذاتيـة مفردة فقـدت، وقد صـدّر كتابـه «قانون التأويل» بأخبار جميلة عنه، وله أخبار يذكرها في مثاني كتبه لو جُمعت لجاءت في رسالة.

***

مـن باب الفائدة: حدّ منع المرور بين يدي المصلي هو إلى موضع سـجوده تقريبًـا، وبعـض المُصلّين لا يسـمح لأحد أن يَمُـرَّ أمامه وهو على بعد مترين منه أو ثلاثة.

***

لأبـي الطيِّبِ المتنبي أشـعارُ حكمةٍ شـواردُ ردّدتهـا الناسُ والأيام،

---

(١) وضع هذا النظام الأمريكي ملفل ديوي وهو أول وأشهر نظام تصنيف للمكتبات، صدرت طبعته الأولى عام 1876 م، ويقوم على تقسيم المعرفة البشرية إلى عشرة أقسام رئيسة، يتفرع كل قسم منها إلى عشر شعب تمثل التفريعات الرئيسة للموضوع. وكل شعبة تتفرع بدورها إلى عشر شعب حسب طبيعة الموضوع، وهكذا ينقسم كل فرع إلى عشرة بحيث يمكن أن يستمر التقسيم العشري إلى ما لا نهاية، وهو لا يعطي أي كتاب رقمًا يقل عن ٣ منازل، ويخضع نظام ديوي للتطوير بشكل مستمر لمواكبة الاحتياجات المتجددة في الحصول على المعلومات من المكتبات التقليدية أو في الأوساط الإلكترونية.

ولمّا عُرف بذلك نُسبت إليه بعضُ أشعارِ الحكمةِ ممّا يشبه أبياته وهي ليست له، ومن ذلك البيت المشهور:

ومن لم يمت بالسَّيف مات بغيرِه   تنوَّعت الأسبابُ والداءُ واحدُ

وله أكثر من رواية، والبيت للشاعر ابن نُباتة وهو غير ابن نُباتة صاحبِ الخطب المشهورة، وهما غير ابن نُباتة الشاعر المتأخر عنهما، وقد اختلطت تراجِمهم عند بعض الدارسين..

ومن ذلك البيت المعروف:

فَعَينُ الرِّضا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ   ولكنَّ عينَ السُّخْطِ تبدي المَساويا

وهو لعبدالله بن معاوية، من قصيدة جيِّدة له فيها هذا البيتُ العالي:

كلانا غنيٌّ عن أخيه حياتَه   ونحنُ إذا متنا أشدُّ تغانيا

وهو يُقال لكلٍّ من تضخّمت ذاته فظن أنك لا تستطيع العيش دونه.

***

«المسالك في شرح موطأ مالك» من أجلّ كتب ابن العربي، وإن كان هناك شكٌّ في نسبته إليه، حققه محمد السُّليماني وأخته عائشة في ثماني مجلدات، ولا أعلم أن أخًا وأخته اشتركا في تحقيق كتاب غير هذا.

***

في بداية الطباعة؛ كانوا يطرحون اكتتابًا لطبع الكتاب يشارك فيه القرّاء ثم يحصلون على نسخهم..

***

د.أحمد مطلوب وزوجته د.خديجة الحَديثي اشتركا في تحقيق عدة كتب، أشرَفت على كتاب عنه عنوانه: رفيق عمري، فأشرَف هو على كتاب عنها عنوانه: رفيقة عمري!

***

«التذكرة الحَمْدُونية» من كتب المجاميع الأدبية الجميلة، اشترك في تحقيقه د. إحسان عباس مع أخيه بكر عباس.

***

أدركتُ الآن لم كان الصباحيّون وقورين، صباح ثقيل يحفّه المُسِنّون والأكاديميون من جوانبه.. اللهم لا تحرمنا الليل وأهله وَعُد علينا بنواهج بهجتهم.

***

قَيْسُ بن ذَرِيح عاشق آخر ومحبوبته لُبنى، وأما صاحب ليلى فهو قَيْسُ بن المُلوَّح.. وربما تداخلت أشعارهم لتشابه أسمائهم.

***

بَلقيس..يا وجعي..

ويا وجع القصيدة حين تلمسُها الأنامل

هل يا تُرى..

من بعد شَعْرِكِ سوف ترتفع السنابل؟

نزار قباني

***

احذروا المبالغين في صناعة الشخصيات وترميزها من كل التيارات، تنويري جعلوه رمزًا والله ما أسرّح به الغنم، وطويلب علم مسكين جعلوه شيخًا كبيرًا.

***

فائدة.. نقول: الدراساتُ العُليا، والصفة تتبع الموصوف في الإفراد والجمع، فلمَ لمْ نقل هنا: الدراساتُ العُلى جمع العُليا؟

الأصل أن نقول: الدراساتُ العُلى، ويجوز أن نقول: الدراساتُ العُليا.. لأنه يجوز أن يوصف جمع غير العاقل بمفردٍ مؤنث.

***

هل يقال: المُتَوَفِّي أم المُتَوَفَّى؟ هي المُتَوَفَّى؛ بمعنى أن الله سبحانه توفّاه، ويجوز: المُتَوَفِّي؛ بمعنى استوفى عمرَه.

***

كثرت أسئلة المتابعين عن تغريدتي: «لا خير في ثقافة واسعة واطلاع عريض، يقودان صاحبَهما إلى التمرّد على أصول دينه ومشاغبة ثوابته..» والاعتراض من بعضهم: وهل نطبّق هذا المعنى على المثقّف غير المسلم؟ وليس من عادتي الخوض والمجادلة في مثل هذا؛ لقناعتي بأن تويتر ليس هو المكان المناسب لهذه النقاشات..

ولكن لكثرة ما قرأته من الاعتراض أو الاستفهام؛ أحببتُ أن أوضح هذا: هناك في كلِّ دين أو ثقافة خطابان مختلفان في الحثّ والاستدلال وإلزام الحُجّة، يوجّه أحدهما إلى من هو داخل دائرة هذا الدين أو هذه الثقافة، ويوجّه الآخر إلى من هو خارجها، ولكلٍّ واحدٍ

مـن هذين الخطابين حُجَجه وإلزاماته بنـاء على موقف المُتلقّي، ليس هذا خاصًّا بالدين الإسلامي، وإنما هو عامٌّ في كل دين أو ثقافة وعليه؛ فـإن من اعتـرض على التغريدة لـم يفرّق بيـن الخطابين من حيث جهة المُتلقـي، فخطاب من هو داخل دائرة المُعتَقد يختلف عن خطاب من هو خارجها.

***

الأسـماء القديمة لمدينة الرياض العامرة: كانت تعرف قديمًا باسم «حَجْـر» ثـم عرفت باسـم «مِعْكال» ثم باسـم «مُقْرِن»، وعرفت باسـم «الريـاض» في القرن الثاني عشـر الهجـري تقريبًا.. اسـتفدت هذا من بعض ما كتبه شـيخنا العلامة حمد الجاسـر رحمه الله، ولشيخنا كتاب نافع معروف عن مدينة الرياض.

ممّـا سـمعته مـن شـيخنا العلامـة حمد الجاسـر -رحمـه الله- في مجالسه، وكان ينبّه على هذا كثيرًا في كتبه: أن أسماء المواضع تختلف مسـاحتها باختلاف الأطوار التاريخية التي مرّت عليها، فتجد أن اسـم موضع يشمل مساحة كبيرة يطلق عليها في طور من أطوار التاريخ، ثم ينحسـر هذا المُسـمَّى في مسـاحة ضيقـة فتخرج عنه بعـض المواضع وتسـمى باسـم آخـر، والعكس، ومـن لا يراعي هـذا يقع فـي كثير من الأخطاء عند تحديد المواضع..

وأمـر آخـر مـا دمنا فـي حديث المواضـع؛ أذكـر أني قـرأت تعليقًا ضعيفًـا للرافعي -في بعض كتبه نسـيته الآن- فـي الكلام على موضع فـي نجـد، ولـمّا زرت شـيخنا الجاسـر رحمـه الله أخبرته به؛ فابتسم وقال: كثير ممن يحقق الكتب اليوم يمرّ بهم ذكر موضع من المواضع

فيحيلون على ياقوت أو البكري، وأوهامهم كثيرة ولا سيّما فيما يتعلّق بمواضع الجزيرة، ونحن وغيرنا قد فصّلنا القول في هذا وبينّاه بخطوط الطول والعرض ولكن لا يرجعون إلى ما كتبناه، ثم ذكر لي -رحمه الله- شيئًا مما استدركه على محمد حسين هيكل في كتابه «في منزل الوحي»...

قلت: والغريب أنك تجد بعض الباحثين من أهل هذه البلاد -وفي رسائل علمية-يحيل في الكلام على موضع من مواضع الجزيرة على بعض كتب البلدانيين القدماء: كالهمْداني والأصفهاني وياقوت والبكري.. ولعلّه يمرّ عليها بسيارته! والأولى أن يحيل على الكتب الحديثة الـمُحرّرة في تحديد هذه المواضع والكلام عليها مما كتبه: الجاسر وابن خميس والعقيلي والزهراني وعاتق البلادي وابن جنيدل والعبودي، وغيرهم.. وممَّا نشر من كتب مفردة عن المدن في السلسلة الرائعة التي نشرتها رعاية الشباب.

***

كتاب «معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري» للشيخ سعد ابن جنيدل، مهم ولا سيما للباحثين الشرعيين.

***

أبو دُلَفِ العِجْلِيُّ القاسمُ بنُ عيسى؛ أميرٌ قائدٌ شجاعٌ جَوادٌ مُمَدَّح.. مدحه الشاعرُ عليُّ بنُ جَبَلَة الملقّب بالعَكَوَّك ومعناها القصير السمين؛ لقّبه بذلك الأصمعي.. مدح عليُّ بنُ جَبَلَة أبا دُلَفِ بقصيدةٍ طار بها الناس في أيامهم، وتمنّى كلُّ كبيرٍ من أهل ذلك الزمان أن لو قيلت فيه، ومنها بيتا مطلعها السائران:

إنمـا الدنيا أبـو دُلَفٍ بين بادِيـهِ ومُحْتَضَرِه
فـإذا ولّـى أبـو دُلَـفٍ ولّـت الدنيا على أَثَره

فأثابـه أبـو دُلَـفٍ عليها وصيفًـا وألفَ دينـار.. ثم إن عليَّ بـنَ جَبَلَة قصد إلى حُمَيد الطوسي فمدحه: فقال له حُمَيد: وأين هذا من قصائدك فـي أبي دُلَف؟ ولم يعطه شيئًا. ثم أعطـاه بعد أن مدحه وَجَوّد قصائده فيـه.. وأبـو دُلَـفٍ العِجْليُّ هـو جَدُّ الأميـرِ ابنِ ماكـولا العلامـةِ الكبيرِ صاحبِ كتابِ «الإكمال»، وحُمَيد الطوسـي هو والد القائد المشـهور محمـد بـن حُميد الطوسـي؛ الذي اسْتُشْـهِدَ شـابًّا في إحـدى المعارك فقال فيه أبو تمّام مَرْثِيَتَهُ الذائعة: كذا فَلْيَجِلَّ الخطب..

***

«فأمـا حالـي فسـيّئةٌ كيفمـا قلّبتُهـا، لأن الدنيا لم تواتنـي لأكون من الخائضيـن فيهـا، والآخـرةَ لم تغلب علـيّ فأكون مـن العاملين لها..» أبو حيان التوحيدي.

***

المتشـائمون يهدمون الروح، لكن لبعض المتشائمين كابن الرُّومي والتوحيـديّ وأبي العلاء وشـوبنهاور وجون كيتـس وكافكا.. تأمُّلاتٌ عالية.

***

الحِبُّ في اللغة هو المحبوب، قيل لبعضِ العلماء: الحِبُّ بالكسـر أم بالضَمِّ، فقال: هو بالكسر ويُستحسن ضَمُّه!

***

هذا أمير المؤمنين في الحديث أبو بِسطام شُعبة بن الحجّاج؛ كان في حَلْقة درسه فضجر من أصحاب الحديث، فرمى بصرَه إلى الناس فرأى في آخرِ المجلس الأخباريَّ اللغويَّ سعيدَ بنَ أوسٍ أبا زيدٍ الأنصاريَّ؛ فرفع صوته:

واستعجمت دارُ مَيٍّ ما تكلّمنا والدار لو كلّمتنا ذاتُ أخبارِ

-البيت للنابغة- ثم قال: إليّ يا أبا زيد، وجعلا يتناشدان الأشعار.. فقال بعضُ أصحاب الحديث لشُعبة: يا أبا بسطام، نقطع إليك ظهور الإبل لنسمعَ منك حديثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فتدعنا وتقبل على الأشعار؟ فغضب غضبًا شديدًا ثم قال: يا هؤلاء أنا أعلم بالأصلح لي.

***

قال بعض علماء اللغة: «لم أجد أشدَّ صعوبة من الفرق بين الضاد والظاء».. وأُلّف عن الفرق بينهما أكثر من عشرين كتابًا، فلا تبتئس إن أشكلتا عليك.

فائدة في الباب منقولة من الأستاذ الشاعر د. فواز اللعبون

فرَّق ابن الحداد المهدوي بين حرفي (ظ) و (ض) بطريقة مبتكرة، حيث حصر الكلمات التي تُكتب بالظاء في ٩٣ كلمة (بالإضافة إلى المشتق منها)، فيما تكتب باقي الكلمات بالضاد.

وبعد استبعاد الكلمات الميتة، أو غير المستخدمة، يتبقى لدينا ٤٠ كلمة فقط، بمراجعتها عدة مرات، ستحفظ شكلها، ولن تعود مشكلة التفريق بين الحرفين لتنغص علينا حياتنا.

الكلمات التي تكتب بالظاء					
م	الفعل	بعض اشتقاقاته	م	الفعل	بعض اشتقاقاته
١	جحظ	جحوظ، جاحظ	٢١	عظم	عظيم، عظمة، عظام
٢	حظ	حظ، حظوة، محظوظ	٢٢	عكظ	عكاظ
٣	حظر	حاظر، محظور	٢٣	غلظ	غليظ، غلظة
٤	حفظ	حافظ، محفوظ، محافظ	٢٤	غيظ	مغتاظ
٥	حنظل	حنظل	٢٥	فظ	فظاظة
٦	شظف	الشظف (شدة العيش)	٢٦	فظع	فظيع، فظاعة
٧	شظ	شظية	٢٧	قيظ	

الكلمات التي تكتب بالظاء					
م	الفعل	بعض اشتقاقاته	م	الفعل	بعض اشتقاقاته
٨	شوظ	شواظ	٢٨	كظ	اكتظ، اكتظاظ
٩	ظبا	ظبي، ظبية	٢٩	كظم	كاظم
١٠	ظرف	ظروف، ظريف، ظرافة	٣٠	لحظ	ملحوظة، ملاحظ
١١	ظعن	ظاعن، ظعينة	٣١	لظي	تلظى
١٢	ظفر	ظافر، مظفر، ظفر، أظافر	٣٢	لفظ	ملفوظ، ألفاظ، تلفظ
١٣	ظل	ظلال، مظلة	٣٣	لمظ	تلمظ
١٤	ظلع	ظالع	٣٤	نظر	ناظر، منظار، انتظار، انتظر

الكلمات التي تكتب بالظاء

م	الفعل	بعض اشتقاقاته	م	الفعل	بعض اشتقاقاته
١٥	ظلف	أظلاف	٣٥	نظف	نظافة، تنظيف
١٦	ظلم	ظلمة، ظلام، ظالم	٣٦	نظم	منظومة، نظام، أنظمة
١٧	ظمأ	ظامئ، ظمآن، ظمأى	٣٧	وظب	واظب، مواظبة
١٨	ظن	ظنون، مظنة، مظان	٣٨	وظف	توظيف، وظيفة
١٩	ظهر	ظاهر، ظهور، مظاهرة	٣٩	وعظ	واعظ، عظة، موعظة
٢٠	ظئر	وهي مرضعة غير ولدها	٤٠	يقظ	يقظ، يقظة، استيقاظ

***

هناك بحث ببليوغرافي نشر في مجلة «المورد» عن الجهود التأليفية في الفرق بين الضاد والظاء.

***

قال ابن خَلّكان عن عُمارة اليمني والفاطميين: وكانت حاله ماشيةً عندهم.

***

أقبح الناس وجهًا ذو القناعين؛ مثالية زائفة تقنّع بها في معرِّفه الحقيقي، واسمٌ مستعارٌ قد تقنّع به لينال من خلق الله ويصفّيَ خصوماته.

***

غناك في نفسك وقيمتك في عملك، وبواعثك أحرى بالعناية من غاياتك.. العقّاد.

عبارة ميكيافيلي «الوسيلة تبرر الغاية»؛ لا تعني الوسيلة فقط وإنما تعني دوافعها معها، لأن الدوافع بلا وسائل ليست أفعالًا.

فهمتُ من عبارة العقاد الرد على ميكيافيلي، وفسّرتُها بالوسائل لأنها تنتظم الدوافع، وأما الدوافع وحدها فلا تنتظم الوسائل.

***

رأيت أن العقل الذي لا ينوّع قراءته، ولا يعرف ما عند الآخرين؛ عقلٌ ضعيفٌ يعيد إنتاج نفسه، فلا ترتقي مداركه ولا تتسع تصوّراته.

***

أول كتاب لي طبعته على حسابي، ووضعت نسخًا منه في المعرض -في موقعه القديم- عند ناشر عربي سليط اللسان، حملت كرتونًا منه على رأسي من المواقف البعيدة إلى دار النشر في المعرض، وبعد انتهاء المعرض حضرت إليه فقال لي: لم أبع منه إلا نسخًا قليلة فخُذ باقي النسخ لا أريدها، وكنت اتفقت معه من قبل على أن يأخذ ما يتبقى من النسخ، فأخذتها حزينًا من سوء معاملته..

واليوم قد عرضت علي خمس دور نشر أو أكثر إعادة طبع كتابيّ بعد أن نفدا.. وكنت أرى في المعارض احتفاء الناس وبعض أصحاب دور النشر؛ بمن لا يستحق ممن ليس له قيمة إلا شهرة وسائل التواصل، والشهرة المجرّدة هذه ليست قيمة، ولم يكن أحد يحفل بي، فكنت لا أنفكُّ عن بشريتي فيضيق صدري ثم أتعجّب من هذه الحال..

واليوم أرى من الحفاوة والتقدير في المعرض من الأحباب والناشرين ما يخجلني وهو فوق ما أستحقّ والله، وليس هذا هو مقصد الإنسان ومطمحه من الاشتغال بهذا الشأن المعرفي، لكنه مما يؤثر فيه كثيرًا، وهذا هو الحقّ بعيدًا عن ادعاء مثاليات وتصنّع أخلاق تتعالى عن طبيعة النفس الإنسانية فلا تصيب في تحليل نوازع السلوك..

والقصد؛ أن على الإنسان إذا آمن بفكرة صالحة أن يُصابر على تحقيقها، وألا يلتفت عنها بصوارف الحياة ومحبطاتها، وسيكون التوفيق حَليفَه بإذن الله.. وأذكر أن أحد زوار شيخنا حمد الجاسر قال له: نسأل الله يا شيخ أن يرزقنا ربع إرادتك، فقال له الشيخ: هي دعوة مقبولة إن أردتَ!

مقالات

عبدالله بن عبد العزيز الهدلق

ميراث الصّمت والملَكوت



الهادي والهاذي

ابن تيميّة.. جلّادُ الحكمةِ المصلوبة

عبدالله بن عبدالعزيز الهدلق

***

من جميل ما قرأت: إن ابنك المراهق «رجل صغير» فعامله على هذا الأساس؛ إذ لا شيء يثير المراهق ويجرح كرامته كأن تعامله «كطفل كبير».

***

الإنسان أقلّ درجة من الحيوان عندما يكون حيوانًا.. طاغور.

***

الحياة أقصر من أن يُعنى المرء فيها بالتوافه.

***

فلو أنّي طفتُ العالَم كلّه؛ لرأيتكِ من حولي أينما كنت، كأنّي محدودٌ بكِ في حدودٍ مسحورة، تدعك حيث أنتِ وتمضي معي حيث أكون.. الرافعي.

***

دعني أخبرك أنني أحببتُ في صباي جارية لي شقراءَ الشَّعْر، فما استحسنتُ من ذلك الوقت سوداءَ الشعر، ولو أنه على الشمس أو على الحُسن نفسه...

وإني أقسم بالله أجلَّ الأقسام؛ أني ما حللتُ مئزري على فرجٍ حرام قط، ولا يحاسبني ربي بكبيرة الزّنا مذ عقلتُ إلى يومي هذا.. ابن حزمٍ رحمهُ الله.

***

كلهم ادّعوا أن ميّ زيادة أحبّتهم: الرافعي والعقاد.. والمفارقة أنها لم تحبّ إلا جبران خليل جبران الذي لم يحبّها!

جُننّا بليلى وهي جُنّت بغيرنا وأخرى بنا مجنونةٌ لا نريدها

وكانا اتفقا على الزواج ثم خذلها.

إضافة حول بيت الشعر آنف الذكر

«جننا بليلى وهي جنت بغيرنا
وأخرى بنا مجنونة لا نريدها»

سجل هذا البيت في دفترك، وترجمه إلى الإنكليزية والفرنسية والألمانية، وأنشئه في مؤتمرات علم النفس. نصف المشاكل العاطفية يلخصها هذا البيت. لو قاله فرويد لاعتبر نظرية علمية، أمّا وقد قاله أعرابي كحيان فقد ظل مجرد بيت شعر.

غازي القصيبي، العصفورية

***

بعض الرجال لديه فكرة مغلوطة عن الرجولة؛ يظن أنها في الجفاء وشراسة الطِّبَاع وبُخل المشاعر، الرجولة في حسن الأخلاق وكمال المروءة واحترام المرأة.

***

لأفكارنا ميلٌ مؤسفٌ إلى التكيف مع أحطّ الأوضاع الاجتماعية حين نعتاد عليها.

***

لأننا نعرف الظروف التي لابستْ أفعالَنا؛ فإنه يسهل علينا أن نبرّر من تصرفاتنا ما لا نبرّره من تصرفات الآخرين.. سومرست موم.

***

العقلُ التاريخيُّ المُسلَّح! لا أجد أدقَّ من هذه العبارة في وصف بعض أحبابنا حين أطالع ردودهم ونقاشاتهم.

***

لا تقلقني طبيعة الإنسان؛ يقلقني المنهج المَعْرفيُّ الذي يتبنّاه.

***

الفقر سببٌ رئيسٌ لأمراض القلب والرئة وتصلّب الشرايين.

***

كنا نتناقش اليوم مع بعض الإخوة عن نجيب محفوظ، فذكر فاضلٌ من الحاضرين أن بعض النقاد قال: إن نجيب محفوظ قتل الإنسان وأحيا المكان.

***

إن أحســن وسـيلة لمعرفة الذّات؛ السَّـعْيُ نحو فهـم الغير.. أندريه جيد.

***

أليـس دَوْرُ النُّخب؛ هو الرقيَّ بالوعي وحُسْـنَ القـدوة في الطرح؟ مـا بـال بعض النُّخب قـد تنكبت طريق رسـالتها فأشـبهت الجُهّالَ في سلوكها وطريقة تفكيرها!

***

كـم عاتبـتُ أناسًـا علـى صفاتٍ كانـوا يتّصفـون بها؛ وأرانـي اليوم أسعى جاهدًا لامتلاكها.

***

كلّمـا تقدّمـتْ بالمـرء أيّامُه؛ تطامنـتْ أحلامُه لجَـلال الحقائق في الحياة.

***

حين يتقدّم الإنسانُ في العمر؛ تقلّ قيمة كثيرٍ من الأشياء في نظره، وتزداد حسرته على ما كان يجهله من أولويات الحياة.

***

لا أعرف مَحَكًّا صادقًا تسفر به طبيعة الإنسان عن حقيقتها؛ مثل أن يكون لهذا الإنسان سُلْطةٌ عليك.

***

سعادةٌ لم تكتمل؛ حزنٌ مضاعف.

***

أرأيـتَ إلى البَسْـمة تَنبت على شـفة الحزن فيغمرهـا الدّمع لتورقَ حزنًا آخر.. ما هذه السعادة التي انتهت حين بدأتْ كأني كنتُ منها في مأتم الوَرْد!

***

يقـول أوسـكار وايلد: إنه كان هناك رجـلٌ يجتمع حوله أهل القرية في المساء فيقصّ عليهم ما رآه في يومه ذاك، وكان أهل القرية يطربون لقصصـه فـكان يحدّثهـم حديـثَ الخيال عـن حورية البحـر التي رآها والجنيّـات اللاتـي يتراقصن.. وذات يوم ذهب بعيـدًا على غير عادته؛ فرأى حوريّة على الشاطئ وجنيّات يتراقصن فخاف.. وحين اجتمعوا حوله في المسـاء وسـألوه عما شاهده قال لهم: لم أر اليوم شيئًا.. يريد وايلد أن يقول: إن الحقيقة تخنُق الخيال.

***

حالُنـا مـع المبدعيـن فـي حياتهـم وبعـد مماتهـم: كرم ملحـم كرم والشـاعر إلياس أبو شـبكة.. قال كرم ملحم كرم عن إلياس أبو شـبكة في حياته: «لستُ أدري بعد كلّ ما أوضحت أيّ قيمة لشاعريته، إلا أن يكـون شـعر هذا الناسـخ الماسـخ لطخة فـي جبيـن الأدب.. ولو كان يملك في أدبه بعض الكرامة لاعتزل الناس وأسرع إلى صخرة الانتحار في رأس بيروت للنجاة من الخزي اللاحق به»، ثم قال عنه بعد مماته: «إني لأتعجّب من النقيضين فيك؛ أيموت من يطعم الخلود زاد البقاء! أيذهـب المـوتُ بمـن خلـع على الدهـر كسـاءً لا يبلى، وألقـى في فم الأجيـال أناشـيد تجـاوز روعةُ أنغامهـا الأحقاب، طاب مثـواك بطيب أعرافك»!

للأستاذ حارث طه الرّاوي ذكريات أدبية جميلة نشرها في أعداد قديمة من مجلة «الأديب»، ومنه أفدت النقل السابق..

***

كانت ميّ زيادة تقول للدكتور المُلحد شِبْلي شميّل: إني لأعجب لك، كيف تكفر بالله وتؤمن بداروين!

***

حضر حافظ إبراهيم مع المُلحد شِبْلي شميّل حفلة غنائية وكان الجمهور يردد: الله الله، فقال حافظ لشِبْلي وأنتَ ماذا تقول: طبيعة طبيعة!

***

الكتابة تشبه -بعض الشيءِ- صرخةَ إنسان في عتمة مغارة؛ لكي يقدّر أبعادها من خلال الصدى.. جوليان غراك.

***

«رسائل الأرواح» للدكتور يعقوب صَرّوف، جمعها ابن أخيه فؤاد صَرّوف من «المقتطف» ونشرها بعد موته.

***

«الأمل» لأندريه مالرو، من أجمل ما كتبه مالرو.. طالعوا الكتب التي تحيي فيكم الأمل، حطّموا نوافذ اليأس في قلوبكم بمطارق الأمل.

***

قرأتُ هنا عن أستاذ كريم حملتْه الحاجة على بيع كتبه فتفطّر فؤادي، اعلموا أن من يبيع مكتبته فإنما يبيع عُمُرَه، فلعن الله حاجةً تباع لها الأعمار.

***

هناك معنىً في الهوايات والفنون؛ وهو أنك لا تستطيع أن تعرف القيمة الفنيّة أو الجماليّة للشيء ما لم تمتلك ثقافته.

***

من مباهج الطفولة: البحث عن «فضولي» في «مجلة ماجد». أول عدد من «ماجد» صدر ١٩٧٩م.

***

بعد اختراع القنبلة الذريّة؛ أرسل أحد الطلاب رسالة إلى الرئيس الأمريكي يقول فيها: هل يجب عليّ الآن أن أكمل الدراسة!

***

قال القَسَم: أغلقوا الأفواه فقد ماتت الثقة في القلوب! أيها الإنسان، أنت كاذب.. فيكتور هيجو.

***

نحتاج مع ثقافة القراءة إلى مزيد من ثقافة الشّعور.

***

قل للذي يدّعي أنه خالٍ من الأوهام؛ هذا أوّل أوهامك.. أناتول فرانس.

***

ظاهـرة غريبـة في التأليف؛ تجـد العالِم لا يؤلَّف عنه لسـنوات، ثم تُؤلَّف عنه عدة كتب في وقت واحد، وكذلك المواضيع، صدرت هذه الأيام ثلاثة كتب عن العقيلات!

***

أحـبُّ الحديـث مـع العابرين فـي حياتي، من يجلس بجواري في رحلـة سـفر، من يجمعني به مقعـد انتظار.. أُحدّثهم بمـا لا أقوله لكلّ أحد؛ لعلمي بأننا سنفترق.

***

كنـت قـد كتبت: مـا عاد الحلّاق وسـائق الأجـرة يثرثـران، ما هذه الكآبة التي أصابتنا!

***

من جميل ما أتحفني به أخي الأستاذ المثقف علي الخميس -إعارة ولعله يَغُضُّ الطَّرْفَ فلست ممن يعيد الكتب!- كتاب عنوانه: «الرجل ذو البدلـة البيضـاء» وقائع خروج أسـرة يهودية من مصـر، دار الطناني بمصر ٢٠١٠، تجربة جميلة نادرة.

***

يقـول بعـض الفقهـاء: وليس له أن ينظر في كتاب غيـره بغير إذنه.. ولا يجوز حَبْس الكتب عن مستفيد.

***

عنـدي كتـاب اسـتعرته من مكتبـة المدرسـة الابتدائيـة قبل خمس وثلاثيـن سـنة «في الرابع ابتدائي»، وقد ذكرت مـرارًا أني لن أعيده إلا بحكم قضائي!

حدثني أحد الأساتذة أنه أعار صديقًا له كتابًا فلما لقيه قال له: أين الكتابان اللذان استعرتهما؟ فقال: والله هو كتاب واحد فابتسم وقال: قد أقررت!

من أسوأ صور الإعارة: أن تعير جزءًا من كتاب في عدة مجلدات فتنخرم النسخة، والعجيب أنك إذا بحثت عن مسألة في هذا الكتاب كانت في الجزء المُعار!

***

«اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها»، إدوارد جيبون، صدر في ثلاثة أجزاء عن الهيئة المصرية.. من الكتب الرائدة في الدرس الحضاري.

***

لن يقضي الكتاب الإلكتروني على الكتاب الورقي، وهذه معارض الكتب خير شاهد على هذا.

ليست علاقة القارئ بالكتاب علاقة معلوماتية صرفة، هناك عشق وحميمية بين القارئ وكتابه الورقي لن يستطيع الكتاب الإلكتروني الجامد القضاء عليها.

قد يَحُدُّ الكتاب الإلكتروني من تداول الكتاب ذي الأجزاء الكثيرة والموسوعات.

هذه المكتبات الورقية العظيمة؛ ماذا عنها؟ وهذا التراث الإنساني الباذخ؛ هل تلغيه تقنية باردة صماء؟

الشخصية السائلة لا لون لها ولا طعم ولا رائحة، لا بد أن يكون

لدى الإنسان قَدْرٌ من الممانعة ضد التقنية حتى لا يفقد البقية الباقية من إنسانيته.

أظن أن العربَ أشدُّ تعلقًا بالثقافة الورقية من الثقافات الأخرى، ليس جزءًا من التخلف لكنه روح الشرق.

***

من طريف ما قرأتُه عن الأستاذ اللغوي «وبستر» صاحب القاموس الإنجليزي المشهور الذي أمضى حياته في تأليفه: أنه أصابه الإرهاق من كثرة العمل في قاموسه، فذهب إلى أحد المطاعم ليتناول الطعام، وقدمت له النّادلة قائمة الطعام فنظر إليها ثم أعادها وطلب منها أن تختار له ما تشاء منها، وبعد أن انتهى سألتْه عن رأيه في اختيارها فأثنى عليه، فقالت له: لا بأس أن ترسل إليّ أصدقاءك ممن لا يعرفون القراءة مثلك لأساعدهم!

***

كثرت عندنا في السنوات الأخيرة عدة مراكز بحثية تُعنى بالدراسات الفكرية تأليفًا وترجمة، ولهم جهود رائعة في هذا المجال المُهمّ، ومن باب التفاعل -لا التنقّص- أودّ أن أذكر بعض الملاحظات العامة التي وقفتُ عليها من خلال اطّلاعي على بعض إصدارات هذه المراكز، وهي ملاحظات لا تقلّل من شأن جهودهم المشكورة أبدًا.

من ذلك: استكتاب بعض الشباب النابهين الذين لم يستكملوا بعدُ الأدوات المعرفية لخوض مسائل فكرية تقصر دونها مواهبهم وقدراتهم، وقيامهم بترجمة كتب فكرية عويصة الموضوع والمصطلح، ولا أودّ أن أذكر نماذج لهذا..

اختيار عناوين فكرية فضفاضة لمادة علمية ليست في مستوى هذه العناوين.. وتوجيه الخطاب الفكري إلى المماثل والموافق في المنهج، وعدم تجاوزه إلى الآخر المخالف في الطّرح والرؤية؛ مما جعل كثيرًا من نِتاجها الفكري لا يجاوز الدائرة العلمية التي تتبنى مثل هذا الطرح الفكري.. ثم التعثّر في اختيار بعض الموادّ المؤلفة أو المترجمة وغيرُها من المواد العلمية أولى بالعناية بها، وذلك ناشئ عن أسباب منها ضعف الاستشارة في اختيار هذه المواد..

هذه بعض الوقفات من محبّ لم يقصد التقليل من شأن هذه الرسالة المباركة، وإنما هي مشاركة متواضعة في الرّقي بمستوى هذه المراكز الفكرية، فبارك الله جهودهم وشكر لهم.

***

شكوى الناس من الناس قديمة، والتحسّر على السالفين موجود في كلّ زمان، وُجد نَقْشٌ في أحد الكهوف يشكو فيه كاتبُه أهلَ زمانه ويحنّ إلى أيام الراحلين عنه.

***

احذر واعظًا يزهّدك في الدنيا وعينُه عليها، وعالمًا يدرّس الناسَ العلمَ وأخلاقُه أحطّ من أخلاق الجَهَلة.

***

ناشئ في الورد لم يعش في غمار الدنيا وزحام الناس، يقطر خدّاه من عافية النّعمة ورَغَد العيش، يتصدّر المنصّة ليحدّثك عن رحلته الشاقّة في دنيا الأعمال.

***

أهواء النفوس.. يقول الزيّات: أعرف فقيرًا كان ينادي بالاشتراكية ويحارب التملّك، فورث أرضًا من قريب له فكتب على جهاتها الأربع: يُمنع المرور!

***

رواية «البؤساء» لفيكتور هيجو جيدة، و«الجريمة والعقاب» لدوستويفسكي عميقة.

***

بيع الأوهام.. ذكر الجوبري -من أهل القرن السابع- في كتابه «المختار في كشف الأسرار»: أن أحد الدّجالين ممّن يرتزق بجهل العامّة؛ كان يلبس زيّ أهل الوعظ، ويُرسل أحد مُريديه إلى بعض القرى ليسكن فيها ويزعم أنه نصراني، ثم يحضر هذا الواعظ الدّجّال إلى القرية فيعظ الناس، ويأتي هذا المُريد بين الناس ويخبر الواعظ أنه رأى الرسول -عليه الصلاة والسلام- في المنام وأمره أن يأتي هذا الواعظ ليُسْلم على يديه، ثم ينطق بالشهادتين، فيعظم شأن هذا الواعظ عند أهل القرية ويزيد اعتقادهم فيه، فتنهال عليه الأموال والهدايا.. وهكذا في كلّ زمانٍ دجّالٌ ومغفّلون!

***

الصحيح -والله أعلم- أن عدد حروف العربية تسعةٌ وعشرون حرفًا؛ فالهَمْزَةُ حرفٌ، والأَلِف حرف.

***

أصبحتْ قيمة الإنسان في أيامنا هذه بما لا يُحسِن لا بما يُحسِن، فلا تُحسِن شيئًا حتى تكون لك قيمة في المُنحدر، فقد ذهبت القِمم وأهلها.

***

في أيام الصحوة انتشر كثير من ردود المشايخ والدعاة بعضهم على بعض، هذا يردُّ على هذا، ثم يردُّ هذا عليه، ثم يردُّ عليهما ثالث؛ وهكذا.. في دوّامة من المُساجلات والرُّدود، أكثرها كان ابنَ يومه لا قيمة له، واندفع بعض المتحمّسِين في متابعة هذه الردود، فاستغرقت جُلَّ أوقاتهم واستنزفت عقولَهم؛ وكان العائد على التصوُّرات والمدارك ضئيلًا تعرف أثره عليهم إلى اليوم، وانصرف بعض الموفّقين إلى التأصيل العلمي والتأسيس المنهجي فظهر أثرُ ذلك جليًّا على عقولهم وتقريراتهم، فلا تشغلك كثرة تفاصيل هذه الرُّدود اليومية والمهاترات الكلامية؛ عن النافع من العلم المؤصَّل.

ردود العلماء الأوائل فيها منهجٌ وتأصيلٌ علميٌّ ولذلك بقيت، وأما هذه الرُّدود الوقتيّة فكثير منها لا قيمة له.

***

أحداثُ أيامنا أصبحت غرائبيّةً بعيدةً عن العقل، لذا قادتْني عيناي إلى قراءة شيءٍ عن الأدب الغرائبيّ؛ فانتهيتُ إلى كتاب «ألف ليلة وليلة» وهو مملوء في بعض مستويات سرده بالخطاب السياسي الرمزي..

وهو لم يُكتب دفعة واحدة، لذا فلغته الأدبية مختلفة المستويات، وهو يميل في أغلبه إلى الرَّكاكة، إلا أن هذه الرَّكاكة في السَّرْد من أسرار سحره!

ليست لغته صعبة، لكن مستويات السَّرْد فيه متعددة ورمزية، وطبعة بولاق أو مصوّرتها هي من أشهر طبعاته.

هناك عدّة دراسات عن الخطاب السياسي في كتاب «ألف ليلة وليلة»، ويقال إن أصل الليالي من تأليف أبي حيان التوحيدي!

تأثّر كثير جدًّا من أعلام الغرب بهذه القصص، فولتير وجيته وبورخيس وماركيز.. وغيرهم، كما تأثرت به كثير من الأعمال الأدبية الغربية المعروفة.

هناك ستة أسماء لابدّ من معرفتها عند الحديث عن هذا الكتاب: غالان، إدوارد لين، بيرتون، سهير القلماوي، محسن مهدي، محسن الموسوي.

قِصّة علاء الدين والمصباح السحريّ، وقصة علي بابا والأربعين حرامي؛ لا توجدان في كتاب «ألف ليلة وليلة»، القِصّتان من اختراع غالان وبعض الأدباء.

لـ«ألف ليلة وليلة» طبعات كثيرة متفاوتة وعشرات الترجمات، لعل أفضلها بالعربية طبعة د. محسن مهدي.

بعض القراء يظن أن قراءة الأساطير ضَرْبٌ من العبث؛ الأساطير من أصدق ما يصوّر ذاكرة الشعوب ومستواها الحضاري، قد تكون أدقَّ تصويرًا من التاريخ نفسه.

هي تصوّر الجانبَ الوثنيَّ في هذه الحضارات والبُعْدَ عن التوحيد، وهي مفيدة في الدراسات اللاهوتية وتصوُّر سذاجة المعتقد عند هذه الحضارات. وفي «ألف ليلة وليلة» حديث عن الحروب الصليبية وسقوط الأندلس، وهناك رسالة علمية عراقية في دراسة شِعْر «ألف ليلة وليلة».

***

جُحا شخصية حقيقية تَرجم له الذهبيُّ في «السِّيَر» وروى حديثًا من طريقه، وقد استُشهد مجاهدًا في إحدى الغزوات، زيد على أخباره وتكرّرت شخصيته وتداخلت.

***

مِنْ أكرم أهل العصر: الشيخ محمد متولي الشعراوي، والدكتور مصطفى محمود، ولم أقابل في حياتي أكرمَ من سماحة الشيخ الوالد الكبير ابن باز، كان آيةً من آيات الله في كَرَمِهِ وبَذْلِه وطِيبِ نَفْسِه، ومنهم شيخنا العلامة أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهريّ، يعجز القلم عن وصف كَرَمِهِ وأريحيّته.

كذلك كان الشاعر حافظ إبراهيم، إذا طَلَبَ منه السائلُ شيئًا أدخل يدَه في جيبه وأعطاه ما تقع عليه يدُه، وكانت مشروباتُ كلٍّ من في القهوة على حسابه.

***

نارُ القِرى من أشرف نيران العرب، كانوا يوقدونها على الجبال ليهتديَ الأضياف إلى منازلهم، وربّما أوقدوا نبتًا له رائحةٌ طيّبةٌ حتى يَسْتَدِلَّ به الأعمى.

***

كان هناك رَجُلٌ بخيلٌ فاشتكته زوجتُه إلى القاضي، فقال الرَّجُل: يا امرأة كيف أكون بخيلًا وفي بيتنا الفأر، فقالت: والله ما أقام إلا لحُبِّ الوطن!

***

تذكّرت أحد الأدباء الفرنسيين؛ أصدر عملًا أدبيًا وقامت الثورة الفرنسية، فظن أن الناس قد خرجت في الشوارع احتجاجًا على كتابه، وهم ما دروا عنه.

***

الثقة بالنفس: فيه عشرة كانوا رايحين للحج وواحد منهم ضيّع جماعته، فقال لرجل معه ميكرفون: لو سمحت فيه تسعة ضايعين ليتك تنادي عليهم!

***

ماذا فعلتْ شهرزاد في الليلة الثانية بعد الألف؟ ما الذي تفعله شخوصُ الحكايات بعد انتهاء الحكايات!

***

شممتُ أفخرَ أنواع البخور والورد، وعطورَ النيش والديزاينر من كلايف وروجا وأرماني وديور وشانيل؛ فلم أجد أجملَ من رائحة مكتبة جامعة الملك سعود.

***

الدِّراسة التي تقول: إن رائحة الكتب القديمة أقربُ إلى الشوكولاته والقهوة غير دقيقة، أعرف هذه الرائحة جيّدًا؛ رائحةُ غُبار السنين بأنفاس الأيام.

***

إذا صحّ أن الشعور بالنقص مبدأ الكمال؛ فبماذا نعلّل بقاءنا في هذا الدَّرْك الأسفل من الشعور؟ وهل كان الناس ناسًا إلا حين كان لهم من أنفسهم وأيّامهم ما يمنحون به من الإنسانية للإنسان؛ أضعافًا لأضعافٍ ممّا يُعطي أهلُ البهيميّة من أنفسهم لأيّامهم؟ إني خائف!

فهـذا الاحتفـاءُ بالنزعـة الفردانية في الحضارة المعاصـرة؛ قد باعَدَ بين إنسان العصر الحاضر ونَفْسِه، حين ابتعد عن قِيَم التَّراحُم ومعاني الخيـر التـي كانت تحتفـي بها رُوح الجماعـة، وحوَّله إلى مسـخٍ كريهٍ مُشوّهِ الأشلاء حادِّ الرؤية الذاتية، ذي أَثَرةٍ مُنفِّرةٍ يحاول في يأسٍ راهقٍ أن يتفـوّق علـى ذاتـه المحطّمـة بتحطيـم ذوات الآخريـن، فـي صراعٍ موحـشٍ بلا رحمة، ويسـعى جاهدًا إلى تحصيل مـلاذّه الضيّقة وتوفير رغائبـه الماديّـة في قلـقٍ وجوديٍّ دائم، قلـقِ العيش بين هـذه الجموع الزاحفـة بلا وازع من عقلٍ ولا رادعٍ من ضميرٍ، يسـحق بعضُها بعضًا، وقلقِ الآمال المخنوقة من غدٍ قاتمٍ لا يعد بطمأنية الاسـتقرار، هو قلقٌ حضـاريٌّ وخَـواءٌ روحـيٌّ ممتـدّان فـي فـراغٍ طويـلٍ يائسٍ مـن المرايا المُهشَّـمة، يرى الإنسـانُ فيها نفسَه غريبًا عن نفسـه؛ دميمَ الخِلْقة قبيحَ الـروح، تفتـك به وحيـدًا صَرَخاتُ الذُّعْـر.. إني خائفٌ على الإنسـان ومنه، وكلّكم خائفون!

***

كلما حاولتُ أن أوقظ الكلمات في فتنة الحُسْـن؛ غَفَت اللغة على أهداب عينيك، أُعيد اختراع الأبجدية فتصمت الحروف خَجلى.

***

أنـا مـع (س) ولا أقرّه على أخطائـه، وأخالف (ص) ولا أنكر عليه صوابه.. لا يوجد أحد بلا تحيّز أو انتماء وإن زعم ذلك.

***

من حديث السَّفَر.. سـافرت الأيـام الماضية مع الزوجـة والأبناء، واسـتأجرت سـيارة لذلـك، وكنـت كلما اسـتأجرت سـيارة أرى لمبة

الوقود مضاءة، لا أدري كيف يقيس مستأجر السيارة المسافات بدقّة حتى يعيدها على هذه الحالة، ما ضرّه لو أبقى فيها شيئًا من الوقود لمن سيستأجرها بعده؟ ثم وافينا وقت الوصول إحدى الوحدات السكنية وقت خروج النزلاء، فكانت بعضها كالمزابل -أكرمكم الله- وما على مستأجريها لو نظّفوها قبل خروجهم عنها بدل أن يتركوها بهذه الحالة المُزْرِيَة من قلّة النظافة والعناية؟ فقررتُ مع الزوجة والأبناء بعد مغادرة الشقة الأولى أن ننظفها، وكنت قد اشتريت وردًا طبيعيًّا من ورد الطائف يباع في أكياس، فوضعناه في صحنٍ وسط الصالة، ثم قمنا بالفعل نفسه حين خرجنا من الشقة الثانية، تركناها كما نزلناها نظيفة، ووضعنا بعض المشروبات في الثلاجة لعمّال الخدمة أو القادمين الجدد، وعند رجوعنا وتسليم السيارة حرصت على تعبئة الوقود وسلّمتها وفي وقودها النِّصْف.. لستُ مبالغًا في مثاليّتي لكن هذا ما كان بصدق، تحية لي ولأسرتي الكريمة!

***

هل تؤيد تدريس الفلسفة بالمرحلة الثانوية؟

لا أؤيد ذلك لا نحتاج إليها على المستوى العامّ، لكن تدريس تاريخ الأفكار جيد.

***

لا تلتفتوا إلى من تُطاوله دروبُ الهداية فيسقط في وحلِ الشهواتِ ودنَسِ الشبهات، من ثَبَتَ نَبَت، وليس الشأن في البدايات وإنما بكمال النهايات.

***

يجلدوننا بسياط التخلّف والرجعيّة، حتى صار بعضنا يتوارى خجلًا من التصريح بفكرته، ألستم تقرّرون أن العقل الحرّ يجب ألا يُستلب للسائد الثقافي، أم هو عقلٌ حرٌّ مفصّلٌ لنقض سائدنا الثقافي فقط؟ هذا الفيلسوف اللاهوتي فردريك كوبلستون -أدقُّ من كتب عن تاريخ الفلسفة- يقرّر في بداية تاريخه: أن المسيحية هي الدين الحقّ! هل تريدني أن أخجل بعد ذلك من أن أقول: إن الدين الإسلامي بشرائعه هو الدين الحقّ؟ لن أخجل.

***

أَنْزَهُ نظام قضائي على وجه الأرض هو النظام القضائي الإسلامي لأنه شرع الله، هناك من يخلط بين مادَّة التشريع والأنظمة الإدارية التي تسيّرها.

***

إشراك المواطنين في إصدار الحكم القضائي هو نظامٌ ذو أصول وثنيّة.

***

إنّ النفس إذا ارتفعتْ شعرت بآلامٍ لا تشعر بها النفوسُ الوضيعة، ورأتْ مواطنَ للشرِّ لا تراها الضمائرُ العمياء.. عبّاس محمود العقّاد.

***

العُزْلة هي أن تكون بين الناس ولا تجد من ينصت إليك، وحيدًا بين ضجيج الآخرين، تريد أن تخبرهم بما لا يريدون معرفته ولا تقوى على كتمانه.

***

يُردِّد الناسُ حولك صوتَ السرور في أنفسهم كالكهوف الجائعة، لكنهم أحجارٌ صماءُ لا تُردِّد صمتَ الحزن في داخلك.

***

كتاب «صورة الآخر.. العربي ناظرًا ومنظورًا إليه»، صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩٩، بحوثٌ محرَّرة على غاية من الأهمية.

***

ممَّا طالعت كتاب «الرحالة العرب وانطباعاتهم عن المعارض الدولية» ١٨٥١–١٩٠٠، للأستاذ فهد الدبوس.

***

الإنسانُ هو الكائنُ الوحيدُ الذي يَمْدَح العُزْلة ويبحث عن الآخرين.. منقول بتصرّف.

***

ما بالُ حُزْنٍ واحدٍ يغلبُ أفراحًا كثيرة، وكيف للدَّمعة أن تذيقَ الجفنَ ما لا تتذكره الشفاهُ من الابتسامة؟

***

لماذا جعلتُ من نفسي الضعيفة الشمعةَ التي تحترق، لماذا لم أكن الرِّيحَ التي تطفئها؟

***

قيل كثيرٌ من الروائع في تشبيه العيون، وهناك كتابٌ مُفْرَدٌ عن أجمل ما قيل في العيون، لا يوجد في تشبيه العيون أجمل ولا أحلى من قول السيّاب:

عيناك غابتا نخيلٍ ساعةَ السَّحَر أو شُرْفتان راح ينأى عنهما القَمَر

تشبيهٌ عبقريٌّ عن عشرين ديوانًا، وأشكُّ أن يُوجَد مثلُه! أظن أن السيّاب كان يقصد بلدته «جيكور»، فوصفها بهذا الوصف الفاتن..

***

يُروى أن القائدَ النَّازِيَّ المُخيف غورينغ -الذي تُنسب إليه العبارة المشهورة: كلَّما سمعتُ كلمة «ثقافة» تحسّستُ مسدسي- يُروى أنه كان يحبُّ سماع النُّكَت ويطرب لها ولا سيما النُّكَت التي تقال عن الحزب النازيّ، ولكنَّ مَن حوله كانوا يخافونه فلا يوصلون إليه هذه النُّكَت، فاتفق مع سائقه على أن يجمعَ هذه النِّكات ويرويَها له مقابل مبلغ من المال عن كلّ نُكتة تعجبه، فاجتهد سائقه وجمع من أفواه الناس في الشارع أوجعَ النُّكت التي تهكّمت بالحزب النازيّ، وحين أخبره بها وسمع ما فيها من سُخرية مريرة لاذعة ضاق صدره وقال: ليضحكوا ما شاؤوا، هم لن ينسَوا على كلّ حال أنهم أعطونا تسعةً وتسعين في المئة من أصواتهم في الانتخابات الأخيرة.. فقال له السائق: سيّدي القائد؛ من الذي باعك هذه النُّكتة!

***

إذا شاءت الحياة أن تُخضع الحُبّ لمنطقها فلا بدّ من أمرين: إمّا أن يتحطّم الحبّ؛ أو يتحطّم نظام الحياة.. بتصرّف عن لوركا.

***

رُوح الدعابة المهذّبة تجعل الشخصية رقيقةً جميلةً متسامحة، والعرب إذا أرادت أن تذمّ إنسانًا قالت: هو عَبوس الوجه.. باعد الله بيننا وبين ثقلاء الروح.

***

قيل لبعض العلماء: المُزاح سُبّة؟ فقال: بل هو سُنَّة عند من يُحْسِنُه، وقال بعض العلماء: ينبغي أن يكون المُزاح بين الإخوان كالملح في الطعام.

***

من المُفارقات الطريفة؛ ما كتبه بعض النقاد الغربيين: من أن أكثر الكتب التي أُلّفت في تحليل الفكاهة تجلب المَلل!

***

كنتُ قد كتبتُ في لحظة يأس: ما بال هذه الدنيا قد استوت أشياؤها في نفسي فما عادت تُغريني خياراتها؟

***

نصٌّ تأمّلته طويلًا.. قال الأديب أمين نَخْلة، وآخر كتبه «أمثال الإنجيل»: كلّما قرأتُ القرآن قلت لنفسي: ويحكِ انجي فإنك على النَّصْرانية!

***

من الصَّعْب أن يَسْتَبِقَ الإنسانُ الحُكْمَ على طبيعته قبل أن يُمكَّن من منصب أو مال، رذائلنا تخاتلنا تحت أقنعة العَجْز قبل الوصول، وتأويل القناعات بعد التمكُّن.

***

حَمَام ياللي تزعج الصُّوت بِلْحُون نُوحِك طَرَب منتاب مثلي معنّى

عبدالله السلوم

***

سـأكتبُ تغريـداتٍ لا أتبنّـى معناهـا لعـدم معرفتي بحدودهـا التي تنتهي عنده، ولا الفاصل بين الخير والشرّ فيها، لكنّ فهمها ممّا يؤرِّقني فأحببتُ مشـاركتكم فيها.. طلب نزار قبّاني من ظافر القاسِـمِي أن يقرأ رواية «السَّـأَم» لألبرتو مورافيا؛ فقرأها ظافر القاسِمِي -ظافر القاسِمِي أسـتاذٌ كبيـرٌ وهو ابـن العلامة جمال الدين القاسِـمِيّ- وأجابه برسـالة طويلـة مـن معناها أنه قال له: حين كنتُ في دمشـق كنا في اجتماع فيه العلامة المستشرق الفرنسي الكبير هنري لاووست، وتحدّثنا عن أزمة قامت في فرنسـا بسـبب إعفاء الممثلـة بريجيت باردو مـن الضرائب، بسـبب تهديدها بالتوقُّـف عن التمثيل إن هم فرضـوا عليها الضرائب، ولأن أفلامها تزيد من الدخل القومي أعفوها من الضرائب..

يقـول ظافـر القاسـمي لنـزار قبّانـي: وقد سـألتُ المستشـرق هنري لاووست: هل رأيت أفلام بريجيت؟ فقال لاووست: رأيت أحد أفلامها إتمامًا لتربيتي الروحية! وقد جعل ظافر القاسمي من هذه المحادثة بينه وبين لاووست مدخلًا لشكر نزار على أن دلّه على أدبٍ حديث، تعرّف به إلى الحركة الأدبية المعاصرة وهو بعيد بقراءاته عن مثل هذا..

قلـتُ: وقـد وقفـتُ طويلًا أتأمَّـل قول لاووسـت: «إتمامًـا لتربيتي الروحيـة»، هل يجب على العالم أو طالب العلم أن يتعرّف إلى شـيءٍ مـن مثـل هـذا ممّا هو بعيد عنـه؛ ليكـون قريبًا من روح عصـره فتكون آراؤه وتصوّراته أدقَّ في أحكامها وأدعى لقبول الناس لها؟

***

يتابـع الشـابُ المسلسـلات فيـرى فتـاةً لعوبًـا جريئةً فيجعلهـا فتاة أحلامـه، ثـم يتـزوّج فتـاة حييّـة قليلـة الخبـرة فيُحبـط، هـذه النموذج لا تلك.

اسألوا بعضَ الأُمَّهات عن معاناة بناتِهنَّ في بداية الزواج من بعض الشباب هداه الله وبصَّره، يضع الفتاة تحت ضغط نفسي رهيب، يريدها أن تكون فاتنةً جذّابةً في كلّ حالاتها، خبيرةً بالماكياج والعطور، طباخةً ماهرة، ومتحدِّثةً بارعةً تشاركه أفكاره كواحد من أصدقائه في الاستراحة، وإن لم تكن كذلك قال: هذه ليست الفتاة التي في خيالي، فيُفسِد زواجَه ويحطّم قلب فتاة بتعجّل النتيجة لقلّة خبرته، وعدم معرفته بطبيعة الحياة العَمَلية وواقعيّتها بعيدًا عن خيالات الرومانسية في عالم الأفلام والمسلسلات، الحياة العَمَلية ليست أحلامًا مُجنِّحة ومقاطع منتقاة، الحياة بواقعيّتها تحتاج إلى فهم وصبر ومطامنة لسقف الخيال، هكذا تسير تجارِب الحياة وتثمر شيئًا فشيئًا مع الحكمة والمُطاولة والاستشارة، ثم انظر إلى نفسك يا أخي، ريحتك كنّها ريحة خيشة رزّ وتستحي البنت تقولّك، طفران والسيارة تقسيط وحالتك حالة، اصبر ولا تستعجل يا دي كابريو!

***

نُقّاد الحداثة ودارسوها يقرّرون أن تيّار الحداثة قد انتهى في الغرب بعد الحرب العالمية الثانية، ليبدأ تيّار ما بعد الحداثة، وبعض مثقّفينا أرادنا أن نعيش في بداية نهضتنا الثقافية؛ تيّارًا ثقافيًا كانت الثقافة الغربية نفسها قد تجاوزته.

كانوا يصوّرون لنا أن تيّار الحداثة هو ما يعيشه الغرب في واقعه الثقافيّ، في حين أن سِجالنا كان عن واقع الغرب الثقافي قبل أربعين سنة.

***

كانت الثقافة عندنا نُخْبَوِيَّةً تحتكرها فئة من الأكاديميين رمَّزتها وسائل الإعلام، وبعد انفتاح قنوات التواصل ضَعُفَ دور هذه النُّخَب بعد أن انكشفت هشاشتها.

***

إذا شئتَ أن تَضُرَّ إنسانًا فلا تذمّه؛ بل بالغ في مدحه.. أندريه سيغفريد.

***

الجاهل لا تقطعه الحُجّة لأنه لا يعرف أنها حُجّة!

***

ليس لي اهتمام بالرياضة ولا بالسفر ولا باللقاءات، حياة جافّة.. ليتني عوّدت نفسي على الفرح بهذه الأشياء.

***

ضَحِكَ عليَّ الأدباء والمُفكِّرون: «تعلَّم أن تكون وحيدًا»! لا تصدّقوهم واخرجوا للحياة وخالطوا الناس، هؤلاء لم ينسجموا مع الحياة فجعلوا كآبتهم فلسفة.

***

المدرسة السَّلفيّة السعودية شُوِّهت وهي من أعظم مدارس العلم في العصر الحاضر، جرِّب أن تجهر بالمخالفة عند مدارس أخرى في محاضِنها وسترى الفرق.

***

نحـن هنـا فـي تويتر نقتـرب في بُعـدٍ كسـاكني الزنانيـن، يتحادثون خلف جدرانها أكثرَ يومهم ولا يكاد يعرف بعضُهم بعضًا.

***

يقول: منذ ستين سنة، وعندما كنت في السابعة من عمري؛ تأمَّلْتُ الظُّهـور المنحنية في دروب قريتي البائسـة فقـررت ألا أنحني للأيام.. ما الخطأ في العبارة؟

الخطأ في العبارة، ويقع فيه كثير من كُتاب السِّيَر الذاتية والروايات كمـا ذكر بعض النقّاد؛ أن الكاتب يُسـقط تجاربـه الفكرية على الرجل الـذي كان صبيًّا؛ فيلبسـه تجاربـه وخبراته وثقافته، وهكـذا أيضًا حين يقوم الكاتب بإنطاق شخوصٍ بسطاء بأفكار عميقة لا تناسبهم فيفشل في تصوير الشخصية.

***

العرب تستحسـن السـواد من المرأة في عينيها وشـعرها وشـفتيها، ومَن في شـفتها سواد هي حوّاء ولعساء ولمياء، وكان النساء يستعملن الديرمان ليكنَّ لمياوات!

***

لا أنصـح بقـراءة كتب الفلسـفة البحتة إلا لمتخصِّـص، لكن قراءة كتب تاريخ الأفكار مفيدة ومُمَهِّدة لذلك، مثل «تاريخ الفكر الأوروبي» لسترومبرج.. وغيره.

***

كتاب الحملة الفرنسـية «وصف مصر» من أغلى الكتب في العالم

وأتقنهـا، كنـت أطالع نسـخة أصليـة منه فتمزّقـت صفحة منـه بالخطأ فهربت.[1]

***

نشـر أحدُ المشـايخ الفضلاء تغريدة عن جون ستيوارت مِل وكتابه عن الحُريّة، ودخلتُ إلى الردود على التغريدة أقرأ التعليقات، فتعجّبت مـن جـرأة بعض الشـباب علـى النقد، والدخـول في مثل هـذا النقاش المعرفـي وهـو لا يكاد يعرف شـيئًا عـن الموضوع الـذي يتحدث عنه ويسـتدرك عليه، أخطـاء علمية فاضحة، وثقافة ضعيفـة تنمّ على قراءة ضحلـة، ثـم تجـد صاحبها يسـاجل -واثقًـا- في أعقـد المصطلحات الفكرية، المعرفة خطرة حين يستخدمها من لا يُحسنها.

«الليبراليّـة» مصطلح شـديد التعقيـد، وتعريفاتها متشـعبة متداخلة تُتعـب الباحـث في الوقـوف على تعريـف دقيق لها، وقد مـرّ مفهومها بعدّة مراحـل تاريخية مهّدت البروتسـتانتية لظهورها، وصاغتها نظرية القانـون الطبيعـي التـي أنتجـت الليبراليـة الاقتصاديـة، ونظريـة العَقد الاجتماعـي التي أنتجت الليبرالية السياسـية، ولهـا تاريخ علمي ممتدٌّ من أواخر القرن السـابع عشـر؛ مع جون لوك ثم فلاسـفة عصر التنوير ولا سيّما مونتسكيو وفولتير وجان جاك روسو، ثم جون ستيوارت مِل إلى النقد المتأخر له مع برتراند راسل وكارل بوبر..

وعلى الجانب الآخر هناك آدم سـميث ومالتوس إلى كينز، وهناك الليبراليـة الرأسـمالية، والليبراليـة الاشـتراكية، والليبراليـة العلمانيـة، والليبرالية القوميـة.. وهناك الليبرالية المُطْلَقة ثم المنظمة ثم الليبرالية

(١) احترقت نسخة منه بالكامل خلال حريق المجمع العلمي المصري عام ٢٠١١.

الجديـدة ليبراليـة اليميـن.. تاريخ طويـل، ومصطلح متشـعّب، ونتاج فلسفي وافر، ومراحل تاريخية تزيح المفهوم..

ليست المعرفة بهذه السهولة التي يتصورها البعض، ولا سيما حين يتحـدث بثقـة غريبة عن هذه الموضوعات ورصيدُه معلومة تلقّفها من مقالة هنا وتغريدة هناك لا تنشئ وعيًا، ولا تصوّرًا صحيحًا.

الوصول إلى المعلومة سـهل، وليس كذلك الوصول إلى المعرفة، **هنـاك مَسـافةٌ بيـن المعلومة والمعرفة؛ كالمسـافة بين السُّـنبلة ورغيفِ الخُبْز..**

***

«فايننجر» من الكُتاب أعداء المرأة، انتحر سنة ١٩٠٣ فكتب بعض المفكرين: إن فايننجر بانتحاره كان مخلصًا لفكرته لأن من كره المرأة فقد رفض الحياة!

***

ممّا قرأتُه في تعريف «الغبيّ»: إن الشخص الغبيّ؛ هو الذي يسبّب ضررًا لنفسه أو لغيره دون الحصول على مكاسبَ تعادل هذا الضّرر.

***

تَقسَّـمَ النّـاسُ دنياهُـم وفتنَتها **وقـد تفـرَّدَ مَـن يهـوى بدنيـاهُ**
مدلَّـهٌ فيـكِ مـا فجـرٌ ونجمتُـهُ **مولَّـهٌ فيـكِ مـا قيـسٌ وليـلاهُ**

بدويُّ الجَبَل

***

الدكتور القِبْطيُّ الفِرْعُونيُّ وسـيم السِّيسي، أستاذ جراحة المسالك البولية وكاتب الفرعونيات المضحكة:

لا أنكر أن له بعض الكتابات المنصفة ولكن -ما أوجع هذه اللاكن!- لم يكن هذا الدكتور متحضِّرًا ولا رقيقًا ولا منصفًا ولا عالمًا؛ وهو يكذّب حقائق القرآن بشأن موسى وفرعون واليهود بخرافاته الفرعونية، ولا وهو يقرّر أن مكة والكعبة فرعونيّتان، ولا وهو يفتري على حقائق التاريخ فيشتم صلاح الدين الأيوبي وينبزه بالأعرج -وهو الطبيب- ويخوض في جهله عن مصر زمن صلاح الدين، ولا وهو يصف بلدنا بدعم الطائفية -ومعهم السلفية والوهابية- في أحداث ماسبيرو بإنشائية باردة ويختمها بأدبه المتحضّر الرقيق «حِلّوا عنا»، ولا وهو يعبّر عنا «برياح الوهابية المتخلّفة»؛ وهو الذي يزعم -هو أستاذ جراحة المسالك- أن السيدة العذراء أجرت عملية جراحية لإحدى مريضاته واستأصلت ورمًا سرطانيًا منها بعد أن يئس من حالتها، وأن توم وجيري اكتشاف فرعونيّ! أيها المتلقي الكريم؛ لا تنخدع بثقافة قنوات التواصل وانتقائية الصورة.

***

يستفزُّني كلّ من يدفعه حقدُه الحضاريّ؛ على وصف بلدي وأهله بالهوامش الجغرافية والأطراف المُعتمة، وهو قد امتلأ فمه الواسع من خيراتنا.

***

فصل الإنسان للقيم التي ينادي بها عن ممارسته العملية؛ يكشف عن ضعفٍ بإيمانه بهذه القيم، ويُضعف القدوة السلوكية المؤثرة في أنفس الآخرين.

ولذلـك كـن صريحًا مع نفسـك ومجتمعـك، لا تدّع قيمًـا لا تَثبُت أخلاقُـك لممارسـتها العملية، لأن شـجاعتك في الاعتـراف بضعفك أرفع خُلقًا من الادعاء الكاذب.

***

الناقـد هـو عيـن القـارئ، وهو القـارئ للقـارئ، وهو الذي تسـبق سـاعتُه سـاعةَ القـارئ بخمـس دقائـق كما قـال الناقد الفرنسـي الكبير سـانت بوف. ومـع كلّ حركة ثقافيـة تُنتج مبدعيها كانـت هذه الحركة الثقافيـة تُنتـج نقّادها أيضًا، ولكننا اليـوم ما عدنا نرى نقّادًا يقرأون هذه النصـوص الإبداعية، تحليلًا وتقويمًا ودلالة على مكامن القوة وأوجه القصـور في العمـل الإبداعي، فضَعُـف الإبداع لغيـاب دور الناقد في حياتنا الثقافية المعاصرة.

لقـد أعلـن رولان بارت قبل سـنوات «موت المؤلِّـف»؛ فهل نحن اليـوم في زمن «موت الناقد» الذي يَنتج عنه بالضرورة «موت النصّ»! وإذا مـات المؤلِّـف والنّاقد والنـصّ، ما الذي يتبقّـى.. على أن رولان بارت لا يقصد بموت المؤلِّف هذا المعنى القريب.

***

تتحايل الشـركات العالمية على إنسان العصر الحاضر «بالماركة»؛ لتبيعـه مرتبـة اجتماعيـة موهومة لا سـلعة، كما تحايلت عليـه من قبل عندمـا باعتـه الفكرَ الوُجوديَّ في ثيـابٍ رثّة مُهلهلة فـي عصر الهيبز.. «أنا أسـتهلك إذن أنـا موجود» كما قال ماركيوز في إنسـان العصر ذي البعد الواحد.

***

بدأت صرعة الموضة في عصرنا الحاضر؛ مع أوّل وَغْدٍ استطاع أن يقنع أوّل مُغَفَّلٍ بأنه سيكون جميلًا جدًّا حين يرتدي كلّ هذا القبح.

***

الأرواح التي عرفت الألم تكون أكثرَ قُدْرَةً على فهم آلام الآخرين.

***

هناك كتب سهلة جميلة؛ مثل بعض كتب خالد محمد خالد، وقصص مصطفى محمود، وكتب المنفلوطي، وروايات نجيب الكيلاني.

***

الحكايات الخيالية تصبح بطريق التكرار على مدى زمن طويل حقيقة، ولا بدّ من تكرار الحقائق بالطريقة نفسها مرّاتٍ ومرّاتٍ كي تحل محلّ الحكايات الخيالية.

***

عندما تقرأ كتابًا رديئًا فأنتَ لم تخسر، لقد ربحتَ التجربة المعرفية التي دلّتك على أنّ في الكتب الجيّد والرديء.

***

المعرفة القليلة شيءٌ خطير؛ اشرب بعمقٍ أو لا تشرب على الإطلاق.. ألكسندر بوب.

***

إذا طرحتَ رأيًا للتصويت فاقبل النتيجة أو لا تحرج نفسك بطرحه، ديموقراطية الرأي الواحد، وتدمير الديموقراطية بأدوات الديموقراطية عبث بحرية الرأي.

***

أبو البركات المُبارك بن أحمد المعروف بابن الـمُستَوفي الإربِلِيّ ت ٦٣٧، مؤلف «تاريخ إربل» و «النظام» وغيرهما من أجلّ العلماء في زمنه، نشأ في بيت رئاسة وعلم، وكان كريمًا متواضعًا حسنَ الأخلاق.. قرأتُ في ترجمته نادرة غريبة؛ وهي أنه ولي الوزارة في إربل -هي أربيل اليوم- ثم انتقل حكم إربل إلى الخلافة العبّاسية فعرضوا عليه الاستمرار في الوزارة؛ فاعتذر لتقدّمه في السنّ! وهذه سابقة عجيبة..

***

قال لي واحد نصيحة غيّرت فيّ كثيرًا يقول: إذا جتك الضحكة وساعة الأنس لا تفوّتها، انبسط وترى يمدي على الهموم.

***

دافعتُ عن الكتاب الورقيّ في بداية ظهور الكتاب الإلكتروني وسخروا مني، المجد للكتاب الورقيّ.

***

تحدّث ديباك شوبرا عن أثر الوعي والوعي المنقبض على حالتنا النفسية واختياراتنا.. وأثر الحالة النفسية على الإنسان قد قطّعه علماء النفس بحثًا وكتابة فلا جديد، وأثر الوعي على اختياراتنا هو ما كرّرتُه

كثيرًا بمنهج علمي أوضح من مصطلح «الوعي» القاصر هنا وأدقّ في المقاربة العلمية، وهو تأسيس نظرية للمعرفة -نظرية المعرفة يسمّيها كارل بوبر نظرية النظريات- تنتظم بأدواتها الفكرية تصوّراتنا وتحمينا من الوقوع في مغالطة الانتقائية..

على العموم؛ هذا الاحتفاء بكتّاب النزعات الروحية في الغرب -ولا سيّما من كانوا من ذوي الأصول الهندية وللهند تاريخها الروحي- ناتج عن الخواء الروحي الموحش الذي يعيشه كثير منهم، نعم قد يكون هذا التفسير تقليديًا مستهلكًا عند بعض القرّاء؛ إلا أني لا أجد تفسيرًا صادقًا أكثر حداثة حتى أفسّر به هذه الحالة..

اقرأوا الجزء العاشر من «فتاوى» شيخ الإسلام ابن تيمية، الجزء الخاص بالسُّلوك وهو أضخم أجزاء الفتاوى، اقرأوه حتى يتبيّن لكم كيف تُؤسس المعرفة الروحية بهدي من نور الوحي.

شوبرا لا ينفي الإله صراحة، لكنه يقول بأن كل واحد منا إله، وهذا نفي للإله وهو وحدة الوجود المعروفة في التراث الوثني الهندي. وهو من أكبر المحاربين لطب المستشفيات الحديث، ويرى أن زيارة المستشفى كزيارة السجن! ولو قال بهذا أحد المشايخ هنا لشهّرت به كثير من الأقلام، وأعود على تأسيس النظرية المعرفية التي تحمي التصور من مغالطة الانتقائية التي تجعل ردّة الفعل تختلف على الممارسة نفسها قبولًا أو ردًّا، وما أفهمه من هذا أنه عندما يستخدم من أوافقه في التوجّه طريقة غير صحيحة -في التصويت مثلًا- يجب أن أنقده ولا أقبل بطريقته، وحين ينتقد من أخالفه في توجّهه خطابًا دعويًا ساذجًا يجب أن أوافقه، هذا مثال فقط.. حماية تصوّراتي في سعيي نحو الحقيقة بأدوات المعرفة هو الصحيح.

وهذا الذي أذكره قد قرّره شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، فهو يملك نظرية في المعرفة أذهلت من كتبوا عنه، إلا أن مشكلة ما كتبه فيها قد جاء متفرّقًا في كتاباته إذ لم يكن -رحمه الله- ذا تأليف صناعي، فهي تحتاج إلى جهد في فهمها واستخراجها، وجهد آخر في ربطها بالمصطلح الفكري.

***

علينا أن نتوقف عن فكرة تغيير العالم، وأن نبدأ بتغيير أنفسنا والعالم سيتغير معنا.

***

سين سؤال: ما الفرق بين التخلّف والتأخر؟

يرى فؤاد زكريا: أن التأخر سمة للمجتمع الذي لم يكن يومًا في المقدمة، أما التخلف فهو سمة المجتمع الذي كان يومًا في المقدمة ثم تباطأ مسيره أو توقّف.

***

سين سؤال: عندما تقول حدّثتني نفسي؛ فمَن المتحدّث ومَن المستمع؟!

***

أجيد صياغة الأسئلة لكني لا أعرف الإجابات!

***

التنمية الحضارية لا تكون بأساليب متخلّفة، ستكون النتيجة كارثية؛ لأننا سنعيش في الوهم الحضاري ونحن نزداد تخلُّفًا.

***

قـرأتُ؛ أن الفـرق بيـن المدرسـة والحيـاة: أننا في المدرسـة نتعلم الدرس ثم نختبر، وأما الحياة فهي تختبرنا ثم تعلمنا الدرس.. دروس الحياة أقسى وأنفع.

***

رأيُ الإنسانِ من طبيعته، فلا تستشر أصحابَ الطبائع الخسيسة.

***

الصداقة ميثاق شرف إنساني لا يُمنح لكلّ أحد.

***

أحب أسلوب طه حسين، واستفادتي من العقاد أكثر.

***

يكثـر عنـد القرّاء التقريرُ بأنّ العبرة في القراءة بالكيف وليس الكمّ، والحقيقة أن العبرة بهذين معًا.

***

أصـاب الفلاسـفةَ يـأسٌ من واقـع الإنسـان فهربوا إلـى الكتابة عن «مدينـة فاضلة» يتخيّلونها، ثم اختلفوا فيمـا بينهم وتعاركوا على صفة هذه المدينة!

***

الليل نهارُ الأديب.. حُنَينُ بن إسحاق.

***

هـذا المعنى الذي أكثر منه الكتّـاب؛ هو تنويع على عبارة إيمانويل كانط: لن أقول إلا الحقّ؛ غير أني لن أقول كلّ الحقّ.

***

يقول شاعر قديم في تشبيه زهر البنفسج الأزرق:

كأنهـا فوق قامـاتٍ ضعفـن بها أوائـلُ النار في أطـراف كبريتِ

احتفـى النقاد القدماء بهذا الوصف وفتنوا بـه، وأكثروا من إيراد هذا البيت في مؤلّفاتهم، ومن النقاد المعاصرين من رأى ضعفَ هذا التشبيه.

***

قـرأتُ أن الشـاعر الكبيـر ذا الرُّمَّـة كان يقول: إذا قلـت «كأنه» ولـم أكمل فقطع الله لسـاني! وذلك لتمكّنه من التشـبيه وسـرعة خاطره في الوقوع عليه.

***

كأن مثـار النقـع فـوق رؤوسـنا وأسـيافنا ليـل تهـاوى كواكبـه

هذا البيت من التشـبيهات الجميلة عند العرب، وهو لبشـار بن بُرد وقـد ولد أكمـه! ورأيت من يخطئ في قراءته مَثار = مُثار، وأسـيافُنا = وأسيافَنا.

***

كأسًا من الخمر لو تُسقى الشُّمُوس بها

ترنّحـت ومشـى التاريـخ سـكرانا

هـذا البيت جميل جدًّا.. وكان شـيخنا العلامة أبو عبدالرحمن ابن عقيـل مأخـوذًا بـه.. إلا أن رواياتـه تختلف: كأسًـا من الشـعر، تُسـقى النجوم.

***

عندما كنت في المتوسطة؛ كان لنا جار أمريكي طيّب يدرّس في الجامعة، وكنا نلعب الكرة في الشارع حافين متّسخين في منظر لا يسرّ، رأيته يركب السيارة مع زوجته، فاعتصرتُ ذهني وأخرجت شكسبير الذي بداخلي فاقتربت منه وقلت له:

Are you a teacher at the university?

فسُرّ كثيرًا بالسؤال وفرحت زوجته، وقال لي كلامًا فهمت منه أنه يسألني أين تعلّمت الإنجليزية! شكرته وانسحبت سريعًا حتى أحافظ على نقاء الصورة. طبعًا كان بين كلّ كلمة إنجليزية قلتها والتي بعدها كثير من الشهيق والزفير.. فيما بعد؛ سألت صديقًا يجيد اللغة الإنجليزية عن صحة عبارتي فقال لي: إن تعبيرك ب at the بدلًا من in the كان موفّقًا، هكذا قال لي صديقي الذي يجيد اللغة الإنجليزية.

***

يقول فيكتور هيجو: ليس الجميلُ أقلَّ غَناءً من المفيد.

***

قرأتُ: إذا كنتَ ستعادي كلّ من لا يوافقك الرأي؛ فعليك أن تعاديَ نفسك أولًا، لأنك ما تزال تغيّر آراءك في كلّ مرحلة من مراحل حياتك.

***

هناك أناسٌ عبيدٌ لحرّيتهم! فانديريم.

***

ليس هناك شيءٌ اسمه «أدبٌ إسلاميٌّ»، هناك أدبٌ عربيٌّ فيه الجيّد والرديء.. خدعوا المتلقّي بهذا الوصف ليخفوا ضعفهم الفنيّ.

لـي تغريـدات قديمة عن هـذا الموضوع أنكرتُ فيهـا هذا الوصف «الأدبُ الإسـلاميُّ»، وذكـرت جنايتـه على أدبنا وتراثنـا.. وهوجمت حينها.

***

بُولـس سـلامة أديـبٌ وشـاعرٌ لبنانـيٌّ كانـت حياته مـلأى بالآلام، أصيـب بلفحة هواء في جنبه فأمضى بعدها أزيد من أربعين سـنة شـبه طريح في الفراش، أجرى خلالها خمسًـا وعشـرين عمليّة! لكنه عاش عصاميًّـا مبدعًا على الرغم من آلامـه وتنكُّر كثير من أصدقائه ومعارفه له، كتب عن نفسه ثلاث سير ذاتية، من أجملها «مذكِّرات جريح».

***

رابِعـة العَدَويَّـة شـخصية حقيقيـة، لكـن نُسـجت حولهـا بعـض الحكايـات المكذوبة.. ولابن الجوزي كتـاب عن رابعةَ العَدَويَّة، وقد سَمَّى ابنته رابعة وهي أمّ سِبْطه يوسف.

***

هناك أشياءُ في واقع الحياة أقسى من أن تستوعبها مشاعر الإنسان، صدق من قال: الحياة لا تُفهم، الحياة تُعاش.

***

مـا سـرُّ تميُّـز أهـل الدوادمي الكـرام في الفنـون التشـكيلية وعمل المجسَّمات الجمالية؟

***

صنع أحد المؤلفين ببليوغرافيا لكلّ ما صدر من الروايات في الدول العربية إلى سنة ٢٠٠٨م وبلغ عددها ٥٧٢٩ رواية، وقد يكون فاته بعض الروايات.. أعتقد أن مئة رواية منها أو أقلّ تستحق القراءة، والباقي إلى مدفأة الشتاء!

***

بين الحُزن واللامبالاة، سأختار الحزن.. بيجوفيتش.

***

كتاب «جواهر الأدب» للهاشمي، جيد ومنوّع.

***

الضيقة اللي دايمًا تالي عْصِير وش حيلتي واردّها لا تجيني
يعني على ما قيل من باب تصوير لاحدٍ أبي قُربه ولا احدٍ يبيني

محمد بن فطيس

***

أكبر معنىً كان يسعى إليه فلاسفة عصر التنوير: هو تجاوز البُعد الديني للحياة، وبناءُ مملكة الإنسان بعيدًا عن سُلطة الربّ.. هذا هو التنوير المتطرّف.

***

بعض الكُتّاب يُضمِّن الحرّية معنىً يؤمن به ثم يجبرك على اعتناقه ويحاكمك في ضوئه، مَن الذي منحك هذا الحقَّ أيها الجاهل بالحُرّيات والأفكار.

***

الليل، والعيون التي كنتُ أسارقها النظرات بين الناس، وتلك الشفاه التي لا يفهم حديثَها إلا شفتاي والفراشات؛ هو ما يُبقي عليّ!

***

يقول أحد العلماء: إذا تعارض السّلوكُ مع المعتقَد؛ فإنه ينتج عن ذلك صراع رهيب مدمّر للنفس الإنسانية، ولا يسع الإنسانَ في هذه الحالة إلا أحدُ أمرين حتى يرتاح: إمّا أن يُعيد تكييف سلوكه مع مُعتقده، أو أن يكيّف مُعتقدَه ليوافق سلوكَه..

بهذا تفهم لمَ يتدرّج من تبنّي بعض الآراء الطارئة عليه؛ في محاولة تكييف مُعتقَده القديم ليوافق سلوكه الجديد.. حيلة نفسية تحيّلها لِتُنجيَه من وخز الضمير، والله أعلم بسرائر النفوس.

***

كلّنا نقع في الذنوب ونقارف المعاصي، ومن الجهل الشماتة بمن تلبّس بشيءٍ منها ونحن لا ننفكّ عنها.. لكن ما السبيل المُثلى لمن وقع في هذه السلوكيات التي تخالف معتقده، هل هو التحيّل على شرع الله وتكييف معتقده حتى يوافق سلوكه؛ لراحةٍ نفسيةٍ موهومةٍ بعدها ما بعدها؟ أعتقد أن على من تلبّس بشيءٍ من هذه المعاصي -وكلّنا كذلك- أن يحاول جاهدًا أحد أمرين:

أن يَنْزِعَ عن هذا الذنب سريعًا ما استطاع قبل أن تبتعد به أمواجُ نفسه عن شاطئها فتصبح طريق العودة طويلة شاقّة، فإن لم يستطع فعليه أن يجاهد نفسه ولا يستسلم لها ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾، وأن ينطرح على عَتَبات ربّه يستعتبه ويتحنّن إليه، ويسأله الستر والعفو والمغفرة، وهذا ممّا يريح النفس ويجعلها أقرب إلى

رضى ربّها وعَونه «أبوءُ لك بنعمتك عليَّ وأبوءُ بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفـر الذنوبَ إلا أنت»، اللهم وفّقنا إلـى وضع الأمور مواضِعَها وكن لنا في أمورنا كلّها.

***

كان من أوائل كتب السـيرة الذاتيـة التي قرأتها «الاعترافات» لجان جـاك روسّـو، وهي ممّا حبّب إلـيّ القراءة في هذا الفـنّ الجميل، وقد هزّتني عدّة كلمات لهذا الرومانسي الإنساني المتسكّع، ما زال بعضها يتردّد صداه في نفسي لم أنسها قطّ..

ومن هذه الكلمات؛ كلمة لا أدري هل فيها محظور شـرعي أم لا، حقيقة لا أدري؟ إلا أني أستشـعر عمقها وأعلم أن السـياق الذي قيلت فيـه ليس سـيّئًا، وقد وقفـت عندها أتأملها طويلًا ومـا زلت، ويعلم الله أني لا أقصد بها إسقاطًا على أحد، إنما أحببت مناقشتكم هذه الكلمة وهـل هـي جيّدة خاليـة من المحظـور الشـرعي، فليت من عنـده علم يبيّن.. يقول روسّـو: قد يُسـائل الإنسان: لمَ ياربّ خلقتني أضعفَ من أن أخرج من الهاوية؟ فيجيبه: خلقتك أضعفَ من أن تخرج منها لأني قد خلقتك أقوى من أن تقع فيها!

والفكرة التي يقصدها هي: أن الله سبحانه قد خلق الإنسان وأعطاه حرية الاختيار والإرادة، فإذا ضعف وتردّى في هاوية الإثم ولم يستطع الخـروج؛ فليس له أن يتسـخّط الأقـدار ويحتجّ بضعفـه، لأنه قد فرّط ابتداءً في قوّته بحريّة الاختيار والإرادة.. هكذا فهمت أو قريبًا من هذا المعنى.

***

يقول حسين سرحان رحمه الله:

عشتُ حتى رأيتُ كلَّ حِمارٍ راكبًا في وغى الحياة حِصانا

***

هل تتكرّمون بإكمال هذا الجملة بكلماتٍ قليلة: ينبغي للمُبدع..

كلمة جون كيتس: عبقرية الشعر لا تنضج بالقانون والمبدأ، بل بالإحساس واليقظة «ينبغي للمُبدع أن يُبْدِعَ نَفْسَه».

***

أبذكر لكم هالقصّة، تعرفون الشابّ اللي يجي وجهه أبيض وسميّن شويّ وعوارض لحيته إلى نصف خدّه ما بعد اكتملت، تلقاهم الآن في بعض الكليات الشرعية، ويجون حريصين وجيّدين في الدراسة.. هذا أنا عام ١٤٠٩ وكنت موصّل الوالد للمطار بعد صلاة الفجر، ولمحت على اليسار غرفة جاهزة لواحدٍ يبيع بلاط وفوقها أريل تلفزيون على شكل صَليب، قلت هيّن والله لأوصّل الوالد وأرجع له، وصّلت الوالد ورجعت ووقفت عند الغرفة وهي مغلقة ومكيّفها شغال، طرقت الباب وما ردّ أحد، ثم طرقته بأقوى من المرة الأولى وفجأة انفتح الباب ولا واحدٍ مغطي الباب من كُبره، شعره منتفش وعيونه حُمُر من النوم، قال: نعم، قلت أبد الله يسلمك الأريل على شكل صَليب قال: نعم، قلت: لا خلاص.. قال وش تبي أنت: قلت: الأريل اللي فوق الغرفة على شكل صَليب ما يجوز ... ههمه، كمّلوا الباقي وسلامتكم.

***

لا توجد سوى طريقة واحدة لفهم الناس: وهي ألا نتعجّل الحكم عليهم، وأن نتركهم يفسِّرون أنفسهم ويوضِّحونها لتتكَشَّف معالمها في نفوسنا.. سانت بيف.

***

هناك كلمة للمثقَّف والناقد الفرنسي الكبير سانت بيف، وهي غير مُسْتَهْلَكة المعنى لدى الكُتّاب.. «أملك عدة إطارات من السعادة، لكني لا أملك لوحة واحدة أضعها فيها».. عن سانت بيف بتصرّف.

***

الاتجاهاتُ الحادَّةُ في الحياة واستغراقُها للنَّفْس صفة سلبية في أي مجال، ترتيبُ أولويّات الحياة، والتوازنُ النفسيُّ من أهم الصِّفات في تكوين الشخصية السَّويَّة.

***

إذا أراد الإنسان أن يكتب بأسلوبٍ واضح فعليه أن يكون واضحًا في أفكاره، وإذا أراد أن يكتب بأسلوبٍ نبيل فعليه أولًا أن يكون نبيلَ النَّفْس.. جيته.

***

ما يدفع المُبدع إلى الكتابة؛ هو رغبته في التخلّص من التوتّر ومن عبء مشاعره، إنه يحتاج إلى البَوْح بما في نفسه كما يحتاج الطِّفْلُ إلى البكاء.

***

قامـوس الحماقة.. هناك مؤلّفان فرنسيّان ألّفـا كتابًا طريفَ الفكرة وأسـمياه «قامـوس الحماقة»، وهـو لم يُترجم فيما أعلـم لكن طالعتُ نصوصًـا مترجمـة منـه، وموضوعـه: إيـراد الكلمات التـي قالها بعض الكُتّـاب الحمقى عن كثير من الأعلام والمشـاهير الكبار حين نشـروا أوائـل أعمالهم، وكيف كانت كلمـات هؤلاء الكُتّاب مُحْبِطةً مُضْحِكَةً قاصِـرة؛ في حكمهـم على هؤلاء الذين أصبحوا مـن كبار الأعلام في تاريـخ الأدب والعلم فيما بعد.. كبَلزاك، وبودلير، وفلوبير، ومارسـيل بروسـت، وتولسـتوي، وأينشـتاين.. وغيرهم، وهذا يجعل ذا الموهبة الصادقـة يتجـاوز هـذه التفاهات التـي تَعْلَـق بحذائه في دربـه الطويل الشاقّ في رحلته نحو تحقيق ذاته وإبداعه، يقول أحد أساتذة الجامعات -قبل تسـعين سنة- عن أينشـتاين: «عندما نتعمّق في نقدٍ جادٍّ نكتشف بسـهولة هشاشـة هـذا البنـاء، فهـو ليـس سـوى تزييـفٍ فاحـشٍ للعلم وتكديسٍ غريبٍ من أفكار خاطئة وخرافات ميتافيزيقية... إن أينشتاين لا يملك ثقافة رياضية كافية.. ماذا سيبقى من نظرية أينشتاين»!

من الذي يعرف هذا الكاتب اليوم لو لم يُذكر في قاموس الحماقة؟

***

لكلّ إنسانٍ طبيعتُه؛ فاجعل حياتَك موافقةً لطبيعتك لا لطبائع الناس.

***

الغموض في أسـلوب الكتابة له أسـباب كثيرة، سأوجزها في ثلاثة أسباب ممّا قرأت في ذلك:

١. ضعف صنعة الكتابة عند الكاتب بسـبب قِلَّةِ قراءته والفقرِ في محصولـه اللغـوي، وعـدمِ إجهادِه نَفْسَـه في ممارسـة الكتابة ممارسة فنيّة.

٢. غموض الفكرة في عقل الكاتب وضبابيّتها، ممّا يصعب معه الكتابة عنها ببيانٍ سهلٍ واضح.

٣. تعمُّد الغموض والتعقيد في أسلوب الكتابة، وهذا يمارسه -مع الأسف- بعض النقّاد ودارسي الفلسفة، وذلك لتحطيم قدرة القارئ على الفهم والاستعلاء عليه وإشعاره بالدونيّة الثقافية، لاستلابه وإبهاره بما يقرأ دون قُدْرةٍ منه على محاكمة القيمة للنصّ المقروء.

إضافة: هناك سبب مهم لا أريد تجاوزه، وهو امتلاك لغة حضارية بثقافتها ومعجمها؛ ثم كتابة الأفكار بلغة أخرى يكون امتلاك الكاتب لها أقلَّ من امتلاكه للغة الأولى، واللغة ليست ألفاظًا نتكلّم بها أو نكتبها وحسب، بل هي منهجٌ ونظامُ تفكير، فحين يفكّر الكاتب باللغة الفرنسية مثلًا وهو يمتلكها، ثم يعمد إلى الكتابة باللغة العربية وامتلاكُه لها دون امتلاك الأولى؛ يحدث اختلاف بين نظام اللغة المفكَّر بها والمكتوبة، فتجيء الكتابة ذات أفكار غامضة شوهاء ممزّقة النظام اللغوي، وهذا تجده واضحًا في بعض كتابات المغاربة ذوي الثقافة الفرانكفونية.

***

قرأت في كتاب عن نابليون بونابرت: أنه كان إذا أراد أن يعيِّن قائدًا عسكريًّا سأل عن حظّه؛ هل سبق أن نجا من مأزقٍ بأعجوبة وهل تكرّر ذلك له!

***

الحقيقة أن هناك أناسًا يحالفهم الحظُّ لأسباب نجهلها، في آخر

صفحة من السيرة الذاتية للأستاذ أحمد أمين «حياتي» كلام مؤثر عميق عن هذا المعنى:

كلام أحمد أمين المُشار إليه:

لقد بدأت في شبابي أرسم حياتي المستقبلة من خيالي، وأرسم المثل العليا لي في خلقي ومسلكي وإصلاحي، ثم اصطدمْت هذه المثل بالواقع، وبالبيئة التي حولي، وبالصعاب التي صادفتني، وبكثير من الناس أخلفوا ظني، كل هذا وأمثاله كان يأكل من البنيان الذي بنيته للمثل الأعلى الذي وضعته، لقد حاولت أن أقف أمام هذه التيارات ولكني لم أستطع أن أثبت في مركزي، فجرفني التيار معه قليلًا أو كثيرًا، ومن أجل هذا كنت في شبابي خيرًا منّي في شيخوختي، وفي أول عهدي أكثر تفاؤلًا مني في آخر عهدي. لكم تمسكت في شبابي بالمبدأ وإن ضرني، واستقلت من عمل يدر علي الربح لأني رأيته يمس كرامتي، وبنيت آمالًا واسعة على ما أستطيعه من إصلاح وما أحقق من أعمال، ثم رأيت كثيرًا من هذه الآمال يتبخر، وما أنوي من أعمال يتعثر، وها أنذا في شيخوختي قد أقبلُ ما كنت أرفض، وقد أتنازل عن بعض المبادئ التي كنت ألتزم؛ فالوسط وأحاديث الناس وكثرة الأولاد وتوالي العقبات وضعف الإرادة بطول الزمان قد تضطر الإنسان إلى التنازل عن بعض مثله العليا، ويعجبني قول من قال:

عصيت هوى نفسي صغيرًا وعندما
رماني زماني بالمشيب وبالكبر
أطعت الهوى، عكس القضية، ليتني
ولدت كبيرًا ثم عدت إلى الصغر

ومع هذا فإني أحمد الله إذ من علي بالتوفيق في أكثر ما زاولت من أعمال: فيما ألفت من كتب وفي عملي بلجنة التأليف وفي الجامعة الشعبية وفي الجامعة المصرية وفي الجامعة العربية وفي عمادة كلية الآداب؛ كذلك كان الشأن في حياتي العملية والأدبية والمالية والعائلية: نِعم من الله لا أستطيع أن أقوم بالشكر عليها. وهي ظاهرة يصعب تعليلها العقلي، أو تفسيرها بالتحليل الاجتماعي والنفسي. فكم رأيت من أناس كانوا أذكى مني وأمتن خُلُقًا وأقوى عزيمة، وكانت كل الدلائل تدل على أنهم سينجحون في أعمالهم إذا مارسوها، ثم باءوا بالخيبة ومنوا بالإخفاق، ولا تعليل لها إلا أن (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم).

***

سين سؤال: لمَ قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ .. ولم يقل: الذي باركنا فيه؟

لمَ وصف الله -سبحانه- رسولَه الكريم عليه الصلاة والسلام بالعبودية في هذا المقام، ولمَ قال «ليلًا» مع أن «أسرى» تفيد ذلك فالسُّرى لا يكون إلا في الليل... في الغالب الأعمّ ستجد جواب مثل هذه الدقائق واللطائف في التفسير العظيم تفسير «التحرير والتنوير» للعلامة الطاهر ابن عاشور.

تفسير «التحرير والتنوير» ليس سهل العبارة والمعنى، وكتب

التفسير طبقات؛ فيها الميسّر كتفسير ابن سعدي، والمتوسط كابن كثير، والعالي كالتحرير.

***

ورد في القرآن الكريم ذكرُ ستة ألوان ٣٣ مرة: الأبيض ١١ مرة، والأسود ٧ مرات، والأخضر ٨ مرات، والأصفر ٥ مرات، والأحمر والأزرق مرة واحدة.

أصول الألوان ثلاثة: الأحمر والأزرق والأصفر، وكلّ ما تراه من الألوان هو من مزج هذه الألوان الثلاثة أو درجاتها، ولا وجود فيزيائيًّا للألوان؛ بمعنى أنك إذا أغلقت عينيك فلا وجود للألوان من حولك وإنما هي موجات، لا وجود للألوان إلا إذا وقعت عليها العين في الضوء.

العرب قد تُسمّي الأخضر أسود، والأزرق أبيض.

***

العرب -أعني عربَ الجاهلية- لم يرد في شِعرهم وكلامهم ذكرٌ إلا لستة ألوان وهي: الأبيض والأسود والأخضر والأزرق والأحمر والأصفر، وهي الألوان التي ذكرت في القرآن الكريم، ولم يمرَّ بي ذكرُ لونٍ آخر في كلامهم غير هذه، ولعلّ من عنده فضل علمٍ في هذا يفيدنا، والعرب لا تشتق أفعلَ التفضيل من الألوان؛ فلا تقول: هذا أبيض من هذا وهذا أسود من هذا، وإنما تقول: هذا أشدُّ بياضًا من هذا، وهذا أشدُّ سوادًا من هذا، هذا على الغالب..

ومفرد اللون ممنوع من الصرف، وكم رأيت هنا من يخطئ فيه فيقول: رأيت رجلًا أبيضًا وشاهدت بيتًا أسودًا؛ وهي: رأيت رجلًا

أبيضَ وشاهدت بيتًا أسودَ. هذا موضوع لطيف ولولا تأخر الوقت لبسطت فيه الكلام، ودمتم سالمين!

***

مشاهير السوشيال ميديا.. تمكّنتْ قوّة ثقافة الصورة في وسائل التواصل الإعلاميّ؛ من إيجاد نموذجٍ عقليٍّ جديدٍ سريعِ التأثر والاستجابة، دون النظر إلى محتوى القيمة في هذه الوسائل، وبذلك تحوّلت وسائل التواصل الإعلاميّ إلى آلاتٍ رديئةٍ لتفريخ المشاهير وللتصنيع الجماهيري المُعلَّب، وأصبحت ثقافة مجتمعنا تخدعها ثقافة الصورة، ويستميلها تكرارُ الحضور الإعلاميّ لشخصيّاتٍ لا تمتلك من مقوّمات الريادة الاجتماعية إلا الشهرة المجرّدة، والشهرة ليست قيمة في ذاتها إلا في عقول البسطاء من الناس والسّذّج من المتلقّين..

ضعف دور الراسخين من أهل العلم، وخَفَتَ حضور ذوي الثقافة الأصيلة، وحلَّ محلّهم كثيرٌ من جهلة الوعّاظ، ومهرّجي المقاطع، وأنصاف المثقّفين وأرباعهم.. وصارت الساحة الإعلامية بيئة حاضنة لكلّ ضحلِ الثقافة، تافهِ المعرفة، رديء القدوة؛ من متسوّرٍ على العلم، ومتعهّدِ دعايات، ومخربشِ مدوّنات..

لست ألومهم على هذا التصدّر الـمُخجل؛ وإنما ألوم ثقافتنا التي سمحت لأمثال هؤلاء بأن يكونوا رموزًا حين غيّبنا الرموز.

***

للمهتمّين: ما أقدم سيرة ذاتية في التراث العربيّ وصلت إلينا؟

سأتحدث عن السير الذاتية في التراث مع شيءٍ من الفوائد.. لعلّ

من أقدم من تحدث عن نفسه في مؤلَّف هو: الحارث المحاسبي ت ٢٤٣، وهو حديث يسير في كتابه الذي نشره محقّقه باسم «الوصايا» وليس سيرة ذاتية، حديثٌ عن بحثه عن الحقّ بين الفِرَق والناس، ومن تأمّله وجد أثره على ما كتبه أبو حامد الغزالي ت ٥٠٥ في سيرته الذاتية الفكريّة «المنقذ من الضَّلال»، والغزالي كثير الاستفادة من كتب المحاسبي ولا سيما في «الإحياء» استفاد كثيرًا من كتاب «الرّعاية» للمحاسبي، ثم هناك حُنَين بن إسحاق الطبيب المترجم المعروف ت ٢٦٠، وهو نصرانيٌّ عربيٌّ من بني العِباد وكان بنو العِباد على أطراف الشام فخالط بعضهم الروم وتنصّر، يقول الشاعر:

يسقيكها من بني العِباد رشًا مُنتسِبٌ عيده إلى الأحد

وكان حنين بن إسحق طبيبًا كبيرًا يجيد العربية والفارسية واليونانية والسريانية، احتقره أستاذه في صغره وطرده لكثرة أسئلته فبكى وأقسم أن يواصل العلم؛ فلمّا نبغ استدعاه أستاذه وتأسف منه! وهو من أكبر أطباء العيون المتقدّمين في تاريخ هذا العلم، وله كتاب عن هذا الطبّ يعدّ من الفرائد نشره المستشرق ماكس مايرهوف -لهذا المستشرق حياةٌ وجهودٌ يستحقّان القراءة- وقد حُسد حنين بن إسحق لتميّزه وقربه من أرباب الدولة فَوُشيَ به وعاش أيّامًا عصيبة، كتب على إثرها رسالةً يذكر فيها حاله وما أصابه، وهذه الرسالة من أوائل ما بلغنا ممّا يشبه السيرة الذاتية، أوردها أو أورد شيئًا منها؛ ابنُ أبي أُصَيْبِعة في كتابه الحافل «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، وهذا الكتاب الذي حوى كنوزًا مفقودةً من ذخائر التراث لم يُحَقّق تحقيقًا يليق به إلى اليوم.

ثم أملى ابنُ سينا «توفي نحو ٤٢٧» سيرتَه الذاتية على تلميذه أبي

عبيد الجوزجاني وتوقّف فأكملها تلميذه، ولا أعلم أن هذه السيرة وصلتنا مفردةً، وإنما وصلنا منها ما رواه ابن أبي أصيبعة في كتابه «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» في ترجمة ابن سينا.. وهناك ذكرٌ لسيرة ذاتية متقدّمة كتبها ابنُ الدّاية ت ٣٤٠، وهي مفقودةٌ مع الأسف، وابن الدّاية هذا مؤرخ للدولة الطولونية وأديبٌ عالم، نشر له العلامة محمود شاكر رسالتَه الجميلة «المكافأة وحسن العُقبى» وهي من أوائل ما نشره محمود شاكر.

وكان رَهْنُ المَحبِسَيْن -أو رَهْنُ ثلاثةِ المحابِس إذ كان يقول:

أراني في الثلاثة من سجوني -كان رَهْنُ المَحبِسين أبو العلاء المعريّ لا يأكل اللحم، وله في ذلك رأيٌ يمتُّ به إلى فلسفةٍ هنديةٍ قديمةٍ، وأكثر أكله إنما هو الدّبْس والبطّيخ، فهو من أوائل النباتيين في تاريخنا وقد قال في ذلك قصيدةً مشهورةً:

غدوتَ مريضَ الدِّينِ والعقلِ فالقني لتعلمَ أنباءَ الأمورِ الصحائحِ

يحذّر فيها من أكل اللحم، فبلغت الأبياتُ داعيَ الدعاة الفاطميَّ المؤيّد ت نحو ٤٧٠، فجرتْ بينه وبين أبي العلاء مناظراتٌ مكتوبةٌ تعدّ في أروع ما بلغنا من مثل هذه الحوارات نقلها ياقوتٌ الحمويُّ في «معجم الأدباء»، وطبعت مستقلّة، ولا أدري هل استلّت من «معجم الأدباء» أم حقّقت على نسخ..

داعي الدعاة المؤيّد هذا؛ هو -فيما أعلم- أوّل من كتب سيرةً ذاتيةً مفردةً وصلت إلينا، نشرها محمد كامل حسين وقدّم لها طه حسين، ومن عجب أن هذه السيرة الذاتية غير معروفة لدى كثيرٍ من القراء والباحثين..

ثم كتب الأمير عبدالله آخر ملوك بني زيري في غَرناطة «ت ٤٨٣» مذكراته «التبيان» نشرها المستشرق بروفنسال، وتعَقّب تحقيقَه الدكتور طه الحاجري في بحث منشور.. وألّف الحافظ الدقّاق ت ٥١٦ «رسالةً في وصف حاله...» نشرها صديقنا البحاثة الدكتور عبدالرحمن قائد، ولعلّ هذه الرسالة هي أقدم ما بلغنا من سيرةٍ ذاتيةٍ مفردةٍ لعالم من علماء الحديث..

ثم كتب الشاعر الكبير عُمارة اليمنيّ ت ٥٦٩ كثيرًا من أخباره وسيرته في مذكراته «النكت العصرية»، وهي مطبوعة وفيها فوائد، وعمارة هذا شاعر مبدع ذو سيرةٍ حافلة، اتّصل بالدولة الفاطمية في آخر عهدها فأكرمه القائمون عليها، فلما سقطت ساءت حاله بذهاب دولتهم وقال في رثائها قصيدةً من عيون القصائد:

رميتَ يا دهر كفَّ المجد بالشَّلل وجيدَه بعد حسن الحلي بالعَطَل

تآمر على قتل صلاح الدين الأيوبي ثأرًا للدولة الفاطمية مع بعض معارفه فانكشف أمرهم وقتلوا، ولم يكن يقول بمذهب الفاطميين لكنه أحبّهم لإحسانهم إليه والله أعلم بحاله، وهو صاحب البيت المشهور المجهول القائل:

حَلَفَ الزمانُ ليأتيَن بمثله حنثت يمينك يا زمانُ فكفّرِ

قاله في مدح شاوَر السَّعدي أحدِ وزراء الفاطميين.. ثمّ أقبل الفارس الضّرغام الشاعر المؤلف المُعمّر الأمير أسامة ابن مُنقذ، يتهادى في حُلّةٍ على ظهر جواده منحدرًا من قصره في قلعة شَيْزر يجوس بِرُمْحِه خلال الغابات؛ فقد كان من جملة هواياته صيد الأسود! ومادرى أن زلزالًا مدمّرًا سيضرب هذه القلعة بعد سنواتٍ فيموت فيها

أهلـه جميعهم على بكرة أبيهم لـم ينج منهم إلا زوجة أخيه! فلله هذه الدنيا.. كتب أسـامة ابن منقذ ت ٥٨٤ سـيرته الذاتيـة «الاعتبار» وهي مطبوعة وهي في نظري أجمل وأمثل سيرةٍ ذاتيةٍ في تراثنا العربيّ كلّه.. بقيـتْ في كأسـي ثأوةٌ من حـروف، لكني أطلتُ فأستميحكم العذر.. ودمتم في خير حال.

***

دوكنـز رَمَّم نظرية داروين لمّا فضحتْها الكشـوف العلمية الحديثة، فزعم أن التطور في الجين وليس النوع، هذه مراوغة تجريبية.

***

لمـا تأمَّلـتُ حال كثيـر من الملحديـن؛ وجـدتُ أن الإلحاد مرض نفسي قبل أن يكون شبهة فكرية.

***

إلحـاد هوكنج، وأسـوأ منـه بكثير إلحاد ريتشـارد دوكنز أثّـر كثيرًا، ولست أدفع أن الإلحاد في العصر الحاضر بات أعتى من قبل.

***

لعل قول الرافعي في نيتشه يشرح ما هنا: نيتشه رجلٌ تركته الإنسانية مجنونًا فأراد أن يتركها مجنونة.

***

يقال إنه كان رجلٌ يجلب الثلج ويبيعه في سوق بغداد، وكان ينادي عليـه ويقـول: ارحمـوا مـن رأس مالـه يضيـع! نحـن مثله فـي بضاعة لا تثبت، فسترك اللهمّ.

***

الاستيقاظ مبكرًا عادة حسنة، لكنه يورثك عادةً سيئة: عادة إيقاظ الآخرين!

***

نسيتُ لعينيك كلَّ حكمة لشيوخ القبيلة، وكَذَّبْتُ دروس التاريخ..

فقدتُ ذاكرتي فما عُدتُ أعرف إلا عينيك، وشيئًا أجمل من عينيك في عينيك.

***

كتاب «الأعلام» بَسملة الباحث.. والزِّرِكْلِيُّ ذواقة تراجِم يأخذ عُيونَ الترجمة من مظانِّها ثم يودعها كتابه فإذا هي مبصرة.. قلت كلمتي هذه للطناحي فابتسم لها.

***

في ديوان الزركلي قصيدة يشكو فيها من أذى الصيف في مدينة جُدَّة.

يُلقَّب الزِّرِكْلِيُّ بشاعر النَّيْربين وهو من كبار شعراء العرب لو أراد ذلك، لكن صرفه تأليف «الأعلام» عن الشعر، ومن عيون قصائده:

العينُ بعد فِراقها الوَطنَا   لا ساكِنًا أَلِفت ولا سَكنَا

***

في «ظلام السجن» لمحمد علي الطاهر، و«مذكرات خالد العظم»، و«مشاهير شعراء العرب» لأحمد عبيد، مادة علمية عن الزِّرِكْلِي فاتت كثيرًا ممن كتب عنه.

***

كان يقال: من زار دمشق ولم يزر البارودي ما زار دمشق.. والمقصود الشاعر والوجيه والظريف السوري فخري البارودي. قيل فيه:

مـن شـاء منكـم أن يُعِـزَّ بـلاده   فليسـع سـعيَ مُعِزِّهـا البارودي

فخري البارودي هو صاحب الأبيات التي تعبت حتى اهتديت إلى معرفة قائلها:

بـلادُ العُـرْب أوطاني   مـن الشـام لبَغْـدانِ
ومـن نجـدٍ إلـى يمنٍ   إلـى مصـرِ فتَطْـوانِ

لفخري البارودي مذكرات جميلة طبعت قديمًا، ثم أعيد طبعها في جزأين مع زيادات.

***

أنا إسـلاميٌّ سَـلَفيٌّ لكن تهزني تلـك التضحيات التـي كان يقدِّمها القوميون العرب، أين من مثل عصمت سيف الدولة؟

حقًّا: تَحَوَّلَ العربُ من ظاهرة صَوْتِيَّة، إلى ظاهرة صَمْتِيَّة.

***

كلُّ شـيءٍ قـد تغيـر.. لا أدري لـم يخيَّل إلـيَّ أننا ما عدنـا نحيا هذه الحياة الدنيا على ناموسها الأول الذي خلقها الله عليه.

***

الإنسان جاهل بالطَّبْع، عالم بالكَسْب.. ابن خَلدون.

ابن خَلدون: بفتح الخاء وليس بضمها كما يلفظه كثير من المثقفين.

ليـس في سلسـلة نسـب ابن خلدون جَدٌّ اسـمه خَلـدون، وإنما هو خالد وجرى لفظه على لغة قشتالية قديمة، كزيدون وحمدون وعبدون: وهي زيد وحمد وعبد.

ما أُلِّف عن ابن خلدون يُسمَّى: المكتبة الخلدونية لكثرته.

دراسات ساطع الحصري، وكتاب محمد عبدالله عنان، لا غنى عنهما لمن أراد الاطلاع على تراث ابن خلدون.

خلدون في ابن خلدون ممنوعة من الصرف: للعَلَميَّة وشبه العُجْمة، أفاده اليازجي في «جوف الفَرا».. وهو كتاب جيد في النحو.

للمستشرق الروسي كراتشكوفسكي نقدات عالية لمقدمة ابن خلدون في كتابه «تاريخ الأدب الجغرافي العربي».

لابن الأزرق وهو من أهل عصر ابن خلدون كتاب نفيس ناقش فيه ابن خلدون عنوانه «بدائع السِّلْك في طبائع الملك»، لم نهتم به لأن المستشرقين لم يفعلوا ذلك.

وقد طُبع كتاب «بدائع السلك» لابن الأزرق في جزأين بتحقيق علي سامي النشار، وأعادت الدار العربية للموسوعات نشره.

كان ابن خلدون يهوى المناصب كثيرًا، إذا تولى المنصب ساءت أخلاقه وتنكر لمن يعرف، فإذا عُزِل عادت له أخلاقه الحسنة! لله هذا الإنسان.

قال أحد الكتاب: إنما تفوق ابن خلدون على غيره من المؤرخين؛ لأن الواحد منهم يقول: قرأتُ وطالعتُ، وأما هو فيقول: سمعتُ وشاهدتُ.

أَلَّف ابن خلدون مقدمته بعد كتابة التاريخ، وليس قبله كما يظن بعض الباحثين، ولذلك كانت حوادث التاريخ حاضرة في ذهنه.

ترجم السَّخاوي لابن خلدون ترجمة باهتة، تدل على أن ابن خلدون قد سبق أهل عصره بمفاوز.

يُتّهم غوستاف لوبون بأنه سرق من مقدمة ابن خلدون في مقدمته عن الحضارات.

كان العلامـة المصلـح الكبيـر رحمـة الله الهنـدي يُـدرِّس مقدمـة ابن خلدون.

كَتَـبَ ابن خلدون مُقدِّمته في سـبعة أشـهر، معتـزلًا الناس في قلعة سلامة، وتقع اليوم في الحدود الجزائرية.

تَجَنَّـى ابـن خلدون على العرب بعض الشـيء، وليـس صحيحًا أنه يقصـد بالعـرب الأعراب دائمًا، وقـد رَدَّ عليه ناجي معـروف في كتابه «عروبة العلماء».

***

كان أحد المشـايخ في تلك الأيام يُسـمِّي شيخنا الجاسر: الخاسر، ثم تاب وأناب، وكتب يصفه بعلامة الجزيرة رحمه الله.

***

ليـس لـي أُنس بكتب مالك بن نبي، وعلي الـوردي من كبار علماء الاجتماع.

بينـي وبيـن فكـر مالك بن نبي نفـرة فلا أحب كتبـه.. والكلمة التي تنسـب لـه كثيـرًا «القابلية للاسـتعمار» ليـس هو أول من قـال بها، هي لفرانز فانون.

***

سـيصلح كل فاسـد، ويفسـد كل صالـح: إذا كان فـي البيـت رجل متقاعد.

***

زمنـي يـا أخـتَ هـوايَ عَجَـب　　　مَوْسِـم جـوعٍ وجِبـال ذهـب

الفيتوري

***

كتـاب «قراءة في دفتـر قديم.. من مجالس العلامة أبي فهر محمود محمـد شـاكر».. للدكتـور يعقـوب بـن يوسـف الغنيم، مكتبـة الأمل، الكويت ٢٠١١.

***

كتـاب «عصـارة فكـر وتجربـة حيـاة» وهو جمـع حافـل لمقالات العلامـة سـعيد الأفغانـي، أعدهـا للنشـر حسـن مـروة، ٨٤٨ ص، دار البشائر ١٤٣١.

***

سامِحْه؛ فهو يظن أن عادات قبيلته هي قوانين الطبيعة! برنارد شو.

***

كان لسـان الديـن ابـن الخطيب يأرق بالليل فلا يـكاد ينام، فصرف الليل للتأليف، والنهار للسياسة، فلقب بذي العُمُرَيْن.

***

لئـن كان غيري بالمُدامـة مولعًا فقد أولعت نفسي بشـايٍ مُعَطَّرِ
يغيب شـعورُ المرء في أكؤس الطِّلا ويصحو بكأس الشـاي عقلُ المُفَكِّرِ

النجفي

***

ذكـر ديورانـت فـي «قصـة الحضـارة»: أن الرومان كانـوا يفرضون ضريبةً على العُزّاب!

***

كان سارتر أيام شبابه يُدرِّسنا، يدخل الفصل في غثيان، يصمت طويلًا ويقلّب بصره فينا ويقول: كل هذه الوجوه وما من لمعة واحدة من ذكاء! ذكره أحد تلامذته.

***

حين أرى بعض الأكاديميين في فضائياتنا أتغنى بقول الشاعر:

لكنَّ قومي وإن كانوا دكاترةً ليسوا من العلم في شيءٍ وإن هانا

***

صدر قديمًا «البحر المتوسط»، للودفيج ترجمه عادل زعيتر، تحدث فيه عن حضارات البحر المتوسط، وترجم للبحر كما يترجم للعظماء من الرجال، رائع.

***

صدر قديمًا: سنة ١٩٣٤ كتاب الأمير العالم عمر طوسون «البعثات العلمية في عهد محمد علي»... فيه تحريرات وتراجم عالية لعلها لا توجد في غيره.

***

صدر قديمًا: كتاب «رحلة في عالم النور»، قصة تعليم المكفوفين، لإشبل روس ترجمه العالم الكفيف! الدكتور عبدالحميد يونس ١٩٦١، جدير بالقراءة.

***

لفؤاد زكريا كتاب «هربرت ماركيوز»، دار مصر للطباعة ١٩٨٠، في ١١٢ صفحة.. مهم في معرفة هذه الشخصية الفكرية.

***

كتـاب «العـادات السـبع» للمورمونـي الكـذاب سـتيفن كوفـي.. لا أنصـح بقراءتـه، أتمنـى علـى من يسـعى لتثقيف نفسـه ألا يغتر بهذا الارتزاق المعرفي.

أكثر ما يكتبه سـتيفن كوفي ويزعم فيه الإبدع والابتكار هو مسبوق إليه.. لكنه ماكر في محو آثاره.

كتـاب «العـادة الثامنة» لسـتيفن كوفـي أضخم من العادات السبع كلهـا! بمثـل هـذا التدويـر الثقافي وإعـادة الطَّرْق المعرفـي يتم العبث بالعقول.

***

من أمثل الكتب التي أُلِّفت عن الأمير شـكيب أرسـلان «أمير البيان شكيب أرسلان» لأحمد الشَّرَباصي، في مجلدين ١٩٦٣، كتاب حافل عن هذا العلامة الكبير.

***

كتـاب «الصداقـة والصديـق».. هـو مـن عيـون كتـب أبـي حيـان التوحيدي، لكنه من أقلها شهرة، في الصداقة والعتاب والثقة بالصديق ومحاسن الصفح وحب الإخوان.

***

كتاب «زكي مبارك بقلم زكي مبارك».. كتاب جميل اختارته كريمة ابنـة زكـي مبارك مما تحـدَّث به والدُها عن نفسـه فـي مقالاته.. صدر ١٩٨٨.

***

«معجم ما أُلِّفَ عن مكة عبر العصور» للدكتور عبدالعزيز السنيدي، يضم ما ألف عن مكة ومعالمها وأهلها في التاريخ والسياسة والاقتصاد والاجتماع.. مهم.

***

«صفحات من تاريخ مكة» للرحالة سنوك هورخرونيه، ترجمه علي عودة الشيوخ في جزأين صدر عن دارة الملك عبدالعزيز، غاية في النفاسة ولاسيما الجزء الثاني منه.

في الجزء الثاني من «صفحات من تاريخ مكة» للرحالة المذهل سنوك هورخرونيه دراسة تفصيلية رائعة للحالة الاجتماعية في مكة في نهاية القرن الثالث عشر.

***

«الشيخ عبدالعزيز الرشيد سيرة حياته» للدكتور يعقوب الحجي، مركز البحوث والدراسات الكويتية ١٩٩٣ في ٦٧٠ صفحة، كتاب جيد.

***

لبورخيس كتاب عنوانه «سبع ليال».. يحكي في مقالة منه قصة إصابته بالعمى وشعور الأعمى وما إليه، ويذكر فيه أن الأعمى لا يرى السواد كما هو شائع.

***

صدر قديمًا: كتاب «العشر مقالات في العين» المنسوب لحُنين بن إسحاق، أقدم كتاب في طب العيون أُلِّف على الطريقة العلمية، بعناية طبيب العيون د. مايرهوف ١٩٢٨.

***

صدر قديمًا: سنة ١٣٣٠ الجزء الأول من كتاب «أسرار الحماسة» للعلامة سيد علي المرصفي.

***

قال لي أحد كبار السن: كنا نقرأ في كتاب المطالعة في الابتدائية: لا تَرْمِ قِشْرَ المَوْز، ولم نكن رأينا الموز في تلك الأيام.

***

هنالك أمران تضر القراءة فيهما بالعقل: صفحات المُنَجِّمين، والتعاميم الحكومية.

***

إبراهيم بن سهل من أكبر شعراء الأندلس، كان يهوديًّا فقيرًا قبيحًا يجلس على باب المسجد يستمع للدرس ففاق أبناء المسلمين! ثم أسلم وتوفي شابًّا.

***

في «رفع الإصر»: كان إبراهيم بن الجراح راكبًا في موكب فيه جمع كثير من الناس، فبلغهم أنه عُزل، فتفرقوا أولًا فأوَّلًا إلى أن لم يبقَ معه أحد، فقال لغلامه: ما بال الناس؟ قال: بلغهم أنك عُزِلْتَ فقال: سبحان الله! ما كنا إلا في موكب ريح.

***

نيتشه هو الحضارة الغربية! بعبقريتها وتجديفها وتَمَرُّدها وجنونها وتأثيرها ومآلها.

***

نحن نعيب على الغرب إباحيَّتهم في عطلة نهاية الأسبوع، وننسى ما كانوا عليه من عمل جاد في الأيام الخمسة السابقة.

***

كان كالشمس يوزع الدفء والضياء في طريقه.. فيكتور هيجو.

***

رأيُ الشَّيْخ خيرٌ من مَشْهد الغُلام.. الجاحظ.

***

قولي يا رفيقتي الشمس: ألا تجدين أنه من الحماقة إعطاء يوم كهذا إلى ربِّ عمل؟ من قصيدة «الزمن الضائع» لجاك بريفير.

***

لماذا أبتلى أنا الإنسان بكل تلك الرِّقَّة، حتى إن لون الأشياء يكون قادرًا على إيلامي.. آدم سميث.

***

لأننا نتقن الصمت حَمَّلونا وزر النوايا.. غادة السمان.

بعض أهل اللغة يقول: إن نية تجمع على نيات لا نوايا.

***

قلتُ لأحد مُثقَّفي البوسنة: إن التاريخ الأوروبي تجاهل الأقليات المسلمة وهو يكتب تاريخ أوروبا، فقال لي: لا تنس أننا فعلنا معهم الشيء نفسه في الشرق!

***

الصغار لهم أحلام الكبار، والكبار لهم أهداف الصغار.

***

من جميل ما قرأت: أعداء المرأة اثنان: الزمن ونفسها.

***

طلبة العلم هم من أسوأ الناس في مواعيدهم: مدرسة المواعيد لم ينجح أحد.

***

فائدة في الإيراد على التعميم: قال تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ﴾، مع أنه من قوم الرسول عليه السلام من صَدَّقَ به، لكن قد يُخَرَّج الكلام على الغالب.

***

قرأت: أن الإنسان يتعلم الكلام في سنتين، ثم يحتاج إلى بقية عمره حتى يتعلم الصمت.

***

أرادني الناس على أن أعاشرهم بأخلاقهم فما أفلحوا، وأردت أن أعاشرهم بأخلاقي فما أفلحت.. محمد كرد علي.

***

الخطأ مرحلة من مراحل الصَّواب.. هيجل.

***

الإنسان ذو البعد الواحد هو الذي استغنى عن الحرية بوهم الحرية، كالعبد الذي يتوهم الحرية لأنه منحت له حرية اختيار سَيِّده!

***

وسِّعْ مداركك، ونَوِّع ثقافتك، حتى لا تتحول إلى إنسان ذي بعد واحد، كن رُباعيَّ الأبعاد.

***

يلاحظ دارسو الأقليات؛ أن هناك خصائص مشتركة بين أفرادها كالقلق والخوف من المستقبل والتحفُّظ من الشؤون العامة وحساسية تجاه الأغلبية. مصطفى الفقي.

***

«مذكرات الأمير عادل أرسلان»، تاريخية سياسية نفيسة، صدرت في أربعة أجزاء عن دار التقدم بتحقيق يوسف إيبش.

أظن أن الأمير عادل أرسلان هو القائل:

وقد يرحم ابنُ الغاب خائضَ رمله   فيحنو وما في الناس إن تبلُهم حاني

***

شكيب أرسلان من مفاخر العلماء العرب المتأخرين، ومآثره كثيرة.. لكني بعد قراءة عنه وله أتوقف في أمره من جهة معتقده فهو مُحيِّر.

من مزايا كتب الأمير شكيب أنه في أثناء تأليفه يترجم نصوصًا عالية من كتب غربية، فلا تجد هذه النصوص مترجمة إلا في كتبه.

***

قرأت: أن طبيعة الإنسان تبدأ في التحول حين تعلمه الحياة كيف يقسو.

***

مما أفاده أنستاس الكَرْمِلي أن الزَّبِيدي وإن كان متأخرًا عن ابن منظور وضَمَّنَ «تاجه» كثيرًا من مادة اللسان؛ إلا أنه لم يستوعب جميع مادته ففاته منها أشياء.

***

«لسان العرب» أدخل في صنعة المعجم من «تاج العروس» لكن فيه جفاف، وتاج العروس كسر حِدَّة مادته بما ذكره من أعلام ومواضع لكنه ابتعد بذلك عن صنعة المعجم.

***

مما استدركه العلامة مصطفى جواد على المعجمات: أنها أخَلَّت بذكر الألفاظ القرآنية عند إيراد موادها.. قلت: وقد قام الراغب في «المُفْرَدات» بِسَدِّ النقص.

***

أمثل نشرات «لسان العرب»: نشرة دار صادر وهي التي عليها المُعَوَّل عند كبار العلماء، ولهم عليها استدراكات فقد وقع فيها تحريف كثير.

***

كان شيخنا العلامة حمد الجاسر يسخر كثيرًا من الخرافات التي ساقها الفيروزآبادي في «قاموسه»، وذلك من نحو ما ذكره عن: القَمْلة الحَوْلِيَّة.

لم يستدرك أحد على المواضع الواردة في كتب اللغة كما استدرك شيخنا العلامة حمد الجاسر رحمه الله.

***

القاموس ليست لفظة مرادفة للفظة معجم فهي تعني الكثير من ماء البحر، لكن لشهرة «القاموس» للفيروزآبادي سُمِّي كل معجم بالقاموس.

كنت ناقشت شيخنا العلامة أبا عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري في تسمية كل معجم بالقاموس، فكان يرى صحة ذلك على العُرْف اللغوي.

العُرْفُ اللغوي لا يبيح لنا الخطأ في التصور اللغوي، لذا فتسمية كل معجم بالقاموس تسمية غير صحيحة.

***

«مقاييس اللغة» لابن فارس هذه تسميته، ولفظة «معجم» في عنوانه من تَصَرُّف محققه عبدالسلام هارون رحمه الله.

قال شيخنا أبو عبدالرحمن ابن عقيل -وهو من أبصر الناس بمقاييس اللغة-: أصول ابن فارس ليست أصولًا حقيقية وإنما هي معانٍ جامعة.

***

«لسان العرب» لابن منظور أجود معجمات اللغة العربية من جهة الصنعة، و«تاج العروس» أجمعها.

***

قال أحد الساخرين لأحد النبلاء: لماذا تكون لك هذه الميزات كلها وأنت لم تفعل شيئًا سوى أن تفضلت على العالم بميلادك؟

***

قـال الطبيـب الياباني صاحب «مذكرات هيروشـيما»: إن ما أصابنا عقوبة من الله على ما فعلناه في البلاد التي استعمرناها.

***

للجاحـظ قطـع فنية في كتابـه «البخلاء»، تُعَدُّ من إعجـاز القلم في تاريخ الأدب الإنساني.

***

حَسَـن السَّـنْدُوبي ممـن توافر على نشـر تـراث الجاحـظ، وله آثار علمية عالية.. تراجع اسمه فلا يكاد يذكر اليوم.

***

قَـلَّ أَنْ خَـدَمَ مُحَقِّقٌ تـراثَ عالِمٍ من العلماء، كما خَدَمَ عبدالسـلام هارون تراث الجاحظ.

هناك دراسـات مهداة إلى عبدالسـلام هارون مطبوعة في الكويت، هي من المصادر الجيدة عن هذا المحقق الكبير.

قامت بين شـيخنا العلامة حمد الجاسر وعبدالسلام هارون مُشادَّة علمية، فما عاد أحدهما يرتاح للآخر.

كان شـيخنا الجاسـر قـد اتَّهـم عبدالسـلام هـارون بالاسـتفادة من تحقيق للميمني دون أن يشير إلى ذلك، وقامت قيامة هارون، رحم الله الجميع.

سجال هارون والجاسر في «قطوف أدبية» لهارون ٥٤٤.

***

مـن العلمـاء -ومنهم عبدالسـلام هارون- من يذهب إلى أن اسـم كتاب الجاحظ هو: البيان والتبين، وليس: البيان والتبيين.

عبدالسلام هارون من كبار الأساتذة المحققين وهو تتفاوت تحقيقاته كغيره، أبدع في تحقيق البيان والحيوان، وأخفق في تحقيق «الكتاب» لسيبويه.

«رسائل الجاحظ» -وفيها بعض ما لا يليق- من أجمل الآثار في تراثنا الأدبي.

***

شارل بيلا من كبار المستشرقين الذين توافروا على درس الجاحظ، وله عنه كتاب حافل.

***

لأبي حيان التوحيدي كتاب مفقود في «تقريظ الجاحظ»، لكن ياقوتًا الحموي نقل عنه في «معجم الأدباء».

***

عاش الجاحظ طويلًا: وأكثر من ترجم له ذهب إلى أنه توفي عن مئة وخمس سنوات.

كتب الجاحظ تُعلم الأدب أولًا وثانيًا وثالثًا.

***

ليس يستغني طالب علم ولا أديب ولا مثقف عن التَّخَرُّج بكتب الجاحظ.

***

الجاحظ وأبو حيان التوحيدي والشدياق والمازني ومارون عبود: من كبار الكتاب الساخرين في تراثنا العربي.

الجاحظ معتزليٌّ جَلْد، وقد كان في زمن التَّحَمُّل والرواية وليس له فيها ما يذكر، وكان شيخنا بكر أبو زيد يسميه: صحفي الفتنة، لكنه أديب باذخ.

***

قام أحد الباحثين بعقد دراسة مقارنة بين الجاحظ وموليير –وهو من كبار الساخرين في الأدب الغربي– أبان فيها عن تفوُّق الجاحظ.

***

«رفائيل»، صحائف سن العشرين لشاعر الحب والجمال لامارتين، نقله إلى العربية: أحمد حسن الزيات لجنة التأليف ١٩٤٨.. ما عاد أحد يقرأ هذه الكتب اليوم.

***

ما زالت كلمة أحد مثقفي الهند تَرِنُّ في أذني: كان غاندي إنسانًا ناجحًا وسياسيًا فاشلًا.

***

حضرت الوفاةُ حكيمًا فجمع أبناءه وأعطاهم حزمة من الخشب وطلب منهم كسرها، فأخذها أحدهم وكسرها! فقال: يا أبنائي مادام هذا الثَّوْر معكم فلا خوف عليكم!

***

للعقَّاد في مقدمة كتابه «جُحا الضاحك المضحك»، تحليل للضحك دورانه على كلمة برجسون: لا ضحك إلا فيما هو إنساني.

***

ذكر كريم خان: أن شيت خَطَّاب أخبره أنه حضر في مصر سرادق عزاء الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد وكان شبه خال، وبجواره عزاء لفنان قد غَصَّ بالناس.

***

كتاب «إياك والزواج من كبيرة القدمين: النساء في أمثال الشعوب».. للباحثة الهولندية مينيكه شيبر كتاب ماتع.

مادة الكتاب جيدة، أمضت الباحثة سنوات في تأليفه، صدر مترجمًا عن دار الشروق ٢٠٠٨.

كثير من الثقافات ترى أن كبر قدمي المرأة من عيوب الجمال، ولذلك تضع بعض نساء شرق آسيا أرجلهن في قوالب لتصغيرها.

***

شياهٌ تُرجّي اخضرار الجَدوب لِتَسْمن للذئب لا للحياة

الشَّرنوبي

***

فخرجنا لِحَياةٍ ما بها غير تقبيل الأيادي بانحناء

رَوْحِيّة القِلّيني

***

الكلمة، الكلمة، عمل عظيم.. دوستويفسكي.

***

كائن يعتاد كل شيء: هذا في نظري أفضل وصف يوصف به الإنسان.. دوستويفسكي.

***

صدر قديمًا: «دوستويفسكي».. تحرير رينيه ويلك، بترجمة نجيب المانـع، المكتبـة العصريـة ١٩٦٧ مجموعـة أبحاث عاليـة في تحليل أدب دوستويفسكي.

قام سامي الدروبي بترجمة رائعة لمجموعة أعمال دوستويفسكي، وكان ذلك بإشارة من عبدالمعين الملُّوحي، لكنه ترجمها عن الفرنسية لا عن لغتها الروسية.

لزوجـة دوستويفسـكي الأخيرة كتاب نفيس عنـه، وهو مترجم إلى العربية.

دوستويفسكي مِمَّن فضح النفس الإنسانية وعراها.. من منا من لم يتمن موت والده؟ لفرويد «دوستويفسكي وجريمة قتل الأب».

وصل دوستويفسكي إلى مجاهل مخيفة في النفس الإنسانية قلّ أن شارفها كاتب.

آثار دوستويفسـكي مورد خصب لدارسي علم النفس، وذلك لدقة تصويره لأقصى الأعماق في مجاهل النفس الإنسانية.

شـخصية «راسـكولنيكوف» فـي «الجريمـة والعقـاب» مـن أشـهر الشخصيات الروائية، وصل دوستويفسكي في استبطانها حد الإعجاز.

رواية «الجريمة والعقاب» لدوستويفسـكي من أعظم الروايات في تاريخ هذا الفن، ويرشحها بعض النقاد ضمن أفضل عشر روايات في تاريخ الفن الروائي كله.

انتهى دوستويفسكي في روايته «الإخوة كارامازوف» إلى أن يكون أديبًا كاثوليكيًا بامتياز.

رواية دوستويفسكي «ذكريات من بيت الموتى» من أجمل وأدق ما كتب في أدب السجون، وفيها كثير من أحداث سيرته الشخصية.

أعظم عذاب يواجه السجين: أنه في السجن ليست له خصوصية.. دوستويفسكي.

في رواية دوستويفسكي عن السجن «ذكريات من بيت الموتى» تصوير دقيق رائع لنفسية المجرم، وهي مرجع لدارسي علم نفس الجريمة.

أمضى دوستويفسكي سنوات طويلة منفيًّا في سيبيريا، وعاش حياة شديدة البؤس، صارع فيها مرض الصَّرْع والفقر والحرمان والدائنين وتنكر الناس.

أصبح دوستويفسكي في آخر حياته من أكبر أعلام روسيا، وكانت الناس تقدسه، ألقى محاضرة عن الإنسان والخطيئة فأغمي فيها على بعض الشباب.

مدار تراث دوستويفسكي كله على تحليل النفس الإنسانية، وسبر نوازع الخير والشر فيها، والآلام التي تُخَلِّفُها هذه النوازع.

أصبحت النفس الإنسانية بعد دوستويفسكي شيئًا آخر غير ما كانت عليه قبله.

قال بعض النقاد: إنك وأنت تقرأ دوستويفسكي تغلق الكتاب وتقول: رَبَّاه هل الحياة مازالت كما تركتها؟ وذلك لشدة تأثيره.

***

المعاناة مُهَذِّب جيد للنفس الإنسانية إن أحسن استخدامه.. مي زيادة.

***

من الذي قال: الثورات يدبّرها الدهاة، وينفِّذها الشجعان، ثم يكسبها الجبناء.. من هلوسات أنيس زكي في «ثرثرة فوق النيل».[1]

***

ما من شيء تم تغييبه أكثر من مفهوم الحرية.. حنة أرندت.

***

البؤساء هم قوة الأرض.. من حنة أرندت.

***

إن المُتَسَوِّل لا يمكن أن يفهم أبدًا السبب الذي يجعل شخصًا آخر يركب عربة.. جون آدمز.

***

في سؤالات أبي حيان التوحيدي لمسكويه: لم كان الإنسان محتاجًا إلى تعلم العلم، ولا يحتاج إلى تعلم الجهل؟

في سؤالات أبي حيان التوحيدي لمسكويه: ما سبب ذم الناس البخل مع غلبة البخل عليهم، وما سبب مدحهم الجود مع قِلَّته فيهم؟

في سؤالات أبي حيان التوحيدي لمسكويه: لِمَ ذَمَّ الإنسان ما لم ينله، ولِمَ عادى الناس ما جهلوا، لمَ لَمْ يحبوه ويطلبوه ويفقهوه حتى تزول العداوة؟

في سؤالات أبي حيان التوحيدي لمسكويه: ما السبب في أن إحساس الإنسان بألم يعتريه أشدُّ من إحساسه بعافية تكون فيه؟

***

(١) وهي رواية لنجيب محفوظ.

كتاب «الهوامل والشوامل» من أمتع كتب التراث، وهي -الهوامل- أسئلة سألها أبوحيان، والشوامل هي إجابات مسكويه عنها. صدر عن لجنة التأليف والترجمة والنشر بتحقيق السيد أحمد صقر وأحمد أمين.. عبقرية أبي حيان في أسئلته.

***

إن المشكلة الكبرى في السياسة، والتي أقارنها بمشكلة تربيع الدائرة في الهندسة: هي كيفية إيجاد شكل للحكومة يضع القانون فوق الفرد.. روسو.

***

أواه يا عِراق.. يادجلة الخير يا أم البساتين. دجلة لا تجري بالماء ولكن بالشِّعْر.

***

لوليد الصراف في رثاء العراق:

إن مات منا امرؤ في الأرض ندفنه إن ماتت الأرض قل لي أين ندفنها

***

كانوا يقولون: مصر تكتب، ولبنان يطبع، والعراق يقرأ.

***

أقيم في العراق معرض للكتاب، افتُتح المعرض في الساعة الثامنة صباحًا، فلما وافى الظهر لم يكن في المعرض كتاب واحد.

***

منذ دخلت تويتر وأنا في جهد جهيد من المئة والأربعين حرفًا.. لا أستطيع أن أنسى أني عربي، خطابي النزعة، فضفاض العبارة، تويتر يسرق مني هويتي.

***

قال أحمد أمين: كنا إذا تناقشنا باللغة العربية اختلفنا، فإذا تناقشنا بالإنجليزية اتفقنا!

***

كبار مُفكِّري العصر كدي سوسير وريكور وستراوش وتشومسكي وإيكو: يذهبون إلى أن اللغة ليست ألفاظًا فقط، وإنما هي سلوك ثقافي وطريقة تفكير ومنهج حياة.

***

إن الأفكار تستمد قيمتها من قائليها.

***

دغدغة العواطف واستمالة الناس ليست من شأن أهل الفكر.

***

قال لي أحد أساتذتي ممن كان يحضر مجلس العقّاد: قال لنا العقّاد: كنت في الابتدائية أقرأ أوراق الجريدة التي يُلَفُّ بها الساندويتش.

***

لا يسعدني شيء في هذه الحياة كالتواصل مع أهل العلم والفضل.. هذا ما بقي من لذاذات الدنيا.

***

دخلت على شيخنا العلامة حمد الجاسر في آخر أيامه فقال لي موظف المكتبة على انفراد: ليتك تنصح الشيخ بترك ما هو فيه، الشيخ يؤلف وهو يُحتضَر.

كان شيخنا الجاسر رحمه الله يملك ذاكرة مذهلة لم تكد تتغير بتقدم السن.

كان شيخنا الجاسر رحمه الله عمليًّا بشكل لا يُصدَّق وله في ذلك طرائف تروى، ولذلك أنتج من الكتب ما تعجز عنه مجامع علمية.

***

قال الجاحظ: «إن الطبيعة إذا كان فيها قَبول فإن الكتب تشحذ وترهف».. كثرة القراءة لا تصنع من الإنسان أديبًا إن لم يكن يمتلك الموهبة.

***

إذا أردت أن تكون حياتك ثرية: فاقرأ تجارب من يختلف عنك، إذا كنتَ مُدرِّسًا فاقرأ مذكرات قبطان سفينة مثلًا، من يشبهك كثيرًا لا يضيف إليك كثيرًا.

***

كتاب «التأملات» لماركوس أوريليوس.. من عيون التراث الإنساني، بترجمة الدكتور عادل مصطفى، دار رؤية ٢٠١٠.

***

قُوَّة الشعور بالحقيقة: هذا في نظري من أمثل المعاني التي تميز عظماء المبادئ عن غيرهم من سائر الناس.

***

العلماء ينتفعون بالحقائق، والشعوب تحتاج إلى الأساطير.. غوستاف لوبون.

***

قُبض على الأديب البِشْري يتبوّل في الطريق وكانت مصر أيام الملكية تُغرم من يفعل هذا، فلما طلب العسكري اسمه لتسجيل القسيمة قال: سجلها باسم فاعل خير!

كان البشري في جماعة من الناس واستأذنهم ليذهب لدورة المياه وخلع عباءته فرسموا عليها صورة حمار، فلما عاد ورآها قال: مين اللي مسح وشه هنا؟

***

كان حافظ إبراهيم من كبار الأدباء الساخرين، وكان الناقد مارون عَبُّود يعجبه قول العقاد في رثائه:

أبكاءٌ وحافظٌ في مكانِ   تلك إحدى طَوارق الحدثانِ

***

عبدالعزيز البشري وحافظ إبراهيم والمازني وكامل الشناوي.. من كبار الأدباء الساخرين في مصر.

***

إنني ابنة شعب لا يقبل الضياع، واجبي مواصلة الدرب: درب أبي لمواجهة الأغيار الأعداء ولو كانوا كل العالم.. الشاعرة الصهيونية أنا بخرينو.

***

إن أعظم مزية تتصف بها أنظمتنا هو أنها غير منطقية.. شمبرلين.

***

تصفو الحياة لجاهلٍ أو غافلٍ عمّا مضى منها وما يُتوقّعُ
ولمن يُغالِط في الحقائق نفسَه فيسومُها طلبَ المحال فتطمعُ

المتنبي

***

يا ساهر البرق أيقظ راقد السَّمُرِ لعل بالجزع أعوانًا على السَّهرِ

المعري

البيت السابق من قصيدة جميلة ولشيخنا ابن عقيل الظاهري شرح ماتع لها.

***

هو عبء على الحياة ثقيل من يظن الحياة عبئًا ثقيلا

إيليا أبو ماضي

***

سر النّجاح ومكمن الظّفَر: أن يكون الإنسان ذا تفكير عملي يدفع به عن نفسه العجز.. يوازن بين طموحه وإمكاناته، ثم يعمل ما يستطيعه بما تهيأ له.

***

ما أشأم فصيلة: محبي الإنسانية، فبتأثيرهم تسن القوانين الخطرة في الغالب.. غوستاف لوبون.

***

بدأ الإنسان يصاب بأمراض الحضارة حين أصبح يفكر في رزق غده.. ديورانت.

***

قال جان جاك روسُّو: تُوفِّيت أمي بعد ولادتي، فكانت ولادتي أولى مصائب حياتي.

***

يقول طبيب صلاح الدين الأيوبي الموفق البغدادي في سيرته: لما توفي صلاح الدين وَجَدَ الناسُ عليه قريبًا مما كانوا يجدونه على الأنبياء..

***

القاعدة الذهبية في الفكر السياسي: أن السلطة المُطلقة مفسدة للطبيعة، قال ديورانت: وأول شروط الحرية تقييدها.

***

قرأت: أن أخطر لحظات النفس الإنسانية هي لحظة الانتصار.

***

قال معاوية لعمرو بن العاص: ما بلغ من عقلك؟ فقال: ما دخلت في أمر وأردت الخروج منه إلا خرجت، فقال معاوية: أنا ما دخلت في أمر وأردت الخروج منه!

***

حين أقلّب مجلة الرسالة: أتعجب مما آل إليه حال جيلنا.. صدود عن الأدب، وفتور في المواهب، وإفلاس من الملكات، لماذا انحدرنا؟

مجلة الرسالة كانت مجمعًا لكبار أدباء العربية في عصرنا، من طالعها أَلَمَّ بالحركة الثقافية ووقف على أمثل الأساليب الأدبية.. لا يُستغنى عن مطالعتها.

***

قرأت في كنّاش لأحد المغاربة: وتقول فلان «صديق عيني».. أي هو صديقي ما دمت أراه فإذا انصرف نسي ما بيني وبينه.. ما أكثر أصدقاء العين!

***

قال أبو العلاء المعري: ما طلبت العلم بعد العشرين؛ يعني أنه أدرك الكثير منه واستوفاه وهو دون العشرين، وفي هذا مبالغة فالمرء يتعلم ما امتدت به الحياة، لكنه كان من نوابغ الدنيا.

***

أسلم بعض الغربيين فلما سئل عن سبب إسلامه قال: قرأت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾.. فتساءلت، ماذا لو أسلم أبولهب؟ فعلمت أن القرآن إنما هو من عند الله.

***

أسلم قبطان سفينة فلما سئل عن سبب إسلامه قال: لما علمت أن محمدًا لم يركب البحر أيقنت أن هذا الوصف الدقيق لما يجري للسفينة في البحر من كلام الله.

***

كتاب «مسلمو أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية» للدكتور محمد السحيم، الكتاب رسالة دكتوراه.

***

قرأت: أن بعضَ الأمراض خيرٌ من بعض الأطباء!

***

فهم الإنسانية مجتمعة أيسر من فهم إنسان بعينه.. لاروشفوكو.

***

للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد تحليل جيد لانبهار العامة بالقوة على أي وجه كانت، وذلك في مقدمة كتابه «هتلر في الميزان».

***

للحافظ السيوطي كتاب عن الزلازل عنوانه: «كشف الصَّلْصَلَة عن وصف الزلزلة».. أسأل الله سبحانه أن يرحمنا برحمته.

***

قرأت: أن الابتكار يحتاج إلى تغيير في نمط التفكير، كلنا نثبت الورقة والقلم يتحرك، لكن حين ثبت أحدهم القلم وحرك الورقة اكتشف مقياس الزلازل.

***

كان المازني يسخر من طه حسين، يقول له: لافض فوك، وكانت قد سقطت بعض أسنانه!

***

صداقات العالم الافتراضي -ومنها تويتر- ستفقد الناشئة كثيرًا من مهارات المشافهة، هذه المهارات التي كان المجتمع التقليدي شديد الاحتفاء بها.

***

سيضعف النَّفَس القرائي كثيرًا بسبب التغريدات، ها هو النَّفَس القرائي بدأ يلهث من قراءة مقالة، فما بالك بكتاب؟

***

اللهم أنت الحيُّ القيومُ، مالك الذوائب والنواصي، وحافظ الدواني والقواصي، ومصرف الطوائع والعواصي.. إلهي.. من دعاء لأبي حيان.

أشكو إليك اللهم تلهُّفي على ما يفوتني من الدنيا، وانقيادي في طاعة الهوى، جاهلًا بِحقِّك ساهيًا عن واجبك، إلهي.. من دعاء لأبي حيان.

***

هناك من الدوريات العالية: المشرق ولغة العرب والمنار والرسالة والثقافة والهلال والأبحاث وتراث الإنسانية والعرب وعالم الكتب وعالم الفكر وفصول والمقتطف والمقتبس والزهراء والفتح والمورد.

كان شيخنا العلامة بكر أبو زيد -رحمه الله- شديد الثناء على الأعداد الأولى من مجلة مجمع اللغة بمصر.. وكان يكتب فيها الكبار كالعوامري والإسكندري.

***

في مجلة معهد المخطوطات، ومجلات المجامع العلمية: مادة ثرية غفل عنها كثير من الباحثين وطلبة الدراسات العليا اليوم.

لـو قام باحث بتتبع المقابلات التي نشـرت فـي كثير من الدوريات وفهرسها لكان له بذلك يَدٌ على العلم وأهله.

***

تُعَدُّ مجلة «العرب» لشيخنا العلامة حمد الجاسر من أقيم المجلات في العصر الحاضر، ومَن قَلَّبَها علم ما فيها من جهد وعمق وفائدة.

كان شيخنا العلامة الجاسر يكتب في بعض الأعداد من مجلة العرب أكثر من ستة موضوعات، بعضها باسمه وبعضها ينشر هكذا بلا اسم.

***

كان ألبيـر أديـب فـي آخـر حياته يراجع تجـارب مجلتـه «الأديب» بالمُكبّر لمحبته لها بعد أن ضعف بصره.

***

فـي مجلـة قافلـة الزيت – تغير اسـمها فيما بعـد إلى القافلـة – التي تصدرهـا شـركة أرامكـو معلومـات وتحقيقات، حبـذا لو قُدِّمَتْ عنها أطروحة علمية، حين كنت أطالعها كنت أجد تحقيقات ومعلومات عن هذا البلد مع مقالات جيدة، أظن أن وديع فلسطين كان من مراسليها.

***

افتتاحيـة العدد الأول من مجلة «الرسـالة» التـي كتبها الزيات، تعد من أرفع الافتتاحيات التي كتبت لدورية عربية.

افتتاحية الزيات المُشار إليها:

... وأخيرًا تغلب العزم المصمم على التردد الخوار فصدرت الرسالة: وما سلط على نفوسنا هذا التردد إلا نُذُر تشاع وأمثال تروى..

وكلها تصور الصحافة الأدبية في مصر سبيلًا ضلت صواها وكثرت صرعاها فلم يوفِ أحد منها على الغاية، والعلة أن السياسة طغت على الفن الرفيع، والأزمة مكنت للأدب الرخيص، والأمة من خداع الباطل في لَبْس من الأمر لا تميز ما تأخذ مما تدع! فلما تناصرت على هذه الوساوس حجج العقل، ونوازع الواجب، وعِدَات الأمل، أصبحت الأسباب التي كانت تدفع إلى النكول بواعث على الإقدام وحوافز للعمل، لأن غاية (الرسالة) أن تقاوم طغيان السياسة بصقل الطبع، وبهْرجَ الأدب بتثقيف الذوق، وحيرة الأمة بتوضيح الطريق.

أجل هذه غاية الرسالة! وما يَصْدِفنا عن سبيلها ما نتوقع من صعاب وأذى، فإن أكثر الناهضين بها قد طووا مراحل الشباب على منصة التعليم، فلا يعييهم أن يُخلقوا بُرْد الكهولة على مكتب الصحافة، والعملان في الطبيعة والتبعة سواء، ومن قضى ربيع الحياة في مجادب ذلك، لا يشق عليه أن يقضي خريفها في مجاهل هذا!

أمـا مبدأ الرسـالة فربـط القديـم بالحديث، ووصل الشـرق بالغرب. فبربطها القديم بالحديث تضع الأساس لمن هار بناؤه على الرمل، وتقيم الدَّرَج لمن استحال رقيه بالطفور! وبوصلها الشرق بالغرب تساعد على وجدان الحلقة التي ينشدها صديقنا الأسـتاذ أحمـد أميـن فـي مقالـه القيـم بهـذا العـدد. والرسـالة تسـتغفر الله ممـا يخامرهـا من زهـو الواثق حينما تَعِـد وتتعهد.

فـإن اعتمادهـا على الأدبـاء البارعين والكتـاب النابهين في مصر والشرق العربي، واعتصامها بخلصانها الأدنين من أعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشـر، وهم صفوة من خرَّجت مصر الحديثة في مناحي الثقافة، إذا اجتمعا في نفسـها مع ما انطوت عليـه من صدق العزم وقوة الإيمان أحدثا هذه الثقة التي تشـيع في الحديث عن غير قصد.

علـى أن للرسـالة مـن روح الشـباب سـندًا له خطـره وأثرُه، فإنهـم أحـرص الناس على أن يكون لثقافتهـم الصحيحة مظهر صحيـح. وما دامت وجهة الرسـالة الإحيـاء والتجديد، وطبيعة الشباب الحيوية والتجدد، فلا بد أن يتوافيا على مشروع واحد!

فإلـى أبنـاء النيـل وبَـردى والرافديـن نتقـدم بهذه الرسـالة، راجين أن تضطلع بحظها من الجهد المشترك في تقوية النهضة الفكريـة، وتوثيق الروابط الأدبية، وتوحيد الثقافة العربية، وهي علـى خير مـا يكون المخلص من شـدة الثقة بالمسـتقبل. وقوة الرجاء بالله.

***

تـراث الإنسـانية وعالم الكتاب وعالـم الكتب والكتـاب البغدادية والكتـاب القاهريـة والكتـاب العربـي والمكتبـة لقاسـم الرَّجَب: هذه دوريات تُعنى بالكتاب.

***

كان للمجلات في بداية نهضة العرب العلمية أثر كبير تراجع اليوم لأسباب كثيرة.

***

«تـراث الإنسـانية» مجلـة تُعنـى بالتعريـف بالكتـب، وكان يُعَـرِّف بأشـهر الكتب فيها أعلام ذلك العصر: أبـو زهرة وعبدالحليم محمود والعقاد وعلي أدهم.

***

كان جـدي -رحمـه الله- وهو ممَّن عركته الحياة ينظر إلي مبتسـمًا ويقـول: تـوّك حـوار ربيـع، إن رفع راسـه رضـع وإن طَمَّن راسـه لقى عشب، ما بعد شفت من الدنيا شي.

***

عنـد كثيـر مـن العامة من كبار السـن حكمة وتجريـب لا توجد في الكتب، هم قد تخرّجوا بهذه الحياة.

***

حيـن يقصـد الفتى إلى العلم ويتوافر عليه فإنـه قد يُحَصِّلُ منه قدرًا لابـأس بـه، ولكن نمـوه العقلي بالحكمة وتجاريـب الحياة لا يأتي إلا متأخِّرًا.

***

ليس الشيخُ أعمقَ حكمةً من الصَّبي لكثرة صوابه، بل لكثرة أخطائه.

وأعجب منّي كيف أخطئ دائمًا   على أنني من أعرف الناس بالناس

شيخ المعرّة

***

قال المقدسي في منتخب المنثور (ت ٥٠٧): سمعت بعض الأعراب بنجد وقد جرى بينه وبين أصحابه كلام فقال: «من نظر في العواقب ذلّ»!

***

أتخير لصداقتي من يلائمني ولا تتناكر روحه وروحي، وليس هناك ما يضطرني إلى مراعاة كل الأمزجة، ومسايرة جميع الناس.. محمد كرد علي.

***

بِحقٍّ ما قال بعض الغربيين: الغرب هو التسلط على الطبيعة بالعمل، والشرق هو استثمار الإنسان للإنسان.. محمد كرد علي.

***

بَلَغَنا لهذا العهد أن هذه العلوم الفلسفية ببلاد الإفرنجة من أرض رومة نافقة الأسواق، وأن رسومها هناك متجددة، ومجالس تعليمها متعددة. ابن خلدون.

***

كان عادل زعيتر يترجم عشرة أشهر في كل سنة ويرتاح شهرين.

***

يظهر العباقرة فيكون لهم فعل العوامل الطبيعية: كالماء والنار.. جيته.

***

كتاب «العبقرية، تاريخ الفكرة».. تحرير بنيلوبي مري، ترجمة محمد عبدالواحد محمد، صدر عن عالم المعرفة عدد ٢٠٨.

***

من نوادر المطبوعات: كتاب «التحف والهدايا» لابني هاشم الخالديين، اشترك في تأليفه هذان الأخوان وهما من أهل القرن الرابع، حققه سامي الدهان.

***

للدسوقي كتاب جيد عن جماعة أبوللو.

***

أن تأبى أن تكون مثل من أساء إليك؛ ذلك هو خير انتقام.. ماركوس أوريليوس.

***

قال ابن مناذر: كنت أمشي مع الخليل فانقطع نعلي فخلع نعله فقلت له: ما تصنع؟ قال: أواسيك بالحفاء! من كتاب: الصداقة والصديق.

***

«المنار والأزهر» سيرة رشيد رضا من السير الجميلة.

***

«عباس العقاد ناقدًا» لعبد الحي دياب، من أوفى ما أُلِّف عن العقاد، رسالة ماجستير أشرف عليها محمد غنيمي هلال وناقشها محمد مندور وشوقي ضيف! فما ظنك؟

***

كان الناشر المشهور أنطوان صادر يقول: للكتب حظوظ كحظوظ بني آدم.

يقول الطناحي: إنه أول من قال هذه الكلمة، لكني قرأتها لصادر وهو قبله.. فلعله من وقع الحافر.

***

الحَسّاني حسن عبدالله عروضي متمكن واستفاد منه شاكر في بعض كتاباته العروضية، وله ديوان جميل العنوان: «عِفْتُ سُكونَ النار».

***

قد يُحِبُّ الإنسان صاحب صفة لأنه عاجز عن الاتصاف بها لأسباب خارجة عنه.

***

من أطرف ما قرأته في حوار بين والد وولده، قول الوالد وقد أكثر عليه ابنه الكلام: يا بني ليست البيضة هي التي تعلم الدَّجاجة.

***

قيل: لو عرف هتلر اللعب في طفولته، لما كانت لعبته فيما بعد ملايين الأجساد البشرية..

***

قال رجل للثَّريِّ عبدالحميد شومان: رأيتُ أُمَّك في طفولتك تضربك فمنعتها فأعطني حقي، فقال له: ليتك تركتها تضربني أكثر حتى أكون أكثر رجولة مما أنا عليه..

***

«النزعة العلمية في الفكر العربي الحديث» للدكتور نبيل عبدالجبار، مادة حافلة عن الواقع الفكري في بدايات النهضة ودراسة لرواد النزعة العلمية.

***

أجمل إهداء قرأته لكتاب قولُ أحد المُؤلِّفين: إلى التي لولاها لما تأخَّر صدور الكتاب كل هذه المدة: إلى زوجتي!

***

كتاب «ديوان المجموع اللطيف في بني نصيف» لعبده العلوي، فيه فوائد وصورة لنصيف في عامه الأول.

***

الرجل العادي همه الأول أن يعمل لا أن يحلل دوافع عمله.. جيمس فريزر.

***

تحرر العبيد، فجاءت الوظيفة واستعبدت الأحرار.

***

على الإنسان ألا يكون صيدًا سهلًا للأوهام.

***

نصف أحلامنا واقع الآخرين، وواقعنا نصف أحلام الآخرين.

***

أظن أن باولو كويلو أعطي أكبر من حجمه، بل أظن أن الثقافة المعاصرة تبالغ بعض الشيء بخصوص كُتّاب أمريكا اللاتينية.

***

الوحدة هي التي أنتجت كل أعمالي.. كافكا.

***

ذكر صبري باشا في «مرآة الحرمين» أن بعض أعراب الجزيرة اضطره الجوع إلى أن يشوي جلد نعله ويأكله.

***

هذا الإنسان فانٍ، والفاني يفسده المُطلق.. ليس هناك معانٍ عامة تحكم الإنسان هكذا بلا تفصيل ولا تقييد.

***

«الطاووس» كان من أكبر الإشكالات التي واجهها داروين.

***

القصيدة الميمية لابن قيم الجوزية رحمه الله.. شرح وتحليل: مصطفى عراقي، نشر مكتبة ابن تيمية ١٩٨٧، قصيدة جميلة وفيها أبيات مؤثرة عن الحج.

***

لا أنسى منظر عرفات ليلًا، فهو من أبهج ما ارتسم في خاطري من مناظر هذه الدنيا الفاتنة مع كثرة ما شاهدت في حياتي.. شكيب أرسلان من «الارتسامات».

***

للعلامة الألباني: وصف الرحلة الأولى إلى الحجاز والرياض مرشدًا للجيش السعودي (مخطوط) هل من خبر عن هذا الكتاب؟

***

حين أرى بعض مُقدِّمي البرامج في وسائل الإعلام وقد تركوا حلق لحاهم لأجل الأضحية، أحس بتعظيم شديد لشعائر الله.

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾.. يقول غوستاف لوبون في لفتة رائعة: إن الشعائر لها أثر كبير في ترسيخ المُعتقد.

***

تشابه أسماء! قال المُعافى: صاح رجل في الحج: يا أبا الفرج المُعافى بن زكريا النَّهْرواني، فقلت نعم أنا هو، فقال: لعلك من المشرق أريد رجلًا من أهل المغرب!

***

مجلة «الكويت» للرشيد صدرت سنة ١٣٤٦ وطبع العدد الأول منها في القاهرة في المطبعة العربية لخير الدين الزركلي.

***

«العقاد.. دراسة وتحية»، كتاب مهدى إلى العقاد بمناسبة بلوغه السبعين بأقلام طائفة من رواد الفكر الحديث، بعناية محمد خليفة التونسي ١٩٦١.

***

من لطائف التأليف: كتاب «العصا» لأسامة ابن منقذ.. ذكر فيه ما وقف عليه من النصوص مما يتعلق بالعصا، تحقيق حسن عباس، الهيئة المصرية ١٩٨١.

***

صدر قديمًا «الآثار الفكرية.. لعبدالله فكري باشا»، الطبعة الأميرية ١٣١٥.. فيه أشياء جميلة.

***

صدر قديمًا سنة ١٨٩٢ كتاب «إرشاد الألبا إلى محاسن أوربا» لمحمد أمين فكري بك.. في أزيد من ٨٠٠ صفحة.. كثير من الصدمة الحضارية.

***

كتاب «موسى بن ميمون» لإسرائيل ولفنسون طبع ١٣٥٥.. يعد ابن ميمون من أخطر الشخصيات في التاريخ اليهودي وممن تأثر كثيرًا بالحضارة الإسلامية، مهم.

***

كتاب «تاريخ مصر السياسي من الحملة الفرنسية إلى انهيار الملكية»، لأمين سعيد، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٩.

***

كتاب «العرب في صقلية».. للأستاذ الكبير الدكتور إحسان عباس «بحث مهم».. دراسة في التاريخ والأدب، دار المعارف ١٩٥٩.

***

من المعارف الصادمة؛ أن شيخنا بكر أبوزيد قال لي أحب العشوائية في بداية البحث ثم أنظمه بعد ذلك.

***

الإبداع يحتاج إلى جهدين: جهد الصنعة، وجهد آخر أشد: جهد إخفاء الصنعة.. يحيى حقّي.

***

لهيلين كيلر مقالة عنوانها: «لو أبصرت ثلاثة أيام».. وقد ترجم إلى العربية وطبع في كتيب لطيف، قرأته مرتين وأود قراءته مرة ثالثة، جميل ومؤثر. تقول فيه: لدي قناعة بأن المبصرين لا يرون شيئًا!

***

أنتوني فلو أستاذ الفلسفة البريطاني من أكبر ملاحدة العصر الحديث وكتبه جدول أعمال الملاحدة، حين بلغ الثمانين عام ٢٠٠٤ أعلن إيمانه بوجود إله.

***

للدكتور عمرو شريف كتاب حافل عنوانه: «رحلة عقل»، يعرض فيه كتاب أنتوني فلو «هناك إله».. مع ملحق عن الإلحاد والعقل والعلم والدين.

***

إن مفاهيمنـا المُسبَقة توجه تحليلنا للظواهـر والبراهين والحجج، علينـا أن نتـرك الفرصة للبراهيـن والحجج الجديدة لأن تعيد تشـكيل مفاهيمنا.. أنتوني فلو.

***

سـمعت عـن بعض كبار السـن: قالـوا لرَجّال: من أطيـب عيالك؟ قال: اللي تجيك علومه.

***

كان شيخنا أبو عبدالرحمن ابن عقيل قد كتب في إحدى المجلات مقالة عنوانها: منطق ولوّ!

***

كتـاب «المخ ذكـر أم أنثى».. لعمرو الشـريف ونبيـل كامل، مكتبة الشروق الدولية ١٤٣٠، غاية في النفاسة.

يعـرض آخـر النظريـات العلميـة فـي تركيب المـخ وآليـة التفكير، والتباين العقلي والنفسي والسلوكي بين الذكر والأنثى.

***

الكثير منا يحيا بين نظرة مادية يسـيطر عليها مفهوم التماثل العقلي المطلـق بيـن الرجـال والنسـاء، وبين إرث الأعـراف البيئيـة الجائرة.. المخ ذكر أم أنثى.

***

أيهما أهم في تشكيل سلوك الإنسان: العوامل البيولوجية الطبيعية أم العوامل التربوية المُكتسبة؟ كلاهما مكوّن أساس له تأثيره المباشر.. جوهانسون.

***

يقول الدكتور عمرو شريف: إن الإنسان لا ينبغي أن يتبنى ما قاله أحدهم: لقد حسمت قناعاتي ولملمت أوراقي، فلا تزعجني بحقائق جديدة.

***

لقد تم تشكيل المخ الأنثوي ليقوم بالمشاركة والتعاطف، بينما تم تشكيل المخ الذكوري ليقوم بالوظائف التحليلية.. د. سيمون كوهين.

***

كتاب «خزائن الكتب العربية في الخافقين»، للفيكنت فيليب دي طَرَّازي من نوادر الكتب العربية لأنه لم يطبع منه سوى عدد يسير، لكنه قد صور.

***

بعض الدعاة الجدد: يُقَلِّد في مشروعه نموذج الوعظ البروتستانتي، حيث الدعوة إلى التدين الآمن؛ مشروع ناجح مع طبقات المجتمع المخملية.

***

صدر قديمًا كتاب: «تقويم دار العلوم» العدد الماسي يصدر لمرور ٧٥ عامًا على المدرسة ١٨٧٢-١٩٤٧ لمحمد عبدالجواد، وفيه معلومات وصور نادرة.

***

كانت بعض فرق اليهود تغير أسماء أبنائها إذا مرضوا حتى لا يهتدي إليهم مَلَك الموت!

***

سمعت شيخنا العلامة حمد الجاسر -رحمه الله- يعيب على بعض مَن دَوّن تراثنا الشفهي تَصَرُّفَهُم في الألفاظ لأن ذلك مما يضر بفهم روح العصر.

***

قال خبير في حيل النفس: أول خطوة لتحقيق الحلم، الاستيقاظ منه.

***

وجد بعض الدارسين أن للقمر تأثيرًا- بإذن الله- على جسم الإنسان كتأثيره على حركة المَدِّ والجَزْر، وأن الدَّمَ لذلك يتهيج في منتصف الشهر فتكثر الجرائم.

هل لاكتمال القمر وأثره على تهيُّج الدم في جسم الإنسان علاقة بالحكمة في فضل صيام الأيام البيض؟

***

إنما العلم رحم بين أهله يزكو بالمدارسة.

***

وصفُ فيكتور هيجو لشخصية مونسينيور بيينفينو في روايته «البؤساء» قد قارب حدودًا من الإبداع والتألق قلّ أن قاربها قلم أديب.

رواية «البؤساء» لفيكتور هيجو تُعَلِّمُ الإنسان كيف يكون إنسانًا، أفضل ترجمة للبؤساء الترجمة الكاملة لمُنير بعلبكي.

***

«العمى».. لساراماجو عمل أدبي مذهل، تحدث فيه عن مأساة مجتمع يصاب أفراده بالعمى، كيف تستطيع هذه العقول المبدعة التحرك في هذه المساحة الضيقة؟

***

أنْسَنت الحضارة الغربية الإله، وألّهت الإنسان، وقالت لهذا الإنسان الإله: هذه حُرّيتك فافعل بها ما تشاء، فلم يُحسن أن يفعل لأنه لا يُحسن أن يشاء..

***

للمهنة أثر على السلوك.. رأيت رجلًا يرتدي الزي المدني فأحسست أنه قلق في مشيته وجلوسه، ثم علمت فيما بعد أنه ضابط كبير قد تعوَّد على الزي العسكري.

ومن أثر المهنة على السلوك: أنك تستمع إلى المدرس في أحد المجالس فتراه يكثر من تقرير المعاني في حديثه وهو ينظر إليك وكأنه في فصل أو قاعة. والنجار إذا دخل إلى البيت نظر إلى الأبواب.. وإذا نظرت إلى من يصلح الأحذية في السوق رأيته ينظر إلى أحذية الناس!

وطبيب الأسنان لا يركز وهو يستمع إليك إلا على أسنانك.. تتحدث معه في السياسة فيقول لك: على فكرة أحد أسنانك يحتاج إلى كذا؟

ومن يعمل في المحاكم تجده كثير الخوف والتوجّس على أبنائه وأهل بيته لكثرة ما يرى من المشكلات.

***

أنا من مساكين الكتب.. أفرح كثيرًا حين يتحدثون في مجلس عام عن كتاب، لكنهم قلَّما يفعلون ذلك.

***

قيل عن أحد الفلاسفة المتشائمين: إن نظام فلسفته قائم على معاناته من سوء الهضم.

***

المرجعية: اصطلاح شيعي له دلالاته الخاصة عندهم، وقد تسرَّب إلى أقلامنا نحن أهلَ السنة فاستخدمناه بكثرة بعد أزمة الخليج.

***

كتاب «ابن النديم وكتابه الفهرست» للشيخ عبد الحي الكتاني، صدر حديثًا من مطبوعات المغرب، وكان غير واحد من المحققين ذكر أن الصحيح في اسم صاحب «الفهرست» النديم، وليس «ابن النديم»، والنديم لقب لمن كان ينادم الملوك والخلفاء أي يجالسهم ويروي لهم السير والأشعار والأخبار، وكنت أنبه على خطأ تسميته «بابن النديم» وأنه النديم؛ لكن تسمية عبد الحي له «بابن النديم» تحتاج إلى وقفة، فعبد الحي الكتاني من أكثر العلماء المتأخرين اطلاعًا ومعرفة بالكتب.

أفاد العلامة عبد الحي الكتاني في كتابه «ابن النديم» بأنه وجد في «لسان الميزان»: أن أشعب الطَّمَّاع يكون خال الواقدي صاحب السير!

***

القرابة بين المشاهير فيها لطائف وغرائب وطرائف، ذلك من مثل: أن الكاتب الكبير شكيب أرسلان يكون جدّ السياسي اللبناني المعروف وليد جنبلاط.

دارس الفلسفة الكبير الدكتور علي سامي النشار صاحب كتاب «نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام» وغيره؛ هو أخو الرئيس جمال عبدالناصر من الرضاعة!

الخطاط العراقي المشهور هاشم البغدادي؛ أخو المحقق القدير نوري حَمُّودي القيسي لأمه..

الدكتور اليساري محمود أمين العالم؛ أخو العلامة اللغوي محمد شوقي أمين..

تقي الدين الهِلالي زوج ابنة العلامة محمد الأمين الشنقيطي نزيل الزبير..

***

جبل التَّوْباد الذي تَغَنَّى به المُحِبّ المَجنون في شعره وكان من مطارح غرامه مع ليلاه، والذي قال فيه شوقي رائعته على لسان المجنون «جَبَلَ التَّوْبَاد حَيَّاكَ الحَيَا».. هذا الجبل الذي أصبح عنوانًا على العشق العذري؛ جبل أجرد مغبرّ ليس فيه من همس الفتنة إلا ما يكون في الحجارة الصمّ.. هذا ما يبتدره الشعور أول وهلة يرى فيها هذا الجبل..

لكن الأمر ليس كذلك، وأنا ذاكر لك هذه اللطيفة الأدبية حتى يتبين بها المعنى الذي قصدت.. كان يحيى بن طالب الحَنَفِيُّ شاعرًا جوادًا مُمَدَّحا في قومه، يسكن «قَرْقَرَى» من نجد، و«قَرقَرى» هي اليوم في

بلـدة ضرماء المعروفة غرب الرياض.. ثم إن جائحة نزلت بقوم يحيى ابن طالب الحنفي وأصابتهم سـنوات عجـاف؛ فانتجعه قومه وقصدوا بيته فصرف عليهم ماله جميعه حتى افتقر وخجل من قومه..

ثـم إنـه ارتحل عن بلدته بعد أن تنكَّـرَ له بعض أهله، وقصد العراق وقـال قصائد كثيرة من الروائع يتذكـر فيها أيامه وبلاده بعد أن أرمضته الغربـة، ويقال إن هارون الرشـيد أُنشـد شـيئًا من قصائـده فأعجب بها فطلبـه كـي يراه ويرفده فوجده قد مات... هذا كله كان مقدمة لما أريد أن أصل إليه .. ليحيى بن طالب هذا قصيدة جميلة يقول في أولها:

أحقًّـا عبـادَ الله أن لسـتُ ناظـرًا إلـى قَرْقَرَى يومًا وأعلامها الغُبْرِ

وفي ختام هذه القصيدة البيت السـائر الذي كان الشـيخ الكبير سيد ابن علي المرصفي كثيرًا ما يتمثل به:

يُزهّدنـي فـي كل خيـر صنعتُـه إلى الناس ما لاقيتُ من قلّة الشُّكْرِ

والجميـل: أن أبا علي القالي روى مفتتـح هذه القصيدة في أماليه: إلى قرقى يومًا وأعلامها «الغبر».. فجاء أبو عبيد البَكْرِي يستدرك على القالـي ويقـول: صحة رواية هذا البيت: وأعلامهـا «الخُضْرِ»؛ إذ كيف يحـنّ إلـى ما اغبرّ من الأرض.. فقيل لأبي عبيد في الرد عليه وهذا هو الشـاهد: أبو عبيد البكري عاش في الأندلس وخضرتها ولم ير نجدًا؛ لـذا لـم يفهـم كيف يتشـوّق شـاعر إلـى أعـلام مغبـرّة، وروايـة البيت الصحيحة هي: وأعلامها الغُبْر لا الخُضْر؛ كما استدرك أبو عبيد..

قلـتُ: هـذا الشـاعرُ اليَماميُّ من شـدّة مـا برّح به من لاعج الشـوق يتحنّـن حتـى إلى ما اغبـرّ من أعلام أرضـه، وهذا تـالله أدخل في باب الوجد والحنين من التشوُّق إلى الخُضْرة، فهذه الأرض الجراد الصماء

المغبرّة هي مدارج صباه، ومراتع أُنسه، ومهاوي فتونه، وهي في حِسّه ووجدانه كجَنَّات العَريف ووديان الخضرة في بلاد الاندلس.. بهذا المعنى تعرف ما كان يحسه مجنون ليلى حين تقف على شيءٍ من صورة جبل التَّوْبَاد.. وهذا لسان الدين ابن الخطيب حين كان يقول: جادَكَ الغيثُ إذا الغيثُ هَمى.. لم يكن في حاجة إلى أن يستمطر السماء لكثرة ما عندهم من الماء، لكنها ذاكرة العربي الأول في قفار نجد قد انتقلت إلى حِسّه فغلب عليه هذا المعنى.. والله أعلم بمساقط الجَمال.

***

ذكر جَبْرا إبراهيم جَبْرا بأنه كان مع عالم آثار أجنبي في أحد المواقع في العراق وقدمت لهم زوجتُه الشاي، وبعد مُدَّة علم أن هذه الزوجة هي أجاثا كريستي!

كتبت أجاثا كريستي أعظم الروايات البوليسية في تاريخ هذا الفن على الإطلاق، وبعض رواياتها كتبتها في العراق رفقة زوجها عالم الآثار.

وُزّع من روايات أجاثا كريستي مئات الملايين من النسخ في كثير جدًّا من لغات العالم، لكن كثيرًا من هذه الروايات منحولة عليها كذبها عليها الناشرون..

كانت لي مع رواياتها أوقات ماتعة، ومازلت أتعجب كيف استطاعت هذه المرأة البسيطة في حياتها وشخصيتها أن تصوغ الحبكة بكل هذا الذكاء والتعقيد؟

أظن أن إقبال الجيل الجديد على رواياتها البوليسية قد ضعف هذه الأيام، لكن هذه الروايات كانت فتنة القراء في زمن مضى..

جعلت أجاثا كريستي - في إحدى رواياتها- جميع أبطال الرواية مجرمين! خيال مذهل، والقارئ المسكين يظن نفسه ذكيًا بمعرفة أحدهم..

***

الرواية في الثقافة الغربية عميقة الجذور، ويرى كثير من النقاد الغربيين أنها نضجت على يد سرفانتس في «دون كيخوته» .. وأعتقد أن الرواية في الثقافة الغربية بدأت مع تحريف الكتاب المقدس، فكثير من مروياته المحرفة هي قصص خيالية..

***

دان براون كذبة تجارية كبيرة، لم ولن أقتنع به.

***

يقال: الرواية والعلمانية والكوكاكولا منتج غربي صرف.

***

كان الحجاج بن يوسف يقول: تظنونني شيطانًا؛ والله لربما رأيتُني أُقَبِّل رجل إحدى زوجاتي..

***

عبد الرّحمن السميط.. لو عرفت جائزة نوبل الإنصاف لفاز بها الدكتور السميط كما فازت بها الأم تريزا، فجهوده أعظم من جهودها بكثير.

***

جيفارا وكاسترو وماوتسي تونج ولينين وسيمون بوليفار... هؤلاء طغاة دميون ظلمة، وليس من الثقافة الأصيلة ولا من الوعي التاريخي؛ جعلهم رموزًا.

***

لألبرتو مانغويل في كتابه «في غابة المرآة» فصل عن جيفارا أتمنى من أحبابي قراءته.

***

جيفارا هذا الذي اغترّ به بعض المثقفين فجعلوه رمزًا للثورة على الظلم وعنوانًا للمبادئ؛ هذا الشيوعي الأحمر كان طاغية عنيفًا سفّاكًا للدماء.

لا أخادع نفسي فأنفي عن جيفارا كاريزميته -كثير من الطغاة يملكون الكاريزما من نيرون إلى أيامنا هذه- لكن أدعو إلى قراءة جادَّة تستوعب وتنقد وتحلل.

نحن في عصر صارت فيه ثقافة الصورة بألف مقالة، كل تاريخ جيفارا الثوري في كِفَّة؛ والصورة المشهورة التي التقطها له ألبرتو كوردا في كِفَّة..

***

وحي اللحظة الحاضرة هو الذي يكشف عن المستتر في مسارب النفس، لا تحذفوا حماقاتكم لكن اعتذروا منها!

***

الحياة جميلة؛ وما يشوّه جَمالها غير هذا الحيوان المسمّى بالإنسان! أحمد حسن الزيات.

***

من أسماء العرب القديمة «يَشْجُب»، يبدو أن هذه الظاهرة متأصلة فينا من أيام العرب الأوائل، لن أتفاجأ إن وجدتُ أن «يستنكر» كان أخًا لهذا اليشجب.

***

أملى عاميٌّ من أهل اليمن على أحد الكُتاب رسالة إلى يحيى حميد الدين يشكو فيها ظلمًا وقع عليه، فلما أعاد عليه الكاتب قراءة الرسالة ليتأكد منه، بكى الرجل فسأله الكاتب عنٍ سرّ بكائه فقال: لم أكن أعلم أني مظلوم إلى هذه الدرجة!

***

التاريخ لا يحمي المُغفَّلين.

***

نقف مصدومين؛ نشاهد بتأثُّر هذه الستارة وهي تغلق وما تزال كلّ الأسئلة مطروحة بلا إجابات... بريخت.

***

ما انتشر مسرح اللامعقول -الذي كانت تسخر منه الثقافة الشرقية- ولا تمزّق ضمير المثقف الغربي؛ إلا بعد حربين عالميتين صدمتاه وقوّضتا إنسانيته.

***

للحروب المُدمِّرة وطغيان الآلة القاتلة الصماء أثرها البَشِع على إنسان عصرها، «وما فترات السِّلْم في تاريخ الإنسان إلا أيام استشفاء من أمراض الحروب».

***

يونس بَحْري عراقي إذاعي صحفي رحَّال، تزوج أكثر من مئة امرأة فيما يقال! وله أولاد لا يعرفهم في كثير من بلاد الدنيا.. اشتهر أيام الحرب العالمية الثانية حيث عمل مذيعًا في إذاعة برلين وكانت له علاقة بالحزب النازي وبالوزير غوبلز النازي المشهور..

كانت له كلمة مشهورة يفتتح بها الإذاعة من برلين وهي «حيّ العرب».. وطبع فيما بعد سلسلة من الكتب بهذا العنوان «حيّ العرب».. تعرف إلى الشيخ عبد العزيز الرشيد صاحب «تاريخ الكويت» في إندونيسيا وأصدر هو وإياه مجلة «الكويت والعراقي».. ثم جرت له مشكلة في إندونيسيا هرب على إثرها..

كان مزاجيًّا كثير التقلب حادَّ اللسان حاضر النكتة، روى معن آل زكريا -وهو متخصص في سيرته- أنه كان يعمل في إحدى البلدان الغربية طبالًا في فرقة موسيقية بالليل، وبالنهار كان خطيبًا لأحد الجوامع في بعض المراكز الإسلامية!

حدثني رجل كبير في السن -سمعه من الإذاعة- أنه كان يفتن الناس بصوته وتعليقاته الإذاعية من إذاعة برلين.. شتم عبد الله ملك الأردن وهجاه هجاء مقذعًا؛ فلما انهزمت ألمانيا في الحرب فرّ ولجأ إليه! فأمنّه وأكرمه ثم فرّ منه وهجاه مرة أخرى..

تعرّف إلى كثير من رؤساء العالم وكانت له علاقات واسعة جدًّا ولعب بالمال لعبًا، ثم مات فقيرًا وحيدًا بعد أن أمضى عدة أيام على أحد الأرصفة في العراق فحمله أهل الخير إلى مستشفى قريب..

له ثلاثة أبناء -له أبناء كُثُر لا يُعرفون- عراقيون يحملون شهادات عليا، وهناك على اليوتيوب مقابلة مع إحدى بناته في برنامج لمجيد

السامرائي وهي دكتورة في علم النفس، وليونس بحري مذكرات نادرة في أجزاء اطلعت على بعضها في إحدى المكتبات، ذكر عن نفسه أنه أول من عبر بحر المانش سباحة! وأنه يتقن كثيرًا من اللغات، وكان يخلط الحقيقة بالكذب والجد بالهزل لكنه شخصية طريفة غريبة الأطوار.

***

مستشفى قَصْر العَيني في القاهرة -يُسَمَّى خطأً بالقَصْر العَيني- كان في الأصل قصرًا لأحمد العَيني حفيد بدر الدين العَيني شارح البخاري، وكان من الأثرياء.

***

العقل الإنساني -إذا ما خلا الإنسان بنفسه- مولَع بأن يدير ويقلّب ما يحسنه من علوم ومعارف أكثر مما يورد من الإشكالات والأسئلة.. حيلة يتحيّلها هذا العقل لإثبات الذات العالمة، لكنه إذا ما جالس غيره من أهل العلم والمعرفة؛ أُورد عليه من الخارج أسئلة واستشكالات ما كانت لترد عليه وهو خالٍ مع نفسه، عندها تُفتضح علومه ومعارفه فيسعى جاهدًا لسد النقص واستكمال ما فاته من هذه المراتب التي لم يكن ليتنبه لها لولا مجالسة أهل العلم، وهذا من أظهر الأشياء التي يستفيدها المرء من المذاكرة والمثاقفة مع غيره، حيث تُعَرِّيه وتفضح ذاته الجاهلة.. وقديمًا قالت العرب: كُلُّ مُجْرٍ في الخلاء يُسَرّ؛ أي كل من أجرى فرسه خاليًا ليس معه غيره من الفرسان؛ فإنه يُسَرُّ لأنه يغترّ بفروسيته وسرعته، لكن إذا كان في ميدانٍ عَرَف ما هو عليه مقارنة بغيره.

***

قرأت: أنّ الروائي الإنجليزي تشارلز ديكنز هو أول من استخدم عبارة « القشّة التي قَصَمَتْ ظهْرَ البعير».

***

«توماس ليبتون»؛ هو مبتكر هذه الأكياس من الشاي سريع التحضير التي تسمى باسمه!

«هنري هاينز»؛ هو الشاب العصامي الطموح مخترع الكاتشب، وقد أصبح اسمه «هاينز» علامة لشركة عملاقة من شركات الأغذية.

الدكتور تيودور بلهارس من علماء القرن التاسع عشر؛ هو مكتشف «مرض البلهارسيا» وقد سمي المرض باسمه.

العالم الألماني ألويس ألزهايمر؛ هو مكتشف هذا المرض «ألزهايمر» الذي سمي باسمه.

ويليس «كارير»؛ هو مخترع التكييف الحديث.

***

كنت ذكرت في كتابي «ميراث الصمت والملكوت»: أن الفاكهة المعروفة «بيوسف أفندي» تنسب إلى يوسف أفندي الأرمني المصري لأنه أول من زرعها بمصر!

***

قد لا يعرف كثير من القراء: أن الجِمال المتوحشة التي تشتكي منها حكومة أستراليا؛ إنما أحضرها الإنكليز أول الأمر للتنقل وفتح الطرق.

***

فـي الأجـزاء الأخيرة من البدايـة والنهاية لابن كثيـر، وفي مؤلفات المَقريزي، وفي حُسْن المحاضرة للسيوطي، وفي النجوم الزاهرة لابن تَغْـرِي بِـرْدِي، وفـي بدائـع الزهور لابـن إيـاس، وفي تاريـخ الجبرتي «عجائـب الآثار»؛ فـي كل هذا وصف دقيق حافـل للحياة الاجتماعية والسياسـية فـي مصر القرون الماضية، ومَشـابِه وأمثـال وقصص وعبر لا تـختلف كثيرًا عن حال مصر الاجتماعية والسياسية هذه الأيام.

***

هناك سلسـلة إصدارات من «كلمة» عـن التاريخ الطبيعي والثقافي للحيوانات، وهي سلسلة متميزة بمعلوماتها وصُوَرها.

***

قرأت: لا أظن أن الحيوان المتوحِّش سَيفرح؛ إن أثبتت الدراسات أنه يحتوي على جانب إنساني.

***

سأُحدِّثكم بقصَّة طريفة من قصص العشق.. كانت اعتِماد الرُّمَيْكِيَّة شـاعرة فاتنـة تجسـدت فيها معانـي الأنوثة حتـى خجلت منهـا أكمام الزَّهَر، «وكانت كأنما تمنّت أن تكون فكانت كما تمنّت»!

رآهـا المُعْتَمِـدُ بنُ عبَّـاد وهو يرفُل في عزّ السـلطان ويدرج في زهو الشباب؛ فتعلّقها قلبُه فما عاد يرى من الدنيا شيئًا غير عينيها، ولا يتمنى من الأيام إلا سويعة غاب عنها الرقيب معها.. تزوّجها رغم غضب أبيه الأميـر الباطش فانتصر هواه على الصولجان، وجُنَّ جنونه بها فما زاده القرب إلا وَلَهًا كأنما هو أسير الرَّاح لا يتداوى منها إلا بها..

وذات يـوم تذكَـرت اعتِمـاد أيامًـا لهـا سـلفت حيث كانـت تلعب

بالطِّيـن فـي صغرها مع صويحبات لها فتمنَّـت على المُعتمِد أن تلعب كمـا كانت تلعب، ففـرح المحبّ المُدنَف بطلـب محبوبته؛ فعمد إلى بِرْكـة فملأها بالطين ثم سـكب فيها من أنـواع الطِّيب الفاخر والغوالي حتى فاضت البِرْكة، نزلت اعتماد في البِرْكة مع جواريها يُغنِّين ويلعبن ويتراشـقن الطِّيـنَ والطِّيـب والحُـبَّ، حتـى كاد الزمان يذهـل والأمير العاشق يرقب هذا كلَّه فكان يومًا من أجمل أيام القصر..

ثـم دارت الأيـامُ دورتَهـا ونقض الزَّمـانُ عَهْـدَه فأُسـر المُعْتَمِدُ مع محبوبته اعتماد وعاشـا في الأسـر عيشة بائسـة موجعة، فقالت له يومًا فـي غَمْـرَةٍ من أسـاها وحُزْنِها: والله ما رأيتُ معك يومًا يسـرّ، فابتسـم وقال: «ولا يوم الطِّين»!

اعتِمـاد الرُّمَيْكِيَّـة وَفَـت لزوجهـا وعاشـت معه فلم تتخـلَّ عنه بعد ذهاب العِزّ والسُّلْطَة.

***

كان علامة الشـام جمال الدين القاسِـمي يمرّ على الجالسـين على القهوة ويقول: آه، ليت أن الأوقات تُشترى كنت اشتريت أوقاتكم..

***

هناك كتاب أَلَّفَهُ أحد الغربيين عن التلفزيون عنوانه «مُعلّم النِّيام».

***

سـأتنقل بكم بين عدة شـخصيات علمية؛ لأنقل لكم بعض لطيف أخبارها لعله أن يكون حافزًا للقراءة عنها والتزود من سيرتها..

حدثني شـيخنا الجاسـر: أنه سـمع من الزِّرِكْلِيّ أنه كان يعاني ألَمًا

شديدًا في البطن فما ترك طبيبًا إلا زاره ولم يُشف، ثم وُصف له الزعتر فذهب ألمه.. قال شيخنا حمد الجاسر رحمه الله: فكان الزِّرِكْلِيُّ لا يأكل طعامًا إلا ومعه شيء من الزعتر.. قلت: والزعتر مفيد جدًّا للباطنية.

كنت في مجلس الشيخ حمد الجاسر وكان في المجلس الأستاذ عبدالكريم الجُهَيْمَان وبيننا صحن من التمر؛ فلم يعرفا نوعه واختلفا فيه، فَتَعَجَّبْتُ من كثرة أنواع التمر، وكيف يخفى نوع من التمر على مثل الجاسر والجهيمان وهما عالمان فلاحان.. قال ابن حزم: «أنواع الحُمق أكثر من أنواع التمر»، فالتمر يُضرب المثل بكثرة أنواعه، وقد قرأت في أحد الكتب عن النخيل أن السُّكَّري أكثر من أربعمئة نوع.

على ذكر الأستاذ عبد الكريم الجهيمان؛ ذُكر أن الملك سعود قرأ مقالًا له كان يكتبه تحت زاوية عنوانها «المعتدل والمايل» فقال: ما شفت شيّ معتدل!

***

هناك عالم ظريف -نسيت اسمه الآن- عاش في القرن الرابع مئةَ سَنَةٍ فكان يقول في آخر حياته: أنا ربع الإسلام!

***

كان الشيخ رشيد رضا مولعًا بالثلج يأكله في الصيف والشتاء لا يضرّه، وحين زار الحجاز أخبر مضيفيه بأنه يريد ثلجًا فأحضروه له بعد أن بحثوا طويلًا!

***

قبل سنوات أخبرني أحد الزملاء من مصر أنه يريد أن يستقبل قريبًا له في المطار، ولأنه لا يملك سيارة طلب مني أن أذهب به إلى المطار لاستقبال هذا القريب، وذهبت به ونزل وخرج قريبه من الصالة وسلَّمْتُ عليه وكان رثّ الهيئة فظننته عاملًا سيتوجه لإحدى المزارع، وحين ركبنا السيارة وتحدثنا دُهِشْتُ حين علمت أنه من كبار أساتذة القراءات وندمت على أني لم أستقبله جيدًا، فما أكثر ما نغترّ بالمظاهر الكاذبة.

***

ثار صوفية المدرسة التي يدرّس بها السُّيوطي عليه ورموه في بِرْكَة الماء بثيابه، فذهب بعد هذه الحادثة إلى جزيرة الروضة فاعتزل الناس وتفرغ للتأليف وأغلق النافذة المُطلّة على النيل من ألمه لما أصابه، وألَّف كتابه «تأخير الظُّلامة إلى يوم القيامة».. وكان السُّيوطي من خواتيم الحفاظ رحمه الله، أخبر عنه أحد تلامذته أنه قال له: خذ أيَّ كتاب من هذه الكتب -وأشار إليها- واقرأ عليّ منه وأخبرك موقع الكلام من الصفحة.

للسُّيوطي سيرة ذاتية عنوانها «التَّحَدُّث بنعمة الله»، نشرتها إليزابيث سارتين نشرة جيدة.

لابن إياس -تلميذ السيوطي- صفحات مجهولة في كتابه «بدائع الزهور» عن شيخه السيوطي.

للشاذلي تلميذ السيوطي كتاب مفرد مطبوع في ترجمة شيخه، وللداودي تلميذ السيوطي كتاب مفرد في ترجمة شيخه أظنه مازال مخطوطًا لم يطبع.[1]

---

(١) طبع فيما بعد.

للحافظ السيوطي كتاب مطبوع عن «الأهرامات»..

***

للسَّخاوي ترجمة ذاتية عنوانها «إرشاد الغاوي» اطلعت عليها مخطوطة لم تطبع، وأكثر من يترجم للسَّخاوي ينقل عن ترجمته لنفسه في «الضوء» ولا يعلم عن هذه.[1]

أخبر الحافظ السَّخاوي عن نفسه أنه أملى أحاديث وهو جالس بأعلى الهرم!

للحافظ الذهبي ترجمة ذاتية مفقودة، ولأبي حيان النحوي ترجمة ذاتية مفقودة نقل عنها بعض معاصريه.

***

أفاد القَسْطَلاّني من السيوطي بعض المعلومات ولم ينسبها إليه فأَلَّف السُّيوطي «الفارق بين المصنف والسارق»؛ فاعتذر القسطلاّني وخرج من القاهرة إلى الروضة مكان سكنى السيوطي، خرج حافيًا ماشيًا حاسرَ الرأس حتى وصل إلى منزل السيوطي وطرق الباب، فقال السيوطي ولم يفتح له: ارجع فقد سامحتك.

كان الحافظ السَّمْعاني مولعًا بسماع الحديث كثير الرحلة، تمنّع أحد المشايخ عن الخروج له هو وبعض رفاقه؛ فتسلَّقوا عليه بيته وأجبروه على التحديث!

***

---

(١) طبعت فيما بعد.

لا تحتقر أحدًا أبدًا؛ «فمن يحتقر الناس كرجل على جبل يرى الناس صغارًا وينسى أنهم يرونه كذلك».

***

قرأت شيئًا من النحو على العلامة النحوي «أبو خديجة» وهو من آيات الله، قدم هنا على فيزة عامل، وكنت أدرس عليه في بيته في البطحاء في سكن عُمّال!

***

قد تبيّن لي - منذ مدة- أن سفينة نفسك ابتعدت عن شاطئك، ليتك تحاول جاهدًا أن تستردّ نَفْسَك من نَفسِك..

***

مع طغيان وسائل الإعلام على حياتنا المعاصرة؛ أصبحت «ثقافة الصورة» جزءًا من الوعي، إن «أُمِّيَّة العين» لا تقلّ عن أُمِّيَّة الحرف.

***

كتاب «عن الحرب» للعبقري العسكري كلاوزفيتز، يُعد من أهمِّ الكتب الكلاسيكية التي ألفت عن الحرب.. صدر مترجمًا عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، في ٩٩٥ ص، ترجمة سليم الإمامي.

هذا الكتاب «عن الحرب» يُعد من أهم وأخطر الكتب التي ألفت في هذا الموضوع، وكان له تأثير كبير على القيادات العسكرية العالمية بعده.. توفي مؤلفه كلاوزفيتز سنة ١٨٣١م، في الخمسين من عمره، وقد أمضى في تأليف كتابه أكثر من ثنتي عشرة سنة مع عدة سنوات

قبلها في تقييد أفكاره.. نشر الكتاب بعد وفاة مؤلفه بسنة، ١٨٣٢م، حيث قامت زوجته بالإشراف على نشره، والكتاب على ضخامته وعمقه والجهد المبذول فيه؛ لم يكتمل حيث توفي مؤلفه قبل اكتمال صورته النهائية..

قال الناقد العسكري روستو: «إن كلاوزفيتز مشهور جدًّا لكن لم يقرأه إلا القلّة»، وقال غولتز في افتتاحية مؤلفه «الأمة المسلحة»: سيتعرض كل كاتب عسكري سيكتب بعد كلاوزفيتز عن الحرب لنفس المخاطر التي سيتعرض لها الشاعر الذي سيحاول كتابة «فاوست» بعد جوته، أو «هاملت» بعد شكسبير.. ووضعه بولتكه -باني الإمبراطورية الألمانية بعبقريته العسكرية في خدمة دبلوماسية بسمارك- وضعه في عداد أعظم الأعمال التي صاغت تفكيره..

يقع كتاب «عن الحرب» لكلاوزفيتز في ثمانية كتب تحت كل كتاب عدد من الفصول، وعناوين كتبه هي: عن طبيعة الحرب، عن نظرية الحرب، عن الاستراتيجية عمومًا، الاشتباك، القوات العسكرية، الدفاع، الهجوم، خطط الحرب.

يركّز كلاوزفيتز كثيرًا -هذه من أفكاره الجوهرية- على أن: «الحرب ليست ظاهرة مستقلّة؛ بل هي استمرار للسياسة بوسائل مختلفة».

الحرب عمل من أعمال القوة لإجبار العدوّ على تنفيذ مشيئتنا.. كلاوزفيتز.

هناك إحساس للجيش بالتفوق ناجم عن إدراكه بامتلاك زمام المبادرة.. كلاوزفيتز.

هناك فرق بين حرب تشنّ لإبادة الخصم وتدمير نظامه السياسي؛ وحربٍ تشنّ لإضعاف الخصم وفرض الشروط عليه في مؤتمر صلح.. كلاوزفيتز.

دراسة التاريخ هي أساس لأيّ دراسة متقدمة عن الحرب.. كلاوزفيتز.

تتسم تقارير الخسائر للطرفين - في الحرب - بعدم الدقة ونادرًا ما تكون حقيقية، بل تكون في معظم الحالات ملفقة عمدًا.. كلاوزفيتز..

***

من كبار السَّاخرين في العصر الحاضر الشاعر المصري محمد مصطفى حَمَام، وكان عمل في السعودية عدة سنوات.

***

من كبار الأدباء الساخرين في العصر الحاضر الشاعر كامل الشِّناوي، كان ظريف الروح، سريع البديهة، حاضر النكتة.

***

المحدّث الأَعْمَش من سادات الظرفاء في تراثنا، وكذلك كان أبو العَيْنَاء.. للدكتور الضبيب كتاب عن ظرف الأعمش، وللعبودي عن أبي العيناء..

***

كان الأستاذ أحمد أمين يتمنى أن يتحكَّم الإنسان في سمعه فيغلقه متى شاء كما يتحكَّم في بَصَرِه.

***

سرقوا رغيفي فابتسمت؛ فسرقوا ابتسامتي..

***

لزوجة مارتن لوثر كنج كتاب جيد عنه مترجم إلى العربية.

مارتن لوثر كنج من كبار الخطباء، ويحاول أوباما تقليده في بعض الخطب وبينهما فرق واضح، لكني قرأت: أن لغة الجسد عالية عند أوباما.

***

يظن القارئ أن بعض المعلومات قليلة؛ لكن مع المشاركة والمثاقفة تجتمع لديه معلومات جيدة، وهذا من فوائد ضم الأشباه والنظائر، وكان شيخنا العلامة بكر أبو زيد -رحمه الله- مولعًا بهذه الطريقة، كثير التقييد للشوارد وضمها مع أشباهها، فحوت تآليفه كثيرًا من لطائف العلم.

***

لجَبْرَا إبراهيم جَبْرَا في كتابه «شارع الأميرات» فصول عذبة جميلة عن زوجته من أرقّ ما كتبه زوج.

***

إلى المسلسلات التاريخية، قال ابن سعيد: الغالب على أهل الأندلس ترك العمائم ولاسيما في شرق الأندلس، وقد رأيتُ عزيز بن خطاب أكبر عالم بمُرْسِيَة حضرة السلطان في ذلك الأوان وإليه الإشارة وقد خطب له بالملك في تلك الجهة وهو حاسر الرأس، وشيبه قد غلب على سواد شعره، وابن هُود الذي ملك الأندلس في

عصرنا رأيته بجميع أحواله ببلاد الأندلس وهو دون عمامة، وكذلك ابن الأحمر الذي معظم الأندلس الآن في يده. نقلًا عن «نُقْل الأديب».

***

ميّز غرامشي -هو من أعمق من تكلم عن علاقة المثقف بالسُّلطة والمجتمع- بين مثقف عُضْوي منتج؛ ومثقف مُسْتَهْلِك غير عُضْوي ولا منتج.

المثقف العُضْوي المنتج -في نظر غرامشي- هو فاعل مؤثر صاحب رسالة في المجتمع، وأما المثقف المُسْتَهْلِك فهو متفاعل مع نتاج الثقافة دون تأثير.

***

يُروى أن عمر بن الخطاب قال لرجل همّ بطلاق امرأته: لمَ تطلّقها؟ قال: لا أحبها، قال عمر: أوَكُلُّ البيوت تبنى على الحبّ، فأين الرعاية والتذمّم؟!

***

لبعض الأمر والنهي شهوة في النفس لا تقل عن شهوة الذنوب، ولسُلْطة الوعظ لذة تعدل لذة المنصب والجاه، وحيل النفس أدهى وأعقد مما نظن.

***

«الدين المعاملة»؛ هذه الكلمة ليست بحديث ولا أصل لها، وفي صحيح السنة من الحث على مكارم الأخلاق ما يغني عنها.

***

رَفْرَفَ الْقَلْبُ بجنبي كالذَّبِيحْ وأنا أهْتِفُ يا قلبُ اتَّئِد
فيجيب الدَّمْعُ والماضي الجريح لِمَ عُدْنا لَيْتَ أنّا لم نَعُد..

إبراهيم ناجي

يعدّ الشاعر الطبيب الرقيق إبراهيم ناجي من أعذب الشعراء المعاصرين، كان في النهار يعمل في عيادته ويكشف على الفقراء بلا ثمن، فإذا خيّم الليل تحوّل إلى شخصية أخرى؛ شخصية ماجنة ترتاد المسارح والحانات وتغرق في رذيلة المرأة، هذه الشخصية الغريبة المتناقضة سببت لهذه النفس الحساسة ألمًا قاسيًا، وحيّرت كثيرًا من ناقدي شعره وكاتبي ترجمته..

تُوفِّي ناجي هذا الإنسان الرقيق الشفاف في عيادته وهو يكشف على أحد مرضاه، وكان عاش في آخر حياته أيامًا محزنة بسبب نَقْدٍ قاسٍ وجهه له طه حسين، وكان قلم طه حسين في ذلك الوقت يقرأه أهل المشرق ويردد صداه المغرب.. رحم الله الشاعر إبراهيم ناجي هذا العذب المناداة الرقيق.

***

قرأت لأحمد خيري تعليقًا على نسخته الخاصة النادرة من ديوان أحمد شوقي عند قول شوقي:

سَلُوا قَلْبِي غَدَاةَ سَلا وتَابَا لَعَلَّ على الجمالِ له عِتابَا

قال أحمد خيري وهو مولع جدًّا بشوقي وشعره وحقّ له قال: لو قال شوقي هنا: «سلا قلبي» فإنه أجمل وأفضل؛ وذلك على عادة العرب في مخاطبة المثنى «قفا نبك»، وحتى يكون توافق بين قوله «سلا قلبي» وقوله بعدها «غداة سلا».. وهذه الفائدة من أحمد خيري

من الفوائد التي تقع للقارئ حين يقف على نسخ العلماء الخاصة فيما يعلّقونه، ولم أقرأها لأحد ممن نقد شعر شوقي.

***

أحد الأدباء في مصر لم يره الناس في الصباح لمدة ثمانية عشر عامًا، فلما قامت الحرب العالمية الأولى ومُنع التجوُّل في الليل؛ خرج على الناس في الصباح!

***

حدّد الفيلسوف برتراند راسل أربعة أسباب مادية لتحقيق قدر كبير من السعادة في هذه الحياة: وضع مادي جيد، صحة جيدة، عمل مريح، قلّة التفكير.. لم يكن برتراند راسل يضع شروطًا تعجيزية للسعادة، لكنه يقول: إنه بعد طول تفكير وَجَدَ أن سعادة الإنسان تنقص بحسب نقصه من هذه الأسباب الأربعة.

***

«قماشة» و«موزة» في أسماء نساء أهل نجد؛ هي أسماء أنواع من اللؤلؤ كان اقتبسها بعض النجديين أثناء عملهم في الغوص في بعض دول الخليج.

سمعت شيخنا العلامة بكر أبو زيد يصف شيئًا جميلًا فقال بالعامية كلامًا ثم قال: «حصة»، ففهمت من سياق كلامه أن اسم «حصة» لنوع من الجواهر وتفاجأت.

لا يوجد بيت في شقراء ما فيه اسم «هيلة»، ولا بيت في الزلفي ما فيه اسم «مزنة».

***

إحسان ورجاء وصباح.. من الأسماء المشتركة بين الرجال والنساء، وللعلاونة كتاب طريف في هذا «تطريز الكساء في التساوي بين أسماء الرجال والنساء».

اسم «سارة» موجود عند اليهود والنصارى والمسلمين، على اختلاف يسير في النطق.

***

من المُضْحِكات المُبْكِيات في التحقيق: أن أحد المحققين مرّ بحديث قدسي فيه: يقول الله تعالى.. فعلّق في الهامش: لم أجد هذه الآية في كتاب الله!

***

تكثّر أحد المحققين في هوامشه؛ فترجم ترجمة حافلة لجبريل عليه السلام!

***

من أفضل من قرأت له من الأدباء المعاصرين على تفاوت بينهم: الشِّدْياق، المَنْفَلوطي، الرافعي، المازني، محمد كرد علي، زكي مبارك، الزيات، العقاد، طه حسين، مارون عبُّود، أمين نَخْلة، علي أدهم، محمود شاكر، أبو عبد الرحمن ابن عقيل.

***

لست أكره خطاب أحد في هذه الحياة؛ كخطاب من يكثر من «ينبغي» و «لا يجب» و «احذر» و «قم» و«اقعد» و«تنفس» وماذا تقصد وليتك وَضَّحْت؟!

***

تقـول الأديبـة الوجوديـة سـيمون دي بوفـوار فـي كتابها «كيـف تفكّر المرأة»: إن المرأة وهي تنظر في المرآة لا تنظر بعينيها وإنما بعيني الرجل.

***

للشـاعر المهجري الكبير رشيد سليم الخوري المعروف «بالشاعر القروي»؛ قصيدة في ديوانه يرثي بها السفينة الغارقة «تيتانيك».

عَـزّوا الجبال وأنـذروا الأطوادا إن الشـواهق ينخفضـن وهـادا
جبـلان يصطدمـان مـن أنباكـم أنَّ الجليـد يُحطِّـم الفـولاذا
لا تستخفُّوا بالضعيف وحاذروا زمنًـا يصيـر المـاء فيـه جمـادا
فهوى إلى الاعماق يلبسُ لُجها كفنًـا ويفتـرش القـرار وسـادا
تيتنيـك سـيدة البحـار وطالمـا كان القضـاء مهـدًا مـن سـادا

الشاعر القروي

***

سـمعت الصحفي السَّـاخر محمود السَّـعْدني وقد سـئل في مقابلة إذاعيـة آخـر حياتـه عما اسـتفاده مـن تجاربه فقـال: كل اللي اسـتفدته ملوش لزمه الآن أعمل بيه إيه.

***

من يعيد لي جلسة ليلية في سطح منزلنا قبل خمس وعشرين سنة؛ أستمع فيها إلى إذاعة الكويت والقاهرة والمذيعة هيام في مونت كارلو وماجد سرحان من لندن؟

***

كيف أُدعى فقيرًا وأنا أملك كلَّ هذا الليل..

***

لـي بحث تعبـت فيه كثيرًا عنوانه: ببليوغرافيا إعـادة الذاكرة.. وهو منشور في موقع رؤى فكرية.

ببليوغرافيا إعادة الذاكرة، عبدالله الهدلق

الحمـد لله والصـلاة والسـلام علـى رسـول الله وعلـى آلـه وصحبـه.. وبعـد فإنـه على كثـرة ما مَـرَّ بمجتمعنا مـن أحداث متتابعـات وأحـوال متباينـات، إلا أن المثقـف قد يشـعر ببعض الغيـاب لذاته الواعية، بسـبب مـن أن بعضًا من أحداثـه الثقافية والاجتماعيـة تجاوزتْهـا الأقـلام، ونحـن ما أحوجنـا إلى مركز للدراسـات الثقافية والاجتماعية يرصد بوعي ودقة تاريخ بلدنا وأحداثه الاجتماعية وتحولاته الفكرية، ليساند الجهود الرسمية الجيدة المبذولة في ذلك.

خطـرتْ في ذهنـي فكرة هذا الموضوع أثنـاء حوار جمعني ببعض الإخوة الأفاضل على هامش معرض الكتاب المقام في مدينة الرياض لعام ١٤٣٢هـ..

وأعنـي بالعنـوان: «ببليوغرافيـا إعادة الذاكـرة» الدلالة على أسـماء العنوانات من الكتب التي يستفيد منها القارئ في إعادة بعـض الملامح التاريخيـة والاجتماعيـة والثقافية إلـى ذاكرته، ورَدْم ما أصاب ثقافته من فجوات معرفية..

ويدخـل فيمـا ذكرته هنـا –وهو مهم– أسـماء بعض الكتب التـي قـد لا يدرك القـارئ أنها مـن مظانِّ الحديث عـن تاريخنا الثقافي والاجتماعي لبُعْد في العنوان..

وأود أن أؤكد هنا أني لا أريد أن أذكر ذلك النوع الرديء من الكتب السياسية المُغرضة التي لم تؤلف إلا للنيل من هذا البلد المبارك، فما كتبت لشيءٍ من هذا والله الموفق والمستعان ..

١. الذكرى العربية الذهبية، عبدالله فيلبي، ترجمة مصطفى كمال فايد.

٢. دليل الخليج، لوريمر، يُعنى بتاريخ الخليج العربي وجغرافيته، ألفه لوريمر بتكليف من الحكومة البريطانية، له أكثر من ترجمة، وهناك قطع مستلة منه، أشهر نشراته التامة الترجمة التي صدرت في قطر.

٣. فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، جمع وترتيب الشيخ محمد ابن قاسم، أصله نادر وله مصورات، هذا الكتاب مهم جدًّا في درس الحياة الدينية والاجتماعية بل وتأسيس أنظمة الدولة.. وهو من المصادر المجهولة عند كثير من الباحثين مع أهمية مادته العلمية.

٤. عبدالله الطريقي.. صخور النفط ورمال السياسة، محمد السيف.. كتاب ينصف هذه الشخصية الرائدة ويتحدث عن علاقتها بالسياسة النفطية والتنموية للمملكة.

٥. الجزيرة العربية في الوثائق الأجنبية، نجدة فتحي صفوة، رأيت منه سبعة مجلدات.

٦. من سوانح الذكريات، لشيخنا العلامة حمد الجاسر، وهو مقالات كان نشرها في المجلة العربية، وقد أخبرني -رحمه الله- أنه اضطر إلى إيقافها بعد أن تحرَّجت المجلة من نشر حلقات لا تحتمل سياسة المجلة نشرها لما فيها من صراحة.

٧. لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، علي الوردي. فيه -على غير ما يوحي به عنوانه- معلومات كثيرة عن المملكة.

٨. الخبر والعيان، لخالد الفرج.

٩. تأثير الفكر الناصري على الخليج العربي ١٩٥٢-١٩٧١، نور الدين بن الحبيب حجلاوي، صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية، الفصل الثاني منه عن تأثير الفكر الناصري على المملكة العربية السعودية. «فصل مهم».. لا يكاد الباحث يجد كتابة ذات شأن عن تاريخ الفكر الناصري في بلادنا على أهميته وما صاحبه من أحداث.

«من باب الفائدة اللطيفة: ذكر الشيخ البسام في ترجمة شيخه العلامة عبدالرحمن السعدي أنه -رحمه الله- قد خصص في آخر حياته خُطبتين من خطب الجمعة للحديث عن العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦». وكذا لم أقف على بحث يتحدث حديثًا وافيًا عن رصد للحركة الشيوعية عندنا، وذلك على خلاف ما تجده في تواريخ غيرنا من خلق الله.

١٠. ذاكرة الرواق وحلم المطبعة.. أصول الثقافة الحديثة في مكة المكرمة ١١٠١-١٣٨٤، حسين بافقيه.

١١. النجم اللامع.. وهو مذكرات تاريخية مهمة لمحمد العلي العبيد.. يتداول مخطوطًا، ومكتوبًا بالآلة الكاتبة باعتناء الأستاذ البطحي.. يعمل بعض الأفاضل من إخواننا على تحقيقه ونشره. «منشور الآن».

١٢. البدوي الأخير.. القبائل البدوية في الصحراء العربية، مارسيل كوربر شوك، ترجمة عبدالإله النعيمي.

١٣. شيء من النقد شيء من التاريخ.. آراء في الحداثة والصحوة وفي الليبرالية واليسار، علي العميم.

١٤. تاريخ العراق بين احتلالين، عباس العزاوي. الكتاب على غير ما يوحي به عنوانه.. مؤلفات الأستاذ العزاوي في غاية النفاسة، ساعده في ذلك ما كان يمتلكه من مكتبة تعد في وقتها من أنفس المكتبات الشخصية في العالم العربي .

١٥. أيام مع جهيمان، كنت مع الجماعة السلفية المحتسبة، ناصر الحزيمي

١٦. المملكة من الداخل، روبرت ليسي، ترجمة خالد العوض، صدر عن المسبار.. «للمؤلف نفسه كتاب عن المملكة صدر قديمًا وهو يختلف عن هذا الكتاب».

١٧. درر نحور الحور العين، لطف الله جحاف اليمني، هو عن تاريـخ الإمام المنصور اليمني لكن فيه أخبار عن الدولة السعودية الأولى.

١٨. خواطر وذكريات، إبراهيم الحسون. مهم وماتع.

١٩. تاريـخ العربية السـعودية، ألكسـي فاسيلييف. مؤلفه باحـث روسـي معروف، كنـت قابلته سـريعًا وهو في غاية الصلف والغرور، لكن كتابه مهم.

٢٠. السعودية.. سيرة دولة ومجتمع، عبدالعزيز الخضر.

٢١. عجائـب الآثـار، الجبرتـي، اسـتلَّ منـه محمـد أديب غالـب كتابـه «مـن أخبـار الحجـاز ونجـد فـي تاريخ الجبرتي .»

٢٢. الانقـلاب.. بيـع الوهـم على الـذات، هو سـيرة ذاتية لعادل اللباد.

٢٣. حكاية الحداثة في المملكة، عبدالله الغذامي .

٢٤. مجموعـة الأعمال الكاملة للأسـتاذ أحمد الشـقيري «قسم المذكرات».

٢٥. ألـف ميـل في خطـوة واحدة، عبـدالله بن مسـاعد بن عبدالعزيز آل سعود.

٢٦. عبـدالله القصيمـي مـن أصولـي إلـى ملحـد، يورغن فـازلا، ترجمة محمـود كبيبو.. ثم طبـع ثانية بعنوان: مـن أصولي إلـى متمرد، وثالثة بعنـوان: التمرد على السلفية.

٢٧. القبليـة.. عجز الأكاديمي ومراوغـة المثقف، نعيمان عثمان.

٢٨. عبدالله فيلبي قطعة من تاريخ العرب الحديث، خيري حمـاد.. خيـري حماد مؤلـف ومترجم غزيـر الإنتاج ولـه روائـع، لكن لا تكاد تجد عنـه كتابة محررة، فهو مـن «المنقطعيـن» الذين نسيهم النـاس، وقفت على ذكـر جيـد له في كتـاب «موسـوعة أعلام فلسـطين»، لمحمد عمر حمادة.

على ذكر «المنقطعين» طالع المقدمة الساخرة الجميلة التي كتبها مارون عبود لكتابه «رواد النهضة الحديثة» ما رأيك في أن أسـوق لك شـيئًا منها حتى نكسر من حدة ما نحن فيه.. أجدني أحن -أبدًا- إلى كتاباته لما فيها من ظرافة الروح.

قـال مـارون عبـود فـي فاتحة هـذا الكتاب وأسـوق مـا قاله بشـيءٍ مـن التصـرف: «ماهـذه بمقدمة .. يـا سـبحان الله! قلما خلـت عـادة مـن فائـدة، فالمرحوم والـدي -رحـم الله موتاكم أجمعيـن- كان يجبرنا على الصلاة كل مسـاء، فلا ينسـاها ليلة ولا يخـرم منهـا حرفًـا، أذكر أنه سـاقنا كلنا مـرة وركعنا بجانب فـراش أمـي الممغوصـة وقـال لهـا: يـا أم مـارون صلـي معنـا تصحِّـي.. كانـت أمـي -نيـح الله نفسـها- مـن القانتـات تحب الصـلاة كثيـرًا، كيـف لا وهي بنـت الخوري موسـى الذي كان يتوسـل إلـى ربـه بصـلاة أطـول من يـوم الجـوع، ليرفـضَّ عنه الشـباب الذيـن يسـهرون عند بناتـه الكثيرات! ولكنهـا أي أمي كانـت تهـوم متـى قامت الصلاة، ثـم لا تنفك تفعـل ذلك حتى يرفـع الوالـد عقيرتـه، وكثيـرًا مـا ينكعهـا إذا لـم توقظهـا أول كيرياليسـون.. ثم يمضـي غردًا كفعل الشـارب المترنم على ما

في صوته من بحة وصحل، فيقول خمس مرات أبانا وسلام لأجل راحة نفس جدكم ليعامله الله بالرحمة، ويفرض مثلها لجدنا الآخر، ولجدتنا الأخرى، ومثلها لأقاربنا أجمعين، ومثلها لجميع الموتى المؤمنين.. ثم لأجل من له علينا فضل وتعب، وأخيرًا لأجل «المنقطعين».. قد لا تكون جنابك من «شعب الله الخاص» فلا تفهم ما يراد «بالمنقطعين» .. إنهم أولئك الذين ليس لهم عقب يصلي لأجلهم ويقدس.. أجل لقد بعد العهد بيننا وبين تلك الصلوات، ولكني فطنت في هذه الأيام إلى أن الصلاة «للمنقطعين» نفعتني جدًّا، إن لم يكن في الدين ففي الأدب وكم للدين عند العلم والأدب من يد، إني أميل جدًّا إلى منقطعي الأدب وكثيرًا ما أفكر بهم، ولهذا دعوت الأمة العربية منذ خمسة عشر عامًا إلى الاحتفال بذكرى الخمسين لأحمد فارس الشدياق أعظم نوابغنا في القرن التاسع عشر.. وها أنا ذا أعود اليوم إلى هؤلاء المنقطعين جميعًا.. والآن ألتمس منك أن تقرأ جيدًا أو لا تقرأ، اترك كتابي في ذقني إذا رأيتني أقول فيه ما لا توافقني أنت عليه، فالناس تناضل لأجل حرية القول، وأنا أهبك حرية القراءة.. انتهى.

قلت: تعرفت إلى مثقف لبناني أخبرني أن مارون عبود طلب وهو في مرض موته أن يحضروا له شيخًا مسلمًا.. صلاتي لك أيها المنقطع عسى أن يكون الله توفاك على ملة الإسلام .. وين صِرْنا !

٢٩. المملكة العربية كما عرفتها، للوزير العراقي المفوض في السعودية أمين المميز ١٩٥٤-١٩٥٦.. فيه معلومات وصور نادرة.

٣٠. في قلب المملكة.. حياتي في السعودية، لكارمن الزوجة السابقة ليسلم بن لادن، فيه تجنٍّ وتحامل، لكن تطالع فيه وصفًا جيدًا لآل لادن حيث عاشت بينهم سنوات .

٣١. معركة الصريف بين المصادر التاريخية والروايات الشفهية ، فيصل السمحان،ط٢.

٣٢. حوارات مع يحيى حقي.. كان الأديب المعروف يحيى حقِّي عمل أول شبابه في السلك الدبلوماسي في جدة، وساق في هذا الحوار ذكريات حافلة عن الأيام التي قضاها هناك.

٣٣. النساء العربيات في العشرينيات حضورًا وهوية.. هو بحوث مؤتمر أقامه تجمع الباحثات اللبنانيات من إصدار مركز دراسات الوحدة العربية.. فيه بحث لثريا التركي بعنوان «عنيزيات في زمن يهتز».. وهو دراسة اجتماعية عن نساء مدينة عنيزة.

٣٤. . ذكريات ومذكرات اللواء جميل الميمان، مدير مكافحة المخدرات السابق.. فيه قصص مهمة تتعلق بعمله رحمه الله، طالعت الجزء الثاني منه، ولم أجده يباع.

٣٥. الرحلة النجدية الحجازية: صور من حياة البادية، الشيخ محمد بهجة البيطار.

٣٦. الحداثة والليبرالية معًا على الطريق، شاكر النابلسي. الحقُّ أن هذا الكاتب مُرتزق.

٣٧. فتنة القول بتعليم البنات في المملكة العربية السعودية، مقاربة دينية وسياسية واجتماعية، عبدالله الوشمي .

٣٨. الكويت وجاراتها، ديكسون، ترجمة فتوح الخترش .

***

كتاب «دليل الرجل السياسي»، لجول مازارين، له أكثر من ترجمة أفضلها ترجمة خضر خضر. صدرت عن منشورات جروس برس سنة ٢٠٠٠ في ١٦٣ صفحة.

ولد مازارين في إيطاليا لأسرة من عامة الشعب سنة ١٦٠٢، وتوفّي في فرنسا سنة ١٦٦١ وهو أكبر وأقدر رجل فيها.

بعد وفاة لويس الثالث عشر أصبح مازارين السيد المطلق في فرنسا وتولى تربية لويس الرابع عشر أعظم ملوك أوروبا، الذي كان يُلقَّب «الملك الشمس».

عند وفاته تنازل عن جزء كبير من ثروته الخيالية للويس الرابع عشر، وأوصى بمكتبته الغنية جدًّا للأمة الفرنسية.

خلف مازارين تراثًا ضخمًا يملأ سبع مجلدات، ومنها كتابه «دليل

الرجل السياسي» الذي ألَّفه للويس الرابع عشر وضمَّنه خلاصة تجربته في السياسة والحياة.

كان لويس الرابع عشر أعظم وأقوى ملوك أوروبا يقول: لا أدري كيف كنت سأحكم لو امتدَّ العُمُر بمازارين؟

سأسوق بعض وصايا مازارين التي أحدثت جدلًا وكانت مجالًا للمقارنة مع كتاب «الأمير» لمكيافيلي، وقد حرصت على ذلك لعدم شهرة الكتاب في ثقافتنا:

- على السياسي ألا ينسى أبدًا بأن القمَّة التي ارتفع إليها تُحاذي دائمًا هاوية الانحدار.
- أولئك الذين يكيلون المدح لأنفسهم بكثير من الصَّخَب لا يمكن اعتبارهم خطرين.
- لا تثق بمن يعد بسهولة فهو كذاب.
- إذا ما أصبح أحد الفاسدين فجأة من أدعياء الفضيلة؛ راقبه جيدًا.
- إذا ما دفعك أحدهم إلى عمل ما؛ فاحرص على أن يتحمل معك مخاطر ذلك العمل.
- تَصَرَّفْ مع أصدقائك كما لو كانوا سيصبحون أعداءك.
- يبدأ الخطر في مجموعة المصالح عندما يصبح أحد الأطراف قويًّا جدًّا.
- احذر أولئك الذين تدفعك عواطفك نحوهم.
- عندما تحرص على الحصول على شيء ما؛ يجب ألا يلحظ أي إنسان ذلك قبل أن تحصل عليه.

- عليك معرفة كل شيءٍ دون أن تقول شيئًا، وأن تكون لطيفًا مع كل إنسان دون أن تمنح ثقتك لأيٍّ كان.
- اجعل هذه الأمور الخمسة دائمًا نصب عينيك: تظاهر بالشيء، لا تُفْشِ سِرَّك، لا تثق بأحد، قل حَسَنًا عن كل الناس، فكِّر قبل أن تُقدم.

وفي ختام الحديث عن هذا الكتاب وصاحبه والنقول التي نقلتها عنه؛ أحب أن أنبه على أن الفكر السياسي العملي لا يحفل كثيرًا بالأخلاق وإنما بالنتائج.

***

لا تهتمَّ كثيرًا بصورتك لدى الآخرين؛ لأنهم مشغولون بأنفسهم فوق ما تتصور.

***

يميل بعض الناس إلى فلسفة رذائله أكثر من ميله إلى اكتساب الفضائل.

***

«موسوعة النظرية الثقافية، المفاهيم والمصطلحات الأساسية»، تحرير: إدجار بيتر، ترجمة هناء الجوهري عن المركز القومي للترجمة ٢٠٠٩. كتاب نافع.

من المصطلحات والمفاهيم المعرفية في الموسوعة: العالم الفني، النزعة السلوكية، المجتمع المدني، تقديس السلع، الثقافة الإلكترونية، الوعي.

***

بعض الكتب إذا كان طبعها في آخر السنة يقدِّمون تاريخها للسنة القادمة حتى لا يُظن أنها قديمة.

***

يكثر في الهند نسبة العلماء إلى المدارس كالنَّدْوي والرَّحْماني، وفي الشام إلى المهنة كالطَّبَّاخ والصَّبَّاغ، وعند الشيعة إلى الكتب كالجَواهري.

***

المؤلفات في الفكر السياسي في تراثنا تسمى: الأحكام السُّلْطَانية، ثم تغير مُسَمَّاها إلى السياسة الشرعية.

***

هناك أختام توجد على الوثائق مختومة بختم القاضي وفيه التاريخ، وربما ظن قارئ الوثيقة أنه تاريخ ختم الوثيقة، والصحيح أنه تاريخ سَكِّ الخاتم.

***

كانت المخطوطات في الخزائن تصفّ بعضها فوق بعض، وليس عموديًّا كما نفعل بالكتب اليوم.

***

قام ديفيد وينز بتأليف كتاب «في مطبخ الخليفة».. أخذ الطبخة من كتب الطبخ العباسية وحولَّها بمقادير أيامنا مع صورة لها.

***

ظَلَّت روما عظيمة طوال العهد الذي كان لها فيه أعداء يرغمونها على التبصُّر في العواقب، فلما ظفرت بأعدائها جميعًا بدأت في الاحتضار.. ديورانت.

***

لو علمنا الغيب لما أصبح للتاريخ معنى.

***

شِعْر الحَداثة كأشعار التراث فيه الحسن والقبيح، الشعر لا يُذَمُّ لأنه حداثي ولا يُمْدَح لأنه قديم، مقياسه الجمال الفني.

بعض تفعيلات الشعر الحداثي وقوافيه أصعب من طرائق الأولين! ولكثير منهم أشعار على تلك الطرائق.

***

هذا التَّرَف الحضاريُّ يؤخر نُضْج الشخصية.. ترى الرَّجُلَ في الثلاثين من عمره وعَقْلُه في مثل عقل ابن الخامسة عشرة أو الثامنة عشرة من الأجيال السابقة.

أخبرني جَدِّي -رحمه الله- وكان قد ذاق من مرارة الدنيا شيئًا كثيرًا: أنه سافر للعمل من شقراء إلى الأحساء وهو في العاشرة من عُمُره.

***

الإحساس بالمسؤولية من أقوى المعاني التي تصوغ شخصية الإنسان.

***

يمكن للمرء أن يُطلق على نظرية المعرفة اسم: نظرية النظريات.. كارل بوبر.

***

منهج العلم هو المنهج النقدي، منهج المحاولة والخطأ: منهج اقتراح الفروض الجريئة، وتعريضها لأعنف نقد ممكن كيما نتبين مواطن الخطأ فيها.. بوبر.

***

حين تضعف روح الأُمَّة يكثر فيها التعلُّق بالدَّجَل والشَّعْوَذة والمنامات.. ويكون أفرادها صيدًا سهلًا لبائعي الوهم من سَقَط المُرتزقة.

***

إننا نُصيب حين نلاحق أولئك الذين يعطون شيكات بلا رصيد، ولكن ينبغي الاهتمام بأولئك الذين يجمعون رصيدًا دون إعطاء شيكات.. ساشا غيتري.

***

وراء هذا الأفق شيءٌ يقول لنا: إنه لا شيء وراء هذا الأفق.. هذا في رأيي ما يقوله الفلاسفة حين يثرثرون في الميتافيزيقيا.

***

صدر قديمًا: عام ١٩٧٨ لسيد عويس كتاب «رسائل إلى الإمام الشافعي»، وهو دراسة اجتماعية لرسائل أرسلت حقيقة إلى ضريح الشافعي تطلب منه المَدَد.

***

تتجلَّى عَظَمة الله في عجز عقولنا عن إدراك هذه العظمة.

***

هناك شيئان لا يستطيع المرء أن يحدِّق فيهما: الشمس والموت.. لاروشفوكو.

***

صدر قديمًا: عن دار المعارف ١٩٤٥ كتاب «نظرات في الحياة والمجتمع»، للناقد الموسوعي الكبير علي أدهم. هذا الكاتب العصامي الفذّ قد نسيه قراء اليوم.

***

أطالع الجزء الخامس من «مذكرات» العلامة كرد علي ت١٩٥٣.. صدر الكتاب عام ٢٠٠٨ عن المعهد الفرنسي.. وكانت الأجزاء الأربعة قد طبعت في حياة المؤلف.

***

مصيبة الشرق بأبنائه أعظم من مصيبته بأعدائه.. محمد كرد علي.

***

الإنسان العربي شديد الإحساس بوطأة المِلْكِيَّة، لذلك لم تنجح الأنظمة الاشتراكية في البلدان العربية.

***

وجدتُ -على غير ما كان يُقال لنا- أن أكثر دوائر الغرب العلمية اليوم تقول بنظرية داروين، ولكن المستقبل العلمي في تلك الدوائر ليس لهذه النظرية.

ليست نظرية داروين من النظريات القديمة التي اطَّرحها الغرب كما تُصوِّر ذلك كتب الثقافة الإسلامية عندنا، كثير من الدوائر العلمية الغربية تطورية.

ديسكفري وناشونال جيوغرافيك داروينية تطورية بامتياز.

الكشوف العلمية الحديثة أحرجت الداروينية التطورية «الجينوم»، «الهندسة الوراثية» ما جعل الداروينيين الكبار يعدِّلون في النظرية.

المُكَبِّر الذي كان يستخدمه داروين تجاوزته معامل المدارس الابتدائية في زمننا الحاضر.

يرى كثير من دارسي داروين أنه كان مجتهدًا لكنه لم يوفق إلى الحقيقتين: الشرعية والعلمية.

من الجوانب الإيجابية الخارجة عن صميم نظرية داروين؛ أن هذه النظرية كانت من أقوى ما حفز العلماء على كثير من الكشوف العلمية الحديثة.

«الغصن الذهبي» لفريزر، و«اللاشعور» عند فرويد من آثار نظرية داروين.

نظرية داروين وأثرها والكشوف التي حفزتها والجدل الذي دار عنها؛ حريٌّ بأن يحملنا على درسها درسًا جادًّا ونقضها بالحقيقة العلمية وليس بالاستخفاف بها.

للأستاذ العلامة الدكتور صبري الدمرداش حلقات جيدة على اليوتيوب في التعريف بهذه النظرية والرد عليها ردًّا علميًّا جيدًا.

لا يمكن الجمع بين نظرية داروين وبين ما قالته الأديان عن أصل الإنسان.

كان العلم التجريبي عاجزًا عن الإجابة عن كثير من أسئلة الوجود الكبرى التي كانت تجيب عنها الأديان، لذا فرح العلماء التجريبيون كثيرًا بنظرية داروين على ما فيها.

مشكلة الترجمات عندنا أنها تترجم الفكر السائد في المرحلة الغربية؛ ولا تترجم الكتب التي ناقشت هذا الفكر، ومن ذلك نظرية داروين. هناك كتب كثيرة جدًّا ردت على نظرية داروين من مؤلفين غربيين، لنا الحق في أن تترجم إلى ثقافتنا حتى تتوازن الآراء.

لا أقول بالتطور ولا بالقردة العليا، لكني حين أعامل بعض الناس أميل إلى القول بأن القرد إنسان بلا قناع.

***

صدر قديمًا: ١٩٦٣ كتاب «في ضوء الرسالة»، لأحمد حسن الزيات، نَشَر فيه ما كتبه بعد إيقاف المجلة. في مقدمته مقابلة نادرة معه في ثنتي عشرة صفحة.

***

الأنا مكروهة، لكن «أنا» الآخرين.. فاليري.

***

الأنا مكروهة لكن قد تُغتفر للعقاد وزكي مبارك.

***

كوريتا زوجة مارتن لوثر كنج، وزوجة دوستويفسكي، وسوزان زوجة طه حسين، وتحية زوجة عبدالناصر.. كل واحدة من هؤلاء لها كتاب عن زوجها.

***

علي الوردي ينزع في كتاباته إلى التفكيك والتحليل، وهذا النوع من الكتابات يضيف قيمة فكرية لا يجدها القارئ في كثير من كتابات المعاصرين.

***

الديموقراطية: أن تقول ما تشاء، وتفعل ما يقال لك.. جيرالد پاري.

***

«الذهب المَسْبوك في ذكر من حَجَّ من الخلفاء والملوك».. للمَقريزي، بتحقيق جمال الدين الشيال، لطيف ماتع فيه فوائد غُرّ.

***

عادل زعيتر، ومنير بعلبكي، ومحمد بدران، وخيري حماد، وحسن عثمان، وفؤاد أندراوس، وجبرا إبراهيم جبرا، وطرابيشي. من خيرة المترجمين.

***

«مذكرات محمد عبدالله عنان» جميلة وحافلة، لكنه أبان فيها عن عنصرية بغيضة عفا الله عنه.

***

لتوفيق الحكيم خمسة كتب في سيرته الذاتية.. عَودة الرُّوح، وعصفور من الشرق، وزَهْرة العمر، وسِجن العمر، ومذكرات نائب في الأرياف.

***

يقال: إن آدم عليه السلام كان أسعد الأزواج، لأنه لم يكن لحواء أقارب.

***

كنت قرأت أن المحامي والقارئ الكبير عباس العَزّاوي كان يتقاضى بعض أتعابه كتبًا!

***

مما قرأت: عليك أن تنتقي أعداءك بالدقة نفسها التي تنتقي بها أصدقاءك.

***

بعض الناس كالفضة ظاهره نظيف فإذا لَمَسْتَهُ اتسخت يداك! من مثنوي جلال الدين.

***

كتاب «ماوتسي تونج.. القصة المجهولة» ليونج تشانغ وجون هوليداي.. صدر مترجمًا عن دار النهار ٢٠٠٧.. لعله أوفى كتاب عن ماو في المكتبة العربية.

***

من قال إن المعرفة وحدها فضيلة.. كان فرانسيس بيكون وليبنتز وبرتراند راسل من أحطِّ الناس.

***

ليبنتز وأناتول فرانس وبورخيس من أوسع الكتاب الغربيين اطلاعًا.

***

صدر قديمًا: كتاب «أناتول فرانس في مباذله» لجان جاك بروسُّون.. من ترجمة الأمير شكيب أرسلان، غاية في النفاسة لعمق تصويره لشخصية أناتول فرانس.

***

بين يدي كتب «روح الشرائع» لمونتسكيو.. صدر عن دار المعارف بمصر ١٩٥٣ بترجمة عادل زعيتر في جزأين، يُعَدُّ هذا الكتاب من نوادر الكتب اليوم.

***

«الأمير» لمكيافيلي، و«روح الشرائع» لمونتسكيو، و«العقد الاجتماعي» لروسو، و«رسائل» فولتير؛ من أعظم الكتب تأثيرًا في الثورة الفرنسية.

***

ورد في السيرة الذاتية التي كتبتها ألكسندرا أورلوفا للموسيقار العالمي تشايكوفسكي: أنه أَلَّفَ بُحيرة البَجَع بوحي من علاقة جنسية شاذة.

***

أنيس منصور بَيَّاعٌ رديءٌ للكلام.. وما أكثر ما يتبجَّح بسعة اطلاعه وهو دون ذلك بكثير.. هو ممن ندمت كثيرًا على اغتراري به في بدايات القراءة.

***

مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية هو الذي أشار على العقاد بكتابة «عبقرية عمر»، وكان مصطفى محمد لا يقرأ ولا يكتب!

كان الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد يعمل -في شبابه- مراجِعًا عند مصطفى محمد بخمسة قروش للملزمة الواحدة.

***

سـألتُ الراوية الشـعبي الكبير رديني العبدالكريم عن أشهر شعراء النَّبَط فقال لي: يُشَبِّهون الشعر بجزور سنامه محمد العبدالله القاضي.

***

مما يؤثر وينسب لمبارك الصباح: الشعراء عقب ابن لعبون يلعبون.

***

الشاعر الكبير ابن لعبون توفي بالطاعون، وقد أرخ لوفاته والده في تاريخه.

***

أَلْفِيَّـة ابن عمَّار: أَلْـفٍ أَوَلِّفْ من كلامٍ نظيفِ.. من أجمل الألفيات في الشعر النَّبَطِي.

***

لابن عمار بيتان مجهولان هما:

ما كلّ مـن قال آه   مثلـي بمشـكاه
ولا كلّ شـكوى   تسـتحقّ الونيني

***

ممـا يؤثـر عـن بعـض العيارين من أهل شـقراء في رجـل تتقلب به أحواله في اقتناص الدنيا:

يومٍ قَاضٍ يقضي شرعي   واليوم الآخر حنشولي

***

قالت لي امرأة جَدِّي رحمها الله -وكانت الحياة عركتها كثيرًا- وذلك بعد شكوى اشتكيتُها لها: وأنا أمك الحظّ مثل ابن آدم يمرض ويطيب.

***

تُذكِّرني خسارة أونصة الذهب برجل قيل له: مساكين اللي عندهم ذهب نازلٍ سعره، فقال: المساكين اللي ما عندهم ذهب.

***

أجمل ما في الرسائل الشخصية المتبادلة بين الأعلام أنها لم تكتب لتُنشر، لذلك يوجد فيها من تصوير شخصية المُرْسِل ما لا يوجد في غيرها من كتاباته.

***

لأنستاس الكَرْمِلي خمس مجموعات من الرسائل المنشورة، رسائله مع تيمور وماسينيون وأحمد زكي وكرد علي والألوسي، أفضلها رسائله مع تيمور.

***

هناك كتاب مترجم قبل سنوات عنوانه «رسائل الآباء إلى الأبناء»، لطيف، انتقى فيه رسائل أرسلها كثير من الأعلام إلى أبنائهم.

***

لـي صاحبٌ لو مدحه المتنبي لما حفـل بمدحه، لكنه يكاد يمرض حين يسيء إليه أحدٌ من الناس.. فلله اختلاف هذه الأنفس والقناعات والطبائع.

***

إن فهـم الحيـاة هـو أن نفتح لمشـاهدها أبواب العقـل، وأما تذوُّق الحيـاة فهـو أن نفتـح لتجاربهـا أبـواب الشـعور.. الناقـد الكبيـر أنـور المعدّاوي.

***

كن خيرًا من الدنيا، إن لم تتجمل معك فتجمّل معها.

***

يقول بعض الغربيين: لو أخذنا جميع الأدوية الموجودة في العالم وألقينـا بهـا في البحر لمـا تضرَّر إلا السـمك! بعض شـركات الأدوية عصابات مافيا.

***

قرأت: أن تجارة الأدوية تحتل مرتبة بعد مرتبة تجارة الأسلحة.

***

فـي «تباريح التباريح» لشـيخنا العلامة أبـي عبدالرحمن ابن عقيل: وصف لطفولته في شقراء هو من أجمل ما قرأت وأمتعه وألذُّه.

***

هناك جانب في شعر شوقي غفل عنه بعض دارسيه ومحبيه وهو: روائع معارضاته الشعرية وكثرتها، لمحمد بوذينة كتاب جمع فيه هذه المعارضات.

***

«ديوان أبي فراس الحَمْداني» بتحقيق سامي الدهان من أندر الدواوين وأغلاها في المكتبة العربية.. صدر عن المعهد الفرنسي بدمشق، وهو من أمثل الدواوين العربية في صنعة التحقيق حيث راجعه سامي الدهان على أكثر من ثلاثين مخطوطة.

***

قال العقاد: كان يعقوب صَرُّوف يقول لي مازحًا: إياك أن تكون من شعراء شكوى الزمان.. وحذارِ أن تحسب البؤس زينة للأديب وقسمة مقدورة للأذكياء.

***

عند بعض المبدعين صفة سلبية يسميها الدكتور علي الوردي: عقدة الاستقصاء.. حيث يبالغ في طلب الكمال فيما يعمله حتى يصدّه ذلك عن الإنتاج والإفادة.

***

للأستاذ عبدالكريم الجهيمان رحمه الله كتاب جيّد عن حياته عنوانه «مذكرات وذكريات من حياتي»، صدر سنة ١٤١٥ في ٣٢٠ صفحة.

***

قرأت: أن بعض الأساتذة الأمريكيين كان يخلع قُبعته حين يدخل الفصل احترامًا لطلبته ويقول: ربما كان فيهم رئيس لأمريكا، وقد كان!

***

هذا كتاب غثيث «منطق البحث العلمي» لأشهر فلاسفة العلم في القرن العشرين كارل بوبر، عمل فيه مؤلِّفه قريبًا من ستين سنة.

***

من كلام العامة وما أكثر الحكمة في كلامهم: سبحانه.. ما يكلّف إلا ويعين.

***

قيل: إن الشخص يظل يترقى في السُّلَّم الوظيفي حتى يصل إلى أعلى مستوى من قلة الكفاءة!

يقول جلال أمين في تفسير هذه الكلمة: إذا أجاد الإنسان وظيفة رُقِّيَ إلى أعلى منها حتى يصل إلى وظيفة أعلى من قدراته فيسيء أداءها.

***

لِمَ نعيب على من يروج لنفسه ونحن لا ننفك عن بشريتنا؛ حين دخل الحافظ عبدالرزّاق مكة ولم يجتمع عليه الناس تعلَّق بالكعبة وقال: يارب أيهوديٌّ أنا؟

***

يسـقط العقـل القديم لانتفاء الوظيفة سـقوطًا طبيعيًّـا صحيًّا؛ مثلما تسقط عن الطفل أسنانه اللبنية.. عادل مصطفى.

***

قال شكسبير: خلق الله لك وجهًا وأبيت إلا أن تعيش بوجه آخر.

***

فـي كتاب العقاد «عرائس وشـياطين» وهو منتخبـات عالية انتخبها من عيون الشعر العربي ورد هذا البيت:

العِـزُّ فـي العُزْلـة لكنّـه   لا بـدّ للناس من الناسِ

***

حيـن يَحْطِـمُ فردٌ ما بعـض القواعد في محاولة لإيجـاد نمط حياته الخاص يسـير عكس تيار النظام القائم؛ فلا يعود أمام المجتمع إلا أن يَحْطِمَ هذا الفرد.. فوندا.

***

يُكثر مؤلفونا -على امتداد حركة التأليف العربي- من الاعتذار إلى القارئ واسترحامه لتجاوز ما قد يراه من عيب أو خلل في التأليف.

ويعتذر مؤلفونا عن ذلك بشـتى الأعذار: من تبلبل الحال وتشـتت الذهـن وضعف الخاطر ونقص البشـر.. ألم تكن هـذه الأعذار مدعاة ليطلـب المؤلـف من القـارئ أن ينقده ويسـتدرك عليه بمـا يُصلح من مؤلَّفـه بـدل أن يطلـب منـا أن نسـامحه ونتجـاوز عن أوهامـه؟ أم هي العقلية الشرقية التي لا تخشى شيئًا كما تخشى النقد؟

***

إن كثيرًا من الكتاب يفكرون في أثناء عملية الكتابة لا قبلها، والقلم عندهم هو الذي يبدع الفكرة.. سومرست موم.

***

يجمع مؤرخو الآداب الغربية على أن المقالة الأدبية الحديثة عرفت سبيلها إلى الحياة على يد الكاتب الفرنسي: ميشيل دي مونتين ت ١٥٩٢.

***

من الكتب الأصول في فن المقالة الأدبية: كتاب الدكتور زكي نجيب محمود «جنة العبيط»، وكتاب الدكتور محمد يوسف نجم «فن المقالة».

***

في قليلٍ من الناس وكثيرٍ من الكتب؛ ما أجمل هذا لو استجابت الحياة.

***

ليس من العيب أن يغير المرء آراءه؛ إنما العيب أن يغير مبادئه.

***

لشيخنا العلامة حمد الجاسر استدراكات على كتاب البسام «علماء نجد» نشرها في تسع وعشرين حلقة في جريدة الرياض، ليت أن مؤسسته تصدرها في كتاب.

***

يخلط بعض القراء بين ثلاثة من الأعلام كلٌّ يقال له «ابن نُباتة».. هناك ابن نُباتة صاحب الخطب، وابن نُباتة السعدي الشاعر، وابن نُباتة المصري.

يخلط بعض القراء بين الشاعر اللبناني بشارة عبدالله الخوري «الأخطل الصغير»، وبين الشاعر اللبناني رشيد سليم الخوري «الشاعر القروي».

ويخلطون بين محمد الأمين الشنقيطي نزيل الزبير وهو الذي تزوج تقي الدين الهلالي ابنته، وبين محمد الأمين الشنقيطي صاحب «أضواء البيان» نزيل المدينة.

ويخلطون بين القُرْطبي المفسر والقُرْطبي صاحب «المُفْهم في شرح مسلم».

ويخلطون بين الدَّارِمي صاحب الرد على بشر المريسي، وبين الدَّارِمي المُحدِّث الكبير صاحب السنن.

ويخلطون بين محمود شاكر صاحب التاريخ الإسلامي والتواريخ المطبوعة، وبين العلامة الكبير أبي فهر محمود محمد شاكر.

ويخلطون بين ابن حَجَر العسقلاني صاحب فتح الباري، وبين ابن حَجَر الهَيْتَمِي.

ويخلطون بين ابن حَجَر الهَيْتَمي وبين الهَيْثَمي صاحب «مجمع الزوائد».

ويخلطون بين الحُصْري صاحب قصيدة «يا ليل الصبّ»، وبين الحُصْري مؤلف الكتاب المشهور «زهر الآداب».

ويخلطـون بيـن محمـد الطاهر ابـن عاشـور المقاصدي والمفسـر الكبيـر، وبين ابنه محمد الفاضل ابن عاشـور والفرق بينهما في السـن قليل وقد توفي الابن أولًا.

ويخلطون بين الألوسـي المفسـر صاحـب «روح المعانـي»، وبين حفيده محمود شكري الألوسي.

ومـن يُعـرف بالرافعـي فـي عصرنـا أربعـة.. يخلطون بيـن الرافعي الأديب الكبير صاحب «وحي القلم» وبين الرافعي مؤرخ مصر.

ويخلطـون بين أبي حنيفة الدِّينَوَرِي الذي يرد اسـمُه في كتب اللغة صاحب كتاب النّبات، وبين الإمام أبي حنيفة.

ويخلطـون فـي علمـاء العـراق المعاصرين بيـن: مصطفـى جواد، وجواد علي، وعلي جواد الطاهر، وناجي حسن، وهلال ناجي، وناجي معروف!

***

لعل الأهل يزهدون في والدهم -وإن كان على شـيءٍ من العلم أو الثقافة- لأنهم يرونه على حقيقته بلا رتوش!

قبـل سـنوات اتصـل علـى الهاتف الثابت شـخص فـرَدَّ عليـه ابني فسأله: هل الشيخ موجود؟ فذهب ابني إلى والدته يضحك ويقول: فيه واحد يقول الشيخ موجود!

***

للأسـتاذ أحمد الغَـزّاوي -رحمه الله- اختيارات بعنوان «شـذرات الذهـب» كان ينشـرها فـي مجلـة «المنهل» لعدة سـنوات، ثم نشـرتها المجلة في مجلد ضخم.

ليس لما كان ينتخبه الغَزّاوي من كتب التراث قيمة كبيرة، إنما القيمة فيما كان يذكره من الأحوال التاريخية والاجتماعية عن الحجاز ففيه نفائس.

ذكر الغزاوي في «شذراته» أن أهل بُخارى سكنوا الطائف منذ القدم ولم يسكنوا مكة؛ لأن الطائف تشبه بلادهم في طبيعتها وهوائها.

***

لأبي الحسن الحُصْري القيرواني ديوانٌ يُعَدُّ في نوادر التأليف عنوانه «اقتراح القريح»، رثى به الحُصْريُّ ولدَه عبدالغني في ٢٦٠٠ بيت على حروف المعجم.

***

لأحمد حسين الطَّماوي كتاب عنوانه «رُوّاد ومعاصرون» صدر عن مركز فهد الدبوس ودار البشائر ١٤٣٣، يركز فيه على الشخصيات التي ظلمها القراء.

***

كتاب «الباقِلّاني وآراؤه الكلامية» للدكتور محمد رمضان عبدالله، بغداد ١٩٨٦، في الكتاب ندرة وحصلت على صورة منه.. الباقِلّاني من أعلام الإسلام.

***

«مصادر الأدب النسائي في العالم العربي الحديث»، للدكتور جوزيف زيدان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.. من أوفى الكتب في حصر نتاج المرأة.

***

الجوائز قد ينالها من يستحقّ، لكنها لا تُنصف أهل زمنها.

***

ذكريات الشيخ علي الطنطاوي جيدة، لكنها خرجت عن حدود السيرة الذاتية لتكون تاريخًا لتلك المرحلة.

***

«خواطر وذكريات» الأستاذ الحَسُّون من أمتع كتب السِّيَر في المكتبة السعودية ..حافلٌ وثريٌّ.

***

«علماء ومفكرون عرفتهم» للمجذوب من أجود الكتب في تراجم أهل العلم المعاصرين.

***

يؤلمني أن أرى أعلامًا أفذاذًا من أُمَّتِنا لم يأخذوا حقهم من الشهرة وذيوع الاسم.. وفاء لهم سأذكر بعضًا منهم وأسعد بالاستفسار والمشاركة.

من أعلامنا ممن لم يأخذ حقَّه من الشهرة والوفاء وذيوع الاسم: الأديب والناقد والصحفي والشاعر والمترجم واللغوي الكبير الشأن أحمد فارس الشِّدْياق، من أبرز كتبه-غير «الساق على الساق»- «الواسطة في أحوال مالطة»، و«كشف المُخَبّا»، ومقدمة في الشعر دعا فيها إلى تجديد الشعر.

ومن هؤلاء: القائد العسكري الفَذّ عَزيز باشا المصري.

ومن هؤلاء الذين لم يأخذوا حقهم من الذكر وذيوع الاسم: الناقد والأديب الأستاذ علي أدهم.

ومنهم: الكاتب ورجل المبادئ والقومي الكبير: عصمت سيف الدَّوْلة.. ما عاد أحد يذكره اليوم.

ومنهم: رجل الدولة والأديب القدير وصاحب المكارم والمروءات: محمد سُرور الصَّبَّان ..يستحق أطروحات علمية، وكان شيخُنا الجاسر يذكر فَضْلَه.

ومنهم: المُصَحِّح اللغوي الكبير في دار الكتب العلامة نَصْر الهُوريني.

ومن هؤلاء الذين لم يُوفَّوْا حقهم: العلامة ابن الأزرق صاحب كتاب «بدائع السِّلْك في طبائع المُلْك».. وله استدراكات على ابن خلدون.

ومنهم: الشاعر الرائع الأستاذ حمد الحجي، أصيب بمرض عقلي دخل على إثره المستشفى سنواتٍ حتى توفاه الله، ولغازي القصيبي قصيدة مؤثرة كتبها بعد زيارة له في المستشفى، جُمع شعره في ديوان سماه جامعه «عذاب السنين» ويقال إنه فاتته قصائد.

في سُكون الليل قُدْتُ الزَّوْرَقَا　　　قاصدًا شطَّ رجائي الشّيقا
مبحرًا نحو الغد المجهول في　　　حُلْكة لم أجل فيها أُفُقا
كم يثور البحر حولي مُزْبِدًا　　　لاهبَ الْعَصْفِ مَغيظًا مُحْنَقا
حَمَلَتْ أمواجُه من قاعه　　　زَعَقَاتِ الذُّعْر مِمَّن غَرِقا

حمد الحجي

غازي القصيبي وحمد الحجي:

عندما كان غازي القصيبي وزيرًا للصحة عام ١٤٠٣هـ زار مستشفى الصحة النفسية في الطائف (شهار) وقابل الشاعر حمد الحجي نزيل المستشفى.. قال إنه وجده في غرفة مظلمة طُليت جدرانها بالسواد، وعندما تحدث معه وسأله بعد ذلك ماذا تريد أو ماذا تطلب قال: أريد سيجارة. فقال القصيبي في ذلك قصيدة مؤثرة تقول أبياتها:

عندما زرته

في المكان الذي

صبغت كل ألوانه بالسواد

كان في غرفة باردة

وأساريره جمرة خامده

قلت: «ماذا عن الشعر؟!»

فارتدَّت النظرة الشاردة

أومضت لمحة

ثم عاد الرماد

قال: «جفَّ المِداد»

قال: «أشكو الونى والسهاد هل لديك الدواء؟»

قلت: «لا! يا حمد!»

ليت عندي الشفاء

كلنا من ضحايا العناء

كلنا نشتكي

دمع أيامنا الجاحدة

قلت: «ماذا تريد؟»

قال: ... «واحده!!»

قمت من عنده

حاملًا في دمي

كل حزن المكان الذي

صُبغت كل ألوانه بالسواد.

رأيت كتابًا للأستاذ سعد البواردي طبع قديمًا كتب عليه: إن جزءًا من ثمن الكتاب -ريال أو نحوه- مخصص لمساعدة الأستاذ حمد الحجي..

ومنهم: المؤرخ الأندلسي ابن حَيّان صاحب «المُقْتَبس» في التاريخ.. وأسلوبه من أعلى الأساليب.

ومنهم: العلامة والتراثي الكبير محمد أبو الفضل إبراهيم.

ومنهم: الباحث والصحفي حَبيب زَيّات صاحب «الخزانة

الشرقية».. توفي قديمًا وهو مذهل، أكثر بحوثه من مخطوطات لم يسمع بها أحد من أهل عصره.

ومنهم: الأستاذ الصحفي حِلمي مُراد صاحب مجلة «كتابي».. كان مشهورًا جدًّا في أيامه.

ومنهم العلامة اللغوي القدير أحمد الإسكندري، له بحوث جياد في الأعداد الأولى من مجلة مجمع مصر.

والمقصود من ذكر هؤلاء الأعلام: معرفتهم والتنبيه عليهم والاستفادة من تراثهم.

***

من أنفس إصدارات مجلة «كتابي» لحلمي مراد؛ ترجمة كتاب «الاعترافات» لجان جاك روسُّو في خمسة أجزاء، هي أيسر وأجمل من ترجمة خليل رامز سركيس.

***

كثيرًا ما أقول لأحبابنا: لا تنخدعوا بالمثقف الفلاني ولا بالكاتب العلاني؛ إنما رمّزه فقر النموذج في تياره.

***

أنا أَتَّهم.. عنوان رسالة نشرها الأديب الفرنسي إميل زولا في إحدى الصحف فكان لها دوي هائل .

***

لا تَعَضَّ رغيفي حتى لا أقضم يدك.

***

من أظهر الأشياء التي تَصِمُنا بالجهل والتخلف؛ هذه العُقدة التي نجدها في أنفسنا إزاء الخبير الأجنبي.

***

«انفكّت الهُوشة وبِشْر يتحزّم»! هذا مثل يضرب لمن يُري الناس أنه سيشارك في شيءٍ وهو يتلهى عنه حتى ينقضي.

***

«الموسوعة العربية العالمية» من أنفع الموسوعات.. لكنها خالية من توثيق النقول وهذا أضعفها كثيرًا.. وهذا ما كان يردده شيخنا حمد الجاسر رحمه الله.

***

جرد المُطَوَّلات كسير أعلام النبلاء من أنفع الأشياء لطالب العلم.

***

العقل المعاصر عقل كثير الاستشكال ولذلك يتعطَّش إلى الكتاب الذين يتميزون بالتفكيك والتحليل؛ كالوردي والجابري والمسيري.. القص واللصق ما عاد يجدي.

***

للمرأة جهود علمية وثقافية.. سأذكر ثمانية كتب ترجمت للأعلام من النساء وتحدثت عن مكانتهن وجهودهن:

١. «أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام»، عمر رضا كحَّالة، ٥ أجزاء، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧، هذا الكتاب من أوفى ما كتب عن النساء.

٢. «الـدُّر المنثـور في طبقات ربات الخُـدور»، زينب فَوّاز.. طبع فـي بـولاق قديمًا ثـم صُوِّر ثم أعيـد ترتيبه.. هـذا الكتاب من بواكير تأليف المرأة العربية. كانت زينب فواز تعمل خادمة في أحد بيوت لبنان فأَنِسَت بها صاحبة البيت ولمست منها نبوغًا فتبنَّتهـا وعلَّمتهـا، ثـم نزلـت مصر فكان لها اسـم أدبـي كبير. ويقـال إن زينـب فـواز: أول من كتـب رواية أدبيـة مكتملة في العصـر الحديـث، ويقدمهـا بعضهـم علـى هيـكل فـي روايته المشهورة «زينب».

٣. «نساء شهيرات من نجد»، دلال مخلد الحربي، من منشورات الدارة ١٤١٩ في ٢٨٧ صفحة.

٤. «معجم أعلام النسـاء»، محمـد ألتونجي، دار العلم للملايين، ٢٠٠١، ١٨٦ صفحة.

٥. «عنايـة النسـاء بالحديث النبوي» -صفحـات مضيئة من حياة المُحَدِّثات حتى القرن الثالث عشـر الهجري، للشـيخ مشهور حسن سلمان، دار ابن القيم، ١٤٢٣.

٦. «تراجم سـيدات بيت النبوة» رضي الله عنهن.. مؤلَّف مشهور للدكتورة عائشـة عبد الرحمن «بنت الشاطىء».. دار الحديث ١٤٢٣ في ٨٣٢ صفحة.

٧. «سـابقات العصر وعيًا وسـعيًا وفنًّا».. لوداد سكاكيني، مطبعة الثبات، ١٩٨٦ في ١٦٨ صفحة.

٨. «فصيحات العرب وبليغاتهم في الجاهلية والإسلام» «النثر»، عبدالقادر حرفوش، دار كنان، دمشق ١٤١٥.

***

صرت أنام بعين مفتوحة خوفًا من أن يُسرق حلمي.

***

«التنقيب في أغوار النفس».. بحث لامع دقيق في حيرة الفرد في مجتمع اليوم. لعالم النفس الكبير كارل يونغ، كتيب ماتع، صدر عن المؤسسة الجامعية.

***

بالَغ المسيري في وصف المجتمع الغربي بالمجتمع المادي التعاقدي وتجريده من إنسانيته، كيف يتفق هذا مع ما نسمعه من تبرع كبار أغنيائه بثرواتهم؟

قصدت من الاستدراك على المسيري أن نغربل كثيرًا من التصورات التي لا يقرها الواقع، وقع المسيري في فخ الانتقائية وهو يحلل الجانب المادي لدى الغرب.

***

تحليل علي عزت بيجوفيتش للمجتمع الغربي أدق وأنفذ وأكثر إنصافًا من كتابات المسيري عنه.

يقول بيجوفيتش: «الغرب قوي والفاسد لا يكون قويًا»..

***

كل الفلسفات بعد هيجل -على سوئه الفكري- هوامش على دفتر فلسفته.

هيجل في مراحل فلسفته الأولى هو: إسبينوزا ناقدًا كانط.

أكبر دارس لهيجل في ثقافتنا العربية هو الدكتور إمام عبدالفتاح إمام، وقد أصدر المكتبة الهيجلية في عدة مجلدات، صدرت عن مدبولي.

***

إسبينوزا من أكثر أهل عصره تأثيرًا حتى قيل: لكل فيلسوف فلسفتان؛ فلسفة إسبينوزا، وفلسفته.. لكن هيجل -وإن كان استفاد منه- أخمل فلسفته.

***

الحديث الآن عن اللطائف في غير مظانها؟

في خِطَط المَقريزي حديث عن اليهود والنصارى في بلاد مصر لا تكاد تجده في كتاب آخر.

في شرح عثمان ابن منصور لكتاب التوحيد تفصيل لأنساب بني تميم.

في حياة الحيوان للدَّمِيري ذكر لما يتعلق بأحكام الحيوان لا يكاد يوجد في كتب الفقه، والدميري فقيه كبير.

لأبي حيان التوحيدي كتاب مفقود عنوانه «تقريظ الجاحظ».. وقد نثره ياقوت الحموي في كتابه «معجم الأدباء.»

في كتاب «العُزْلة» للخَطّابي نصوص مشرقة من البيان العربي.. وكان الخطابي من العلماء أصحاب القلم الجميل.

في «تاريخ ابن خلدون» نصوص عن تاريخ صقلية لا توجد في تاريخ آخر.

في حواشي تحقيق أحمد شاكر «للمُعَرَّب للجواليقي» استدراكات على كثير من الأوهام الواردة في الكتب.

في مقدمة ترجمة البستاني «لإلياذة هوميروس» حديث عن الشعر عند العرب من أنفس ما قرأت، وكان شيخنا بكر أبوزيد -رحمه الله- يتعجب منه كثيرًا.

في «الاعتبار» لأسامة ابن منقذ صفحات حافلة عن الحياة الاجتماعية عند الغرب الصليبيين في أيامه تعد من ذخائر التراث.

الأزهري صاحب «تهذيب اللغة» عاش مأسورًا في شرق الجزيرة عدة سنوات، وعمل في الأسر راعيًا، لذا حديثه عن تلك الأماكن دقيق كما أفاده شيخنا الجاسر.

في «تقويم دار العلوم» وهو من نوادر الكتب صور في غاية الندرة لكثير من العلماء.

في «تاريخ الأدب الجغرافي» لكراتشكوفسكي؛ نقد لمقدمة ابن خلدون ..وهذا الكتاب كبير القدر وهو من الكتب التي ظلمها القراء.

الوقوف على اللطائف في غير مظانها لا يتهيأ للقارئ إلا بعد سنوات طويلة من صحبة الكتب، وهو من أهم ما يتفاضل فيه أهل البحث والتحقيق.

***

لمُحِبّي الخط العربي: «أجمل النماذج والتكوينات الزخرفية في فن كتابة البَسْمَلة لأشهر الخطّاطين قديمًا وحديثًا»، لأحمد صبري زايد، ٢٠١٢ كتاب جميل.

***

لا تكثر من النصائح حتى لا تُحمّل نفسك تبعة أخلاقية تثقلك وتحد من تصرفاتك.

***

عقدة «خالف تعرف» أتلمَّحُها في كل طبيعة تتعجل مرتبة تقصر مواهبها دون بلوغها.

***

كم من مرة أخطأنا في معرفة الأسباب الحقيقية التي تحرك أفعالنا.. دوركايم.

***

في بنية العقل الجاهل صلابة تجعله ينزع إلى مقاومة الأفكار ومدافعتها، لا إلى تمثُّلها والاستفادة منها.

***

كل هذا التطور التقني في عصرنا الحاضر هو تطور خارج الإنسان؛ فإنسان المكوك الفضائي هو هو إنسان الكهوف في خوفه وأشواقه ورغائبه وضروراته.

***

نعم فالزمن كفيل بكل شيء.. قد كنت أعيب على أناس اتصافهم بأخلاق؛ صرت أحاول اليوم جاهدًا أن أتصف بها.

***

الفقر تُرْبة الرذيلة.

***

لو كان عندي رحلة في الطائرة مدتها ثلاث عشرة ساعة؛ فالكتاب الذي يرافقني سيكون عن البلد الذي أنا متوجه إليه.

***

في اتهام ابن المقفع بالزندقة كلام كثير؛ ومن أوفى الكتب التي ألفت عنه كتاب غفراني الخراساني.

***

من أفضل كتب الحماسة: «حماسة أبي تمام» و«حماسة البحتري» و«الحماسة البصرية»، وهذه الأخيرة لم تعط حقها.

كتب الشعر التي تعرف بالحماسة تجمع فنونًا كثيرة، لكن لأن أبا تمام ابتدأ بأشعار الحماسة عرف كتابه بالحماسة.

أفضل شروح حماسة أبي تمام شرح المرزوقي، وأفضل طبعاتها الطبعة العراقية.

***

«بُناة العالم» لتسفايج من أفضل الكتب التي جمعت تراجم الأعلام، ولتسفايج سيرة ذاتية وقد مات منتحرًا فيما أذكر.

***

يقال إن ديوان ابن الرومي مشؤوم، وإن كل من اقترب منه وعمل على تحقيقه يصيبه شَرّ.. وهناك أقوال للعقاد وغيره في ذلك ولكن حققه حسين نصار فنجا!

***

«مذكرات محمد كرد علي» من أنفس المذكرات وأجَلِّها، وهو رحمه الله من كبار أدباء العربية ومن باعثي النهضة في العصر الحاضر.

العلامـة محمـد كرد علـي عنده شـطح ومقولات لا يوافـق عليها، وحين أثنيت عليه كنت أعلم هذا عنه.. ولكن ألا نستفيد منه؟

***

للأسـتاذ الكبيـر محمد كرد علـي كتاب عنوانه: «أقوالنـا وأفعالنا»، صدر عام ١٩٤٦ وفيه خلاصة عالية لأفكاره رحمه الله.

للعلامـة محمد كرد علي في كتابه «أقوالنـا وأفعالنا» مقدمة بعنوان «القول في أقوالنا وأفعالنا» طالعها ولن تندم أبدًا.

من «القول في أقوالنا وأفعالنا»، محمد كرد علي:

أكُلَّمـا جنـى جانٍ قلنا له: اسـتغفر وتب، وأنـت في حِلٍّ مما كسـبت يداك، فإذا عاد لما نُهي عنه أملينا له ما أملى هو لنفسـه في الباطل؟ وكيف لعمري يسامَح صاحب الكبيرة على كبيرته، وهو مصر عليها لا يحيد عنها، ويقال للظالم لنفسه أو لغيره: إن بـاب التوبـة مفتوح أمامـك، تدخل منه متى شئت، فتعود كيوم ولدتك أمك؟

إذا كان القاتـل يقتـل ويقـول تبـت، والظالـم يظلـم ويقـول رجعـت، والفاجـر يفجـر ويقـول أنبـت، فلـم الشـرائع نحتفظ بحدودها، وما الفائدة من القوانين، نعنى بتطبيق مفاصلها؟

كان أحـد المشـايخ يسـترضيني عـن رجـل أسـاء إلـي على إحسـاني إليـه، ويـورد ما أمرنا به مـن معاملة المسـيء والعدو، فقلـت لـه: إني خلقـت كما خلق هـؤلاء الذين تراهـم من لحم

ودم، وعصب وعظم، يغضبني ما يغضبهم ويرضيني ما يرضيهم، وأرى السلامة في البعد عمن أساءوا، ولا رجاء منهم أن يحسنوا، ألوي وجهي عنهم، لا أنظر إليهم ما عشت.

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تَكَدْ

إليه بوجه آخرَ الدهر تُقبِلُ

أنا لا أحاول الاشتغال بمداواة نفوس مريضة، ومرضها عُقام، ولا أغامر بمداناة الموبوء المتفسخ، ولا أرجو خيرًا من مأفون الرأي، ولا أُداري من هُم أشبه بالحيوان المفترس منهم بالإنسان المدرك، أتخير لصداقتي من يلائمني، ولا تتناكر روحي وروحه، وليس هناك ما يضطرني إلى مراعاة كل الأمزجة، ومسايرة جميع الأهواء. فقد خالقت قومًا بأخلاقي فما أفلحت، وأرادوني أن أخالقهم بأخلاقهم فما أفلحوا.

ما جريت ولن أجري على سياسة الترقيع ما إن وجدت إنسانًا أُكلمه، والصالح في العالم غير قليل، وما عقدت ولن أعقد مع المنحلين من كل عقد صلحًا على دَغَل، رجاء أن أستديم به عشرتهم، ولا أرمُّ جرحًا نغارًا على فساد ظاهر يتبين منه تفريطي، ولن أحاول نزع الحسد من قلب الحسود، وتعرية اللئيم من لؤمه، وزحزحة المبطل عن طبيعته، أحسنت الظن ببعض الأشرار، وعملت بما قيل: «الأصل براءة الذمة»، فما حمدت غبَّ تساهلي معهم، وندمت على مغالطة النفس فيهم، وأعترف أني أخطأت الحزم، وما أصبت شاكلة الصواب.

***

للعلامـة عمر فَـرُّوخ «تاريخ الأدب العربي» في عدة مجلدات وفيه جهد محمود ونفع.

***

حيـن يؤلـف الكاتـب مبكـرًا ويصيب شـهرة كبيـرة فإن هـذا يضره كثيـرًا، ولعـل محمود شـاكر قـد أضرَّ به مـا لقيه من حفـاوة حين ألف -على صغر- كتابه عن المتنبي.

***

بعـض أحبابنـا مـن طلبـة العلم يقضـي حياته فـي تعلـم المُتون ثم يمتشـق قلمه في سـجال فكري، مثله كمن يَتَمَرَّنُ على رفع الأثقال ثم يشترك في سباق لقفز الحواجز!

***

هذا الزائف في الوعي الإنساني؛ وهذه السلطة المعرفية التي تلتف على المعرفة نفسها لتبقى؛ مما يؤرق كثيرًا.

***

لن نحصل على السلام إلا إذا كنا جديرين به ولن نكون كذلك إلا إذا بذلنـا لـه الثمن: أن يكف الأقوياء عن الجشـع، وأن يتعلم الضعفاء الجرأة.. طاغور.

***

مـا هـو العصر الـذي تتمنى أنك عشـت فيـه؟ طبعًا بخـلاف عصر النبوة فكل مسلم يتمنى هذا.. أتمنى أني عشت في قرية من قرى نجد قبل مئة وخمسين سنة.

ومما تمنيته أيضًا حين قراءة سيرة صلاح الدين؛ أن أكون فارسًا في جنـده وتكتـب لي الشـهادة في حصن من هذه الحصـون ثم لا يعرفني أحد.

***

للأسـتاذ القدير -الذي لم يوف حقه- عبد الرحمن السـويداء عدة كتب رائعة عن نجد في فتراتها القديمة، وفيها قصص وأخبار جياد.

***

لولا جَمال الكذب في التاريخ؛ لما اسـتطعنا تحمُّل كل هذا القُبْح في الجغرافيا.

***

مـن الأشـياء التي تعين الإنسـان على تحمـل أعباء الحيـاة؛ تأجيل الآلام.. حـاول أن تُؤجِّل آلامك فالحيل النفسـية هـي الحل لكثير من معاناة الحياة.

***

كلمة «يا مولانا» لا بأس من استخدامها وليس في الشرع ما يمنعها، وهـي عبـارة جميلـة وكانت مـن لوازم الأسـتاذ العقاد فـي كلامه حتى عُرف بها وعرفت به.

***

من يعتقد أن المال يفعل كلَّ شيءٍ؛ يفعل كلَّ شيءٍ من أجل المال.. إتيان راي.

***

يقال: العائلة في هذه الأيام مجموعة من الأفراد لديهم مفاتيح متعددة لبيت واحد..

***

التجرِبة: اسم يطلقه الإنسان على أخطائه.. أوسكار وايلد.

***

لفولتير كلمة فيها بعض التجني وكثير من الحقيقة؛ يقول: الجميع أمام المال على مبدأ واحد.

***

الوَعْي المُفرط مرض! للمذهل دستويفسكي.

***

من المعلومات الصادمة لي: أن فرويد كان مريضًا نفسيًّا وعانى من نوبات اكتئاب حادة تعاطى لأجلها الكوكائين.. هذا مثبت في سيرته.

حتى أكون منصفًا: أنا لا أنفي عن فرويد عبقريته، ولا إضافته في مجال التحليل النفسي وتفسير الأحلام، لكن ذكرت هذا عنه حتى تكتمل الصورة.

***

يغفل أكثرنا عن أهم وأخطر ما يمكن أن يكشف عن شخصية الإنسان وقدراته وثقافته ووعيه.. إنه بكل بساطة: أسئلته.

***

هنـاك روايـات كانـت مشـهورة جدًّا فـي زمنهـا لكنها طويلـة جدًّا ونسـيت تمامًـا، كانـت تؤلـف للقراء فـي الشـتاء الأوروبـي ذي الليل الطويل وتسمى «أدب المدفأة».

***

تشارلز ديكنز له تراث روائي كثير أشهره: «قصة مدينتين»، «أوليفر تويست»، «ديفيد كوبرفيلد».. أروعه هذه الأخيرة وهي كالسيرة الذاتية له.

***

الجـوع هـو أشـد الآلام هَـوْلًا؛ والحـبُّ هـو أكثـر اللـذات تَغَلُّبًا.. غوستاف لوبون.

***

للكليّـة السـورية الإنجيليـة فـي بيـروت (الجامعـة الأمريكيـة فـي بيـروت) فيمـا بعد؛ أثر كبير على تشـكّل كثير من الأفـكار الحديثة في العالـم العربيّ، هذا التاريخ الثقافي الطويل لهـذه الكلية -اتّفقنا معه أم اختلفنـا- وأثره على بنية الهوية الثقافيـة والتاريخية في العالـم العربي؛ لـم يأخذ حقّه مـن عناية الباحثين، وهو تاريخ متشّـعب شـديد التعقيد وافـر المادة بعيـد الأثر، يحتاج إلى جهود مؤسّسـات ثقافية في رَصْدِه ودراسـته وتحليله.. سـأذكر مثلين منـه هنا حتى يتبين للقـارئ الكريم أهميّةُ هذا التاريخ الثقافي للكلية السورية الإنجيليةِ (الجامعة الأمريكية فـي بيـروت)، وصعوبـةُ رَصْـدِه وتحليله، ممّـا يحتاج معـه إلى جهود مؤسسات ثقافية وليس إلى جهود أفراد.

كانـت الكلية السـورية الإنجيلية في بداياتها هـي الحاضنَ الرئيس لنظريّة داروين نظرية النشوء والارتقاء، وأساطين هذه النظرية في بداية النهضة العربية المعاصرة هم من خرّيجيها: فارس نمر، شِـبْلي شـميّل ويعقوب صَرّوف..

وكانـت الإصـدارات الأولى لمجلة «المقتطـف» في بيروت -قبل أن تنتقـل إلـى مصـر- هـي الاسـتقبالَ الأوّلَ لهـذه النظرية فـي العالـم العربي...

وكانـت الجامعـة الأمريكيـة فـي بيروت مـن حواضن فكر اليَسـار القوميّ، وثلاثة من الأسماء المشهورة في ثورة ظَفار هم من خرّيجيها: عبدالرحمن النعيمي المعروف بالاسـم الحركي سـعيد سيف، وليلى فخـرو المعروفـة بالاسـم الحركـي هـدى سـالم، ودارسـة الاجتمـاع اللبنانيـة اليهوديـة هيني سـرور التـي حوّلـت اهتماماتها فيمـا بعد إلى الإخـراج السـينمائي، وإبـرازِ دور المـرأة فـي النضـال الثـوري، وهي مخرجـة الفيلم المشـهور عن ثورة ظَفار «سـاعة التحريـر دقّت»، وقد ركّـزت فيه علـى دور المرأة وهـذا واضح في انتقائية المَشـاهِد، وهي مخرجـةُ أفـلامٍ وثائقيّـةٍ أخـرى عـن نضـال المـرأة فـي لبنـان وفيتنام، وللإنصـاف فهـي مـن مناهضـي الصّهيونيـة.. مثـلان مـن عشـرات الموضوعات شاهدة على الدور الثقافي التاريخي المؤثر الذي شكّلته هذه الجامعة في بنية الثقافة العربية.

***

حساب «الجُمَّل» هكذا ينطق؛ بضم الجيم وميم مشددة مفتوحة، وهو حساب معروف حيث يكون لكل حرف قيمة عددية.

جدول حساب الجُمَّل							
أ	١	ح	٨	س	٦٠	ت	٤٠٠
ب	٢	ط	٩	ع	٧٠	ث	٥٠٠
ج	٣	ي	١٠	ف	٨٠	خ	٦٠٠
د	٤	ك	٢٠	ص	٩٠	ذ	٧٠٠
هـ	٥	ل	٣٠	ق	١٠٠	ض	٨٠٠
و	٦	م	٤٠	ر	٢٠٠	ظ	٩٠٠
ز	٧	ن	٥٠	ش	٣٠٠	غ	١٠٠٠

***

إذا أردتَ أن تعالج مشكلة فعالجها بعقول غير العقول التي أنتجتها.
أينشتاين.

***

الكتاب المُستعمل ضعف كثيرًا اليوم، وكان رواجه من سنة ١٤١١هـ واستمر بعد ذلك ثنتي عشرة سنة أو نحوها.

وكان للكتاب المستعمل دور مؤثر في الثقافة، فيه ما لذ وطاب من نوادر الكتب، وما هو خارج الرقابة، وملتقى للمهتمين بالشأن الثقافي.

ضعفت مكتبات الكتاب المستعمل اليوم، وأصبحت تبيع المناهج والكتب المكرورة التي لا قيمة لأكثرها.

من لطائف ما مرّ بي في الكتاب المستعمل: أني رأيت العدد الأول الأصلي من جريدة الأهرام يباع بثمن زهيد ففرطت فيه، وهو اليوم ثروة.

وكذلك رأيت «الخصائص» لابن جِنِّي نسخة المحقق النَّجَّار وعليها تملك لمحيي الدين عبدالحميد. وكان ثمنها مناسبًا ففرطت فيها وندمت.

واشتريت من الكتاب المستعمل: الطبعة الأولى من «تحرير المرأة» لقاسم أمين نسخة العلامة محمود شاكر وعليها توقيعه؛ اشتريتها بثمن بخس!

***

يقولون: إن الكتاب يحتاج إلى عمر نوح، ومال قارون، وصبر أيوب، وهدهد سليمان؛ حتى يدلك على أماكن الكتب.

***

في الأمثال: من غَرْبَل الناس نَخَلُوه.

***

يقول غوستاف لوبون: الخيال يفيد الشعوب، والحقائق تفيد العلماء.

***

للحافظ ابن أبي الدنيا كتاب عنوانه «الصَّمْت وآداب اللسان».. هناك دلالة عميقة في عنوان الكتاب حيث قَدَّمَ الصَّمْت على النُّطْق.

***

مقدمة «فتح المُلهم بشرح صحيح مسلم» للعلامة شبير أحمد العثماني؛ من ذخائر العلم.

***

نشر العلامة المقريزي كثيرًا من أخباره وحوادث أيامه في كتبه ولا سيما في «درر العقود الفريدة».

***

نشر ابن العربي المالكي كثيرًا من ترجمته وأخباره في كتبه؛ لو تتبع لجاء في مؤلَّف.

***

نشر الصّاغاني كثيرًا من سيرته في مواد كتابه اللغوي «العُباب»! وقد جمع بعضَها أحد العلماء ونشرت في إحدى المجلات العلمية.

***

هذه لكم يا أهل جُدَّة.. قال السَّخَاوي: أخبرني الإمام أبو الحسن بقراءتي عليه بمنزل الخواجا جمال الدين الدقوقي من بندر جدة حرسه الله.. البلدانيات.

***

لن أنسى من أحسن إليّ، وسأحاول -جاهدًا- ألا أتذكر من أساء إليّ.

***

رأيت أنه حين يتقدم المرء في العمر تجمُد شخصيته فيصعب عليه إقامة صداقات جديدة.

***

أكثر علائقنا الاجتماعية اليوم تقوم على المصلحة وتقعد على المصلحة.. ضَعُفَت في النفوس تلك المعاني الفطرية الجميلة التي كانت تجمع الناس.

***

سأل أحدُ الأبناء أباه الغنيَّ: ما بال الناس يحتفون بك كثيرًا مع أني لا أراك تعطيهم شيئًا؟ فقال الأب: لأن محبوبهم عندي!

***

زُرْتُ العلامة الكبير مصطفى الزَّرْقا -رحمه الله- قبل وفاته بشهر فقلت له: من أي شيءٍ تشتكي يا شيخ؟ فابتسم وقال: أشتكي خمسًا وتسعين سنة ميلادية!

رأيت العلامة الكبير عبدالرزاق عفيفي -رحمه الله- سنة ١٤٠٣هـ في مناسبة خاصة، كان فصيحًا ذا هيبة، وكان في المجلس مشايخ جُلُّهم من تلامذته.

قابلت -قبل سبع عشرة سنة- الدكتور عبدالهادي مَحبُوبة زوج الشاعرة الكبيرة نازك الملائكة وسألته عنها فقال: مصابة باكتئاب بسبب أوضاع العرب.

قابلت بحمد الله كثيرًا من كبار العلماء والمحققين؛ وممن ندمت على أني لم أقابله العلامة الألباني، إحسان عباس، عبدالرحمن بدوي، المَنُّوني.

قابلت المستشرقة الكبيرة -توفيت وكانت خاتمة مدرسة الاستشراق القديمة- أنَّا ماري شيمُّل، تجيد أزيد من خمس لغات وكانت آية في العلم والذكاء.

***

سمعت شيخنا العلامة حمد الجاسر يقول: بعض المؤلفين يكون لقاؤك به سببًا في ترك قراءة ما يكتب...وصدق رحمه الله ؛ فقد وقع لي هذا كثيرًا..

رأيت الشاعر عبدالوهاب البياتي في حفل شعري فسألته عن ضبط اسمه؛ «البيّاتي» بتشديد الياء أم «البيَاتي» بغير تشديد، فقال: دون تشديد الياء، ولا أدري شيئًا عن سبب الكآبة الموحشة التي كانت تعلو وجهَه.

قابلت الشاعر فاروق شُوشة فوجدته مغرورًا لا يكاد يَرُدُّ على مُحدِّثه من الكِبْر؛ وكنت معجبًا به وببرنامجه المشهور عن اللغة العربية.

رأيت الأديب الناشر سُهَيل إدريس؛ حدثته عن إعجابي بروايته «الخندق الغميق» وأني قرأتها عدة مرات، فردّ علي ببرود وتعالٍ، كان كريه الأخلاق.

***

إذا بحثتَ في ترجمة أحد الأعلام المعاصرين ولم تجد مادة علمية عنه؛ فابحث في الصحف والمجلات التي صدرت وقت وفاته فهي من مظانّ الحديث عنه.

***

من النوادر: «الإسلام خواطر وسوانح» لهنري دي كاستري ترجمة فتحي زغلول صدر في ١٩١١م آخره وثيقة مقابلة بين الصيغة التي يقولها مسيحي يسلم ومسلم يتنصَّر!

***

كتاب طه حسين عن ابن خلدون من أضعف ما كتب عنه، ترجمه محمد عبدالله عنان، وتعقَّبه علي عبدالواحد وافي في كتابه عن ابن خلدون.

***

من أفضل مَن كتب عن إمانويل كانط في المكتبة العربية الدكتور عبدالرحمن بدوي، كتابه عنه في مجلدين.

***

أوفى كتاب جمع الشعر النبطي فيما أعلم هو «لباب الأفكار في غرائب الأشعار» للراوية ابن يحيى، مخطوط في جزءين ضخمين.

***

احذر الطبيب الشابَّ والحلَّاق المُسِنَّ! فرانكلين.

***

لديّ ذاكرة قوية لنسيان كلِّ شيء.. روبرت ستيفنسون.

***

كتاب «فقه الديمقراطية» د. عادل مصطفى -عادل مصطفى من المثقفين والمترجمين المتميزين- عن أبجديات الديمقراطية وأعلامها: ملّ، ديوي، بوبر .

***

من لم يقرأ قصيدة: مُضْنَاكَ جَفَاهُ مَرْقَدُهُ لأحمد شوقي؛ فلا حظَّ له في الأدب، ومنها:

مُضنـاكَ جَفـاهُ مَرقَـدُهُ ... وَبَـكاهُ وَرَحَّـمَ عُـوَّدُهُ
حَيـرانُ القَلـبِ مُعَذَّبُـهُ ... مَقـروحُ الجَفـنِ مُسَـهَّدُهُ
يَستَهوي الـوُرقَ تَأَوُّهُـهُ ... وَيُذيـبُ الصَخـرَ تَنَهُّـدُهُ
وَيُناجـي النَّجـمَ وَيُتعِبُـهُ ... وَيُقيـمُ اللَّيـلَ وَيُقعِـدُهُ
جَحَدَت عَيناكَ زَكِيَّ دَمي ... أَكَذلِـكَ خَـدُّكَ يَجحَـدُهُ
بَيني فـي الحُبِّ وَبَينَكَ ما ... لا يَقـدِرُ واشٍ يُفسِـدُهُ
مـا بـالُ العـاذِلِ يَفتَـحُ لي ... بـابَ السُّـلوانِ وَأوصِـدُهُ

***

من السَّهل أن تطرح سؤالًا صعبًا! وليم أودين.

***

من أشد عيوب الإنسان؛ خفاء عيوبه عليه.. ابن المقفع.

***

من يُصِرُّ على رؤية الأمور بوضوح تام قبل أن يقرر خُطَّة لعمله؛ لن يتخذ قرارًا على الإطلاق.. هنري إنييل.. هذا معنى عميق حريّ بنا أن نتدبره.

***

أعرف من شرع في تأليف كتاب وصده عن إتمامه؛ أنه لم يجد له عنوانًا مناسبًا!

***

لأنّ بعضَ المواقفِ نسيانُها أصعبُ من تذكّرها؛ فسأقصّ عليكم هـذا الموقفَ الذي لم يكن طريفًا أبـدًا لكنه أصبح كذلك.. ونحن إذا

بكينـا يومًـا ثـم تذكرنـاه ضاحكيـن، أو ضحكنـا حينًا ثم بكينـا على ما ضحكنـا عليه؛ ندرك ضعفَ مشـاعر هذا الإنسـان وغرابَتهـا، في تباينٍ يغـري بالتفكّر في أحوال هذا المخلوق الذي جعل الله قوّتَه في ضعفه وضعفَه في قوّته..

أعانـي فوبيـا حـادّة من ركـوب الطائـرات، ولـم أركب طائـرة منذ إحـدى عشـرة سـنة، وقبل أيامٍ قليلة تاقت نفسـي إلـى حضور معرض أبوظبي للكتاب، ولأن السكة طويلة والبراري قفار! وأين الرياض من أبوظبـي فـي الطريق الصحـراوي؛ قرّرتُ السـفر بالطائرة.. و «السـفر بالطائرة» هذه الكلمة التي تمرّ عليها عينك مرورَ الكرام كلّفتني ثلاثَ ليـالٍ مـن القلق الغامر والتوتّر البالغ، وفي ليلة السـفر تحولتُ -بقدرة قـادر- إلى الفضيل بن عياض وبشـر الحافي مجتمِعَيْن! فلا تسـل عن التألّـه والصـلاة والدعـاء والمناجاة والاسـتغفار، تدبّـرتُ كلّ ما كنت قرأتـه عـن القضـاء والقـدر، واسـتعرضت كلّ مـا طالعته عـن العلاج المعرفيّ في التخلص من فوبيا الطيران.. ثم أسفر الصُّبح لذي عينين!

حملـتُ حقيبتـي ومصحفـي واتجهت إلى المطار كأني أسـاق إلى مصيـرٍ غامـضٍ مجهول، أتحـدث إلى ابني الذي أوصلنـي إلى المطار ولسـت أدري ما الـذي أقوله أو يردّ به.. لن أطيـل عليكم لكنّي ركبتُ الطائرة! وحين اسـتقررتُ مكاني بجوار النافذة أقبلتْ عليّ مُضيفةٌ في وجـهٍ فاتنٍ كأزهار نَيْسَـان بابتسـامةٍ هي ألذُّ من نسيم العافية -من أين يأتون بهنّ!- فبادلتُ ابتسامتها بابتسامةٍ أجملَ منها مبتهجًا ككلّ عربيٍّ جائـعِ المشـاعر؛ ما إن تبسِـمُ له أنثى حتـى يظنّ أنها أحبّتـه! ما علينا.. ابتسـمتْ وقالت لي: أنت تجلس بجـوار مخرج الطوارئ، ونريدك أن تعـرف هـذا حتى تسـاعد الـركاب علـى الخروج مـن الطائـرة فيما لو

حصل مكروهٌ لا قدّر الله؟! ربّاه.. اللهمّ إني أستغفرك وأتوب إليك! هل صبّ أحدٌ على رأسك ماءً باردًا في ليلةٍ شاتيةٍ؟ هل مازحك صديقٌ مزحةً سمِجةً فحاول أن يدفعك على حينِ غفلةٍ من مكانٍ مرتفع؟ هل تسللتَ أيام المراهقة إلى البيت في الساعة الثالثة فجرًا وتسمّرتَ مكانك على صوت والدك يقول لك: ما شاء الله، أين كنت؟ هل وهل وهل.. اجمع هذا كله فلقد صار عندك عبدالله الهدلق!

بَهَت لوني، وبحثتُ عن صوتي فلم أجده وعرقت.. فأدركتْ المضيفة -يا لخيبتي أمام الجَمَال- شيئًا مما ألمّ بي فقالت: هل تريد أن تبدّل مكانك؟ فتذكرتُ كرامةَ العربيّ، ولملمتُ أطرافَ شجاعتي أو مخاوفي لست أدري، ثم قلت لها في أغرب «لا» قلتها في حياتي كأنها خارجة من كهف: لأ.. شكرًا سأجلس هنا، مرّت الدقائق الأولى تتمدّد الدقيقة منها فتتجاوز قوانين الفيزياء كلّها، كلّ دقيقة كأنّها الأبَدُ كلّه..

ثم هبطتْ عليّ رويدًا رويدًا سَكينةٌ غريبةٌ حتى صرتُ غريبًا عنّي، بلا انفعال أو إحساس، تناولتُ مصحفي ورحت أقرأ فيه فما انتبهتُ إلا على صوتٍ يبلّغنا قربَ وصول الطائرة إلى مطار أبوظبي، كانت تلاوتي تلك واحدةً من مرّات قلائل قرأتُ فيها القرآنَ بكل ذلك الخشوع وذاك التبتّل.

***

الخليل بن أحمد الفراهيدي واضع علم العروض كان شاعرًا رديئًا.

***

القصـة التـي تـروى عـن علي بـن الجَهْـم وأنه قـال للخليفـة: أنت كالكلـب وكالتيـس.. ثم قال: عُيون المَها. هـذه قصة مكذوبة لا أصل لها.

***

قصيدة «صوت صفير البلبل» التي تُنسب للأصمعي رديئة مكذوبة، يقـال إن أول مـن ذكرها الإتليدي في «إعلام النـاس بما وقع للبرامكة مع بني العباس».

***

التنظيـر يختلـف عن الموهبة والممارسـة: المُلَحِّن لا يجيد الغناء، والمُدَرِّب لا يُحْسِـن لعب الكرة، وأستاذ الاقتصاد في أكبر الجامعات لو فصل لعاش فقيرًا!

***

نـازك الملائكـة ناقـدة مـن الطراز الأول وشـعرها -مع شـهرتها- أضعف بكثير من شعر السَّيَّاب مثلًا.

***

لسـت من هواة السـفر؛ لكن يذكرون شيئًا جميلًا عن ليالي القاهرة وصباحات لندن!

***

من أجمل الساعات؛ ساعة في صَحْن الحَرَم بعد صلاة الفجر.

***

لعلَّ من المؤسف في مجال البحث والتأليف؛ أن تجد بعض من يتصدى لذلك لا يحفل بأمثل الطبعات للكتاب، ولا يعتني بتتبع أعمال المحققين الكبار.

من أهم أدوات البحث: معرفةُ أَصَحِّ نشرات الكتاب، والوقوفُ على الطبعات العالية المخدومة بعناية من قبل أساطين التحقيق:

أحمد شاكر، عبدالسلام هارون، محمد أبو الفضل إبراهيم، إحسان عباس، السيد أحمد صقر، حمد الجاسر، محمود شاكر، سامي الدهان، بشار عواد معروف، شعيب الأرنؤوط، عبدالرحمن العثيمين، محمد الدّالي.

ابتُلي تراثنا بِدُور نشر أساءت له، فعمدت إلى أصوله فنشرتها في طبعات رديئة بأسعار زهيدة؛ فانخدع بها من لا خبرة له بالكتاب.

قلّ أن وجد أصل من أصول المكتبة العربية إلا وله طبعة جيدة يعتمدها أهل الاختصاص.

***

سأذكر أمثل النشرات لعشرة من الأصول حتى يستفاد من ذلك:

- لسان العرب: نشرة دار صادر في خمسة عشر مجلدًا.
- تفسير الطبري: طبعة الدكتور عبدالله التركي في ستة وعشرين مجلدًا.
- فتح الباري: السلفية بإشراف محب الدين الخطيب.
- خزانة الأدب للبغدادي: نشرة عبدالسلام هارون في ثلاثة عشر مجلدًا عن مكتبة الخانجي.

- وَفَيات الأعيان لابن خَلِّكان: نشرة إحسان عباس في ثمانية أجزاء، دار الفكر.. وهو من أفضل تحقيقاته.
- الفهرست للنديم: تحقيق أيمن فؤاد سيد.
- العُمْدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق: تحقيق النَّبوي شعلان.
- معجم البلدان لياقوت الحموي: نشرة دار صادر في خمسة مجلدات.
- القاموس المحيط : نشرة مؤسسة الرسالة في مجلد ضخم.
- معجم الأدباء لياقوت الحموي: نشرة إحسان عباس، في سبعة أجزاء عن دار الغرب.

***

دار الكتب العلمية، المكتبة العصرية؛ من أسوأ الدور في نشر التراث، لا يُعتد بطبعاتهم أبدًا إلا في القليل النادر.

***

من أفضل ما طالعته عن جائزة نوبل: موسوعة جائزة نوبل، ١٩٠١ - ٢٠١٠ لمحمود قاسم، صدر عن مدبولي ٢٠١٠ في ٧٥٦ صفحة.

***

«إنْبَاه الرُّواة على أَنْبَاه النُّحاة».. للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القِفْطِي ت ٦٤٦، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، في أربعة أجزاء. وهو من أجمل كتب التراجم التي طالعتها.

***

الوزير جمال الدين القِفْطِي كان يمتلك مكتبة نادرة تعد من أكبر المكتبات في تاريخنا.

أحدهم كان ينظر في مكتبة القفطي ولم يجد من بينها عنوان كتاب كان يبحث عنه، فاستغرب من أن مكتبة القفطي لا تحوي ذلك الكتاب المهمّ؟ فرَدَّ عليه القفطي: لدي ثلاث نسخ إحداها بخط المؤلف ولكن في مكتبة أخرى داخل المنزل فبُهِتَ الرَّجُل.

يتحدث الوزير جمال الدين القفطي في مثاني تراجم «الإنباه» عن النفائس التي يمتلكها، وحديثه عنها حديث آسر معجب.

الوزير القفطي لم يتزوج، وعاش منقطعًا إلى العلم والتأليف وجَمْع الكتب، وله في ذلك حكايات غريبة.

«إخبار العلماء بأخبار الحكماء» للقفطي، لم يصلنا كاملاً وإنما وصلنا مختصره للزَّوْزَني، نشره المستشرق لبرت قديمًا وأعيد تصويره.

ذكر القفطي أنه وقف على سبب تسمية أبي عمرو الشيباني كتابه «الجيم» وأنه طلب من الحاضرين عشرة دنانير ويخبرهم بالسبب فلم يبذل أحد منهم المال! قال القفطي بعد امتناع الحضور عن دفع الدنانير: فانظر إلى قلة همة الناس وفساد طريق العلم ونقض العزم فلعن الله دنيا تُختار على استفادة العلوم!

قلت: وقفت على سبب تسمية أبي عمرو الشيباني كتابه بهذا الاسم «الجيم» في تخريج حسن لم أر مَن ذَكَرَه، فبكم تشترون المعلومة؟

الجيم من الأسماء النادرة للجَمَل، وقد ظهر لي أنه سمى كتابه

الجيم إشارة إلى أن كتب اللغة ستُحمل عليه وتجعله عمدتها.. والله أعلم.

***

في أوراق القانوني الكبير الدكتور عبدالرزاق السنهوري تقييد عن إصلاح القضاء الجنائي: يرى فيه **أن** يباشر بعض القضاة التحقيق.

***

لا أحب العبث بكتب السلف، لكني أتمنى أن يتم ترتيب وتيسير ودرس كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم» لشيخ الإسلام ابن تيمية، حديث رائع عن الهوية.

***

من أفضل من كتب عن الشعر العربي وتاريخه؛ الدكتور الكبير محمد نجيب البَهْبِيتي رحمه الله، وهو مجهول القدر عند كثير من الباحثين.

البَهْبِيتي مصري الأصل انتقل بعد مضايقات من طه حسين وغيره إلى المغرب وتوفي هناك، له كتب منها: المُعَلَّقَة العربية، تاريخ الشعر العربي.

***

التصغير في اللغة يأتي لمعانٍ خمسة: التحقير= شويعر، التقليل = دريهمات، التعظيم = دُويهِيَّة، التقريب = بُعيد المغرب، التمليح = خَلُّودي!

***

الدكاتـرة زكـي مبارك من كبـار أدباء العربية، وقـراءة كتبه وما كتب عنه من اللذيذ الماتع، وقد سجل للإذاعة المصرية أغنية بصوته!

***

قـرأت أن أحـد المهندسـين العرب شـارك في بناء كنيسـة نوتردام، التي أشهرها هوجو بروايته؟

***

مـن أدب الحـوار، ومـن إرادة الخيـر، ومن طلب الحق؛ أن تسـأل المتحدث عن قصده، لا أن تتهمه ثم تستفسر منه!

***

من الكتب التي اقتنيتها: كتاب الدكتورة سـعاد الصباح عن زوجها عبدالله المبارك الصباح، صدر عن دار سعاد الصباح في عدة طبعات، ٤٣٧ صفحة.

***

كتـاب «مبـارك الصباح مؤسـس دولـة الكويـت الحديثة»، لسـعاد الصباح، والشيخ مبارك والد زوجها.. دار سعاد الصباح ٢٠٠٧، ٣٥٦ صفحة.

***

مـن الإصـدارات القديمة للسلسـة الرائعة «عالـم المعرفة»: «جُحا العربـي»، لمحمـد رجـب النجـار، وهـو مـن أفضـل ما ألف عـن هذه الشخصية، وله طبعة أخرى.

***

معظم الناس يشعرون بأن لديهم أدوارًا محددة وضيقة في الحياة؛ وهذا ما يجعلهم غير سعداء.. غرين.

***

ما يفقده الناس في حياتهم ليس هو المزيد من الحقيقة؛ وإنما هو المزيد من الخيال.. غرين.

***

يخدع الرجل بالمظاهر بسهولة؛ لأن لديه ضعفًا تجاه الجوانب البصرية.. غرين.

***

عالِم السوء كالعطر الفاسد.

***

بعض الإخوة يخلطون بيني وبين أستاذين كريمين يحملان الاسم نفسه؛ فتردني شتائم رائعة! لا علاقة لي بالرياضة ولا بالسياسة، أنا من مساكين الكتب.

***

كتاب «تاريخ معرض فرانكفورت للكتاب» لبيتر وايد هاوس، ترجمة عدنان خالد، أبوظبي للثقافة والتراث، كتاب يستحق القراءة.

***

رأى دو فال في مقال كتبه: أن النزعات الإنسانية مثل المعاملة بالمثل، وتوزيع الغنائم، والتعاطف؛ ليست حكرًا على نوعنا.. العدالة في عالم الحيوان.

***

كم لكوركيس عَوّاد وميخائيل عَوَّاد من أيادٍ على المكتبة العربية.

***

بعض المنقطعين إلى فنٍّ من فنون العلم؛ لا يُحِبُّ أن يُطرح في المجلس إلا ما يُحْسِنُه من هذا الفن، يخشى أن يفوته تَصَدُّر المجلس.

***

من أجمل العبارات التي مرت بي: القراءة؛ الفريضة الغائبة.

***

سينحني كثيرًا من يفتش عن المال.

***

كتاب أنصح به: «معجم العلوم الإنسانية»، بإشراف جان دورتيه، ترجمة جورج كتورة، المؤسسة الجامعية، ٢٠١١ في ١١٨٩ صفحة.. مهم جدًّا.

***

كتاب أنصح به: «النظرية المعاصرة في علم الاجتماع - تمدد آفاق النظرية الكلاسيكية»، رث والاس وألسون ولف، ترجمة محمد الحوراني ٢٠١١ دار مجدلاوي.

***

كتاب أنصح به: «الطعام والشراب في التراث العربي»، سهام الميساوي، كلية الآداب بمنوبة، ٢٠٠٨ في ٩٨٢ صفحة، مجلد ضخم حافل.

***

كتاب أنصح به: «أدب الرسائل بين الألوسي والكرملي»، تحقيق كوركيس عواد وميخائيل عواد، دار الرائد العربي، ١٤٠٧ في ٦٧٠ صفحة. أكثر من ٥٤٠ رسالة.

***

هناك من لا يُحْسِنُ سَوْقَ النصيحة في موضعها؛ وهذا معنى من فِقه النَّفْس مَن حُرِمَهُ حُرِمَ من خيرٍ كثير.

***

كم من معنى جميل وفكرة آسرة جالت بخاطري؛ ثم أعرضتُ عن نشرها مخافة أن تكون لغيري ولم أنتبه لذلك.. أصبح هذا يزعجني كثيرًا.

***

«تاغور».. كتاب لمُحِبِّ الدِّين الخطيب، وهو عن الشاعر المشهور، ألَّفَهُ مُحِبُّ الدِّينِ بمناسبة زيارته لمصر، في ٥٩ ص. وطبع سنة ١٣٤٧هـ.

***

لا توجد صدفة، فما ندعوه صدفة؛ ما هو إلا جهلنا بالآلية المُعقَّدة للسببيّة ..بورخيس.

***

أشرطة الدكتور أحمد الدعيج التاريخية متميزة في السَّرْد، لكنها ضعيفة في التحليل التاريخي، له جهود مشكورة جزاه الله خيرًا.

***

كتاب أنصح به: «ظهور الكتاب»، أعده: فافر مارتان.. ترجمة محمد سميح السيد، طلاس ١٩٨٨ في ٤٩٦ صفحة.

***

يُروى أن الفضيل بن عياض قال لابنه: يا بُنيَّ؛ هل جاءك شَرٌّ ممن لا تعرف؟ فقال: لا، فقال الفضيل: فَقَلِّل مِمَّن تَعرف.

***

ما أروع الحياة؛ لوكنا نولد في سن الثمانين، ثم نقترب على مَرِّ الأعوام من الثامنة عشرة.. مارك توين.

***

حين زال نفع الأدوية زالت الآلام؛ بزوال ما كان عالقًا بتلك الأدوية من آمال ..شكسبير.

***

ذهبتُ أتأمل المكتبة؛ فوجدت أن ثمة مؤلفين ومحققين ومترجمين توافر كلُّ واحد منهم على آثار علم من الأعلام، أَحَبَّهُ واستغرقه دَرْسُه ووقف كثيرًا من حياته وجهده على خدمة تراثه، فكانت له يَدٌ طولى على صاحبه هذا بما نشر من آثاره وعَرَّفَ به.. من هؤلاء: ابن قاسم ومحمد رشاد سالم مع ابن تيمية، وبكر أبو زيد مع ابن القيم، ومحمد بهجة الأثري مع الألوسي، وعبدالسلام هارون مع الجاحظ، وساطع الحصري مع ابن خلدون، وعبدالعظيم الديب مع الجويني، وألبرت الريحاني مع أمين الريحاني، وماسينيون مع الحلاج، وصلاح الخالدي مع سيد قطب، وسليمان البستاني مع هوميروس، وعادل زعيتر مع غوستاف لوبون، وسلمى الحفار الكزبري مع ميّ زيادة، وحسن

عثمان مع دانتي، وطه محمود طه مع جويس، وإبراهيم وطفي مع كافكا، وإمام عبدالفتاح مع هيجل، وماهر شفيق مع إليوت، وسامي الدروبي مع دستويفسكي، ومحمد عناني مع ميلتون، وهاشم صالح مع أركون.

***

اللذة عارضة والرغبة أبقى؛ يقاد الناس برغباتهم أكثر مما يقادون باللذات ..غوستاف لوبون.

***

لا تغتفر المرأة للرجل أن يستنبط ما يجول بخاطرها من خلال كلامها.. غوستاف لوبون.

***

إذا اجتمع القوم؛ تولّد فيهم روح كلي مغاير كلّ المغايرة لروح كلّ فرد منهم .. غوستاف لوبون.

***

خلوُّ الأمة من ماض كالولايات المتحدة: قوة لها، وضعف فيها معًا.. غوستاف لوبون.

***

النُّحَاة: جمع ناحٍ كقاضٍ لا جمع نحوي على غير قياس كما توهمه كثيرون، شرح ابن الطيب على الاقتراح.. أفاده تيمور في تذكرته ويحتاج إلى تحرير.

***

أعتقـد أن عصر الطباعة والقراءة زائل لا محالة، لكن بوصفي كاتبًا فالكلمـات تعنـي لديّ الكثيـر؛ أجد صعوبة في تصّـور البديل.. هنري ميللر.

***

هنـاك أفـكار رائعة فـي عالم المثال؛ لكنها تفشـل فشـلًا ذريعًا عند تطبيقهـا، وكذلـك العكـس فكم من فكرة لـم يكن يُتَصَـوَّر لها النجاح فخالفت التصور.

***

الشـيخ محمـد بـن عبـدالله الخراشـي شـارح مختصر خليل شـيخ المالكيـة فـي وقتـه المتوفى سـنة ١١٠١، هو الذي تسـتغيث به بعض نساء مصر في قولها «يا خراشي!»

كذلك «يا لهوي» نسـبة إلى الشـيخ «اللهوي».. وأظن اسـمه بكسر اللام.. فهذه ياخراشي ويا لهوي كلها استغاثة!

***

للشعراني كتاب نادر تحدث فيه عما منّ الله به عليه من نعمه، خلط فيه الخرافة بالسيرة الذاتية عنوانه «لطائف المنن» من غرائب التأليف.

***

كتاب «المسـاجد في الإسـلام» لطه الولي، من أوفى المؤلفات في التاريخ العمراني للمسجد، دلني عليه شيخنا بكر أبو زيد.

***

كتاب «أخبار القضاة» لوكيع محمد بن خلف بن حيان؛ لا أدري عن سبب غفلة بعض طلبة العلم عنه، مفيد ولا سيما للقضاة.

***

لا يمكن أن نستبعد الأثر النفسي في صياغة النظام الفلسفي، الفَقْد في تجربة ريكور ودراسة الشرّ، الحالة المَرَضية لهوكينج في نفي حاجة الكون إلى إله.

***

ميشال فوكو وجاك دريدا وجيل دولوز؛ كلهم من فلاسفة ما بعد الحداثة لكنهم يرفضون هذا التصنيف، لا ينفك المفكر من نسق معرفي دالّ على هويته.

***

أسرف بعض المفكرين في تفسير السلوك بنوازع الجنس؛ حتى ذهب غاستون باشلار إلى أن الإنسان اكتشف النار بوازع جنسي برابط الاحتكاك في إشعال النار.

***

من أروع ما قرأت: كتب أعدائنا ليست أعداء لنا.

***

يُسَمّي ألبرتو مانغويل التعليقات التي يجدها على الكتب المستعملة: خربشات رفاق السَّفَر.

***

ابتعت -من الكتاب المستعمل- كتابًا يعود لمعروف الدواليبي؛ فوجدت فيه وريقة بخط زكي الأرسوزي يضرب فيها موعدًا معه ففرحت بها أكثر من الكتاب!

***

صدق من قال: إن أفضل شيء يستطيع الإنسان عمله بعد اكتشاف الحقيقة؛ هو الرجوع عن الخطأ.

***

هل الوعي بالنقص يورث الخلاص منه؟ إذا كنت أعي بأني لئيم فهل أكف عن ذلك أم أغدو أكثر إمعانًا في الخِسَّة؟ هذا ما كان يعذب أبطال دستويفسكي.. غاتشف.

***

قام اللغوي الجوهري -من أهل القرن الرابع- صاحب «الصحاح» بصنع جناحين من خشب، ثم صعد على سطح جامع نيسابور ليطير فوقع ومات رحمه الله.

***

قال عبُّود الشالجي في كتابه «موسوعة العذاب»: ما أكثر ما بلغنا من القصص عن انتحار الخيل حزنًا على فراق أصحابها.

***

حضر بسمارك مُبَكِّرًا إلى الاجتماع فجلس في آخر الطاولة، فقال له المسؤول: سيدي مكانك في صدر الطاولة، فقال له: أيها الفتى حيث أجلس يكون صدر الطاولة!

***

لا أُحِبُّ مطالعة مقال يبدأ بقول كاتبه: «مما لا شك فيه»، وأندم كثيرًا على قراءة بحث يختمه صاحبه بعبارة: «هذا ما تَيَسَّرَ جَمْعُه على عجالة..».

***

كتاب «معجم الجسد» صدر عن المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر الطبعة الأولى، سنة ١٤٣٣ وكتب هذه المؤسسة متميزة وذات قيمة علمية عالية، وهي تشارك في معارض الكتب وشعارهم «مجد»، ومما يؤخذ عليهم في سياسة الترجمة عدم التعليق على مادة الكتاب وإن خالفت الأديان والمقدسات، يقع «معجم الجسد» في مجلدين ضخمين في قريب من ألفي صفحة، بترجمة حبيب نصر الله، وهي ترجمة وسط لا بأس بها من جهة الأسلوب كاللغة، وأما المادة العلمية فيحكم عليها أهل الاختصاص.. والمعجم غريب مفيد ذو موضوعات دقيقة جدًّا لا تتوافر مادتها للباحث بسهولة ولا سيما في المكتبة العربية.. هذا المعجم بإشراف ميشيلا مارزانو ولجنة علمية من سبعة أساتذة، وشارك في تحريره أكثر من مئة وتسعين باحثًا بكتابة ما يقرب من ثلاثمئة مدخل.. وفي هؤلاء الباحثين: الطبيب والمفكر وعالم النفس وعالم الاجتماع والحقوقي والمؤرخ واللاهوتي والناقد.. ومن موضوعاته: الإجهاض، الاستمناء، أكل لحوم البشر، ألزهايمر، الألم، البصمة الوراثية، البغاء، تصوير الجنين، تقنيات الجسد، الجمال، الجنسانية، الخنثى، الجسم المسكون، الضحك، الطعم، علم الفراسة، القدم، احترام الجسد، الاسترقاق، اللمس، الماكياج، الوزن، الموروثات الثقافية، المقدس، المرض، المشي، النجاسة، نقل الدم، الوجه، الوزن، اليد.... وفي آخر المعجم عدة ملاحق: للتعريف

بالباحثين، وفهرس للموضوعات، وفهرس عربي فرنسي. والحقيقة أن مكتبتنا العربية فقيرة جدًّا في الترجمة الجادة، وهذا تقع تبعته على المؤسسات العلمية ومراكز البحوث.

***

للتَّنُوخي كتاب فيه سلوى وعزاء لكل من اشتدت به أيامه عنوانه «الفَرَج بعد الشِّدَّة»، وفيه تصوير آسر للحياة الاجتماعية في عصره، حققه عبّود الشالجي.

***

قرأتُ: أن الحاجة إلى مكان متسع فطرية في الإنسان؛ فالملاحظة تدل على أن الرأفة الإنسانية تضعف عندما يعيش الناس بشكل مزدحم جدًّا!

***

ناقدٌ غربيٌّ فقيرٌ أراد تلامذته أن يصنعوا تِمثالًا له فقال لهم: أعطوني ثمنَ التِّمثال وأنا أقف لكم على قاعدته!

***

من النصائح التي تُعين على إتمام الكتب المُطوَّلة:

- عدم البداية بها فالقراءة تحتاج إلى تَدَرُّج.
- عدم الإكثار من التقييد وقت القراءة وهذا قد أُخالف فيه لكني رأيته مما يصد عن إكمال المُطَوَّلات؛ وأعني المبالغة في تقييد الفوائد.

- ومما يُعين على جَرْد المُطَوَّلات: أن يقرأ المرء كتابًا من الكتب الخفيفة أو ذات المجلد الواحد ويراوح بينها وبين الكتاب المُطَوَّل.
- أن يترك القراءة ويَستجمَّ في فترات غير طويلة ثم يعود إليه.
- قال الطناحي: إن الشيخ محمود شاكر كان يوصينا إذا أردنا أن نبحث عن لفظة في اللسان؛ يوصينا أن نطالع المادة كاملة من اللسان ولا نكتفي بموضع اللفظة.. وفي هذا تدريب على جَرْد مطولات اللغة؛ فإذا بحثت في كتاب مطول؛ فطالع مادة ما تبحثه من أول الفصل.

***

السعادة تتشابه؛ ولكن الحُزن لا يشبه بعضُه بعضًا.

***

بعض المسلسلات التاريخية تُمسخ فيها الحقائق، ويُعمد فيها إلى الكذب والتشويق، والصنعة الفنية، وإطالة مدة الحلقات لزيادة الربح المادي.

***

أذكر أنه مر بي كتاب يناقش فيه مؤلِّفه جناية مصطفى العقاد على كثير من الحقائق التاريخية في فيلم «عمر المختار».

***

هناك في تاريخ التأليف ما يمكن تسميته «بالكتب الانتقالية»، وهي التي تحدث أثرًا شبيهًا بما تصنعه المعارك الفاصلة في التاريخ.. من «الكتب الانتقالية» في تراثنا: كتاب سيبويه، رسالة الشافعي، صحيح

البخـاري، تفسـير الطبـري، إحيـاء الغزالـي، مقدمة ابن خلـدون.. وفي الغرب: أمير مكيافيلي، مقال ديكارت، عقد روسو، ثروة الأمم لسميث، أصـل الأنواع لداروين، رأس المال لماركس. وهناك كتب قد لا تكون أثّرت كثيرًا في تاريخ التأليف عمومًا ولكن كانت انتقالًا في فنها.

***

للصـلاح الصفدي كتـاب جميل مطبوع عنوانه «نَكْـت الهِمْيان في نُكَت العُميان» وهو في ترجمة من كُفَّ بَصَرُه مع أخبارهم وأشعارهم.. فيه نصوص عزيزة.

***

مـن أذكيـاء بني آدم مـن المكفوفين؛ أبـو العلاء المعـري، وقد أتي يومًـا بحبـة لوبيـاء فقلَّبها في يده وقـال: لا أدري ما هذه لكني أشـبهها بالكُلْية!

***

سمعتُ عن مكفوف يعرف الرَّجُلَ بمجرد ملامسة يده بالسلام.

***

الأديـب الكبيـر طـه حسين كان لـه دور كبيـر جـدًّا في تغييـر نظرة المجتمع للمكفوف.

***

للعلامة الكبير عبدالله ابن حميد عجائب في الذكاء ومعرفة الرجل مـن صوتـه، حتـى إنـه يعـرف المُتخاصِمين عنـده في مجلـس القضاء بأصواتهم بعد سنوات طويلة.

***

خاتِمَةٌ لِمُقَدِّمَةٍ أُخرى

هذه تغريداتٌ قد لا تكون ذاتَ قيمةٍ إلا عند كاتبها؛ لأنه يستشفي بالكتابة ويتنفّس من ثقوبِ الكلمات.. تغريداتٌ فيها إيضاحٌ ووَداع ومحبّة.. «أشعرُ أني أقلّ وَحدةً حين أكون وَحدي».. أحببتُ العيشَ وحيدًا إلا من نفسي، وحيدًا هناك أتفيّأُ ظِلال الأشياء في طمأنينةٍ وحَذرٍ وترقّب وسلام..

وحيدًا هناك أصارع العقلَ بمباهج الحَرْف وعَصْف الفكر، وأغالبُ مأثم الفتنة بغواية الكلام، متأمّلَ النفسِ بما أرُودُه من مسارب غَيابَتها، وما بيني وبين الغرقِ في لُجّتها إلا أن أفتح عينيَّ فإذا بي الرُّبّانُ والشّراعُ والمنقِذُ والغريق.. ولم يكن أحدٌ معي، وكان ذاك سِرّ جَمالِ الدّهشة وباعث روعة المغامرة.. ثمّ إني انتُزعتُ من هذا كلّه ببرامج التواصل الاجتماعيّ، فكأنّي قُذِفتُ من نفسي إلى أنفُس الناس عاريًا ممّا كنت أتدثّره بأسمال العُزلة وأرقّعه بمعاني التجمُّل، وصار ما كان يسترني -وحيدًا- يَشِفُّ عمّا تحته في هذا الفضاءِ اللافح الغائرِ العَينين «والجحيمُ عيونُ الآخرين»..

أنكرتُني فما عدتُ أشبهني، أصبحتُ أفتّش كالمجنون عن عقلي، ونكثتُ عهودَ الرّوح فخنتُ أحزاني حين تحدّثتُ عنها لكلّ أحد، اختلطتْ ملامح وجهي بملامحِ الناس فأبصرتُني ممزّقًا في كلّ وجه، رُدّوني إليّ! فلم أعُد الرُّبّانَ والمُنقِذَ والغريق، فلا الشّراع شراعي ولا الرّياح رياحي ولا الموج..

هـل كان ثمّـة نفعٌ وفائـدةٌ من هذه التجرِبـة؟ نعم مَشـوبةٌ بِلا.. نفعٌ لكنه لا يقوم بما تأكله من العقل، ومتعةٌ لا تعدِل أذى النفس ووحشتَها.. أيـن؟ وهـذا الصّراع المَريـر بين التيـارات، والاحتـرابُ الموجع على المواقـف، والخصومـةُ الباقيةُ لكلمـةٍ عابرة، وتسـقّطُ الهفوة، وتربّصُ الزلّـة، وتحيّـنُ البـادِرة.. أسـتثني من هذا قِلّةً بأعيانها ولسـتُ أسـتثني نفسي ولا منهجًا ولا تيّارًا.. هذا؛ وإني حزمتُ أمري وفردتُه مِرارًا، ثم أجمعـتُ الـرأيَ القاصِدَ على ترْكِ تويتر إلـى غير رجعةٍ بإذن الله، مات السّـاقي والنّديم؛ وما ورثنا من ليالينا رُقيًّا في سـلوكٍ ولا طَوَتْ بنا في مدارجِ الوعي..

وقد جئتُ أودّعكم، وأستميح العذر كلّ من كنت أخطأتُ في حقّه أو أسـاتُ إليه.. مستشـفعًا بالمحبّة؛ وبأني حاولتُ -جهدي- في هذه الصفحـة أن أُنـزل الثقافة مـن عليائها وأضَعَها بين يـدي الناس، وبأني حاولـتُ -جهـدي- أن أكون جميلًا فوق القبـح وإن كان دون المِثال، ولعلّـي أن أخـرج مـن هذا كلّه لا لـي ولا عليّ، وهـذه الصفحة متاحةٌ لمن عساه أن يجد فيها ما يستحقّ بقاءها..

سـأذهبُ بعيدًا- أيها الأحباب -لأقتربَ منكم «فلا قيمة للعُزْلةِ إلا بوجـود البشـر»، وحيـدًا مُتمثّـلًا كلمة تاركوفسـكي: «هـذه الرغبة في التَّجَمُّـع لتجنُّـب الشـعور بالوَحـدة أمرٌ مؤسـف؛ لأنه يبـدو أن الناس الذين يَمَلُّون أنفسَهم في خطر حقيقيّ».

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

***

اللهم إنّا نسألك ما نسأل لا عن ثِقَةٍ ببياضِ وجوهنا عِندَك، وحُسْنِ أفعالنـا مَعَـك؛ ولكـن عن ثِقَـةٍ بكرمك الفائـض، وطَمَعًا فـي رحمتك الواسعة.. من دعاء للتوحيديّ.

تمّ بحمد الله

ظِلال الأشياء

ليالي عبدالله الهدلق

"أشعر أني أقلّ وَحدةً حين أكون وحدي".. أحببتُ العيش وحيداً إلا من نفسي، وحيداً هناك أتفيّأ ظِلال الأشياء، ثمّ إني انتُزعتُ من هذا ببرامج التواصل الاجتماعيّ؛ فكأني قُذفت من نفسي إلى أنفس الناس عارياً ممّا كنت أتدثّره بأسمال العُزلة، وأرقّعه بمعاني التّجمّل.. ردّوني إليّ!

لقد حاولتُ -جهدي- أن أُنزل الثقافة من عليائها وأضعَها بين يدي الناس، حاولتُ أن أكون جميلاً فوق القبح، وإن كان دون المِثال، ولعلي أن أخرجَ من هذا كلّه لا لي ولا عليّ سأذهب بعيداً أيها الأحباب لأقترب منكم..

1438هـ / 2017م

ISBN 978-603-8406-20-5
9 786038 406205

أدب
adab